موسوعة الكلمة وأخواتها في القرآن الكريم

ص - ض - ط
صب - طين

الشيخ الدكتور أحمد عبيد الكبيسي

المجلد السابع

7

دار المعرفة
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى 1438 هـ - 2017 م

ISBN : 9953-85-369-X

دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع
DAR AL-MAREFAH
Printing & Publishing

جسر المطار شارع البرجاوي * هاتف: 834301 - 834332
فاكس: 835614 * ص.ب: 7876 ـ بيروت ـ لبنان
Airport Bridge Birjawi Str. * Tel: 834301 - 834332
Fax: 835614 * P.O.Box: 7876 Beirut - Lebanon
Email: info@marefah.com * www.marefah.com

موسوعة

الكلمة وأخواتها

في القرآن الكريم

7

حرف الصاد

صب

(صَبَّ - ثَجَّ - دَفَقَ - سَفَحَ - سَفَكَ - فَيَضَ)

■ **الصَّبُّ:** إراقة السائل من أعلى ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الحَجّ: 19].

■ **الثَّجُّ:** غزارة الماء في المطر يحدث فقاعات كثيرة ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ [النَّبَإ: 14].

■ **الدَّفْقُ:** اندفاع أول السائل دفعة دفعة لضيق فم الإناء ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ [الطارق: 5، 6].

■ **السَّفْحُ:** فيض الإناء على جوانبه بعد امتلائه برفق ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعَام: 145].

■ **السَّفْكُ:** فيض الإناء من أحد جوانبه المصاب برمية ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البَقَرَة: 30].

■ **الفَيْضُ:** خروج السائل من الإناء شديد الامتلاء ﴿أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [الأعرَاف: 50].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والباء أصلٌ واحدٌ، وهو إراقة الشيء، وإليه ترجع فروعُ البابِ كلِّه. من ذلك: صَبَبت الماءَ أصبُّه صَبًّا. ويُحمَل على ذلك فيقال لِمَا انحدرَ من الأرض: صَبَبٌ، وجمعه أصبابٌ، كأنَّه شيءٌ منصبٌّ في انحداره. وفي الحديث: «أنَّه كان ﷺ إذا مشى فكأنَّما يمشي في صَبَب». الراجز: والصُّبَّة: القِطعةُ من الخيل، كأنَّها تنصبُّ في الإغارَةِ انصباباً، والقِطعةُ من الغَنَم أيضاً صُبَّة، لذلك المعنى. ويقال للحيَّات الأساودِ: الصُّبُّ، وذلك أنها إذا أرادت النكْزَ انصبَّتْ على الملدوغ انصباباً. فأما الصَّبيب فيقال إنه ماءُ ورق السِّمسِم، ويقال بل هو عُصارة الحِنّاء.

وقال قومٌ: الصَّبيب: الدَّم الخالص، والعُصفُر المُخْلَص. والصُّبَابة: البقيَّة من الماء في الإناء. والصَّبَابة مِنْ صَبَّ إليه. ورجلٌ صَبٌّ، إذا غَلبَه الهوى، وهو من انصباب القَلْب. ويقال تصبَّبَ الحرُّ: اشتدَّ، كأَنَّه شيء صُبَّ على الأرض صَبّا. وتصبصب الشَّيء: ذَهَبَ ومُحِقَ، كأَنَّهُ صُبَّ صبًّا. ويقال: تصابَبْتُ الإناء، إذا شربتَ صُبَابَته. وكذلك تصابَبتُ الشّيء، إذا نِلتَه قليلاً.

قال الجوهري[2]: صَبَبْتُ الماءَ صبًّا فانْصَبَّ، أي سكَبته فانسكب. والماء يتصبَّبُ من الجبل، أي يتحدَّرُ. ويقال: ماءٌ صبٌّ، وهو كقولك ماءٌ سَكْبٌ، وماءٌ غَوْرٌ. والصَّبابةُ: رِقَّةُ الشوقِ وحرارته. يقال رجل صبٌّ: عاشقٌ مشتاقٌ؛ وقد صَبِبْتَ يا رجلُ بالكسر.

والصُّبابَةُ بالضم: البقية من الماء في الإناء. وتَصابَبْتُ الماءَ، إذا شَرِبْتَ صُبابَتَهُ. والصُّبَّةُ بالضم: القطعة من الخيلِ، والصِّرْمَةُ من الإبل.

قال أبو زيد: الصُّبَّةُ من المَعْزِ: ما بين العشرة إلى الأربعين. والصُّبَّةُ أيضاً من

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.

الماء مثل الصُّبَابَةِ. ومَضَتْ صُبَّةٌ من الليل، أي طائفة، وفي الحديث: «**لتعودُنَّ فيها أَساوِدَ صُبًّا يَضرِبُ بعضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ**» ذكر الزهري أنه من الصَبِّ، وقال: الحَيَّةُ السوداءُ إذا أرادتْ أن تنهش ارتفعتْ ثم صَبَّتْ. والصَّبيبُ: ماءُ ورقِ السِّمْسِمِ. قال أبو عبيد: يقال إنه ماءُ ورقِ السِّمسِمِ أو غيره من نباتِ الأرضِ، وقد وُصِفَ لي بمصر، ولونُ مائِهِ أحمرُ يعلوه سوادٌ.

ويقال: هو عُصارَةُ ورقِ الحِنَّاءِ. والصَّبيبُ: الدمُ. والصبيبُ: العُصْفُرُ المُخلَصُ. والصَّبَبُ ما انحدر من الأرض، وجمعه أَصْبابٌ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الحج: 19].

قال الألوسي[1]: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ أي الماء الحار الذي انتهت حرارته، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لو سقط من الحميم نقطة على جبال الدنيا لأذابتها، وفسره ابن جبير بالنحاس المذاب، والمشهور التفسير السابق، ولعله إنما جيء بمن ليؤذن بشدة الوقوع؛ والجملة مستأنفة أو خبر ثان للموصول أو في موضع الحال المقدرة من ضمير ﴿لَهُمْ﴾.

قال الشعراوي[2]: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ والحميم: الماء الذي بلغ منتهى الحرارة، حتى صار هو نفسه مُحْرِقاً من شِدَّة حَرّه، ولكَ أنْ تتصور ماءً يَغليه ربنا عز وجل!! وهكذا يجمع الله عليهم ألوان العذاب؛ لأن الثياب يرتديها الإنسان لتستر عورته، وتقيه الحر والبرد، ففيها شمول لمنفعة الجسم، يقول تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ

(1) روح المعاني. (2) تفسير الشعراوي.

مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النّحل: 112]. فالإذاقة ليستْ في اللباس، إنما بشيء آخر، واللباس يعطي الإحاطة والشمول، لتعم الإذاقة كُلَّ أطراف البدن، وتحكم عليه مبالغةً في العذاب.

قال أبو السعود[1]: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الحَجّ: 19] أي الماءُ الحارُّ الذي انتهتْ حرارتُه، قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لو قطرت قطرةٌ منها على جبال الدُّنيا لأذابتَها.

● **قال تعالى**: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ [عَبَس: 25].

قال الطبري[2]: وقوله: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ يقول: أنا أنزلنا الغيث من السماء إنزالاً، وصببناه عليها صباً.

قال ابن كثير[3]: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ أي: أنزلناه من السماء على الأرض.

● **قال تعالى**: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفَجر: 13]

قال القرطبي[4]: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ أي أفرغ عليهم وألقَى؛ يقال: صبّ على فلان خِلعة، أي ألقاها عليه.

قال الخازن[5]: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ يعني لوناً من العذاب صبّه عليهم، وقيل هو تشبيه بما يكون في الدنيا من العذاب بالسوط، وقيل هو إشارة إلى ما خلط لهم من العذاب، لأن أصل السوط خلط الشيء بعضه ببعض؛ وقيل هذا على الاستعارة، لأن السوط غاية العذاب فجرى ذلك لكل نوع منه. وقيل جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب، وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية يقول إن عند الله أسواطاً كثيرة، فأخذهم بسوط منها.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) جامع البيان.
(3) تفسير ابن كثير.
(4) الجامع لأحكام القرآن.
(5) لباب التأويل.

صبح

(صَبَحَ - غَدَوَ - بَكَرَ)

- **الصُّبْحُ:** أول النهار قبل بزوغ الشمس وقبل الشروق ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هُود: 81].
- **الغُدُوُّ:** أول النهار بعد الشروق ﴿أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ [القَلَم: 22].
- **البُكْرَةُ:** أول النهار بعد الفجر ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسَان: 25].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والباء والحاء أصلٌ واحدٌ مطّرد. وهو لونٌ من الألوان قالوا أصله الحُمْرة. قالوا: وسمِّيَ الصُّبْحُ صُبْحاً لحُمْرَته، كما سمِّيَ المِصْباح مِصباحاً لحُمْرَته. قالوا: ولذلك يقال وجهٌ صَبيحٌ. والصَّباح: نُورُ النَّهارِ. وهذا هو الأصل ثمُ يُفَرَّع. فقالوا: لِشُرْب الغَداة الصَّبوح، وقد اصطَبَحَ، وتلك هي الجاشِريَّة.

ويقال: «أكذَبُ من الأخيذ الصَّبْحَان»، يعنون الأسير المصطَبِح، وأصله أنَّ قوماً أسرُوا رجلاً فسألوه عن حَيِّه فكَذَبَهُمْ وأومَأَ إلى شُقَّةٍ بعيدة، فطعنوهُ فسَبقَ اللَّبَنُ الذي كان اصطبحه الدّمَ، فقالوا: «أكذَبُ من الأخيذ الصَّبْحَان». الناقة تَبْرُك

(1) معجم مقاييس اللغة.

في معرَّسِها فلا تَنْبَعِثُ حتى تُصْبِح. والتَّصَبُّح النَّوْم بالغداة. ويوم الصَّباح: يوم الغَارة.

ويقال أتيتهُ أصبوحةَ كلِّ يومٍ، ولقيتُهُ ذا صَبوح. والمصابيح: الأقداح التي يُصطَبَح بها. ويقال: أتانا لصُبْحِ خامسةٍ وصِبْحِ خامسة. ومن الكلمة الأولى: الصَّبَح: شدَّة حُمرةٍ في الشعَر؛ يقال: أسدٌ أصبَحُ.

قال الجوهري[1]: الصُّبْح: الفَجْر. والصَّباحُ: نقيض المساء. وكذلك الصَّبيحَةُ. تقول: أَصْبَحَ الرَجل، وصَبَّحه الله. وصَبَّحْتُه، أي قُلتُ له: عِمْ صَباحاً. وصَبَّحْتُه أيضاً، إذا أَتَيْتَهُ صَباحاً. ولا يُراد بالتشديد هٰهنا التكثير. وأصبح فلانٌ عالماً، أي صار. وأتيتُه لِصُبْحِ خامِسَةٍ، كما تقول لِمُسْي خامِسةٍ. وصِبْح خامسة بالكسر لغة فيه. وأتيتُه أصْبوحَةَ كلِّ يوم، وأُمْسِيَّةَ كلِّ يومٍ. ولَقيته صباحاً وذا صَباحٍ، وهو ظَرْفٌ غَيْرُ متمكِّن.

وفُلانٌ ينامُ الصَّبْحَةَ والصُّبْحَةَ، أي يَنامُ حين يُصْبِح. تقول منه: تَصَبَّح الرَّجُل. والمَصْبَحُ بالفتح: موضع الإصباح ووقت الإصباح أيضاً. والصَّبوحُ: الشُّرْبُ بالغَداة، وهو خلاف الغَبوق. تقول منه: صَبَحْتُه صَبْحاً. واصْطَبَحَ الرَّجُلُ: شَرِب صَبوحاً، فهو مُصْطَبِحٌ وصَبْحان، والمرأة صَبْحى. وفي المثل: إنّه لأكْذَبُ من الأخيذ الصَّبْحان. والمِصباح السِّراج. وقد استصبَحتُ به: إذا أَسْرَجْتَ. والشَّمَعُ مما يُصْطَبَحُ به، أي يُسْرَج به. والمِصباح: الناقة التي تُصْبِحُ في مَبْرَكِها ولا ترتعي حتّى يرتفع النهار. قال الأصمعيّ: وهذا مما يُسْتَحَبُّ من الإبل. والمَصابيح: الأقداح التي يُصْطَبَح بها. ويوم الصَّباحِ: يوم الغارَةِ.

والصَّباحة: الجمال، وقد صَبُحَ بالضم صباحة، فهو صبيح وصُباح أيضاً بالضم. والأَصْبَحُ قريب من الأَصْهَبِ. تقول: رجل أَصْبَحُ وأسد أَصْبَحُ بيِّن الصَّبَح. والأَصْبَحِيُّ السَّوْط.

---

(1) الصحاح في اللغة.

قال الفيروزآبادي(1): الصُّبْحُ: الفَجْرُ، أو أوَّلُ النَّهارِ، ج: أصباحٌ، وهو الصَّبيحَةُ والصَّباحُ والإِصْباحُ والمُصْبَح، كمُكْرَم. وأصْبَحَ: دَخَلَ فيه، وبِمَعْنى صارَ. وصَبَّحَهُم: قال لهم: عِمْ صَباحاً، وأتاهُم صَباحاً، كصبَحَهُم، كمَنَعَ، وسَقاهُم صَبوحاً وهو: ماحُلِبَ من اللَّبَنِ بالغَداةِ، وما أصْبَحَ عندَهُم من شَرابٍ، والناقَةُ تُحْلَبُ صَباحاً. ويومُ الصَّباح: يومُ الغارَةِ. والصُّبْحَةُ، بالضم: نَوْمُ الغَداةِ، ويُفْتَحُ، وما تَعَلَّلْتَ به غُدْوَةً، وقد تَصَبَّحَ، وسَوادٌ إلى الحُمْرَةِ، أو لَوْنٌ يَضْرِبُ إلى الشُّهْبَةِ، أو إلى الصُّهْبَةِ، وهو أصْبَحُ، وهي صَبْحاءُ. وأتَيْتُه لِصُبْحِ خامِسَةٍ، ويُكْسَرُ، أي: لِصَباحِ خَمْسَة أيَّامٍ.

وأتَيْتُه ذا صَباحٍ وذا صَبوحٍ، أي: بُكْرَةً، لا يُسْتَعْمَلُ إلَّا ظَرْفاً. والأَصْبَحُ: الأَسَدُ، وشَعَرٌ يَخْلِطُهُ بياضٌ بِحُمْرَةٍ خِلْقَةً. وقد اصْباحَّ وصَبِحَ، كفَرِحَ، صَبَحاً وصُبْحَةً، بالضم. والمُصْبَحُ، كمُكْرَمٍ: مَوْضِعُ الإِصْباحِ، ووَقْتُه.

والمِصْباحُ: السِّراجُ، والناقَةُ تُصْبِحُ في مَبْرَكِها حتى يَرْتَفِعَ النهار لِقُوَّتِها، والسِّنانُ العَريضُ، وقَدَحٌ كبيرٌ، كالمِصْبَحِ، كمِنْبَرٍ.

المعنى المشترك لكلمة (صبح)

وقد وردت كلمة (ص ب ح) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: المصباح بمعنى: الكوكب ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [المُلك: 5]. . يعني النجوم

الوجه الثاني: المصباح بمعنى: السراج ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ [النُّور: 35].

الوجه الثالث: الصباح بمعنى: الغدو بعد ما ذهب عنهم الليل ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القَلَم: 17].

(1) القاموس المحيط.

الوجه الرابع: فأصبح بمعنى: فصار ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [المَائدة: 30].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾ [هُود: 81].

قال القرطبي[1]: ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾ يحتمل أن يكون جعل الصبح ميقاتاً لهلاكهم؛ لأن النفوس فيه أودع، والناس فيه أجمع. وقال بعض أهل التفسير: إن لوطاً خرج بابنتيهِ ليس معه غيرهما عند طلوع الفجر، وأن الملائكة قالت له: إن الله قد وكّل بهذه القرية ملائكة معهم صوت رعد، وخطف برق، وصواعق عظيمة، وقد ذكرنا لهم أن لوطاً سيخرج فلا تؤذوه؛ وأمارته أنه لا يلتفت، ولا تلتفت ٱبنتاه فلا يهولنّك ما ترى. فخرج لوط وطوى الله له الأرض في وقته حتى نجا ووصل إلى إبراهيم.

قال أبو السعود[2]: ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ﴾ أي موعدَ عذابِهم وهلاكهم، تعليلٌ للأمر بالإسراء والنهيِ عن الالتفات المُشعرِ بالحث على الإسراع ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾ تأكيد للتعليل فإن قربَ الصبح داعٍ إلى الإسراع في الإسراء للتباعد عن مواقع العذاب، وروي أنه قال للملائكة: متى موعدُ هلاكِهم؟ قالوا: الصبحُ، قال: أريد أسرعَ من ذلك فقالوا ذلك. وإنما جُعل ميقاتُ هلاكِهم الصبحَ لأنه وقتُ الدعةِ والراحةِ فيكون حلولُ العذاب حينئذ أفظعَ ولأنه أنسبُ بكون ذلك عبرةً للناظرين.

● **قال تعالى**: ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾ [الصَّافات: 177].

قال ابن عاشور[3]: وذكر الصباح لأنه من علائق الهيئة المشبه بها فإن شأن

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) التحرير والتنوير.

الغارة أن تكون في الصباح ولذلك كان نذير المجيء بغارة عدوّ ينادي: يا صباحاه نداء ندبة وتفجع. ولذلك جعل جواب «إذا» قوله: ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ أي بئس الصباح صباحهم.

قال الشعراوي(1): ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ يعني: قَبُحَ هذا الصباح، وبئس هذا الصباح، والصبح هو الميعاد الحق للمعركة لمفاجأة المحارب قبل أنْ يستعد، أو يفاجئهم العذاب في وضح النهار فلا يستطيعون أنْ يستتروا من الفضيحة، و﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾ القوم الذين أنذرناهم وحذرناهم.

● **قال تعالى**: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: 35].

قال الطبري(2): ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ قال: مَثَل المؤمن قد جعل الإيمان والقرآن في صدره كمشكاة، قال: المشكاة: صدره. ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ قال: والمصباح القرآن والإيمان الذي جعل في صدره. ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ قال: والزجاجة: قلبه.

وقال آخرون: هو مثل للمؤمن غير أن المصباح وما فيه مثل لفؤاده.

قال البغوي(3): ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ أي: سراج، وأصله من الضوء، ومنه الصبح، ومعناه: كمصباح في مشكاة.

قال أبو السعود(4): ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ سراجٌ ضخمٌ ثاقبٌ، وقيل المشكاةُ الأُنبوبةُ في وسطِ القنديلِ والمصباحُ الفتيلةُ المشتعلةُ ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ أي قنديلٍ من الزُّجاجِ الصَّافي الأزهرِ.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: 5].

---

(1) تفسير الشعراوي.
(2) جامع البيان.
(3) معالم التنزيل.
(4) إرشاد العقل السليم.

قال الفخر الرازي[1]: اعلم أن هذا هو الدليل الثاني على كونه تعالى قادراً عالماً، وذلك لأن هذه الكواكب نظراً إلى أنها محدثة ومختصة بمقدار خاص، وموضع معين، وسير معين، تدل على أن صانعها قادر ونظراً إلى كونها محكمة متقنة موافقة لمصالح العباد من كونها زينة لأهل الدنيا، وسبباً لانتفاعهم بها، تدل على أن صانعها عالم، ونظير هذه الآية في سورة الصفات ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾ [الصافات: 6-7].

﴿ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ السماء القربى، وذلك لأنها أقرب السمٰوات إلى الناس ومعناها السماء الدنيا من الناس، والمصابيح السرج سميت بها الكواكب، والناس يزينون مساجدهم ودورهم بالمصابيح، فقيل: ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح أي بمصابيح لا توازيها مصابيحكم إضاءة.

قال أبو حيان[2]: ﴿ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾: هي التي نشاهدها، والدنو أمر نسبي وإلا فليست قريبة، ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾: أي بنجوم مضيئة كالمصابيح، ومصابيح مطلق الأعلام، فلا يدل على أن غير سماء الدنيا ليست فيها مصابيح. ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾: أي جعلنا منها، لأن السماء ذاتها ليست يرجم بها الرجوم هذا إن عاد الضمير في قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ على السماء. والظاهر عوده على مصابيح. ونسب الرجم إليها، لأن الشهاب المتبع للمسترق منفصل من نارها، والكواكب قارّ في ملكه على حاله. فالشهاب كقبس يؤخذ من النار، والنار باقية لا تنقص. والظاهر أن الشياطين هم مسترقو السمع، وأن الرجم هو حقيقة يرمون بالشهب.

---

(1) التفسير الكبير.

(2) البحر المحيط.

صبر

(صَبَرَ - زَهَدَ - حلُمَ)

■ **الصَّبْرُ:** حبس النفس لمصيبة ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: 155-156].

■ **الزُّهْدُ:** حبس النفس عما تشتهي من زينة الحياة الدنيا ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۢ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: 20].

■ **الحُلْمُ:** حبس النفس عن شهوة الانتقام وقت الغضب ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ﴾ [هود: 75].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والباء والراء أصولٌ ثلاثة، الأول الحَبْس، والثاني أعالي الشيء، والثالث جنسٌ من الحجارة. فالأول: الصَّبْر، وهو الحَبْس. يقال: صَبَرْتُ نفسي على ذلك الأمر، أي حَبَسْتُها.

والمصبورة: المحبوسة على الموت. ونَهَى رسول الله ﷺ عن قتل شيءٍ من الدوابّ صَبْراً. ومن الباب: الصَّبِير، هو الكَفِيل، وإنّما سمِّي بذلك لأنَّهُ يَصبر على الغرم. يقال: صَبَرْتُ نفسي به أَصبُر صَبْراً، إذا كَفَلْتَ به، فأنا به صبير. وصبرتُ الإنسانَ، إذا حلَّفْتُهُ بالله جَهْدَ القَسَم. وأمَّا الثاني فقالوا: صُبْر كلِّ شيءٍ: أعلاه. قالوا: وأصبار الإناء: نواحيه، والواحد صُبْر.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

وقال الأصل الثالث فالصُّبْرة من الحجارة: ما اشتدَّ وغلُظ، والجمع صِبَارٌ، وفي كتاب ابن دريد: «الصُّبَّارة: قطعةٌ من حديدٍ أو حجر» قال ابنُ دُريد: وروى البغداديُّون: «صَبارهْ»، وما أدري ما أرادوا بهذا. قلنا: والذي أراده البغداديُّون ما رُوِيَ أنَّ الصِّبَار ما اشتدَّ وغلُظ. وهو في قول الأعشى: فالذي أراده البغداديون هذا، وتكون الهاء داخلةً عليه للجمع. قال أبو عُبيد: الصُّبْرُ: الأرض التي فيها حصباءُ وليست بغليظة، ومنه قيل للحرّة: أمُّ صَبَّار. ومما حُمِلَ على هذا قول العرب: وقعَ القومُ في أمّ صَبُّور، إذا وقعوا في أمر عظيم.

قال الجوهري(1): الصَّبْرُ: حَبس النفس عن الجزع. وقد صَبَر فلانٌ عند المصيبة يَصْبِرُ صَبْراً. وصَبَرْتُهُ أنا: حبسْته. قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف: 28].

يقول: حبستُ نفْساً صابِرَةً. وصَبَرْتُ الرجل، إذا حَلَّفْتَهُ صَبْراً أو قتلْتَه صَبْراً. يقال: قُتِل فلان صَبْراً وحَلَفَ صَبْراً، إذا حُبِسَ على القتل حتى يُقْتَلَ أو على اليمين حتى يَحْلِفَ. وكذلك أَصْبَرْتُ الرجل بالألف. والمَصْبورَةُ، هي اليمين. والمَصْبورَةُ التي نُهِيَ عنها، هي المحبوسة على الموت. وكلُّ ذي روحٍ يُصْبَرُ حيًّا ثم يُرْمى حتى يُقْتَلَ قتِل صَبْراً. والتَّصَبُّرُ تكلُّف الصَّبْرِ. وتقول اصْطَبَرْتُ، ولا يقال اطَّبَرْتُ، لأن الصاد لا تدغم في الطاء. فإن أردت الإدغام قلبت الطاء صاداً وقلت: اصَّبَرْتُ. والصَّبيرُ الكفيلُ. تقول منه: صَبَرْتُ أَصْبُرُ بالضم صَبْراً وصَبارَةً، أي كَفَلْتُ به. تقول منه: اصْبُرْني يا رجلُ، أي أعطني كفيلاً. والصَّبيرُ: السحاب الأبيض لا يكاد يُمطر.

قال الفيروزآبادي(2): صَبَرَهُ عنه يَصْبِرُهُ: حَبَسَهُ. وصَبْرُ الإِنسانِ وغيرِهِ على القتلِ: أن يُحْبَسَ ويُرْمَى حتى يموتَ. وقد قَتَلَه صَبْراً، وصَبَرَه عليه. ورجلٌ صَبُورَةٌ: مَصْبُورٌ للقتلِ. ويَمينُ الصَّبْرِ: التي يُمْسِكُكَ الحَكَمُ عليها حتى تَحْلِفَ، أو

(1) الصحاح في اللغة. (2) القاموس المحيط.

التي تَلْزَمُ وَيُجْبَرُ عليها حالِفُها. وصَبَرَ الرجلَ: لَزِمَهُ. والمَصْبُورةُ: اليمينُ. والصَّبْرُ: نقِيضُ الجَزَعِ، صَبَرَ يَصْبِرُ، فهو صابرٌ وصَبيرٌ وصَبُورٌ، وتَصَبَّرَ واصْطَبَرَ واصَّبَرَ. وأصْبَرَه: أمَرَه بالصَّبْر، كصَبَّرَه، وجعل له صَبْراً. وصَبَرَ به، كنَصَرَ، صَبْراً وصَبَارَةً: كَفَلَ. واصْبُرْني، كانْصُرني: أعطِني كَفِيلاً.

المعنى المشترك لكلمة (صبر)

وقد وردت كلمة (ص ب ر) في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

الوجه الأول: الصبر بمعنى: الصوم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البَقَرَة: 153].

الوجه الثاني: الصبر بمعنى: الجرأة ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: 175].

الوجه الثالث: الصبر بمعنى: الإصرار على الشيء ﴿أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص: 6].

الوجه الرابع: الصبر بمعنى: الرضا ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الطُّور: 48].

الوجه الخامس: الصبر بعينه ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 44].

❋ ❋ ❋

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: 175].

قال القرطبي(1): ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ مذهب الجمهور - منهم الحسن ومجاهد - أن «ما» معناه التعجب؛ وهو مردود إلى المخلوقين، كأنه قال: أعجبوا من صبرهم على النار ومُكثهم فيها. وفي التنزيل: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عَبَسَ: 17]

(1) الجامع لأحكام القرآن.

و﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريَم: 38] وبهذا المعنى صدر أبو عليّ. قال الحسن وقتادة وٱبن جبير والرّبيع: ما لهم والله عليها من صبر، ولكن ما أجرأهم على النار! وهي لغة يَمَنِيّة معروفة. قال الفَرّاء: أخبرني الكسائي قال: أخبرني قاضي اليمن أن خصمين ٱختصما إليه فوجبت اليمين على أحدهما فحلف؛ فقال له صاحبه: ما أصبرك على الله؟ أي ما أجرأك عليه. والمعنى: ما أشجعهم على النار إذ يعملون عملاً يؤدّي إليها. وحكى الزجاج أن المعنى ما أبقاهم على النار؛ من قولهم: ما أصبر فلاناً على الحبس! أي ما أبقاه فيه. وقيل: المعنى فما أقلّ جزعهم من النار؛ فجعل قلة الجزع صبراً. وقال الكسائي وقُطْرُب: أي ما أدْوَمهم على عمل أهل النار. وقيل: «ما» ٱستفهام معناه التوبيخ؛ قاله ٱبن عباس والسدّي وعطاء وأبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى، ومعناه: أيْ أيّ شيء صبرهم على عمل أهل النار؟ وقيل: هذا على وجه الاستهانة بهم والاستخفاف بأمرهم.

قال الفخر الرازي(1): ﴿مَا﴾ في هذه الآية استفهام التوبيخ معناه: ما الذي أصبرهم وأي شيء صبرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل وهذا قول عطاء وابن زيد وقال ابن الأنباري: وقد يكون أصبر بمعنى صبر وكثيراً ما يكون أفعل بمعنى فعل نحو أكرم وكرم.

﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ وهو كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما أصبرك على القيد والسجن إذا عرفت هذا ظهر أنه يجب حمل قوله: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ على حالهم في الدنيا لأن ذلك وصف لهم في حال التكليف، وفي حال اشترائهم الضلالة بالهدى، وقال الأصم: المراد أنه إذا قيل لهم ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: 108] فهم يسكتون ويصبرون على النار لليأس من الخلاص، وهذا ضعيف لوجوه أحدها: أن الله تعالى وصفهم بذلك في الحال فصرفه إلى أنهم سيصيرون كذلك خلاف الظاهر وثانيها: أن أهل النار قد يقع منهم الجزع والاستغاثة.

---

(1) التفسير الكبير.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [البقرة: 177].

قال الطبري[1]: ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾. قد بينا تأويل الصبر فيما مضى قبل. فمعنى الكلام: والمانعين أنفسهم في البأساء والضرّاء وحين البأس مما يكرهه الله لهم الحابسيها على ما أمرهم به من طاعته. عن ابن مسعود أنه قال: أما البأساء فالفقر، وأما الضرّاء فالسقم.

وعن عبد الله في قوله: ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ قال: البأساء الجوع، والضراء المرض.

قال الخازن[2]: ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾ أي في الشدة والفقر والفاقة ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ يعني المرض والزمانة ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ يعني القتال والحرب في سبيل الله. وسمي الحرب بأساً لما فيه من الشدة (ق) عن البراء قال كنا والله إذا احمر البأس نتقي به وأن الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي ﷺ قوله احمر البأس: أي اشتد الحرب ونتقي به أي نجعله وقاية لنا من العدو.

● **قال تعالى**: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟﴾ [آل عمران: 200].

قال ابن عجيبة[3]: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟﴾ على مشاق الطاعات، وما يصيبكم من الشدائد والأزْمَات، وعلى مجانبة المعاصي والمخالفات، وعلى شكر ما أوليتكم من مواهب العطيات ﴿وَصَابِرُوا۟﴾ أي: غالبوا الأعداء في مواطن الصبر، والثبوت في مداحض الحرب، ﴿وَرَابِطُوا۟﴾ أبدانكم وخيولكم في الثغور لتحفظوا المسلمين من العدو الكفور، كي تفوزوا بعظائم الأجور؛ قال ﷺ: «**من رَابَط يَوْماً ولَيلَة في سبيل اللهِ كان كعدل صِيامِ شَهْر وصِيَامه، لا يفطر ولا ينفتل عن**

(1) جامع البيان.
(2) لباب التأويل.
(3) البحر المديد.

صلاته إلا لحاجة، ومن توفي في سبيل الله - أي: مرابطاً في سبيل الله - أجْرَى الله عليه أجره حتى يقضي بين أهلِ الجنَةِ وأهل النَّارِ» ومما يلحق بالرباط: «انتظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ»، كما في الحديث: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فلاحاً لا خسران بعده أبداً. الإشارة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إيمان أهل الخصوص، ﴿ٱصْبِرُواْ﴾ على حفظ مراسم الشريعة، ﴿وَصَابِرُواْ﴾ على تحصيل أنوار الطريقة.

قال النسفي[1]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ﴾ على الدين وتكاليفه. قال الجنيد رضي الله عنه: الصبر حبس النفس على المكروه بنفي الجزع ﴿وَصَابِرُواْ﴾ أعداء الله في الجهاد أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبراً منهم وثباتاً.

● **قال تعالى**: ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يُوسُف: 18].

قال البغوي[2]: ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾، معناه: فأمري صبر جميل أو فعلي صبرٌ جميل. وقيل: فصبر جميل أختاره. والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا جزع.

قال الزجاج[3]: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: فشأني أو الذي أعتقده صبر جميل.

وقيل: فصبر جميل أولى بي، قيل: والصبر الجميل هو الذي لا شكوى معه. قال الزجاج: قرأ عيسى بن عمر فيما زعم سهل بن يوسف (فصبراً جميلاً) قال: وكذا في مصحف أنس. قال المبرد: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ بالرفع أولى من النصب. لأن المعنى: قال ربّ عندي صبر جميل، وإنما النصب على المصدر أي: فلأصبرنّ صبراً جميلاً.

---

(1) مدارك التنزيل.
(2) معالم التنزيل.
(3) معاني القرآن.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ﴾ [الحج: 35].

قال أبو السعود[1]: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ﴾ من مشاقِّ التَّكاليفِ ومُؤناتِ النَّوائبِ.

قال الفخر الرازي[2]: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ﴾ وعلى ما يكون من قبل الله تعالى، لأنه الذي يجب الصبر عليه كالأمراض والمحن والمصائب. فأما ما يصيبهم من قبل الظلمة فالصبر عليه غير واجب بل إن أمكنه دفع ذلك لزمه الدفع ولو بالمقاتلة والثاني: الاشتغال بالخدمة وأعز الأشياء عند الإنسان نفسه وماله.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: 35].

قال أبو السعود[3]: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ على الطَّاعاتِ وعَنِ المَعَاصي.

قال ابن عجيبة[4]: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ على الطاعات وترك السيئات.

● **قال تعالى**: ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ﴾ [الشورى: 33].

قال الألوسي[5]: ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ﴾ لكل من حبس نفسه عن التوجه إلى ما لا ينبغي ووكل همته بالنظر في آيات الله تعالى والتفكر في آلائه سبحانه فالصبر هنا حبس مخصوص والتفكر في نعمه تعالى شكر. ويجوز أن يكون قد كنى بهذين الوصفين عن المؤمن الكامل لأن الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر. وذكر الإمام أن المؤمن لا يخلو من أن يكون في السراء والضراء فإن كان في الضراء كان من الصابرين وإن كان في السراء كان من الشاكرين.

قال ابن عاشور[6]: وجُعل ذلك آيةً لكل صبّار شكور لأن في الحالتين خوفاً ونجاة، والخوف يدعو إلى الصبر، والنجاةُ تدعو إلى الشكر.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) التفسير الكبير.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) البحر المديد.
(5) روح المعاني.
(6) التحرير والتنوير.

والمراد: أن في ذلك آيات لكل مؤمن متخلق بخلُق الصبر على الضرّاء والشكرِ للسرّاء، فهو يعتبر بأحوال الفُلْك في البحر اعتباراً يقارنه الصبر أو الشكر.

وإنما جعل ذلك آية للمؤمنين لأنهم الذين ينتفعون بتلك الآية فيعلمون أن الله منفرد بالإلٰهية بخلاف المشركين فإنها تمر بأعينهم فلا يعتبرون بها.

قال القاسمي[1]: ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: لكل مؤمن. وإنما آثر وصفيه المذكورين، تذكيراً بما ينبغي أن يكون المؤمن عليه من وفرة الصبر وكثرة الشكر. إذ لا يكمل الإيمان بدونهما (والإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر).

● **قال تعالى**: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطُّور: 48].

قال الشعراوي[2]: هذا أمر لسيدنا رسول الله ﷺ بالصبر لحكم الله وقضائه، وهو أمر مصحوب بهذه الرعاية وهذه العناية التي ما اختصَّ بها إلا سيدنا رسول الله وسيدنا نوح عليه السلام، وقد خاطبه ربه بقوله: ﴿أَصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [المؤمنون: 27]. فالحق سبحانه يُسلِّي رسوله ﷺ ويُطمئنه: اصبر يا محمد على أذى القوم وأنت تحت نظرنا وفي رعايتنا وحفظنا، فلا تهتم لما يفعلون. وهذه المكانة خصّ بها أيضاً سيدنا موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: 39].

---

(1) محاسن التأويل.

(2) تفسير الشعراوي.

صبغ

(صَبَغَ - فَطَرَ - سَيَمَ)

■ **الصِّبْغَةُ:** سيماء الإنسان الدالة على معتقده ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البَقَرَة: 138].

■ **الفِطْرَةُ:** ما أودعه الله سبحانه وتعالى في الإنسان من قوته على معرفة خالقه سبحانه ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الرُّوم: 30].

■ **السِّيمَاءُ:** علامة في الوجه تدل على فعل خفي ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفَتْح: 29].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والباء والغين، أصلٌ واحدٌ، وهو تلوين الشَّيء بلونٍ ما. تقول: صبغته أصبغه. ويُقال للرُّطَبة: قد صَبَّغَتْ. فأمَّا قولُه تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة 138] فقال قوم: هي فِطرتُهُ لخلْقِهِ. وقال آخرون: كلُّ ما تُقُرِّب به إلى الله تعالى صِبغة. والأصبغ الفرس في طرف ذَنَبِه بياض. وذلك دون الأشكل، والأوَّل مشبَّه بالشيء يُصْبَغ طرَفُهُ.

قال الجوهري[2]: الصِّبْغُ والصِّبْغَةُ: ما يُصْبَغُ به، والجمع أَصْباغٌ. والصِّبْغ أيضاً: ما يُصْطَبَغُ به من الإدام. ومنه قوله تعالى: ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ [المؤمنون: 20]

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.

والجمع صِباغٌ. وصَبَغْت الثوب أَصْبَغُهُ وأَصْبُغُهُ صَبْغاً. وثيباً مُصَبَّغَةٌ، شُدِّدَ للكثرة. وصَبْغَةُ الله: دِينُهُ. والأَصْبَغُ من الخيل: الذي ابيضَّتْ ناصيتُه أو ابيضَّتْ أطرافُ ذَنَبِه. والأَصْبَغُ من الطير: الذي ابيضَّ ذَنَبه. والصَّبْغاءُ من الشاءِ: التي ابيضَّ طرفُ ذَنَبها. وصَبَّغَتِ الرُّطَبَةُ، مثل ذَنَّبَتْ.

قال الفيروزآبادي[1]: الصِّبْغُ، بالكسر، وبهاءٍ، وكعِنَبٍ وكِتابٍ: ما يُصْبَغُ به. وما أَخَذَه بِصِبْغِ ثَمَنِه، أي لم يأخُذْه بِثَمنِه، بل بِغَلاءٍ. وإنها لَحَدِيثَةُ الصِبْغِ، بالكسر: أوّلُ ما تُزُوِّجَ بها، (وأحمدُ بنُ إسحاقَ الصِبْغِيُّ: من الفُقَهاءِ) وصَبَغَه بها، كمنَعه وضَرَبَهُ ونَصَرَه، صَبغاً وصِبَغاً، كعِنَبٍ: لَوَّنَه،

وصبغ يَدَهُ بالماءِ: غَمَسَها فيه، وصبغ ضَرْعُها صُبوغاً: امْتَلأَ وحَسُنَ لَوْنُه، وناقةٌ صابغٌ، وصبغ عَضَلَتُه: طالَتْ، وصبغ فلاناً عندَ فلانٍ، أو في عَيْنِه: أشار إليه بأنه مَوْضِعٌ لِما قَصَدْتَه به، وصبغ فلاناً بعَيْنِه: أشار إليه، أو هي بالمهملةِ. والصِبْغَةُ، بالكسر: الدِّينُ والمِلَّةُ. و﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: 138]: فِطْرَةُ اللهِ أو التي أَمَرَ اللهُ تعالى بها محمداً ﷺ، وهي الخِتانَةُ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: 138].

قال الألوسي[2]: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ الصبغة بالكسر فعلة من - صبغ - كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها - الصبغ - عبر بها عن التطهير بالإيمان بما ذكر على الوجه الذي فصل لأنه ظهر أثره عليهم ظهور - الصبغ - على -

(1) القاموس المحيط. (2) روح المعاني.

المصبوغ - وتداخل في قلوبهم تداخله فيه وصار حلية لهم، فهناك استعارة تحقيقية تصريحية والقرينة الإضافة والجامع ما ذكر، وقيل: للمشاكلة التقديرية فإن النصارى كانوا - يصبغون - أولادهم بماء أصفر يسمونه المعمودية يزعمون أنه الماء الذي ولد فيه عيسى عليه الصلاة والسلام ويعتقدون أنه تطهير للمولود كالختان لغيرهم، وقيل: هو ماء يقدس بما يتلى من الإنجيل ثم تغسل به الحاملات، ويرد على هذا الوجه أن الكلام عام لليهود غير مختص بالنصارى.

قال الشعراوي(1): ما هي الصبغة؟ الصبغة هي إدخال لون على شيء بحيث يغيره بلون آخر وقوله سبحانه: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ فكأن الإيمان بالله وملة إبراهيم وما أنزل الله على رسله هي الصبغة الإلٰهية التي تتغلغل في الجسد البشري.. ولماذا كلمة صبغة؟ حتى نعرف أن الإيمان يتخلل جسدك كله.. إنه ليس صبغة من خارج جسمك ولكنها صبغة جعلها الله في خلايا القلب موجودة فيه ساعة الخلق.. ولذلك فإن رسول الله ﷺ يقول: «**كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه**» فكأن الإيمان صبغة موجودة بالفطرة.

● **قال تعالى**: ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ [المؤمنون: 20].

قال أبو السعود(2): ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ معطوف على الدُّهنِ جارٍ على إعرابه عطف أحد وصفَيْ الشَّيءِ على الآخرِ أي تنبت بالشَّيءِ الجامع بين كونهِ دُهناً يُدهنُ به ويُسرجُ منه وكونهِ إداماً يُصبغ فيه الخبز أي يُغمس فيه للائتدامِ. وقُرِىء وصباغٍ كدباغٍ في دِبْغٍ.

قال الخازن(3): ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ الصبغ الأدام الذي يكون مع الخبز ويصبغ به جعل الله في هذه الشجرة المباركة أدماً وهو الزيتون ودهناً وهو الزيت وخصّ جبل الطور بالزيتون لأنه منه نشأ وقيل إن أول شجرة نبتت بعد الطوفان الزيتون وقيل إنها تبقى في الأرض نحو ثلاثة آلاف سنة.

---

(1) تفسير الشعراوي.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) لباب التأويل.

صبي

(صَبِيّ - شَيْخ - جَنِين - طِفْل - رَضِيع - حَمْل - غُلام - فَتى)

■ **الصَّبِيُّ:** من لم يبلغ الحلم ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: 29].

■ **الشَّيْخُ:** الذي استبانتْ فيه السن وظهر عليه ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: 23].

■ **الحَمْلُ:** أول أيام الطفل في بطن أمه ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ [الحَجّ: 2].

■ **الجَنِينُ:** الحمل بعد أن تنفخ فيه الروح ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [النّجم: 32].

■ **الرَّضِيعُ:** أول ما تضع الجنين أمه ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ [النِّساء: 23].

■ **الطِّفْلُ:** من الولادة حتى التميز ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾ [النّور: 59]

■ **الغُلامُ:** أول ما يطر شارب الطفل ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [الكهف: 80].

■ **الفَتَى:** أول ما يشعر الغلام بالشهوة ﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يُوسُف: 30].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والباء والحرف المعتلّ ثلاثةُ أصولٍ صحيحة: الأول يدلُّ على صغر السّنّ، والثاني ريحٌ من الرياح، والثالث [الإمالة]. فالأوّل واحد الصِّبْيَةَ والصِّبيان. ورأيته في صباه، أي صغره. والمصْبي: الكثير الصِّبيان. والصَّباء، ممدود الصِّبا، ويمدُّ مع الفتح.

ومن الباب: صبا إلى الشّيء يصبُو؛ إذا مال قلبُهُ إليه. والاشتقاق واحد، والاسم الصَّبْوة. وقال العجَّاج في الصِّبا: والثاني: ريح الصَّبَا، وهيَ التي تستقبل القبلة. يقال: صبَتْ تصبُو. الثالث: قول العرب: صَابيْتُ الرُّمح. فأمَّا المهموز فهو يدلُّ على خروجٍ وبروز. يقال: صبأٍ من دينٍ إلى دين، أي خرج. وهو قولهم: صبأ نابُ البعير، إذا طلعَ. والخارجُ من دينٍ إلى دين صابئٍ، والجمع صابئون وصُبَّاءٌ.

قال الجوهري[2]: الصَّبِيُّ: الغلام، والجمع صِبْيَةٌ وصِبْيانٌ وتصغير صِبْيَةٍ صُبَيَّةٌ في القياس، وقد جاء في الشعر أُصَيْبِيَةٌ، كأنَّه تصغير أَصْبِيَةٍ.

ويقال صَبِيٌّ بَيِّنُ الصِّبا والصَّباءِ. والجارية صَبِيَّةٌ، والجمع صَبايا. والسَّبِيَّانِ طرَفا اللَّحيين. والصِّبا أيضاً من الشوق، يقال منه: تَصابى. وصَبا يَصْبو صَبْوَةً وصُبوءاً، أي مال إلى الجهل والفتوّة. وأَصْبَتْهُ الجارية.

قال الفيروزآبادي[3]: الصَّبْوَةُ: جَهْلَةُ الفُتُوَّةِ، صَبَا صَبْواً وصُبُوًّا وصِباً وصَباءً. والصَّبِيُّ: من لم يُفْطَم بعدُ، وناظِرُ العَيْن، وعَظْمٌ أسْفَلَ من شَحْمةِ الأُذُنَيْنِ، وحَدُّ السَّيْفِ، أو غيره الناتِئُ في وَسَطِهِ، ورأسُ القوم، وطَرَفُ اللَّحْيَيْنِ جمعه: أصْبِيَةٌ وأصْبٍ وصِبْوَةٌ (وصَبْيَةٌ) وصِبْيَةٌ وصِبْوانٌ وصِبْياً، وتُضَمُّ هذه الثلاثةُ. وَصَبِيَ،

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) القاموس المحيط.

كَرَضِيَ: فَعَلَ فِعْلَهُ، وصبي إليها: حَنَّ، كصَبَا صَبْوَةً وصُبْوَةً وصُبُوًّا. وأصْبَتْهُ المرأةُ، وتَصَبَّتْهُ: شاقَتْهُ، ودَعَتْه إلى الصِّبَا فَحَنَّ إليها. وتَصَبَّاهَا وتَصاباها: خَدَعَها، وفتَنَها.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ [يُوسُف: 33].

قال القرطبي(1): ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ جواب الشرط، أي أَمِلْ إليهن؛ من صبا يصبو - إذا مال وٱشتاق - صُبُوًّا وصَبْوة. أي إن لم تَلطُف بي في ٱجتناب المعصية وقعت فيها. ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أي ممن يرتكب الإثم ويستحق الذم، أو ممن يعمل عمل الجهال؛ ودلّ هذا على أن أحداً لا يمتنع عن معصية الله إلا بعون الله؛ ودلّ أيضاً على قبح الجهل والذم لصاحبه.

قال الخازن(2): ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أي أمل إليهن يقال صبا فلان إلى كذا إذا مال إليه واشتاقه ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ يعني من المذنبين وقيل معناه أكن ممن يستحق صفة الذم بالجهل، وفيه دليل على أن من ارتكب ذنباً إنما يرتكبه عن جهالة

● **قال تعالى**: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: 29].

قال ابن عجيبة(3): ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾، ولم يُعهد فيما سلف صبي يكلمه عاقل. و﴿كَانَ﴾ هنا: تامة. و﴿صَبِيًّا﴾: حال. وقيل: زائدة، أي: من هو في المهد.

قال البغوي(4): ﴿قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ أي: من هو في

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) لباب التأويل.
(3) البحر المديد.
(4) معالم التنزيل.

المهد، وهو في حجرها. وقيل: هو المهد بعينه، «وكان» بمعنى: هو. وقال أبو عبيدة: «كان» صلة، أي: كيف نكلم صبياً في المهد. وقد يجيء «كان» حشواً في الكلام لا معنى له كقوله: ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: 93] أي: هل أنا؟قال السدي: فلما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم. وقيل: لما أشارت إليه ترك الثدي واتكأ على يساره، وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه.

صحب

(صَحِب - خَلِيل - خِدْن - صَدِيق - رَفِيق)

- **الصَّاحِبُ:** بالملازمة والانتماء ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ [التّوبة: 40].
- **الخَلِيلُ:** الصاحب الوفي ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النِّساء: 125].
- **الخِدْنُ:** الصاحب بشهوة ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ [النِّساء: 25].
- **الصَّدِيقُ:** الصاحب الناصح الزاجر المعلّم ﴿أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [النُّور: 61].
- **الرَّفِيقُ:** الصاحب المعين على الشدة ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّساء: 69].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والحاء والباء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على مقارَنة شيءٍ ومقاربته. من ذلك الصَّاحب والجمع الصَّحْب، كما يقال: راكبٌ ورَكْبٌ. ومن الباب: أصحب فلانٌ، إذا انقاد. وأَصْحَبَ الرَّجُل، إذا بلغَ ابنُهُ. وكلُّ شيءٍ لاءم شيئاً فقد استصحبه. ويقال للأديم إذا تُرِكَ عليه شَعَرُه: مُصْحَبٌ. ويقال: أَصحبَ الماءُ، إذا علاهُ الطُّحْلَب.

قال الجوهري[2]: صَحِبَهُ يَصْحَبُهُ صُحْبَةً بالضم، وصَحابة بالفتح. وجمع الصاحِب صَحْبٌ وصُحْبَةٌ، وصِحابٌ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) الصحاح في اللغة.

والصحابة بالفتح: الأصحاب وهي في الأصل مصدرٌ. وجمع الأصحابِ أصاحيبُ. وقولهم في النداء يا صاحِ، معناه يا صاحبي. ولا يجوز ترخيم المضاف إلا في هذا وحدَه، سُمِعَ من العرب مرخَّماً. وأَصْحَبْتُهُ الشيءَ: جعلته له صاحباً. واستصحبه الكتابَ وغيره. وكل شيء لاءَمَ شيئاً فقد استصحبه. واصطحب القومُ: صَحِبَ بعضهم بعضاً، وأصله اصْتَحَبَ. وأصْحَبَ البعيرُ والدابةُ، إذا انقاد بعد صُعوبة، وأَصْحَبَ الرجلُ، إذا بَلَغَ ابنُهُ. والمُصْحَبُ من الزِّقاقِ: ما الشَعَرُ عليه.

وقد أَصْحَبْتَهُ، إذا تَرَكْتَ صوفَهُ أو شَعَرَهُ عليه ولم تَعْطِنْهُ. وأَصْحَبَ الماءُ، إذا علاه الطُّحْلُبُ. وحمارٌ أصحبُ، أي أَصْحَرُ يَضرِبُ لَوْنُهُ إلى الحُمْرَةِ.

قال الفيروزآبادي[1]: صَحِبَه، كسَمِعَه، صَحابَةً، ويُكْسَرُ، وصُحْبَةً: عاشَرَهُ. وهُم: أصحابٌ وأصاحِيبُ وصُحْبانٌ وصِحابٌ وصَحابَةٌ وصِحابَةٌ وصَحْبٌ. واسْتَصْحَبَهُ: دَعاهُ إلى الصُّحْبَةِ، ولازَمَه. والمُصْحِبُ، كمُحْسِنٍ: الذَّليلُ المُنْقادُ بعدَ صُعوبةٍ، كالمُصاحِبِ، والمُسْتَقيمُ الذَّاهِبُ لا يَتَلَبَّثُ، والماءُ عَلاه الطُّحْلُبُ، والرَّجُلُ بَلَغَ ابْنُه فصارَ مِثْلَه، والرَّجُلُ الذي يُحَدِّثُ نَفْسَهُ، وقد تُفْتَحُ حاؤُه، وبفتح الحاءِ: المَجْنُونُ، وأديمٌ بَقِيَ عليه صوفُه وشَعَرُه ووبَرُه، ومنه: قِرْبَةٌ مُصْحَبَةٌ.

المعنى المشترك لكلمة (صحب)

وقد وردت كلمة (ص ح ب) في القرآن الكريم على ثمانية أوجه:

الوجه الأول: الأصحاب بمعنى: السكان ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المجادلة: 17]

الوجه الثاني: الأصحاب بمعنى: القوم ﴿قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: 61].

(1) القاموس المحيط.

الوجه الثالث: الصاحب بمعنى: الرفيق ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النّساء: 36].

الوجه الرابع: الصاحب يعني: النبي ﷺ ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التّكوير: 22].

الوجه الخامس: الصاحب بمعنى: الأخ ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: 34].

الوجه السادس: الصاحبة بمعنى: الزوجة ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴾ [المعَارج: 12].

الوجه السابع: الأصحاب بمعنى: الخُزّان ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المدَّثِّر: 31].

الوجه الثامن: الأصحاب بمعنى: الأبوان ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ [الأنعَام: 71].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ [التوبة: 40].

قال الألوسي(1): ﴿إِذْ يَقُولُ﴾ بدل ثان، وقيل: أول ﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾ وهو أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه. وقد أخرج الدارقطني وابن شاهين وابن مردويه وغيرهم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله تعالى عنه: «**أنت صاحبي في الغار، وأنت معي على الحوض**». وعن أنس: «أن رسول الله ﷺ قال لحسان: **هل قلت في أبي بكر رضي الله تعالى عنه شيئاً؟** قال: نعم. قال: **قل وأنا أسمع. فقال حسان رضي الله تعالى عنه**»:

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدو به إذ صاعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا ... من البرية لم يعدل به رجلا

---

(1) روح المعاني.

«فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: **صدقت يا حسان هو كما قلت**»، ولم يخالف في ذلك أحد حتى الشيعة فيما أعلم لكنهم يقولون ما ستعلمه ورده إن شاء الله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ بالعصمة والمعونة فهي معية مخصوصة وإلا فهو تعالى مع كل واحد من خلقه. روى الشيخان وغيرهما عن أنس قال: حدثني أبو بكر قال: «كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه لأبصرنا تحت قدمه. فقال عليه الصلاة والسلام: **يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله تعالى ثالثهما**» وروى البيهقي وغيره. «أنه لما دخلا الغار أمر الله تعالى العنكبوت فنسجت على فم الغار وبعث حمامتين وحشيتين فباضتا فيه وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجلاً بعصيهم وسيوفهم حتى إذا كانوا قدر أربعين ذراعاً تعجل بعضهم فنظر في الغار ليرى أحداً فرأى حمامتين فرجع إلى أصحابه فقال: ليس في الغار أحد ولو كان قد دخله أحد ما بقيت هاتان الحمامتان».

قال ابن عاشور(1): والصاحب هو ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾ وهو أبو بكر الصديق. ومعنى الصاحب: المتّصف بالصحبة، وهي المعية في غالب الأحوال، وهذا القول صدر من النبي ﷺ لأبي بكر حين كانا مختفيين في غار ثور، فكان أبو بكر حزيناً إشفاقاً على النبي أن يشعر به المشركون، فيصيبوه بمضرّة، أو يرجعوه إلى مكة.

● **قال تعالى**: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: 9].

قال الفخر الرازي(2): اعلم أن القوم تعجبوا من قصة أصحاب الكهف وسألوا عنها الرسول على سبيل الامتحان فقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ أنهم كانوا عجباً من آياتنا فقط، فلا تحسبن ذلك فإن آياتنا كلها عجب، فإن من كان قادراً

(1) التحرير والتنوير. (2) التفسير الكبير.

على تخليق السمٰوات والأرض ثم يزين الأرض بأنواع المعادن والنبات والحيوان ثم يجعلها بعد ذلك صعيداً جرزاً خالية عن الكل كيف يستبعدون من قدرته وحفظه ورحمته حفظ طائفة مدة ثلاثمائة سنة وأكثر في النوم، هذا هو الوجه في تقرير النظم، والله أعلم.

قال القرطبي(1): مذهب سيبويه أن «أم» إذا جاءت دون أن يتقدّمها ألف استفهام أنها بمعنى بل وألف الاستفهام، وهي المنقطعة. وقيل: «أم» عطف على معنى الاستفهام في لعلك، أو بمعنى ألف الاستفهام على الإنكار. قال الطبري: وهو تقرير للنبيّ ﷺ على حسابه أن أصحاب الكهف كانوا عجباً، بمعنى إنكار ذلك عليه؛ أي لا يعظم ذلك بحسب ما عظمه عليك السائلون من الكفرة، فإن سائر آيات الله أعظم من قصتهم وأشيع؛ هذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن إسحاق. والخطاب للنبيّ ﷺ؛ وذلك أن المشركين سألوه عن فتية فقدوا، وعن ذي القرنين وعن الروح، وأبطأ الوحي على ما تقدّم. فلما نزل قال الله تعالى لنبيه عليه السلام: أحسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرّقيم كانوا من آياتنا عجباً؛ أي ليسوا بعجب من آياتنا، بل في آياتنا ما هو أعجب من خبرهم.

● **قال تعالى**: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البَقَرَة: 82].

قال الطبري(2): ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ يعني أهلها الذين هم أهلها ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، مقيمون أبداً. وإنما هذه الآية والتي قبلها إخبار من الله عباده عن بقاء النار وبقاء أهلها فيها، ودوام ما أعدّ في كل واحدة منهما لأهلها، تكذيباً من الله جل ثناؤه القائلين من يهود بني إسرائيل إن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة، وأنهم صائرون بعد ذلك إلى الجنة فأخبرهم بخلود كفارهم في النار وخلود مؤمنيهم في الجنة.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) جامع البيان.

قال ابن كثير[1]: أي: من آمن بما كفرتم، وعمل بما تركتم من دينه، فلهم الجنة خالدين فيها، يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً، لا انقطاع له.

● **قال تعالى**: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: 217].

قال أبو السعود[2]: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ أي مُلابِسوها ومُلازِموها ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ كدأب سائرِ الكَفَرة.

قال الشعراوي[3]: إن الكافر يظن أن أعماله صالحة نافعة لكنها في الآخرة كالسراب الذي يراه الإنسان في الصحراء فيظنه ماء، ويجد نفسه في الآخرة أمام لحظة الحساب فيوفيه الله حسابه بالعقاب، وليس لهم من جزاء إلا النار، وينطبق عليهم ما ينطبق على كل الكافرين بالله، وهو ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البَقَرَة: 217].

● **قال تعالى**: ﴿أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: 6].

قال الألوسي[4]: ﴿أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على أن غرضه في دعوة شيعته إلى اتباع الهوى والركون إلى ملاذ الدنيا ليس إلا توريطهم وإلقاءهم في العذاب المخلد من حيث لا يشعرون فاللام ليست للعاقبة. وزعم ابن عطية أنها لها.

قال ابن عجيبة[5]: ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ فهو تقرير لعداوته، وبيان لغرضه في دعوى شيعته إلى اتباع الهوى، والركون إلى الدنيا، أي: إنما يدعوهم إلى الهوى، ليكونوا من أهل النار.

(1) تفسير ابن كثير.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) تفسير الشعراوي.
(4) روح المعاني.
(5) البحر المديد.

● **قال تعالى:** ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المدثر: 31].

قال القرطبي[1]: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي لم نجعلهم رجالاً فتتعاطون مغالبتهم. وقيل: جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذَّبين من الجنّ والإنس، فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقّة، ولا يستروِحون إليهم؛ ولأنهم أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له، فتؤمن هوادتهم؛ ولأنهم أشدّ خلق الله بأساً وأقواهم بطشاً.

قال الشوكاني[2]: لما نزل قوله سبحانه: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدَّثِّر: 30] قال أبو جهل: أما لمحمد من الأعوان إلّا تسعة عشر يخوّفكم محمد بتسعة عشر، وأنتم الدهم، أفيعجز كل مائة رجل منكم أن يبطشوا بواحد منهم، ثم يخرجون من النار؟ فقال أبو الأشدّ، وهو رجل من بني جمح: يا معشر قريش إذا كان يوم القيامة، فأنا أمشي بين أيديكم، فأدفع عشرة بمنكبي الأيمن، وتسعة بمنكبي الأيسر، ونمضي ندخل الجنة، فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ يعني: ما جعلنا المدبرين لأمر النار القائمين بعذاب من فيها إلّا ملائكة، فمن يطيق الملائكة ومن يغلبهم، فكيف تتعاطون أيها الكفار مغالبتهم. وقيل: جعلهم ملائكة؛ لأنهم خلاف جنس المخلوقين من الجنّ والإنس، فلا يأخذهم ما يأخذ المجالس من الرقة والرأفة. وقيل: لأنهم أقوم خلق الله بحقه والغضب له، وأشدهم بأساً وأقواهم بطشاً.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء: 43].

قال الخازن[3]: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ قال ابن عباس: يمنعون، وقيل: يجارون، وقيل: ينصرون، وقيل: معناه لا يصبحون من الله بخير.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) فتح القدير.
(3) لباب التأويل.

قال الماوردي[1]: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يجارون، من قولهم: إن لك من فلان صاحباً، أي مجيراً، قال الشاعر:

ينادي بأعلى صوته متعوذاً ليصحب منها والرماح دواني

الثاني: يحفظون.

الثالث: ينصرون.

الرابع: ولا يصحبون من الله بخير.

قال البغوي[2]: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾، قال ابن عباس: يمنعون. وقال عطية: عنه يُجَارون، تقول العرب: أنا لك جار وصاحب من فلان، أي مُجِيْر منه. وقال مجاهد: ينصرون. وقال قتادة: لا يصحبون من الله بخير.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التّكوير: 22].

قال القرطبي[3]: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ يعني محمداً ﷺ ليس بمجنون حتى يتهم في قوله. وهو جواب القسم. وقيل: أراد النبي ﷺ أن يرى جبريل في الصورة التي يكون بها عند ربه جلّ وعز فقال: ما ذاك إليّ؛ فأذن له الرب جل ثناؤه، فأتاه وقد سدّ الأفق، فلما نظر إليه النبي ﷺ خرّ مغشياً عليه، فقال المشركون: إنه مجنون، فنزلت: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: 19] ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ وإنما رأى جبريل على صورته فهابه، وورد عليه ما لم تحتمل بِنيته، فخرّ مغشياً عليه.

قال الزمخشري[4]: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ يعني: محمداً ﷺ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كما تبهته الكفرة، وناهيك بهذا دليًلا على جلالة مكان جبريل عليه السلام وفضله على الملائكة،

---

(1) النكت والعيون.
(2) معالم التنزيل.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) الكشاف.

ومباينة منزلته لمنزلة أفضل الإنس محمد ﷺ، إذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما، وقايست بين قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التّكوير: الآيات 19-21] وبين قوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القَلَم: 48].

قال أبو السعود(1): ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ أي يونسُ عليه السلام.

قال ابن عجيبة(2): ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾؛ يونس عليه السلام في العَجَلة والغضب على القوم حتى ابتلي ببلائه.

● **قال تعالى:** ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ: 46].

قال الشعراوي(3): ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ يعني: رسول الله ﷺ ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ جنون؛ لأنهم قالوا على رسول الله أنه مجنون، وعجيب منهم وهم أعرف الناس به، أنْ يصفوه بالجنون، وهم لم يَروا عليه علامة من علامات الجنون، ولم يصنع شيئاً مخالفاً لمجتمعه الذي عاش فيه، بل كانوا قبل البعثة يقولون عنه: الصادق الأمين، فكما ظهر كذبهم في قولهم (ساحر)، كذلك ظهر كذبهم في قولهم (مجنون). ولو خَلَا الواحد منهم إلى نفسه، ثم تفكّر في شخص رسول الله لوصل بنفسه إلى الحق، ولو أدار في عقله هذه الاتهامات لوجد أن رسول الله ﷺ بريءٌ منها، وما دام منفرداً في هذا التفكُّر، فلن يخجل أبداً أنْ يعود إلى الحق؛ لأنه لن ينهزم أمام أحد.

قال الشوكاني(4): ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ في أمر النبيّ، وما جاء به من الكتاب، فإنكم عند ذلك تعلمون أن ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾، وذلك؛ لأنهم كانوا يقولون: إن محمداً مجنون، فقال الله سبحانه: قل لهم: اعتبروا أمري بواحدة، وهي: أن

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) البحر المديد.
(3) تفسير الشعراوي.
(4) فتح القدير.

تقوموا لله، وفي ذاته مجتمعين، فيقول الرجل لصاحبه: هلمّ، فلنتصادق، هل رأينا بهذا الرجل من جنة، أي: جنون، أو جرّبنا عليه كذباً، ثم ينفرد كل واحد عن صاحبه، فيتفكر، وينظر، فإن في ذلك ما يدل على أن محمداً ﷺ صادق، وأنه رسول من عند الله، وأنه ليس بكاذب، ولا ساحر، ولا مجنون، وهو معنى قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ أي: ما هو إلّا نذير لكم بين يدي الساعة.

صحف

(صَحِيَفةُ - رق - رقيم - قرطاس)

■ **الصحيفة:** المبسوط من الشيء كالورقة التي يكتب فيها وجمعها صحف وصحائف ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: 10].

■ **الرَّقُّ:** قطعة من جلد تكتب فيها أوامر الملوك وعطاياهم ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ [الطور: 1-3].

■ **الرَّقِيمُ:** حجر تكتب فيه الأسماء والأرقام والآيات ونحو ذلك ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: 9].

■ **القرطاس:** مجموعة صحائف يكتب فيها موضوع واحد ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ [الأنعام: 91].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والحاء والفاء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على انبساطٍ في شيءٍ وسَعَةٍ. يقال إنَّ الصَّحِيفَ: وجهُ الأرضِ. والصَّحِيفة: بَشَرَةُ وجهِ الرجل.

ومن الباب الصَّحيفة، وهي التي يُكتَب فيها، والجمع صحائف، والصُّحفُ أيضاً، كأنَّه جمع صحيف. والصَّحْفَة: القَصْعة المُسْلنطِحَة.

قال الجوهري[2]: الصَّحْفَةُ كالقصعة، والجمع صِحافٌ. والصَّحيفَةُ:

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) الصحاح في اللغة.

الكتابُ، والجمع صُحُفٌ وصَحائِفُ. والمُصْحَفُ والمِصْحَفُ. قال الفراء: وقد استثقلت العربُ الضَّمَّةَ في حروفٍ فكسروا ميمها وأصلها الضمُّ، من ذلك مِصْحَفٌ، ومِخْدَعٌ، ومِطْرَفٌ، ومِغْزَلٌ، ومِجْسَدٌ: لأنَّها في المعنى مأخوذة من أُصْحِفَ أن جمعت فيه الصحفُ، وأُطْرِفَ أي جُعِلَ في طرفيْهِ عَلَمان، وأُجْسِدَ أُلْصِقَ بالجسد. والتَّصْحيفُ: الخطأ في الصحيفة.

قال الأزهري[1]: الصُّحُفُ جمع الصحيفة من النوادر وهو أَن تَجْمع فَعِيلةً على فُعُل، قال: ومثله سَفينة وسُفُنٌ، قال: وكان قياسهما صَحائف وسفائِنَ.

وصَحِيفةُ الوجْه: بَشَرَةُ جلده، وقيل: هي ما أَقبل عليك منه، والجمع صَحِيفٌ؛ وقوله: إذا بَدا منْ وجْهِك الصَّحيفُ يجوز أَن يكون جمع صحيفة التي هي بشرة جلده، ويجوز أَن يكون أَراد بالصحيف الصحيفة. والصَّحيف: وجْه الأَرض؛ قال: بل مَهْمَه مُنْجَرِد الصَّحيفِ وكلاهما على التشبيه بالصحيفة التي يكتب فيها. والمُصْحَفُ والمِصْحَفُ: الجامع للصُّحُف المكتوبة بين الدَّفَّتَيْنِ كأَنه أُصْحِفَ، والكسر والفتح فيه لغة، قال أَبو عبيد: تميم تكسرها وقيس تضمها، ولم يذكر من يفتحها ولا أَنها تفتح إنما ذلك عن اللحياني عن الكسائي، قال الأَزهري: وإنما سمي المصحف مصحفاً لأَنه أُصحِف أَي جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين، قال الفراء: يقال مُصْحَفٌ ومِصْحَفٌ كما يقال مُطْرَفٌ ومِطْرَفٌ؛ قال: وقوله مُصْحف من أُصْحِفَ أَي جُمِعَتْ فيه الصحف وأُطْرِفَ جُعِلَ في طَرَفَيْه العَلَمان، استثقلت العرب الضمة في حروف فكسرت الميم، وأَصلها الضمّ، فمن ضَمَّ جاء به على أَصله، ومن كسره فلاستثقاله الضمة، وكذلك قالوا في المُغْزَل مِغْزَلاً، والأَصل مُغْزَلٌ من أُغْزِلَ أَي أُديرَ وفُتِلَ، والمُخْدَعِ والمُجْسَدِ.

(1) تهذيب اللغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: 19].

قال الألوسي[1]: بدل من ﴿ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأعلى: 18] وفي إبهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شأنها ما لا يخفى. وكانت صحف إبراهيم عشرة وكذا صحف موسى عليه السلام والمراد بها ما عدا التوراة.

قال أبو السعود[2]: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ [الأعلى: 18] إشارةٌ إلى ما ذُكِرَ من قولِه تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: 14] وقيلَ: إلى ما في السورةِ جميعاً ﴿لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي ثابتٌ فيها معناهُ ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ بدلٌ من الصحفِ الأُولى وفي إبهامِها ووصفِها بالقدمِ ثم بيانِها وتفسيرِها من تفخيمِ شأنِها ما لا يَخْفى. رُويَ أن جميعَ ما أنزلَ الله عزَّ وجلَّ من كتابٍ مائةٌ وأربعةُ كتبٍ، أنزلَ على آدمَ عليه السلام عشرَ صحفٍ وعلى شيثٍ خمسينَ صحيفةً وعلى إدريسَ ثلاثينَ صحيفةً وعلى إبراهيمَ عشرَ صحائفَ عليهما السلام والتوراةَ والإنجيلُ والزبورُ والفرقانَ.

عن النبيِّ ﷺ: «**من قرأَ سورةَ الأَعْلى أعطاهُ الله عشرَ حسناتٍ بعددِ كلِّ حرفٍ أنزلَهُ الله تعالَى على إبراهيمَ ومُوسى ومحمدٍ عليهم السلام**».

● **قال تعالى**: ﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ [البينة: 2-3].

قال القرطبي[3]: ﴿يَتْلُوا۟﴾ أي يقرأ. يقال: تلا يتلو تلاوة. ﴿صُحُفًا﴾ جمع صحيفة، وهي ظرف المكتوب. ﴿مُّطَهَّرَةً﴾ قال ابن عباس: من الزور، والشك، والنفاق، والضلالة. وقال قتادة: من الباطل. وقيل: من الكذب، والشُّبُهات،

(1) روح المعاني.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

والكفر؛ والمعنى واحد. أي يقرأ ما تتضمن الصحف من المكتوب؛ ويدل عليه أنه كان يتلو عن ظهر قلبه، لا عن كتاب؛ لأنه كان أمّياً، لا يكتب ولا يقرأ.

و﴿مُّطَهَّرَةً﴾: من نعت الصحف؛ وهو كقوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤)﴾ [عَبَسَ: 13،14]، فالمطهرة نعت للصحف في الظاهر، وهي نعت لما في الصحف من القرآن. وقيل: «مطهرة» أي ينبغي ألا يَمَسَّها إلا المطهرون؛ كما قال في سورة «الواقعة» حسب ما تقدّم بيانه. وقيل: الصحف المطهرة: هي التي عند الله في أمّ الكتاب، الذي منه نُسِخ ما أنزل على الأنبياء من الكتب؛ كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢)﴾ [البُرُوج: 21،22]. قال الحسن: يعني الصحف المطهرة في السماء. ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ أي مستقيمة مستوية محكمة؛ من قول العرب: قام يقوم: إذا استوى وصح. وقال بعض أهل العلم: الصحف هي الكتب؛ فكيف قال في صحف فيها كُتب؟ فالجواب: أن الكتب هنا: بمعنى الأحكام؛ قال الله عز وجل: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ﴾ [المجَادلة: 21] بمعنى حكم. وقال ﷺ: «**والله لأقضِين بينكما بكتاب الله**» ثم قضى بالرجم، وليس ذِكر الرجم مسطوراً في الكتاب؛ فالمعنى لأقضين بينكما بحكم الله تعالى. وقال الشاعر:

وما الولاءُ بالبلاءِ فمِلْتُمُ   وما ذاكَ قال اللهُ إذ هو يَكْتُبُ

وقيل: الكتب القيمة: هي القرآن؛ فجعله كتباً لأنه يشتمل على أنواع من البيان.

قال الفخر الرازي[1]: ﴿يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣)﴾ [البينة: 2-3] فاعلم أن الصحف جمع صحيفة وهي ظرف للمكتوب، وفي: المطهرة وجوه: أحدها: مطهرة عن الباطل وهي كقوله: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فُصّلَت: 42] وقوله: ﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ [عَبَسَ: 14]، وثانيها: مطهرة عن الذكر القبيح فإن القرآن يذكر بأحسن الذكر ويثني عليه أحسن الثناء وثالثها: أن يقال: مطهرة

(1) التفسير الكبير.

أي ينبغي أن لا يمسها إلا المطهرون، كقوله تعالى: ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقِعَة: الآيتان 78، 79]. واعلم أن المطهرة وإن جرت نعتاً للصحف في الظاهر فهي نعت لما في الصحف وهو القرآن وقوله: ﴿كُتُبٌ﴾ فيه قولان: (أحدهما) المراد من الكتب الآيات المكتوبة في الصحف والثاني: قال صاحب النظم: الكتب قد يكون بمعنى الحكم: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ﴾ [المجَادلة: 21] ومنه حديث العسيف: «**لأقضين بينكما بكتاب الله**» أي بحكم الله فيحتمل أن يكون المراد من قوله: ﴿كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ أي أحكام قيمة أما القيمة ففيها قولان الأول: قال الزجاج: مستقيمة لا عوج فيها تبين الحق من الباطل من قام يقوم كالسيد والميت، وهو كقولهم: قام الدليل على كذا إذا ظهر واستقام الثاني: أن تكون القيمة بمعنى القائمة أي هي قائمة مستقلة بالحجة والدلالة، من قولهم قام فلان بالأمر يقوم به إذا أجراه على وجهه، ومنه يقال للقائم بأمر القوم القيم، فإن قيل: كيف نسب تلاوة الصحف المطهرة إلى الرسول مع أنه كان أمياً؟ قلنا: إذا تلا مثلاً المسطور في تلك الصحف كان تالياً ما فيها وقد جاء في كتاب منسوب إلى جعفر الصادق أنه عليه السلام كان يقرأ من الكتاب، وإن كان لا يكتب، ولعل هذا كان من معجزاته ﷺ.

● **قال تعالى**: ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ﴾ [عَبَسَ: 13].

قال الطبري[1]: ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ۝١٤﴾ [عَبَسَ: الآيتان 13، 14] يعني في اللوح المحفوظ، وهو المرفوع المطهَّر عند الله.

قال الخازن[2]: ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ﴾ يعني القرآن في اللّوح المحفوظ.

قال ابن عطية[3]: «الصحف» على هذا صحف عند الملائكة أو اللوح، وعلى القول الآخر هي المصاحف.

---

(1) جامع البيان.
(2) لباب التأويل.
(3) المحرر الوجيز.

صخ

(صَخَّ - بَكَى - صَرَخَ)

■ **الصَّخُّ:** شدة الصوت ذي نطق ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ [عَبَس: 33].

■ **البُكَاءُ:** سالت دموعه تأثراً من فرح أو حزن ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريَم: 58].

■ **الصُّرَاخُ:** ارتفاع الصوت بالبكاء ألماً ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فَاطِر: 37].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الجوهري[1]: الصَّاخَّةُ: الصَّيْحَة تصمُّ لشدَّتها. تقول: صَخَّ الصوت الأذنَ يصُخُّها صَخًّا. ومنه سميت القيامة: الصاخَةَ. وضربت الصخرة بحجر فسمعت لها صَخَّةً.

قال ابن منظور[2]: الصخُّ: الضرب بالحديد على الحديد، والعصا الصلبة على شيءٍ مُصمتٍ. وَصَخُّ الصخرة وَصَخِيخُها: صوتُها إذا ضربتها بحجر أو غيره. وكلُّ صوت من وقع صخرة على صخرة ونحوه: صَخٌّ وصَخيخٌ، وقد صَخَّت تصخُّ؛ تقول: ضربت الصخرة بحجر فسمعت لها صَخَّةً. والصاخَّةُ: القيامة، وبه فسر أَبو عبيدَة قوله تعالى: فَإِذا جاءَت الصاخة؛ فإِما أَن يكون اسمَ الفاعل من صخ يصخ، وإِما أَن يكون المصدَر؛ وقال أَبو إِسحاق: الصاخة هي

(1) الصحاح في اللغة. (2) اللسان.

الصيحة التي تكون فيها القيامة تصُخُّ الأَسماعَ أي تُصِمُّها فلا تسمع إِلَّا ما تدعى به للإِحياء. وتقول: صخَّ الصوتُ الأُذُنَ يَصُخُّها صخًّا. وفي نسخة من التهذيب أَصخ إصخاخاً، ولا ذكر له في الثلاثي. وفي حديث ابن الزبير وبناء الكعبة: فخاف الناس أَن يصيبهم صاخة من السماء؛ هي الصيحة التي تَصُخُّ الأَسماع أَي تقرعها وتصمها. قال ابن سيده: الصاخة صيحة تصخ الأُذن أَي تطعنها فتصمها لشدتها؛ ومنه سميت القيامة الصاخة، يقال كأَنها في أُذنه صاخة أَي طعنة. والغرابُ يصُخُّ بمنقاره في دَبَرِ البعير أَي يطعن؛ تقول منه صخ يصخ. والصاخة: الداهية.

قال الفيروزآبادي[1]: الصَّخُّ: الضَّرْبُ بشيءٍ صُلْبٍ على مُصْمَتٍ، وصَوْتُ الصَّخْرَةِ، كالصَّخيخِ. والصَّاخَّةُ: صَيْحةٌ تُصِمُّ لشِدَّتِها، والقيامَةُ، والداهيةُ. وصَخَّ الغُرابُ: طَعَنَ في دَبْرَةِ البَعِيرِ.

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ [عَبَسَ: 33].

قال أبو السعود[2]: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ شروعٌ في بيان أحوالِ معادِهم إثرَ بيانِ مبدأِ خلقِهم ومعاشِهم. والفاءُ للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فُنون النعمِ عن قريب كما يشعرُ لفظُ المتاعِ بسرعة زَوَالِها وقربِ اضمحلالِها. والصاخةُ هي الداهيةُ العظيمةُ التي يصخُّ لها الخلائقُ أي يصيخونَ لها من صخَّ لحديثِه إذا أصاخَ له واستمعَ وصفتْ بها النفخةُ الثانيةُ لأنَّ الناسَ يصيخُونَ لها، وقيل هي الصيحةُ التي تصخُّ الآذانَ أي تصمَّها لشدةِ وقعِها، وقيلَ: هي مأخوذةٌ من صخَّهُ بالحجرِ، أي صكَّهُ.

(1) القاموس المحيط. (2) إرشاد العقل السليم.

قال الفخر الرازي[1]: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾. قال المفسرون يعني صيحة القيامة وهي النفخة الأخيرة، قال الزجاج: أصل الصخ في اللغة الطعن والصك، يقال: صخ رأسه بحجر أي شدخه والغراب يصخ بمنقاره في دبر البعير أي يطعن، فمعنى الصاخة الصاكة بشدة صوتها للآذان، وذكر صاحب «الكشاف» وجهاً آخر فقال: يقال صخ لحديثه مثل أصاخ له، فوصفت النفخة بالصاخة مجازاً لأن الناس يصخون لها أي يستمعون.

(1) التفسير الكبير.

صخر

(صَخْر - حَجَر - حَصْبَاء - صَفَا)

■ **الصَّخْرُ:** الجوهر الصلب المعروف كبير الحجم ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ [الفجر: 9].

■ **الحَجَرُ:** الجوهر الصلب المعروف صغير الحجم ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البَقَرَة: 24].

■ **الحَصَبُ:** كل ما يلقى في النار للوقود ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: 98].

■ **الحَاصِبُ:** الرمي بالحجارة عقاباً أو حرباً ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ [الإسرَاء: 68].

■ **الصَّفَا:** الصخر الخالص من الشوائب، واحده صفوانه ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ [البَقَرَة: 264].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الصاد والخاء والراء كلمةٌ صحيحة، وهي الصَّخْرَة: الحَجَرةُ العظيمة. ويقال: صَخْرَةٌ وصَخَرَة.

قال الجوهري(2): الصَّخرُ: الحجارة العظام، وهي الصُّخورُ. يقال صَخْرٌ وصَخَرٌ بالتحريك، الواحدة صَخْرَةٌ وصَخَرَةٌ. والصاخِرَةُ إناء من خَزَفٍ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.

قال ابن منظور[1]: الصَّخرة: الحجر العظيم الصُّلْب، وقوله عز وجل: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [لقمان: 16] قال الزجاج: قيل في صَخْرة أي في الصَّخْرة التي تحت الأَرض، فالله عز وجل لطيف باستخراجها، خَبِيرٌ بمكانها. وفي الحديث: «**الصَّخْرة من الجنة**»؛ يريد صَخْرة بيت المَقْدِس. والصَّخَرَة كالصَّخْرة، والجمع صَخْرٌ وصَخَر وصُخُور وصُخورة وصِخَرة وصَخَرات. ومكان صَخِر ومُصْخِر: كثير الصَّخْر. والصَّاخِرَة إِناءٌ من خَزَف. والصَّخِير: نبْت. وصَخْر بن عمرو بن الشَّرِيد: أَخو الخَنْساء. والصَّاخِر: صوْت الحديد بعضه على بعض.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ [لقمان: 16].

قال القرطبي[2]: ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ قيل: معنى الكلام المبالغة والانتهاء في التفهيم؛ أي أن قدرته تعالى تنال ما يكون في تضاعيف صخرة وما يكون في السماء والأرض. وقال ابن عباس: الصخرة تحت الأرَضين السبع وعليها الأرض. وقيل: هي الصخرة على ظهر الحوت. وقال السُّدّي: هي صخرة ليست في السمٰوات والأرض، بل هي وراء سبع أَرَضين عليها مَلَك قائم؛ لأنه قال: ﴿أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وفيهما غُنْية عن قوله: ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾؛ وهذا الذي قاله ممكن، ويمكن أن يقال: قوله: ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ تأكيد؛ كقوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ [العَلق: 1، 2]، وقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسرَاء: 1].

---

(1) اللسان. (2) الجامع لأحكام القرآن.

قال أبو السعود[1]: ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [لقمان: 16] أي فتكُن مع كونِها في أقصى غاياتِ الصِّغرِ والقَماءةِ في أخفى مكانٍ وأحرزه كجوفِ الصَّخرةِ أو حيثُ كانتْ في العالمِ العُلويِّ أو السُّفليِّ.

● **قال تعالى**: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ [الفَجر: 9].

قال الألوسي[2]: ﴿ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ﴾ أي قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتاً نحتوها من الصخر كقوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [الشُّعَرَاء: 149] قيل أول من نحت الحجارة والصخور والرخام ثمود وبنوا ألفاً وسبعمائة مدينة كلها بالحجارة.

قال ابن عاشور[3]: ﴿ٱلَّذِينَ جَابُواْ﴾ دون أن يقول التي جابت الصخر بتأويل القوم فلما وُصف عدل عن تأنيثه تفنناً في الأسلوب. ومعنى ﴿جَابُواْ﴾: قطعوا، أي نَحتوا الصخر واتخذوا فيه بيوتاً كما قال تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ وقد قيل: إن ثمود أول أمم البشر نحتوا الصخر والرخام.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) روح المعاني.
(3) التحرير والتنوير.

صدد

(صَدَّ - بَعُدَ - نَأى - شَطَّ - هَجرَ - سَحَق)

■ **الصَّدُّ:** الانصراف عن الشيء وامتناعه ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: 217].

■ **البُعْدُ:** تجاوز مساحة القرب نسبياً ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هُود: 95].

■ **النَّأْيُ:** البعد تكبراً وبراءة ﴿أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الإسراء: 83].

■ **الشَّطَطُ:** الإفراط في البعد ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: 14].

■ **الهَجْرُ:** البعد قلباً وقالباً ﴿إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفُرقان: 30].

■ **السَّحْقُ:** البُعد الذليل المهلك ومنه قوله تعالى: ﴿فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحَجّ: 31].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الصاد والدال معظمُ بابِهِ يَؤولُ إلى إعراضٍ وعُدول. ويجيء بعد ذلك كلماتٌ تَشِذّ. فالصَّدُّ: الإعراض. يقال: صَدَّ يصُدُّ، وهو مَيلٌ إلى أحد الجانبين. ثم تقول: صَدَدْتُ فلاناً عن الأمر، إذا عَدَلْتَه عنه. والصُّدَّانِ:

(1) معجم مقاييس اللغة.

جانِبا الوادي، الواحد صَدٌّ، وهو القياس، لأنَّ الجانب مائلٌ لا محالة. ويقولون: إنّ الصَّدَدَ ما استَقْبَلَ. يقال: هذه الدَّارُ على صَدَدِ هذه. ويقولون: الصَّدد: القُرب. والصُّدَّاد: الطَّريق إلى الماء. والصُّدُّ: الجبَل. وهذه الكلماتُ التي ذكرتُها فليست عندي أصلاً؛ لبُعدها عن القياس، وإنْ صحَّتْ فهي محمولةٌ على الأصل. ومما هو صحيحٌ وليس من هذا الباب، قولهم: صَدَّ يَصِدُّ، وذلك إذا ضَجَّ. وقرأ قومٌ: ﴿قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: 57]، قالوا: يَضِجُّون. والصَّديد: الدَّم المختلِط بالقَيْح، يقال منه أَصَدَّ الجُرْح.

قال الجوهري(1): صَدَّ عنه يَصِدُّ صُدوداً: أَعْرَضَ. وصَدَّهُ عنا لأمر صَدًّا. مَنَعَهُ وصَرَفَه عنه. وأَصَدَّهُ لغة.

وصَدَّ يَصُدُّ ويَصِدُّ صَديداً: أي ضَجَّ. والصَّدَدُ القُرْبُ، يقال داري صَدَدَ دارِه، أي قُبالَتَها، نُصِبَ على الظرفِ. والصُّدَّادُ، بالضمّ والتشديد: دُوَيْبَّةٌ، وهي من جنس الجُرْدانِ. قال أبو زيد: هو في كلام قَيْسٍ سامُّ أَبْرَصَ. والجمع صَدائد على غير قياسٍ. والصُّدَّادُ أيضاً: الطريقُ إلى الماء. وصَديدُ الجُرحِ: ماؤُهُ الرَّقيقُ المختلِط بالدم قبل أن تَغْلَظَ المِدَّةُ، تقول: أَصَدَّ الجُرْحُ، إذا صار فيه المِدَّةُ. والصَّدُّ: الجَبَلُ. قال أبو عمرو: يقال لكلِّ جبلٍ صَدٌّ وصُدٌّ، وسَدٌّ وسُدٌّ.

قال الفيروزآبادي(2): صَدَّ عنه صُدوداً: أعْرَضَ، وصد فلاناً عن كذا صَدًّا: مَنَعَهُ، وصَرَفَهُ، كأَصَدَّهُ. وصَدَّ يَصُدُّ ويَصِدُّ صَديداً: ضَجَّ. وداري صَدَدَ دارِهِ، أي: قُبالَتَهُ، وقُرْبَهُ، نُصِبَ على الظَّرْفِ، والصَّديدُ: ماءُ الجُرْحِ الرَّقيقُ، والحَميمُ أُغْلِيَ حتى خَثُرَ خَثِرَ. والتَّصْديدُ: التَّصْفيقُ. والتَّصَدُّدُ: التَّعَرُّضُ، وتُبْدَلُ الدالُ ياءً فيقالُ: التَّصَدِّي والتَّصْدِيَةُ.

(1) الصحاح في اللغة. (2) القاموس المحيط.

المعنى المشترك لكلمة (صدد)

وقد وردت كلمة (الصد) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: يصدون بمعنى: يعرضون ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النِّساء: 61].

الوجه الثاني: الصد بمعنى: المنع ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحَجّ: 25].

الوجه الثالث: يصدون بمعنى: يضحكون ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزّخرُف: 57].

الوجه الرابع: تصدى يعني: أقبل بوجه عليه ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ [عَبَسَ: 6].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: 217].

قال الألوسي[1]: ﴿وَصَدٌّ﴾ أي منع وصرف ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهو الإسلام، أو سائر ما يوصل العبد إلى الله تعالى من الطاعات، فالإضافة إما للعهد أو للجنس ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ أي بالله أو بسبيله.

قال الخازن[2]: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هذا ابتداء كلام والمعنى وصدكم المسلمين عن الحج أو وصدكم عن الإسلام من يريده ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ أي بالله ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي وصدكم عن المسجد الحرام.

● **قال تعالى**: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النِّساء: 61].

---

(1) روح المعاني. (2) لباب التأويل.

قال الفخر الرازي[1]: يصدون عنك صدوداً، أي يعرضون عنك، وذكر المصدر للتأكيد والمبالغة كأنه قيل: صدوداً أي صدود.

قال ابن كثير[2]: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ أي: يعرضون عنك إعراضاً كالمستكبرين عن ذلك، كما قال تعالى عن المشركين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [لقمان: 21] وهؤلاء بخلاف المؤمنين الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النُّور: 51] الآية.

● **قال تعالى**: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: 16].

قال ابن عطية[3]: «الصديد» القيح والدم، وهو ما يسيل من أجساد أهل النار، قاله مجاهد والضحاك.

وقوله: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم: 17] عبارة عن صعوبة أمره عليهم، وروي أن الكافر يؤتى بالشربة من شراب أهل النار فيتكرهها، فإذا أدنيت منه شوت وجهه وسقطت فيها فروة رأسه فإذا شربها قطعت أمعاءه.

قال البغوي[4]: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ أي: من ماءٍ هو صديدٌ، وهو ما يسيل من أبدان الكفار من القَيْح والدم. وقال محمد بن كعب: ما يسيل من فُروج الزُّناةِ، يُسْقَاه الكافر.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحَجّ: 25].

قال أبو السعود[5]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ليس المرادُ به حالاً ولا استقبالاً وإنَّما هو استمرارُ الصَّدِّ ولذلك حسُن عطفُه على الماضي كما

---

(1) التفسير الكبير.
(2) تفسير ابن كثير.
(3) المحرر الوجيز.
(4) معالم التنزيل.
(5) إرشاد العقل السليم.

في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: 28] وقيل هو حالٌ من فاعل كفروا أي وهم يصدُّون وخبر إنَّ محذوفٌ لدلالة آخرِ الآية الكريمة عليه فإنَّ من ألحدَ في الحرمِ حيثُ عُوقب بالعذاب الأليم فلأنْ يُعاقبَ من جمعَ إليه الكفرَ والصَّدَّ عن سبيل الله بأشدَّ من ذلك أحقُّ وأولى.

قال ابن عجيبة[1]: يقول الحقّ جلّ جلاله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، أي: واستمروا على الصد، ولذلك حسن عطفه على الماضي، (و) يصدون أيضاً عن ﴿ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ والدخول فيه، كأهل مكة مع المسلمين.

● **قال تعالى**: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [محمد: 1].

قال النيسابوري[2]: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ﴾ منعوا الناس عن الإيمان صداً أو امتنعوا عنه صدوداً.

قال القاسمي[3]: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: جحدوا توحيد الله، وعبدوا غيره ﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: أعرضوا وامتنعوا عن الإقرار لله بالوحدانية، ولنبيه بالرسالة. أو صدوا غيرهم عن ذلك.

(1) البحر المديد.
(2) غرائب القرآن.
(3) محاسن التأويل.

صدر

(صَدَرَ - ذَهَبَ - مَضَى - وَدَّعَ - وَذَرَ)

- **الصُّدُورُ:** الانصراف من موقع مهم ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الزلزلة: 6].
- **والصَّدْرُ:** الجارحة (صدر الإنسان) ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ [طه: 25].
- **الذَّهَابُ:** المُضيّ بعيداً ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبياء: 87].
- **المُضِيُّ:** استمرار الفعل حتى تحقيق الهدف ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف: 60].
- **الوَدَاعُ:** ترك الشيء المحبوب ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: 3].
- **الوَذْرُ:** ترك الشيء المكروه ﴿وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 278].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والدال والرَّاء أصلان صحيحان، أحدُهما يدلُّ على خلاف الورْد، والآخر صَدْر الإنسان وغيره. فالأوّلُ قولُهم: صَدَرَ عن الماءِ، وصَدَرَ عن البِلاد، إذا كان وَرَدَها ثمَّ شَخَصَ عنها. وقال الأَحْمَر: يقال: صَدَرْتُ عن البِلادِ صَدَراً، وهو الاسم، فإن أردْتَ المصدر جزمت الدَّال.

(1) معجم مقاييس اللغة.

وأمَّا الآخر فالصَّدر للإنسان، والجمع صُدور، قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: 46]، ثم يشتقُّ منه. فالصِّدار: ثوبٌ يُغطِّي الرَّأس والصَّدْر.

والصِّدَار سِمةٌ على صدر البعير. والتَّصدير: حبل يُصدَّر به البعير لئلَّا يُرَدَّ حِمْلُهُ إلى خَلْفه. والمُصدَّر الأَسَد، سُمِّيَ بذلك لقوّة صَدْرِهِ. والمصدور الذي يشتكي صَدْرَهُ.

قال الجوهري[1]: الصَّدْرُ: واحد الصُّدورِ، وهو مذكر. وصَدْرُ كلِّ شيء: أوّله. وصَدْرُ السهم: ما جاز من وسطه إلى مستدَقِّه وسمِّي بذلك لأنه المتقدِّم إذا رُمِيَ. والصَّدْرُ الطائفة من الشيء. والصُّدْرَةُ من الإنسان: ما أشرف من أعلى صَدْرِهِ، ومنه الصُّدْرَةُ التي تلبس. والمصدورُ: الذي يشتكي صَدْرَهُ.

وطريق صادِرٌ، أي يَصْدُرُ بأهله عن الماء.

والصِّدارُ، بكسر الصادِ: قميصٌ صغير يلي الجسد، وفي المثل: كل ذات صِدارٍ خالةٌ، أي من حقِّ الرجل أن يغار على كلِّ امرأة كما يغار على حُرَمه.

والصِّدارُ: سِمَةٌ على صَدْرِ البعير. والصَّدَرُ بالتحريك: الاسم من قولك: صَدَرْتُ عن الماء وعن البلاد. وفي المثل: تركتُه على مثل ليلة الصَّدَرِ، يعني حين صَدَرَ الناسُ من حَجِّهِمْ. والصَّدْرُ بالتسكين المَصْدَرُ.

والموضعُ مَصْدَرٌ، ومنه مَصادِرُ الأفعال. وصادَرَهُ على كذا. وصَدَّرَ الفرسُ، أي بز بصَدْرِهِ وسبق.

وصَدَّرَ كتابه: جعل له صَدْراً. وصَدَّرَهُ في المجلس فَتَصَدَّرَ. والمُصَدَّرُ: الشديد الصَّدْرِ. ويقال للأسد: المُصَدَّرُ. والتَّصْديرُ الحزامُ، وهو في صَدْرِ البعير، والحَقَبُ عند الثيلِ.

قال الفيروزآبادي[2]: الصَّدْرُ: أعْلَى مُقَدَّمِ كُلِّ شيءٍ وأولُه، وكلُّ ما واجَهَكَ،

---

(1) الصحاح في اللغة. (2) القاموس المحيط.

وصدر من السَّهْمِ: ما جازَ من وَسَطِهِ إلى مُسْتَدَقِّه، لأَنه المتقدِّمُ إذا رُمِي، وحَذْفُ أَلِفِ فاعِلُنْ في العَرُوضِ، والطائِفةُ من الشيءِ، والرُّجوعُ، كالمَصْدَرِ، يَصْدُرُ ويَصْدِرُ، والاسمُ: بالتحريك، ومنه طَوافُ الصَّدَرِ، وقد صَدَرَ غيرَه وأَصْدَرَه وصَدَّرَه فَصَدَرَ. وصَدْرُ الإنسانِ، مُذَكَّرٌ. والصُّدْرَةُ، بالضم: الصَّدْرُ، أو ما أشْرَفَ من أعْلَاهُ، (وثَوْبٌ). وصَدَرَهُ: أصابَ صَدْرَهُ. وكعُنِي شَكَاهُ. والأصْدَرُ: العظيمُهُ. والمُصَدَّرُ، كمُعَظَّم: القَوِيُّهُ، ومن بَلَغَ العَرَقُ صَدْرَهُ، والأبيضُ لَبَّةِ الصَّدْرِ من الغَنَمِ والخَيْلِ، أو السَّوداءُ الصَّدْرِ من النِّعاجِ وسائرُها أبيضُ، والسابقُ من الخيلِ، والغليظُ الصَّدْرِ من السِّهامِ، وأوَّلُ القِداحِ الغُفْلِ، والأَسَدُ، والذِّئبُ. وتَصَدَّرَ: نَصَبَ صَدْرَهُ في الجُلوسِ، وجَلَسَ في صَدْرِ المجلسِ، وصدر الفرسُ: تَقَدَّمَ الخَيْلَ بصَدْرِهِ، كصَدَّرَ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التّوبَة: 14].

قال الألوسي[1]: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ قد تألموا من جهتهم، والمراد بهم أناس من خزاعة حلفائه عليه الصلاة والسلام كما قال عكرمة وغيره، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنهم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة وأسلموا فلقوا من أهلها أذى كثيراً فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يشكون إليه فقال عليه الصلاة والسلام: «**أبشروا فإن الفرج قريب**» وروي عنه رضي الله تعالى عنه أن قوله سبحانه: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ﴾ [التّوبَة: 13] الخ ترغيب في فتح مكة وأورد عليه أن هذه السورة نزلت بعد الفتح فكيف يتأتى ما ذكر. وأجيب بأن أولها نزل بعد الفتح وهذا قبله، وفائدة عرض البراءة من عهدهم مع أنه معلوم من قتال الفتح وما وقع فيه من

(1) روح المعاني.

الدلالة على عمومه لكل المشركين ومنعهم من البيت فتذكر ولا تغفل، قيل: ولا يبعد حمل المؤمنين على العموم لأن كل مؤمن يسر بتقل الكفار وهوانهم.

قال الشعراوي[1]: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 14].

أي: أن النصر الذي سيحققه المؤمنون بعون الله تعالى في قتالهم مع الكفار سيشفي صدور المؤمنين الذين استذلهم الكفار واعتدوا عليهم، فكأن هذا النصر يشفي الداء، الذي ملأ صدور أولئك المؤمنين، ويذهب غيظ قلوبهم، أي: يخرج الغيظ والانفعال المحبوس في الصدور، فكأن قتال المؤمنين للكفار لا يحقق فقط العذاب والخزي للكفار والنصر للمؤمنين عليهم، ولكنه يعالج - أيضاً - قلوب المؤمنين التي ملأها الألم والغيظ من سابق اعتداء الكفار عليهم ومحاولتهم إذلالهم وأخذ حقوقهم. لذلك يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [التوبة: 15].

● **قال تعالى**: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: 46].

قال أبو السعود[2]: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ أي ليس الخللُ في مشاعرِهم وإنَّما هو في عقولِهم باتِّباع الهَوَى والانهماكِ في الغَفْلةِ. وذكر الصُّدورِ للتَّأكيدِ ونفيِ تَوهُّمِ التَّجوزِ وفضل التَّنبيه على أنَّ العَمَى الحقيقيَّ ليس المتعارف الذي يختصُّ بالبصر، قيل: لمَّا نزل قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء: 72] قال ابنُ أُمِّ مكتومٍ: يا رسولَ الله، أنا في الدُّنيا أعمى أفأكونُ في الآخرةِ أعمى؟.

قال الخازن[3]: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ المعنى أن عمى القلب هو الضار في أمر الدين لا عمى البصر لأن البصر الظاهر بلغة ومتعة وبصر القلوب النافع.

---

(1) تفسير الشعراوي.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) لباب التأويل.

● **قال تعالى:** ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: 25].

قال الطبري[1]: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ يقول: ربّ اشرح لي صدري، لأعي عنك ما تودعه من وحيك، وأجترىء به على خطاب فرعون.

قال ابن كثير[2]: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ۝٢٦﴾ [طه: 25-26] هذا سؤال من موسى عليه السلام لربه عز وجل أن يشرح له صدره فيما بعثه به، فإنه قد أمره بأمر عظيم، وخطب جسيم، بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك، وأجبرهم وأشدهم كفراً، وأكثرهم جنوداً، وأعمرهم ملكاً، وأطغاهم وأبلغهم تمرداً، بلغ من أمره أن ادعى أنه لا يعرف الله، ولا يعلم لرعاياه إلٰهاً غيره، هذا وقد مكث موسى في داره مدة وليداً عندهم في حجر فرعون على فراشه، ثم قتل منهم نفساً، فخافهم أن يقتلوه، فهرب منهم هذه المدة بكمالها، ثم بعد هذا بعثه ربه عز وجل إليهم نذيراً يدعوهم إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له، ولهذا قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ۝٢٦﴾ أي: إن لم تكن أنت عوني ونصيري وعضدي وظهيري، وإلا فلا طاقة لي بذلك.

● **قال تعالى:** ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [العَاديَات: 10].

قال البيضاويّ[3]: ﴿وَحُصِّلَ﴾ جمع محصلاً في الصحف أو ميز. ﴿مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ من خير أو شر، وتخصيصه لأنه الأصل.

قال ابن عطية[4]: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾: تمييزه وكشفه ليقع الجزاء عليه من إيمان وكفر ونية، ويفسره قول النبي ﷺ: «**يبعث الناس يوم القيامة على نياتهم**».

● **قال تعالى:** ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ [الزلزلة: 6].

---

(1) جامع البيان.
(2) تفسير ابن كثير.
(3) أنوار التنزيل.
(4) المحرر الوجيز.

قال ابن عاشور[1]: ﴿يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ الخروج من محل اجتماعهم، يقال: صدر عن المكان، إذا تركه وخرج منه صُدوراً وصَدَراً بالتحريك. ومنه الصَدَر عن الماء بعد الورد، فأطلق هنا فعل ﴿يَصۡدُرُ﴾ على خروج الناس إلى الحشر جماعات، أو انصرافهم من المحشر إلى مآويهم من الجنة أو النار، تشبيهاً بانصراف الناس عن الماء بعد الورد.

قال ابن عجيبة[2]: و﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ أي: يوم إذ يقع ما ذكر ﴿يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ [الزّلزَلة: 6] من قبورهم إلى موقف الحساب.

(1) التحرير والتنوير. (2) البحر المديد.

صدع

(صَدَعَ - شَقَّ - فَطرَ - فَتَقَ - قَدَّ)

- **الصَّدْعُ:** الشق في الأجسام الصلبة كالزجاج ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الرُّوم: 43].
- **الشَّقُّ:** جعل الشيء نصفين ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ﴾ [ق: 44].
- **الفَطْرُ:** الشق طولاً ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [المُلك: 3].
- **الفَتْقُ:** الفصل بين المتصلين ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ﴾ [الأنبياء: 30].
- **القَدُّ:** القطع الصغير ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يُوسُف: 27].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الصاد والدال والعين أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على انفراجٍ في الشيء. يقال: صَدَعْتُهُ فانصدَعَ وتصدَّعَ. وصَدَعْتُ الفلاةَ: قطعتُها. ودليلٌ هادٍ مِصدَع. والصَّدْع النَّبات؛ لأنه يَصدَع الأرض، [في] قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ [الطارق: 12]. ومن الباب: صَدَع بالحقِّ، إذا تكلَّمَ به جهاراً. قال سُبحانَهُ لنبيِّه ﷺ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: 94]. ويقال: تصدَّعَ القَوْمُ، إذا تفرّقُوا. والصِّدْعَة من الإبل: قِطعةٌ كالسِّتِّين ونحوِها، كأنَّها انصدعت عن العسكَر العظيم. ومما شذَّ عن الباب: الصَّدَع، الفتِيُّ من الأوعال.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الجوهري(1): الصَّدْعُ: الشقُّ. يقال: صَدَعْتُهُ فانْصَدَعَ هو، أي انشقَّ. والصَّديعُ: الصبحُ. والصَّديعُ: الصِّرْمَةُ من الإبل، والفِرْقَةُ من الغنم. وصَدَعْتُ الفلاةَ: قطعتها. وصَدَعْتُ الشيء: أظهرته وبيَّنته.

يقال: صَدَعْتُ بالحقِّ، إذا تكلّمت به جهاراً. وقوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾. قال الفراء: أراد فاصْدَعْ بالأمر، أي أَظْهِرْ دينَكَ. أبو زيد: صَدَعْتُ إلى الشيء أَصدَعُ صُدوعاً: مِلْتُ إليه. وما صَدَعَكَ عن هذا الأمر، أي ما صرفك. والتَّصْديعُ: التفريقُ. وتَصَدَّعَ القوم: تفرَّقوا. والصُّداعُ: وجعُ الرأس. وصُدِّعَ الرجل تَصْديعاً. والصِّدْعَةُ بالكسر: الصِّرْمَةُ من الإبل والفِرْقَةُ من الغنم. يقال: صَدَعْتُ الغنم صِدْعَتَيْنِ، أي فِرْقتين، وكل واحدة منهما صِدْعَةٌ. ورجلٌ صَدْعٌ بالتسكين وقد يحرَّك، وهو الضربُ الخفيفُ اللحم الشابُّ. فأمَّا الوَعِلُ فلا يقال فيه إلا صَدَعٌ بالتحريك، وهو الوسط منها ليس بالعظيم ولا الصغير، ولكنه وَعِلٌ بين وَعِلين. وكذلك هو من الظباء والحُمُرِ. يقال: رأيت بين القوم صَدَعاتٍ، أي تفرّقاً في الرأي والهَوى.

قال الفيروزآبادي(2): الصَّدْعُ: الشَّقُّ في شيءٍ صُلْبٍ، والفِرْقَةُ من الشيء، سُمِّيَتْ بالمَصْدَرِ، والرجلُ الخفيفُ اللحمِ، ويُحَرَّكُ، ونباتُ الأرضِ. والناسُ عليهم صَدْعٌ واحدٌ، أي: مُجْتَمِعونَ بالعَداوة، وبالكسر: الجَماعةُ من الناسِ، والشُّقَّةُ من الشيء، وبهاءٍ: الصِّرْمَةُ من الإِبِلِ، والفِرْقَةُ من الغَنَم، والنِّصْفُ من الشيء المَشْقوقِ نِصْفَينِ، كالصَّديعِ، فيهما، وقوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾، أي شُقَّ جماعاتِهِم بالتَّوْحيد، أو اجْهَرْ بالقُرْآن، أو أظهِرْ، أو احْكُمْ بالحَقِّ وافْصِلْ بالأمْرِ، أو اقْصِدْ بما تُؤْمَرُ، أو افْرُقْ به بين الحقِّ والباطِلِ. وصَدَعَهُ، كمنَعَهُ: شقَّهُ، أو شَقَّهُ نِصْفَيْن، أو شَقَّهُ ولم يَفْتَرِقْ.

---

(1) الصحاح في اللغة.

(2) القاموس المحيط.

المعنى المشترك لكلمة (صدع)

وقد وردت كلمة (الصدع) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: الصدع بمعنى: الشق وقيل النبات ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ [الطَّارق: 12].

الوجه الثاني: الصدع بمعنى: الإظهار ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحِجر: 94].

الوجه الثالث: الصداع بمعنى: صداع الرأس ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: 19].

الوجه الرابع: التصدع بمعنى: التفرق ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الرُّوم: 43].

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحِجر: 94].

قال الألوسي[1]: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ قال الكلبي: أي أظهره واجهر به، والمراد ﴿بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ القرآن الذي أوحى إليه ﷺ أن يبلغهم إياه، وأن تكون مصدرية أي: فاصدع بمأموريتك، ويحكى أن بعض العرب سمع قارئاً يقرأها فسجد فقيل له في ذلك فقال: سجدت لبلاغة هذا الكلام، ولم يزل ﷺ مستخفياً كما روي عن عبد الله بن مسعود قبل نزول ذلك فلما نزلت، خرج هو وأصحابه عليه الصلاة والسلام.

قال ابن عاشور[2]: نزلت هذه الآية في السنة الرابعة أو الخامسة من البعثة

(1) روح المعاني. (2) التحرير والتنوير.

ورسول الله عليه الصلاة والسلام مختف في دار الأرقم بن أبي الأرقم. رُوي عن عبد الله بن مسعود قال: ما زال النبي مستخفياً حتى نزلتْ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ الآية. وبنزولها ترك الرسول ﷺ الاختفاء بدار الأرقم وأعلن بالدّعوة للإسلام جهراً. والصدع: الجهر والإعلان. وأصله الانشقاق. ومنه انصداع الإناء، أي انشقاقه. فاستعمل الصدع في لازم الانشقاق وهو ظهور الأمر المحجوب وراء الشيء المنصدع؛ فالمراد هنا الجهر والإعلان. وما صدقُ «ما تؤمر» هو الدّعوة إلى الإسلام.

قال الشعراوي[1]: أي: افرغ لِمُهمتك؛ فالصّدع تصنع شقاً في متماسك، كما نشق زجاجاً بالمشرط الخاص بذلك، أو ونحن نصنع شقاً في حائط. والرسول ﷺ قد جاء لِيشقَّ الكفر ويهدم الفساد القوي المتماسك الذي يَقْوي بقوة صناديد قريش.

● **قال تعالى**: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الرُّوم: 43].

قال ابن عجيبة[2]: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ﴾؛ يتصدّعون، فأدغم التاء في الصاد. وتصدّع القوم: تفرقوا. أي: يفترقون؛ فريق في الجنة وفريق في السعير.

قال أبو السعود[3]: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ﴾ أصله يتصدَّعون أي يتفرَّقُون فريقٌ في الجَّنةِ وفريقٌ في السَّعيرِ.

● **قال تعالى**: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: 19].

قال القرطبي[4]: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ﴾ أي لا تنصدع رؤوسهم من شربها؛ أي إنها لذة بلا أذًى بخلاف شراب الدنيا. ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ تقدم في «والصافات» أي لا يسكرون فتذهب عقولهم.

---

(1) تفسير الشعراوي.
(2) البحر المديد.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

قال البغوي[1]: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾، لا تصدع رؤوسهم من شربها، ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي لا يسكرون هذا إذا قرئ بفتح الزاي، ومن كسر فمعناه لا ينفد شرابهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ [الطارق: 12].

قال الألوسي[2]: هو ما تتصدع عنه الأرض من النبات وأصله الشق سمي به النبات مجازاً أو هو مصدر من المبني للمفعول فالمراد تشققها بالنبات وروي ذلك عن عطية وابن زيد وقيل تشققها بالعيون. وتعقب بأن وصف السماء والأرض عند الإقسام بهما على حقية القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للإيماء إلى أنهما في أنفسهما من شواهده وهو السر في التعبير عن المطر بالرجع وذلك في تشقق الأرض بالنبات المحاكي للنشور حسبما ذكر في مواضع من التنزيل لا في تشققها بالعيون ويعلم منه ما في تفسير الرجع بغير المطر وكذا ما في قول مجاهد الصدع ما في الأرض من شقاق وأودية وخنادق وتشقق بحرث وغيره وما روي عنه أيضاً الصدع الطرق تصدعها المشاة وقيل ذات الأموات لانصداعها عنهم للنشور.

قال الطنطاوي[3]: والصدع: الشق والانفطار، والمراد به هنا: ما تتشقق عنه الأرض من نبات. كما قال تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾﴾ [عَبَسَ: الآيات 25-28] أي: وحق السماء صاحبة المطر الذي ينزل من جهتها مرة فأخرى، لنفع العباد والحيوان والنبات. . وحق الأرض ذات النبات البازغ من شقوقها.

---

(1) معالم التنزيل.
(2) روح المعاني.
(3) الوسيط في تفسير القرآن.

صدف

(صَدَف - تَرَكَ - وَذَرَ - اجْتَنَبَ - نَبَذَ - زَهَدَ)

■ **الصَّدَفُ:** الإعراض الشديد ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: 157].

■ **التَّرْكُ:** مفارقة ما يكون الإنسان فيه، أو رغبة عنه من غير دخول فيه ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدّخان: 25].

■ **الوَذْرُ:** ترك الشيء يقذفه ترفاً ﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: 110].

■ **الاجْتِنَابُ:** ترك الشيء لشدة سوئه ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحجّ: 30].

■ **النَّبْذُ:** ترك الشيء مع شدة البغضاء له لخسته ﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ﴾ [القصص: 40].

■ **الزُّهْدُ:** عدم الحرص على الشيء ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: 20].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والدال والفاء أصلان: [الأوّل] يدلُّ على المَيْلِ،

(1) معجم مقاييس اللغة.

والثاني عَرَضٌ من الأعراض. فالأوَّلُ قولهم: صَدَفَ عن الشيء، إذا مال عنه وولى ذاهباً. قال الله تعالى: ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ [الأنعام: 157]. من البعير: أَنْ يميل خُفُّهُ من اليد أو الرِّجْل إلى الجانب الوَحْشيّ؛ وقد صَدِفَ. ويقال للإبلِ التي تقف عند أعجاز الإبل على الحوضِ تنتظر انصرافَ الشّاربةِ لتدخُل: هي الصَّوادِف. قال: والصَّدَف: جانب الجَبَل، وإنّما سُمِّيَ لميْله إلى إحدى الجِهَتين. وأمّا الآخر فالصَّدَف المَحَارة، هي معروفة.

قال الجوهري[1]: صَدَفَ عنِّي، أي أعرض. ويقال: امرأةٌ صَدُوفٌ، للتي تَعرِض وجهها عليك ثم تَصْدِفُ. وأَصْدَفَني عنه كذا وكذا، أي أمالني. وصَدَفُ الدرّة: غشاؤها، الواحدة صَدَفَةٌ. وفرسٌ أَصْدَفُ بيّن الصَّدَفِ، إذا كان متدانِيَ الفخذين متباعد الحافرين في التواءٍ من الرسغين. وقال أبو يوسف: الصَّدَفُ أن يميل خُفُّ البعير من اليد أو الرجل إلى الجانب الوحشيِّ. قال: فإن مال إلى الإنسيِّ فهو أَقْفَدُ. والصَّدَفُ والصُّدُفُ: منقطَعُ الجبلِ المرتفعُ، وقرئ بهما قوله تعالى: «بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ». الصَّدَفُ كلُّ شيءٍ مرتفعٍ، مثل الهدف وصادَفْتُ فلاناً: وجدته. والصَّوادِفُ: الإبلُ التي تجد الإبلَ على الحوض فتقف عند أعجازها تنتظر انصراف الشاربةِ لتدخلَ هي.

قال الفيروزآبادي[2]: الصَّدَفُ، مُحرَّكةً: غِشاءُ الدُّرِّ، الواحِدَةُ: بهاءٍ، جمعه: أَصْدَافٌ، وكُلُّ شيءٍ مُرْتَفِعٍ من حائِطٍ ونَحْوِهِ، ومَوْضِعُ الوابِلَةِ من الكَتِفِ، وة قُرْبَ قَيْرَوانَ، ولَحْمَةٌ تَنْبُتُ في الشَّجَّةِ عِنْدَ الجُمْجُمَةِ، كالغَضَارِيفِ، ولَقَبُ وَلَدِ نوحِ بنِ عَبْدِ اللهِ بن سَيْفٍ البُخَارِيِّ، وصدف في الفرَسِ: تَدَانِي الفَخِذَيْنِ، وتَباعُدُ الحافِرَيْنِ في الْتِوَاءٍ في الرُّسْغَيْنِ، أو مَيَلٌ في الحافِرِ أو الخُفِّ إلى الشِّقِّ الوَحْشِيِّ، فإنْ مالَ إلى الإِنْسِيِّ فهو أَقْفَدُ. وكجبلٍ وعُنُقٍ وصُرَدٍ وعَضُدٍ: مُنْقَطَعُ الجَبَلِ، أو ناحِيَتُه، وقُرِئَ بِهِنّ، أو الصَّدَفانِ هاهُنا: جَبَلانِ مُتَلازِقانِ بيننا وبين يأجوج ومأجوجَ. والصُّدُفانِ، بضمتينِ خاصَّةً: ناحِيَتا الشِعْبِ أو الوادي.

---

(1) الصحاح في اللغة.

(2) القاموس المحيط.

وكَصُرَدٍ: طائِرٌ، أو سَبُعٌ. وصَدَفَ عنه يَصْدِفُ: أعْرَضَ، وصدف فلاناً: صَرَفَه، كأَصْدَفَه، وصدف فلانٌ يَصْدُفُ ويَصْدِفُ صَدْفاً وصُدوفاً: انْصَرَفَ، ومالَ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: 157].

قال الألوسي(1): ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ﴾ أي أعرض غير مفكر فيها كما روي عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما أو صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والإضلال، والفعل على الأول: لازم وعلى الثاني: متعد وهو الأكثر استعمالاً.

﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ وعيد لهم ببيان جزاء (إعراضهم أو صدهم) بحيث يفهم منه جزاء (تكذيبهم)، ووضع الموصول موضع الضمير لتحقيق مناط الجزاء ﴿ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي العذاب السيء الشديد [النكاية] ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ أي بسبب ما كانوا يفعلون الصدف [والصرف] على التجدد والاستمرار، وهذا تصريح بما أشعر به إجراء الحكم على الموصول من علية ما في حيز الصلة له.

قال أبو السعود(2): ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ﴾ أي صرَفَ الناس عنها فجمعَ بين الضلال والإضلالِ ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ﴾ ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ وعيدٌ لهم ببيان جزاء إضلالِهم بحيث يُفهم منه جزاءُ ضلالهم أيضاً، ووضعُ الموصول المُضمر لتحقيق مناطِ الجزاء ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البَقَرَة: 49] أي العذابَ السيءَ الشديدَ النكاية ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ أي بسبب ما كانوا يفعلون من الصَّدْف والصرْف على التجدد والاستمرارِ، وهذا تصريحٌ بما أَشعرَ به إجراءُ الحُكم على الموصول من عِلّية ما في حيز الصلة له.

(1) روح المعاني.
(2) إرشاد العقل السليم.

صدق

(صِدْق - حَقّ - سَوَاء - عَدْل - يَقِين)

■ **الصِّدْقُ:** هو حسن التعامل مع الحق ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ [يونس: 2].

■ **الحَقُّ:** الموجود الثابت الذي يراك بالبصر والبصيرة ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يونس: 33].

■ **السَّوَاءُ:** الحق المتفق عليه عند الكل ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ [آل عمران: 64].

■ **العَدْلُ:** تساوي الأجزاء بلا رجحان في إحقاق الحق ﴿وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [النّحل: 76].

■ **اليَقِينُ:** هو الحق في الخبر ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا﴾ [النِّساء: 157].

❋ ❋ ❋

صدق

(صَدِيق - خَلِيل - خِدْن - صَاحِب - رَفِيق)

- **الصَّدِيقُ:** الصاحب الناصح الزاجر المعلّم ﴿أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [النُّور: 61].
- **الخَلِيلُ:** الصاحب الوفي ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النِّساء: 125].
- **الخِدْنُ:** الصاحب بشهوة ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النِّساء: 25].
- **الصَّاحِبُ:** بالملازمة والانتماء ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ [التّوبَة: 40].
- **الرَّفِيقُ:** الصاحب المعين على الشدة ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّساء: 69].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والدال والقاف أصلٌ يدلُّ على قوّةٍ في الشيء قولاً وغيرَه. من ذلك الصِّدْق: خلاف الكَذِبَ، سمِّيَ لقوّته في نفسه، ولأنَّ الكذِبَ لا قُوَّة له، هو باطلٌ. وأصل هذا من قولهم شيءٌ صَدْقٌ، أي صُلْب. ورُمْح صَدْقٌ. ويقال: صَدَقُوهم القِتالَ، وفي خلاف ذلك كَذَبوهم. والصِّدِّيق: الملازم للصِّدْق. والصَّدَاق صَدَاقَ المرأة، سُمِّيَ بذلك لقوّته وأنَّه حقٌّ يَلزمُ.

ويقال: صَدَاقٌ وصُدْقة وصَدُقة. قال الله تعالى: ﴿وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

[النساء: 4]. وقرئت: صدقاتِهِنَّ. والباب الصَّدَقة: ما يتصدَّق به المرءُ عن نفسه وماله. وأمَّا المُصَدِّق فخبّرَنا أبو الحسن علي بن إبراهيم، عن المفسِّر، عن القُتَيْبِيّ قال: ومما يضَعُهُ النّاسُ غير موضعه قولهم: هو يتصدَّق، إذا أعطى، ويتصدّقُ إذا سأل. وذلك غلطٌ، لأن المتصدِّق المُعطي. قال الله تعالى في قصّة من قال: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: 88]. وحدَّثنا هذا الشيخ عن المَعْدَانيِّ عن أبيه، عن أبي مُعاذٍ، عن اللَّيْث، عن الخليل قال: المُطْعِم مُتصَدِّق والسَّائلُ متصدِّق. وهما سواء. فأمَّا الذي في القرآن فهو المعطِي. والمُصَدِّق الذي يأخذ صَدَقات الغنم. ويقال: هو رجلُ صِدقٍ. والصَّدَاقة مشتقّة من الصِّدق في المودّة. ويقال صَدِيق للواحد وللاثنين وللجماعة، وللمرأة. وربما قالوا أصدقاء، وأصادق.

قال الجوهري[1]: الصِّدْقُ: خلاف الكذب. وقد صَدَقَ في الحديث. ويقال أيضاً: صَدَقَهُ الحديثَ. وصَدَقوهُمْ القتالَ. وتَصادَقا في الحديث وفي المودّة. والمُصَدِّقُ الذي يُصَدِّقُكَ في حديثك، والذي يأخذ صَدَقاتِ الغنمِ. والمُتَصَدِّقُ الذي يُعطي الصَّدَقَةَ. ومررت برجلٍ يسأل، ولا تقل يَتَصَدَّقُ. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ [الحديد: 18] بتشديد الصاد، أصله المُتَصَدِّقينَ فقلبت التاء صاداً وأدغمت في مُثلها. والصَّداقَةُ والمُصادَقَةُ: المُخَالَةُ، والرجل صَديقٌ والأنثى صَديقَةٌ والجمع أَصْدِقاءُ، وقد يقال للواحد والجمع والمؤنث صَديقٌ.

ويقال: فلان صُدَّقي، أخصُّ أَصْدِقائي، وإنَّما يصغَّر على جهة المدح، كقول حباب بن المنذر: أنا جُذَيلُها المحَكَّكُ، وعُذَيْقُها المُرَجَّبُ. والصِّدِّيقُ: الدائمُ التَّصْديقِ، ويكون الذي يُصَدِّقُ قولَه بالعمل. والصَّدْقُ، بالفتح: الصُّلبُ من الرماح، ويقال المستوِي. ويقال أيضاً: رجلٌ صَدْقُ اللقاء، وصَدْقُ النظرِ، وقومٌ صُدْقٌ بالضم. وهذا مِصْداقُ هذا، أي ما يُصَدِّقُهُ. ويقال للرجل الشجاع والفرسِ

(1) الصحاح في اللغة.

الجوادِ: إنّه لذو مَصْدَق بالفتح، أي صادِقُ الجملةِ وصادِقُ الجري، كأنه ذو صِدْقٍ فيما يَعِدُكَ من ذلك.

والصَّدَقَةُ ما تَصَدَّقْتَ به على الفقراء. والصَّداقُ والصِّداقُ: مَهْرُ المرأةِ، وكذلك الصَّدُقَةُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾، والصُّدْقَةُ مثله. وقد أَصْدَقْتُ المرأَةَ، إذا سمَّيتَ لها صَداقاً.

قال الفيروزآبادي[1]: الصِّدْقُ، بالكسرِ والفتحِ: ضِدُّ الكَذِبِ، كالمَصْدوقَةِ، أو بالفتحِ: مَصْدَرٌ، وبالكسرِ: اسمٌ. صَدَقَ في الحَديثِ، وصَدَقَ فلاناً الحَديثَ والقِتالَ. والصِّدْقُ، بالكسرِ: الشِّدَّةُ، وهو رجُلُ صِدقٍ، وصَديقُ صِدْقٍ، مُضافَيْنِ، وكذا امرأةُ صِدْقٍ، وحِمارُ صِدْقٍ، و﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ [يونس: 93]: أنْزَلْناهُم مَنْزِلاً صالحاً، ويقال: هذا الرجُلُ الصَّدْقُ، بالفتح، فإذا أضَفْتَ إليه: كسَرْتَ الصادَ. والصُّدْقُ، بالضم وبضمتينِ: جَمْعُ صَدْقٍ، كرَهْنٍ ورُهُنٍ، وجَمْعُ صَدوقٍ وصَداقٍ. وكأميرٍ: الحبيبُ، للواحِدِ والجَمْعِ والمُؤَنَّثِ، وهي: بهاءٍ أيضاً، جمعه: أصْدِقاءُ وصُدْقانٌ، جمعه: أصادِقُ. وهو صُدَيِّقي، مُصَغَّراً: أخَصُّ أصْدقائي. والصَّداقَةُ: المَحَبَّةُ.

المعنى المشترك لكلمة (صدق)

وقد وردت كلمة (الصدق) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: الصادقون بمعنى: النبيون ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: 24].

الوجه الثاني: الصادقون: المهاجرون خاصة ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحشر: 8].

(1) القاموس المحيط.

الوجه الثالث: الصادقون في الجهاد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التّوبَة: 119].

الوجه الرابع: الصادقون: المؤمنون ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزَاب: 24].. يعني بإيمانهم.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النِّساء: 122].

قال أبو السعود[1]: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ جملةٌ مؤكدةٌ بليغةٌ، والمقصودُ من الآية معارضَةُ مواعيدِ الشيطانِ الكاذبةِ لقرنائه بوعد الله الصادقِ لأوليائه والمبالغةُ في تأكيده ترغيباً للعباد في تحصيله، والقيلُ مصدرٌ كالقول والقال.

قال ابن عجيبة[2]: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ أي: لا أحدَ أصدقُ من الله في قوله. والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه، بوعد الله الصادق لأوليائه، ترغيباً في تحصيل أسبابه. والله تعالى أعلم.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النِّساء: 87].

قال الثعالبي[3]: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ المعنى: لا أَحَدَ أَصْدَقُ مِنَ الله تعالَىٰ.

قال ابن عادل[4]: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ أي: قولاً ووَعْداً، وهذا اسْتِفْهَام على سبيل الإنْكَار، والمَقْصُود منه: وجُوب كَوْنه - تعالى - صادقاً، وأن الكَذِب والخُلْفَ في قوله مُحَالٌ.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) البحر المديد.
(3) الجواهر الحسان.
(4) اللباب في علوم الكتاب.

● قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: 54].

قال الفخر الرازي[1]: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ وهذا الوعد يمكن أن يكون المراد فيما بينه وبين الله تعالى ويمكن أن يكون المراد فيما بينه وبين الناس. أما الأول: فهو أن يكون المراد أنه كان لا يخالف شيئاً مما يؤمر به من طاعة ربه وذلك لأن الله تعالى إذا أرسل الملك إلى الأنبياء وأمرهم بتأدية الشرع فلا بد من ظهور وعد منهم يقتضي القيام بذلك ويدل على القيام بسائر ما يخصه من العبادة. وأما الثاني: فهو أنه عليه السلام كان إذا وعد الناس بشيء أنجز وعده فالله تعالى وصفه بهذا الخلق الشريف.

● قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 41].

قال القرطبي[2]: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ إدريس عليه السلام أوّل من خط بالقلم، وأوّل من خاط الثياب ولبس المخيط، وأوّل من نظر في علم النجوم والحساب وسيرها. وسمي إدريس لكثرة درسه لكتاب الله تعالى. وأنزل الله تعالى عليه ثلاثين صحيفة كما في حديث أبي ذر.

● قال تعالى: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: 75].

قال الزمخشري[3]: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ أي وما أمه أيضاً إلا كصديقة كبعض النساء المصدّقات للأنبياء المؤمنات بهم، فما منزلتهما إلا منزلة بشرين: أحدهما نبي، والآخر صحابي. فمن أين اشتبه عليكم أمرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الأنبياء وصحابتهم؟ مع أنه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه.

قال ابن كثير[4]: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ أي: مؤمنة به، مصدقة له، وهذا أعلى

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) الكشاف.
(4) تفسير ابن كثير.

مقاماتها، فدل على أنها ليست بنبية كما زعمه ابن حزم وغيره ممن ذهب إلى نبوة سارة أم إسحاق، ونبوة أم موسى، ونبوة أم عيسى؛ استدلالاً منهم بخطاب الملائكة لسارة ومريم، وبقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: 7] وهذا معنى النبوة، والذي عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبياً إلا من الرجال، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف: 109] وقد حكى الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله الإجماع على ذلك.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 41].

قال البيضاوي[1]: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾ ملازماً للصدق، أو كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله. ﴿نَّبِيًّا﴾ استنبأه الله.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ﴾ [النساء: 69].

قال الألوسي[2]: ﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ﴾ فالمنازل أربعة بعضها دون بعض: الأول: منازل الأنبياء وهم الذين تمدهم قوة إلهية وتصحبهم نفس في أعلى مراتب القدسية ومثلهم كمن يرى الشيء عياناً من قريب، ولذلك قال تعالى في صفة نبينا ﷺ: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم: 12]. والثاني: منازل الصديقين وهم الذين يتأخرون على الأنبياء عليهم السلام في المعرفة، ومثلهم كمن يرى الشيء عياناً من بعيد، وإياه عنى علي كرم الله تعالى وجهه حيث قيل له: هل رأيت الله تعالى؟ فقال: ما كنت لأعبد رباً لم أره، ثم قال: لم تره العيون بشواهد العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، والثالث: منازل الشهداء وهم الذين يعرفون الشيء بالبراهين، ومثلهم كمن يرى الشيء في المرآة من مكان قريب كحال من قال: كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وإياه قصد النبي ﷺ بقوله: «**أعبد الله تعالى**

---

(1) أنوار التنزيل. (2) روح المعاني.

كأنك تراه»، والرابع: منازل الصالحين وهم الذين يعلمون الشيء بالتقليد الجازم، ومثلهم كمن يرى الشيء من بعيد في مرآة وإياه قصد النبي ﷺ بقوله: «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» قاله الراغب ونقله الطيبي وغيره.

قال ابن عاشور[1]: والصدّيقون هم الذين صدَّقوا الأنبياء ابتداء، مثل الحواريين والسابقين الأوّلين من المؤمنين. وأمّا الشهداء فهم من قُتلوا في سبيل إعلاء كلمة الله. والصالحون الذين لزمتهم الاستقامة.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البَقَرَة: 89].

قال البغوي[2]: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعني: القرآن ﴿مُصَدِّقٌ﴾ موافق ﴿لِّمَا مَعَهُمْ﴾ يعني التوراة.

قال القرطبي[3]: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾ يعني اليهود. ﴿كِتَٰبٌ﴾ يعني القرآن. ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ﴾ نعت لكتاب؛ ويجوز في غير القرآن نصبه على الحال؛ وكذلك هو في مصحف أُبَيَّ بالنصب فيما رُوِيَ. ﴿لِّمَا مَعَهُمْ﴾ يعني التوراة والإنجيل يخبرهم بما فيهما.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: 101].

قال أبو السعود[4]: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾ هو النبي ﷺ، والتنكيرُ للتفخيم ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ متعلق بجاءَ أو بمحذوفٍ وقعَ صفةً لرسول لإفادة مزيدِ تعظيمِه بتأكيد ما أفاده التنكيرُ من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة من حيث أنه ﷺ قرر صِحتها وحقق حَقّيةَ نبوة موسى عليه الصلاة والسلام بما أُنزل عليه أو من حيث أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ جاء على وَفق ما نُعت فيها.

(1) التحرير والتنوير.
(2) معالم التنزيل.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) إرشاد العقل السليم.

قال الخازن[1]: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ يعني مصدق بصحة التوراة ونبوة موسى عليه الصلاة والسلام وقيل: إن التوراة بشرت بنبوة محمد ﷺ فلما بعث محمد ﷺ كان مجرد مبعثه مصدقاً للتوراة.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ [آل عِمرَان: 152].

قال ابن عطية[2]: جاءت المخاطبة في هذه الآيات بجمع ضمير المؤمنين، وإن كانت الأمور التي عاتبهم الله تعالى عليها لم يقع فيها جميعهم، ولذلك وجوه من الفصاحة: منها وعظ الجميع وزجره، إذ من لم يفعل معد أن يفعل إن لم يزجر، ومنها الستر والإبقاء على من فعل، وكان رسول الله ﷺ قد وعد المؤمنين النصر يؤمئذ على خبر الله تعالى - إن صبروا وجدوا - فصدق الله الوعد أولاً، وذلك أن رسول الله ﷺ صاف المسلمين يومئذ ورتب الرماة على ما قد ذكرناه في صدر تفسير هذه الآيات في قصة أُحد، فبارز علي بن أبي طالب أبا سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين، وحمل الزبير وأبو دجانة فهزّا عسكر المشركين، ونهض رسول الله ﷺ بالناس، فأبلى حمزة بن عبد المطلب وعاصم ابن أبي الأقلح، وانهزم المشركون وقتل منهم اثنان وعشرون رجلاً فهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾.

قال ابن الجوزي[3]: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ قال محمد بن كعب القرظي: لما رجع النبي ﷺ وأصحابه من أُحد، قال قومٌ منهم: من أين أصابنا هذا، وقد وعدنا الله النصر؟ فنزلت هذه الآية. وقال المفسرون: وعد الله تعالى المؤمنين النصر بأحد، فنصرهم، فلما خالفوا، وطلبوا الغنيمة، هُزِموا. وقال ابن عباس: ما نُصر رسول الله ﷺ في موطن ما نُصر في أُحد، فأنكر ذلك عليه، فقال: بيني وبينكم كتاب الله.

(1) لباب التأويل.
(2) المحرر الوجيز.
(3) زاد المسير.

● **قال تعالى**: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [المَائدة: 46].

قال ابن عاشور[1]: قوله ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا﴾ لاختلاف صاحب الحال ولاختلاف كيفية التّصديق؛ فتصديق عيسى التّوراةَ أمره بإحياء أحكامها، وهو تصديق حقيقي؛ وتصديق الإنجيل التّوراة اشتماله على ما وافق أحكامَها فهو تصديق مجازي. وهذا التّصديق لا ينافي أنّه نَسخَ بعض أحكام التّوراة كما حكى الله عنه.

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: 50]، لأنّ الفعل المثبَت لا عموم له.

قال الشعراوي[2]: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي مصدقاً لموسى الذي جاء بالتوراة.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ [المائدة: 45].

قال الألوسي[3]: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ﴾ أي من المستحقين للقصاص ﴿بِهِۦ﴾ أي بالقصاص أي فمن عفا عنه، والتعبير عن ذلك بالتصدق للمبالغة في الترغيب ﴿فَهُوَ﴾ أي التصدق المذكور ﴿كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ للمتصدق كما أخرجه ابن أبي شيبة عن الشعبي وعليه أكثر المفسرين.

قال أبو السعود[4]: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ أي ذاتُ قصاص إذا كانت بحيث تُعرف المساواة، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنهم كانوا لا يقتُلون الرجلَ بالمرأة فنزلت، وقرىء (وإنّ الجروحَ قصاص) وقرىء (والعينُ) إلى آخره بالرفع عطفاً على محل (أن النفس) لأن المعنى كتبنا عليهم: النفسُ بالنفس إما

(1) التحرير والتنوير.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) روح المعاني.
(4) إرشاد العقل السليم.

لإجراء كتبنا مُجرىٰ قلنا، وإما لأن معنى الجملة التي هي قولك: النفسُ بالنفس مما يقع عليه الكَتْبُ كما يقع عليه القراءة، تقول: كتبت (الحمدُ لله) وقرأتُ ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَهَا﴾ [النُّور: 1] ﴿فَمَن تَصَدَّقَ﴾ أي من المستحقين ﴿بِهِۦ﴾ أي بالقصاص، أي فمن عفا عنه، والتعبيرُ عنه بالتصديق للمبالغة في الترغيب فيه ﴿فَهُوَ﴾ أي التصديق.

● **قال تعالى:** ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البَقَرَة: 280].

قال الفخر الرازي(1): ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ عاصم ﴿تَصَدَّقُواْ﴾ بتخفيف الصاد والباقون بتشديدها، والأصل فيه: أن تتصدقوا بتاءين، فمن خفف حذف إحدى التاءين تخفيفاً، ومن شدد أدغم إحدى التاءين في الأخرى.

المسألة الثانية: في التصدق قولان الأول: معناه: وأن تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين إذ لا يصح التصدق به على غيره، وإنما جاز هذا الحذف للعلم به، لأنه قد جرى ذكر المعسر وذكر رأس المال فعلم أن التصدق راجع إليهما، وهو كقوله ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البَقَرَة: 237] والثاني: أن المراد بالتصدق الإنظار لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة**» وهذا القول ضعيف، لأن الإنظار ثبت وجوبه بالآية الأولى، فلا بد من حمل هذه الآية على فائدة جديدة، ولأن قوله: ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لا يليق بالواجب بل بالمندوب.

المسألة الثالثة: المراد بالخير حصول الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة.

ثم قال: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 280] وفيه وجوه الأول: معناه إن كنتم تعلمون أن هذا التصدق خير لكم إن عملتموه، فجعل العمل من لوازم العلم، وفيه

(1) التفسير الكبير.

تهديد شديد على العصاة والثاني: إن كنتم تعلمون فضل التصدق على الإنظار والقبض والثالث: إن كنتم تعلمون أن ما يأمركم به ربكم أصلح لكم.

● **قال تعالى:** ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: 3].

قال القرطبي[1]: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي بالصدق، وقيل: بالحجة الغالبة. والقرآن نزل نجوماً: شيئاً بعد شيء؛ فلذلك قال ﴿نَزَّلَ﴾ والتنزيل مرّة بعد مرّة. والتوراة والإنجيل نزلا دفعة واحدة؛ فلذلك قال ﴿وَأَنزَلَ﴾. والباء في قوله ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ في موضع الحال من الكتاب، والباء متعلقة بمحذوف، التقدير آتياً بالحق. ولا تتعلق بـ ﴿نَزَّلَ﴾، لأنه قد تعدَى إلى مفعولين أحدهما بحرف جر، ولا يتعدّى إلى ثالث. و﴿مُصَدِّقًا﴾ حال مؤكّدة غير منتقلة؛ لأنه لا يمكن أن يكون غير مصدِّق، أي غير موافق؛ هذا قول الجمهور. وقدّر فيه بعضهم الانتقال، على معنى أنه مصدِّق لنفسه ومصدِّق لغيره.

قال الخازن[2]: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي بالصدق والعدل ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوات والأخبار وبعض الشرائع. وقوله ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من مجاز الكلام وذلك أن ما بين يديه فهو أمامه فقيل لكل شيء تقدم على الشيء هو بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره.

● **قال تعالى:** ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القِيَامَة: 31].

قال القرطبي[3]: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ أي لم يصدّق أبو جهل ولم يصلّ. وقيل: يرجع هذا إلى الإنسان في أوّل السورة، وهو ٱسم جنس. والأوّل قول ٱبن عباس. أي لم يصدّق بالرسالة «وَلَا صَلَّى» ودعا لربِّه، وصلَّى على رسوله. وقال قتادة: فلا صدّق بكتاب الله، ولا صلَّى لله.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) لباب التأويل.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

وقيل: ولا صدّق بمال له، ذخراً له عند الله، ولا صلَّى الصلوات التي أمره الله بها. وقيل: فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه.

قال الطبري(1): يقول تعالى ذكره: فلم يصدّق بكتاب الله، ولم يصلّ له صلاة، ولكنه كذّب بكتاب الله، وتولى فأدبر عن طاعة الله.

● **قال تعالى**: ﴿فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: 12].

قال أبو السعود(2): ﴿فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ أيْ فتصدقُوا قبلَها مستعارٌ ممنْ لهُ يدانِ وفي هذا الأمرِ تعظيمُ الرسولِ ﷺ وإنفاعُ الفقراءِ والزجرُ عنِ الإفراطِ في السؤالِ والتميزُ بينَ المخلصِ والمنافقِ ومحبِّ الآخرةِ ومحبِّ الدُّنيا واختلفَ في أنَّه للندبِ أو للوجوبِ لكنهُ نُسِخَ بقولِهِ تَعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ [المجادلة: 13] وهُوَ وإنْ كَان متصلاً بِهِ تلاوةً لكنَّه متراخٍ عَنْهُ نزولاً وَعَنْ عليَ رضيَ الله عنهُ: «إنَّ فِي كتابِ الله آيةً ما عَمِلَ بِهَا أحدٌ غَيْرِي كانَ لي دينارٌ فصرفتُه فكنتُ إِذَا ناجيتُه عليهِ الصلاةُ والسلامُ تصدقتُ بدرهم» وهُوَ على القولِ بالوجوبِ محمولٌ على أنَّه لمْ يتفقْ للأغنياءِ مناجاةٌ في مدةِ بقائِه إذْ رُوي أنَّه لمْ يَبقَ إلَّا عشراً وقيل: إلَّا ساعةً ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي التصدق ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ أيْ لأنفسكم منَ الريبةِ وحبِّ المَالِ وهذا يشعرُ بالندبِ لكنَّ قولَهُ تَعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ منبىءٌ عنِ الوجوبِ لأنَّه ترخيصٌ لمنْ لَمْ يجدْ فِي المناجَاةِ بلا تصدقٍ.

قال ابن عجيبة(3): ﴿فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ﴾ أي: قبل نجواكم ﴿صَدَقَةً﴾ وهي استعارة ممن له يدان، كقول عمر رضي الله عنه: «من أفضل ما أوتيت العرب الشعر، يقدّمه الرجل أما حاجته، فيستمطر به الكريم، ويستنزل به اللئيم» يريد: قبل حاجته. وفي هذا الأمر تعظيم الرسول ﷺ، وانتفاع الفقراء، والزجر عن الإفراط في مناجاته وسؤاله عليه الصلاة والسلام، والتميز بين المخلِص والمنافق، وبين

(1) جامع البيان.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) البحر المديد.

مُحب الآخرة ومُحب الدنيا، وهل الأمر للندب، أو للوجوب لكنه نسخ بقوله: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ [المجَادلة: 13] الخ؟ وعن عليّ رضي الله عنه: «إنَّ في كتاب الله آية ما عمل بها أحدٌ غيري، كان لي دينار فصرّفته فكنت إذا ناجيته ﷺ تصدّقت به». وقال أيضاً: «أنا كنت سبب الرخصة والتخفيف عن المسلمين»، قال رضي الله عنه: فَهِم رسولُ الله ﷺ أنّ هذه العبادة قد شقّت على الناس، فقال: «**يا عليّ كم ترى حدّ هذه الصدقة؟ أتراه ديناراً؟**» قلت: لا، قال: «**فنصف دينار**»؟ قلت: لا، قال: «**فكم**»؟ قلت: حبة من شعير، قال: «**إنك لزهيد**» فأنزل الله الرخصة».

● **قال تعالى:** ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ﴾ [النساء: 4].

قال الألوسي(1): ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾ أي اعطوا النساء اللاتي أمر بنكاحهن ﴿صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ جمع صدقة بفتح الصاد وضم الدال، وهي كالصداق بمعنى المهر، ﴿نِحۡلَةٗۚ﴾ أي فريضة.

قال الشعراوي(2): والمقصود بـ ﴿صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ هو المهور، و«النِّحلة» هي العطية، وهل الصداق عطية؟ لا. إنه حق وأجر بضع. ولكن الله يريد أن يوضح لنا: أي فليكن إيتاء المهور للنساء نحلة، أي وازع دين لا حكم قضاء، والنحلة هي العطية. وانظر إلى اللمسات الإلٰهية والأداء الإلٰهي للمعاني، لأنك إن نظرت إلى الواقع فستجد الآتي: الرجل يتزوج المرأة، وللرجل في المرأة متعة، وللمرأة أيضاً متعة أي أن كُلاً منهما له متعة وشركة في ذلك، وفي رغبة الإنجاب، وكان من المفترض ألا تأخذ شيئاً، لأنها ستستمتع وأيضاً قد تجد ولداً لها، وهي ستعمل في المنزل والرجل سيكدح خارج البيت، ولكن هذه عطية قررها الله كرامة للنساء ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ﴾ والأمر في ﴿وَءَاتُواْ﴾ لمَنْ؟ إما أن يكون للزوج فقوله: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ يدل على أن المرأة صارت زوجة الرجل، وصار الرجل ملزماً بالصداق ومن الممكن أن يكون ديناً إذا تزوجها بمهر في ذمته يؤديه

(1) روح المعاني.
(2) تفسير الشعراوي.

لها عند يساره، وإمّا أن يكون الأمر لولي أمرها فالذي كان يزوجه أخته مثلاً، كان يأخذ المهر له ويتركها دون أن يعطيها مهرها، والأمر في هذه الآية - إذن - إما أن يكون للأزواج وإما أن يكون للأولياء. وحين يُشَرِّع الحق لحماية الحقوق فإنه يفتح المجال لأريحيات الفضل.

● **قال تعالى:** ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ [المجادلة: 13].

قال الفخر الرازي(1): والمعنى أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من إنفاق المال، فإذ لم تفعلوا ما أمرتم به وتاب الله عليكم ورخص لكم في أن لا تفعلوه، فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات. فإن قيل: ظاهر الآية يدل على تقصير المؤمنين في ذلك التكليف، وبيانه من وجوه أولها: قوله: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟﴾ وهو يدل على تقصيرهم وثانيها: قوله: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟﴾ وثالثها: قوله: ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ قلنا: ليس الأمر كما قلتم، وذلك لأن القوم لما كلفوا بأن يقدموا الصدقة ويشغلوا بالمناجاة، فلا بد من تقديم الصدقة، فمن ترك المناجاة يكون مقصراً، وأما لو قيل بأنهم ناجوا من غير تقديم الصدقة، فهذا أيضاً غير جائز، لأن المناجاة لا تمكن إلا إذا مكن الرسول من المناجاة، فإذا لم يمكنهم من ذلك لم يقدروا على المناجاة، فعلمنا أن الآية لا تدل على صدور التقصير منهم، فأما قوله: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ فلا يمتنع أن الله تعالى علم ضيق صدر كثير منهم عن إعطاء الصدقة في المستقبل لو دام الوجوب، فقال هذا القول.

قال الماوردي(2): ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ قال علي: ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت، وأحسبه [قال] وما كانت إلا ساعة، وقال ابن حبان: كان ذلك ليالي عشراً. وقال ابن سليمان: ناجاه عليّ بدينار باعه بعشرة دراهم في عشر كلمات كل كلمة بدرهم. وناجاه آخر من الأنصار بآصع وكلمه كلمات، ثم نسخت بما بعدها.

(1) التفسير الكبير. (2) النكت والعيون.

● قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفتح: 27].

قال الخازن(1): ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ رأى في المنام وهو بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يدخل المسجد الحرام هو وأصحابه آمنين ويحلقوا رؤوسهم فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلو مكة عامهم ذلك، فلما انصرفوا ولم يدخلوا، شق عليهم ذلك وقال المنافقون: أين رؤياه التي رآها؟ فأنزل الله هذه الآية ودخلوا في العام المقبل.

قال أبو السعود(2): ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا﴾ رَأَى رسولُ الله ﷺ قبلَ خروجِه إلى الحُديبيةِ كأنَّه وأصحابَهُ قد دخلُوا مكةَ آمنينَ وقد حلقُوا رؤوسَهُم وقصَّروا فقصَّ الرؤيا على أصحابهِ ففرحوا واستبشرُوا وحسبُوا أنَّهم داخلُوها في عامِهم فلمَّا تأخرَ ذلكَ قال عبدُ اللهِ بنُ أُبيَ وعبدُ اللهِ بن نُفيلٍ ورفاعةُ بنُ الحارثِ: والله ما حلقنَا ولا قصَّرنَا ولا رأينا المسجد الحرامَ فنزلتْ، أي صدَقه ﷺ في رُؤياهُ كَما في قولِهم: صَدَقنِي سِنُّ بَكْرِهِ وتحقيقُه أراهُ الرؤيا الصادقةَ. وقوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ إما صفةٌ لمصدرٍ مؤكدٍ محذوفٍ أي صدقاً ملتبساً بالحقِّ أي بالغرضِ الصحيحِ والحكمةِ البالغةِ التي هيَ التمييزُ بين الراسخِ في الإيمانِ والمتزلزلِ فيه، أو حالٌ من الرُّؤيا أي ملتبسةً بالحقِّ ليستْ من قبيلِ أضغاثِ الأحلامِ وقد جُوِّزَ أن يكونَ قسماً بالحقِّ الذي هُو من أسماءِ الله تعالى أو بنقيضِ الباطلِ.

---

(1) لباب التأويل.

(2) إرشاد العقل السليم.

صدى

(صَدَى - مُكاء - نَعِيق - بُكاء - دَمْدَمَة - صُرَاخ)

- **الصَّدَى:** صوت يرجع إليك من كل مكان ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: 35].
- **المُكَاءُ:** صفير أو صوت اصطفاق اليدين ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: 35].
- **النَّعِيقُ:** صوت يطلعه الراعي ليسوق البهائم. وصوت الغراب ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ [البَقَرة: 171].
- **بكى:** سالت دموعه تأثراً من فرح أو حزن ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: 58].
- **الدَّمْدَمَةُ:** صوت الهدة ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشّمس: 14].
- **الصُّرَاخُ:** شدة البكاء بصوت متوجع ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [فَاطِر: 37].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الصاد والدال والحرف المعتل فيه كلمٌ متباعدةُ القياس، لا يكاد يلتقي منها كلمتانِ في أصل. فالصَّدَى: الذَّكَرُ من البُومِ، والجمع أصداء.

(1) معجم مقاييس اللغة.

والصَّدَى: الدِّماغُ نفسُه، ويقال: بل هو الموضع الذي جُعِلَ فيه السَّمْع من الدِّماغ، ولذلك يقال: أَصَمَّ اللهُ صَدَاهُ. ويقال بل هذا صَدَى الصَّوْت، وهو الذي يُجيبُك إذا صِحْتَ بقُرْبِ جَبَل.

والصَّدَى: الرَّجُلُ الحَسَنُ القِيام على ماله، يقال: هو صَدَى مالٍ.

ولا يقال إلَّا بالإضافة. والصَّدَى العَطَش، يقال: رجلٌ صَدٍ وصادٍ، وامرأة صادية.

وتصدَّى فُلانٌ للشَّيء يستشرفُهُ ناظراً إليه. والتَّصدية: التَّصفيق باليدين. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: 35]. فأمَّا الصَّوادي من النَّخْلِ فهي الطِّوال. ويقال: صاديتُ فلاناً، إذا دارَيْتَه. وصاديت [فلاناً مُصاداةً: عاملتُهُ بمثل صَنيعه]. وإذا كان بعد الدَّال همزة تغيَّر المعنى، فيكون من الصَّدَأ صدإ الحديد. يقولون: صاغِرٌ صَدِئٌ من صدأ العار.

قال الجوهري[1]: الصَّدى: ذكر البوم. قال العَدَبَّسْ: الصَّدى هو هذا الطائر الذي يَصِرُّ بالليل ويقفز قَفَزاناً ويطير، والناس يرونه الجندب وإنَّما هو الصَّدَى، فأمَّا الجندب فهو أصغر من الصَّدى.

والصَّدى الذي يُجيبك بمثل صوتك في الجبال وغيرها. يقال: صَمَّ صَداهُ أو أَصَمَّ الله صداهُ، أي أهلكه، لأنَّ الرجلَ إذا مات لم يسمع الصَّدى منه شيئاً فيجيبه. وقد أَصْدَى الجبل. والتَّصْدِيَةُ: التصفيق. وصادَيْتُ فلاناً: داجيتُه وساترتُه وداريته. والمُصادَاةُ أيضاً: المعارضة. وتَصَدَّى له، أي تعرّض وهو الذي يستشرفه ناظراً إليه. ويقال أيضاً: إنّه لصَدى إبلٍ، أي عالمٌ بها وبمصلحتها. والصَّدى العطش، وقد صَدِيَ يَصْدى صَدىً، فهو صَدٍ وصادٍ وصَدْيانُ، وامرأةٌ صَدْيا. والصَّوادي: النخيل الطوال، وقد تكون الصَّوادي التي لا تشرب الماء.

قال الفيروزآبادي[2]: الصَّدَى: الرجلُ اللطيفُ الجَسَدِ، والجَسَدُ من الآدَمِيِّ

(1) الصحاح في اللغة. (2) القاموس المحيط.

بعدَ مَوْتِهِ، وحَشْوُ الرأسِ، والدِماغُ، وطائِرٌ يَصِرُّ بالليلِ، يَقْفِزُ قَفَزاناً، وطائِرٌ يَخْرُجُ من رأسِ المَقْتُولِ إذا بَلِيَ، يَزْعُمُ الجاهِلِيَّةُ، وفِعْلُ المُتَصَدِّي، والعالِمُ بِمَصْلَحَةِ المالِ، والعَطَشُ، صَدِيَ، كَرَضِيَ، صَدًى، فهو صَدٍ وصادٍ وصَدْيانُ، وهي صَدْيا وصادِيَةٌ، وما يَرُدُّه الجبلُ على المُصَوِّتِ فيه، وذَكَرُ البُوم، وسَمَكَةٌ سَوْداءُ طويلةٌ. والصَّوادِي: النَّخِيلُ الطِوالُ. وأصَمَّ اللّهُ صَدَاهُ: أهْلَكَهُ. والتَّصْدِيَةُ: التَّصْفِيقُ، كالصَّدْوِ، أو تَفْعِلَةٌ من الصَّدِّ، لأنهم كانوا يَصُدُّونَ عن الإِسْلامِ. وصادَاهُ: داجاهُ، وداراهُ، وساتَرَهُ، وعارَضَه. وتَصَدَّى له: تَعَرَّضَ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: 35].

قال الألوسي[1]: يروى أنهم كانوا إذا أراد النبي ﷺ أن يصلي يخلطون عليه بالصفير والتصفيق ويرون أنهم يصلون أيضاً. وروي أنهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون. وقال بعض القائلين: إن التصدية بمعنى الصد، والمراد صدهم عن القراءة أو عن الدين أو الصد بمعنى الضجة كما نقل عن ابن يعيش في قوله تعالى: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزّخرُف: 57] والمأثور عن ابن عباس وجمع من السلف ما ذكرناه. نعم روي عن ابن جبير: تفسير التصدية بصد الناس عن المسجد الحرام وفيه بعد، وأبعد من ذلك تفسير عكرمة لها بالطواف على الشمال بل لا يكاد يسلم، والجملة معطوفة إما على ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ [الأنفال: 34] فتكون لتقرير استحقاقهم للعذاب

(1) روح المعاني.

ببيان أنهم صدوا ولم يقوموا مقام من صدوه في تعظيم البيت، أو على ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ﴾ [الأنفال: 34] فتكون تقريراً لعدم استحقاقهم لولايته.

قال أبو السعود[1]: ﴿وَتَصۡدِيَةٗۚ﴾ أي تصفيقاً، تفعِلةً من الصَّدَى أو من الصدّ على إبدال أحدِ حرفي التضعيف بالياء، وقرىء صلاتَهم بالنصب على أنه الخبرُ لكان، ومساقُ الكلام لتقرير استحقاقِهم العذابَ أو عدمِ ولايتِهم للمسجد فإنها لا تليق بمن هذه صلاتُه. رُوي أنهم كانوا يطوفون عراةً الرجالُ والنساء مشبكين بين أصابعِهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل: كانوا يفعلون ذلك إذا أراد النبي ﷺ أن يصلي يخلِطون عليه ويُرَون أنهم يصلون أيضاً.

● **قال تعالى**: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾ [عبس: 5-6].

قال الخازن[2]: ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ أي تتعرض له، وتقبل عليه وتصغى إلى كلامه.

قال ابن عطية[3]: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ أي بماله، و: ﴿تَصَدَّىٰ﴾ معناه: تتعرض بنفسك، أي تصديك حرصك على هؤلاء الكفار أن يسلموا، تقول: تصدى الرجل وصديته، كما تقول: تكسب وكسبته.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) لباب التأويل.
(3) المحرر الوجيز.

صر

(صَرَّ - حَفِيَ)

■ **الإصْرَارُ:** التعقد في الذنب والتشدد فيه، والامتناع من الإقلاع عنه ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ [آل عِمرَان: 135].

■ **الحَفَا:** رِقَّة القَدم والخُفّ والحافر، حَفِيَ حَفاً فهو حافٍ وحَفٍ، والاسم الحِفْوة والحُفْوة والحَفي المبالغ في البر والإلطاف ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: 47].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والراء أصولٌ: الأول قولهم: صَرَّ الدَّرَاهِمَ يصُرُّها صَرًّا. وتلك الخِرقة صُرَّة. والذي تعرفه العربُ الصِّرَار، وهي خِرقةٌ تُشدُّ على أَطْباء النّاقة لئلا يرضَعَها فَصِيلُها. يقال صَرَّها صَرًّا. ومن الباب: الإصرار: العَزْم على الشيء. وإنما جعلْناه من قياسِه لأن العَزْم على الشيء والإجماعَ عليه واحد وكذلك الإصرار: الثَبات على الشيء. ومن الباب: هذه يمين صِرِّي أي جدّ، إنا ثابتٌ عليها مُجمِع. ومن الباب: الصَّرَّة، يقال للجماعة صَرَّةٌ.

ومن الباب: حافرٌ مصرورٌ، أي منقبضٌ. ومنه الصُّرْصُور، وهو القَطيع الضَّخْم من الإبل. وأَمَّا الثاني، وهو من السُّمُو والارتفاع، فقولهم: صَرَّ الحمارُ

(1) معجم مقاييس اللغة.

أُذُنَه، إذا أقامها. وأَصَرَّ إذا لم تذكر الأُذُن، وإن ذكرتَ الأُذُن قلتَ أَصَرَّ بأذنه. وأظنُّه نادراً. والأصل في هذا الصِّرَار، وهي أماكنُ مرتفعةٌ لا يكَادُ الماء يعلوها. فأما صِرَارٌ فهو اسمُ علَمٍ، وهو جَبَلٌ.

وأمَّا الثالث: فالبرد والحَرُّ، وهو الصِّرُّ. يقال: أصاب النَّبتَ صِرٌّ، إذا أصابَه بردٌ يُضرُّ به. والصِّرُّ صِرُّ الرّيح الباردة. وربما جعلوا في هذا الموضع الحَرَّ. قال قوم: الصَّارَّةُ شدة الحرِّ حرِّ الشمس. يقال قطع الحِمار صارَّتَه، إذا شرِب شُرْباً كَسَرَ عطشَه. والصَّارَّة: العَطَش، وجمعها صَوَارُّ. والصَّرِيرة العطش، والجمع صرائر. قال: وذكر أبو عبيدٍ: الصّارّة العطش، والجمع صرائر.

وهو غلط، والوجه ما ذكرنا. وأما الرَّابع، فالصَّوت. من ذلك الصَّرَّة: شِدَّة الصِّياح. صَرَّ الجُنْدَب صريراً، وصَرْصَرَ الأَخْطَبُ صَرصرة. والصَّرَارِيُّ الملَّاح، ويمكن أن يكون لرفعِه صوتَه. ومما شذَّ عن هذه الأصول كلمتان، ولعلَّ لهما قياساً قد خَفِيَ علينا مكانُه فالأولى: الصّارَّة، وهي الحاجةُ.

يقال لي: قِبَلَ فلانٍ صَارَّةٌ، وجمعها صَوَارُّ، أي حاجة. والكلمةُ الأخرى الصَّرورة، وهو الذي لم يحجُجْ، والذي لم يتزوَّج. ويقال الصَّرُورة: الذي يَدَعُ النكاح متبتِّلاً. وجاء في الحديث: «**لا صَرْورة في الإسلام**». قال أبو بكر محمّد ابن الحسن بن دُريد: «الأصل في الصَّرورة أنَّ الرجلَ في الجاهلية كانَ إذا أحدَثَ حدَثاً فلجأ إلى الكعبة لم يُهَجْ، فكان إذا لقِيَه وليُّ الدَّم بالحرَم قيل له: هو صرورة فلا تَهِجْه. فكثُر ذلك في كلامهم حتَّى جعلوا المتعبِّد الذي يجتنِب النِّساء وطِيبَ الطعام صَرورةً، وصروريًّا: أي مُنْقَبِضٍ عن النِّساء والطِّيب. فلما جاء الله تعالى بالإسلام وأوجَبَ إقامةَ الحدود بمكَّة وغيرِها سُمِّي الذي لم يحجَّ صَرورةً وصَرُوريًّا، خلافاً لأمر الجاهلية. كأنَّهم جَعلُوا أنَّ تَرْكَه الحجَّ في الإسلام، كترك المتألِّهِ إتيانَ النِّساء والتّنعّمَ في الجاهليَّة». وهذا الذي ذكرناه في معنى الصَّرورة يحتمل أنَّه من الصِّرار، وهو الخِرقة التي تُشَدُّ على أَطْباء النّاقة لئلا يرضَعَها فصيلها.

قال الجوهري[1]: الصَّرَّةُ: الضَّجَّةُ والصيحةُ. والصَّرَّةُ الجماعةُ. والصَّرَّةُ الشدةُ مِن كرْبٍ وغيره. وصَرَّةُ القيظِ: شِدةُ حره. والصِّرارُ الأماكن المرتفعة لا يعلوها الماء. والصُّرَّةُ للدراهم. وصَرَرْتُ الصُّرَّةَ: شدَدْتها. ابن السكيت: صَرَّ الفرسُ أذنَيه: ضمَّهما إلى رأسه. قال: فإذا لم يوقِعوا قالوا: أَصَرَّ الفرس بالألف. وحافرٌ مَصْرورٌ، أي ضيِّقٌ مقبوضٌ. وصَرَرْتُ الناقة: شدَدْت عليها الصِّرارَ، وهو خيط يُشَدُّ فوق الخِلْفِ والتَوْدِيَةِ لئلا يرضعَها ولدُها. والصِّرُّ بالكسر: بَرْدٌ يضرب النباتَ والحَرْثَ. ويقال: رجلٌ صَرُورَةٌ، للذي لم يحجَّ. وكذلك رجل صارُورَةٌ، وصَرُورِيٌّ. وحكى الفراء عن بعض العرب قال: رأيت قوماً صَراراً بالفتح، واحدهم صَرارَةٌ.

وفي الحديث: «**لا صَرورَةَ في الإسلام**». وامرأةٌ صَرورَةٌ: لم تَحُجَّ. والصَّرارِيُّ الملَّاح، والجمع الصَّرارِيُّونَ. والصارَّةُ الحاجةُ. يقال: لي قِبَلَ فلان صارَّةٌ. وقولهم: صارَّهُ على الشيء، أي أكرهه. والصارَّةُ: العطشُ. يقال: قَصَعَ الحمارُ صَارَّتَهُ، إذا شرِب الماءَ فذهب عطشُه. قال أبو عمرو: وجمعُها صَرائِرُ.

وعيبَ ذلك على أبي عمرٍو وقيل: إنَّما الصَّرَائِرُ جمع صَريرَةٍ، وأما الصارَّةُ فجمعها صَوَارٌّ. وصَرَّارُ الليل: الجُدْجُدُ، وهو أكبر من الجُنْدُبِ، وبعض العرب يسمِّيهِ الصَّدى. وصَرَّ القلمُ والبابُ يَصِرُّ صَريراً، أي صَوَّتَ. ويقال: درهمٌ صَرِّيٌّ، للذي له صوت إذا نُقِدَ. وقولهم في اليمين: هي مني صِرَّى، مثال الشِّعْرى، أي عزيمةٌ وجِدٌّ. وهي مشتقّة من أَصْرَرْتُ على الشيء، أي أقمتُ ودمتُ. وحكى يعقوب: أصِرِّي وأصِرَّى، وصِرِّي وصِرَّى. وقد اختُلِف عنه. واصْطَرَّ الحافرُ، أي ضاق.

المعنى المشترك لكلمة (صرر)

وقد وردت كلمة (ص ر ر) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

---

(1) الصحاح في اللغة.

الوجه الأول: الصر والصرصر بمعنى: شدة البرد ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عِمرَان: 117].

الوجه الثاني: الصر بمعنى: الإصرار على الذنب ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عِمرَان: 135].

الوجه الثالث: صرة يعني: صيحة ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ﴾ [الذّاريَات: 29].

الوجه الرابع: الصر بمعنى: القطع ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البَقَرَة: 260].. أي قطعهن إليك.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ [آل عِمرَان: 135].

قال الخازن[1]: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ يعني ولم يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها وأنابوا واستغفروا قيل الإصرار هو ترك الاستغفار عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة**» أخرجه أبو داود وقال: حديث حسن غريب وعنده عوض ولو عاد ولو فعل.

قال البغوي[2]: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ أي: لم يُقيموا ولم يثبتوا عليه، ولكن تابوا وأنابوا واستغفروا، وأصل الإصرار: الثبات على الشيء، قال الحسن: إتيان العبد ذنباً عمداً إصرارٌ حتى يتوب. وقال السدي: الإصرار: السكوت وترك الاستغفار.

---

(1) لباب التأويل. (2) معالم التنزيل.

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾ [الجاثية: 8].

قال الفخر الرازي[1]: ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾ أي يقيم على كفره إقامة بقوة وشدة ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ عن الإيمان بالآيات معجباً بما عنده، قيل نزلت في النضر بن الحرث وما كان يشتري من أحاديث الأعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان موصوفاً بالصفة المذكورة، فإن قالوا ما معنى ثم في قوله ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾؟، قلنا نظيره قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ إلى قوله ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 1] ومعناه أنه تعالى لما كان خالقاً للسمٰوات والأرض كان من المستبعد جعل هذه الأصنام مساوية له في العبودية كذا هٰهنا سماع آيات الله على قوتها وظهورها من المستبعد أن يقابل بالإنكار والإعراض.

قال القرطبي[2]: ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾ أي يتمادى على كفره متعظماً في نفسه عن الانقياد؛ مأخوذ من صرّ الصُّرة إذا شدّها. قال معناه ابن عباس وغيره. وقيل: أصله من إصرار الحمار على العانة، وهو أن ينحني عليها صارًّا أذنيه.

● **قال تعالى**: ﴿وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: 7].

قال الطبري[3]: ﴿وَأَصَرُّوا۟﴾ يقول: وثبتوا على ما هم عليه من الكفر وأقاموا عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَصَرُّوا۟﴾ قال: الإصرار إقامتهم على الشرّ والكفر.

وقوله: ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾ يقول: وتكبروا فتعاظموا عن الإذعان للحقّ، وقبول ما دعوتهم إليه من النصيحة.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) جامع البيان.

قال أبو السعود[1]: ﴿وَأَصَرُّواْ﴾ أي أكبُّوا على الكفرِ والمعاصِي مستعارٌ منْ أصرَّ الحمارُ على العانةِ إذَا أصرَّ أذنيهِ وأقبلَ عليهَا ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ عن اتِّباعي وطاعتي ﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾ شديداً.

● قال تعالى: ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: 46].

قال الألوسي[2]: ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ﴾ يتشددون ويمتنعون من الإقلاع ويداومون ﴿عَلَى ٱلْحِنثِ﴾ أي الذنب ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ وفسر بعضهم الحنث بالذنب العظيم لا بمطلق الذنب وأيد بأنه في الأصل العدل العظيم فوصفه بالعظيم للمبالغة في وصفه بالعظم كما وصف الطود وهو الجبل العظيم به أيضاً.

قال ابن عاشور[3]: ﴿يُصِرُّونَ﴾: يثبتون عليه لا يقبلون زحزحة عنه، أي لا يضعون للدعوة إلى النظر في بطلان عقيدة الشرك.

● قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [فُصّلَت: 16].

قال الشوكاني[4]: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ الصرصر: الريح الشديدة الصوت من الصرّة، وهي: الصيحة. قال أبو عبيدة: معنى صرصر: شديدة عاصفة. وقال الفراء: هي: الباردة تحرق كما تحرق النار. وقال عكرمة، وسعيد ابن جبير، وقتادة: هي: الباردة.

قال الماوردي[5]: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه الشديدة البرد.

الثاني: الشديدة السموم.

الثالث: الشديدة الصوت مأخوذ من الصرير، وقيل إنها الدبور.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) روح المعاني.
(3) التحرير والتنوير.
(4) فتح القدير.
(5) النكت والعيون.

● **قال تعالى:** ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾ [الذاريات: 29].

قال القرطبي[1]: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾ أي في صيحة وضجة؛ عن ابن عباس وغيره.

قال الفخر الرازي[2]: ﴿فِى صَرَّةٍ﴾ أي صيحة، كما جرت عادة النساء حيث يسمعن شيئاً من أحوالهن يصحن صيحة معتادة لهن عند الاستحياء أو التعجب، ويحتمل أن يقال تلك الصيحة كانت بقولها يا ويلتا.

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) التفسير الكبير.

صرح

(صَرْح - بَيْت - قَصْر - بُرْج - دَار - حِصْن)

■ **الصَّرْحُ:** البيت العالي، القصر ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ [النمل: 44].

■ **البَيْتُ:** مأوى الإنسان، البيت في الليل فيقال: بات. ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ [النَّمل: 52].

■ **البُرْجُ:** البناء الصخري العالي لحراسته بيوت الملوك ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النِّساء: 78].

■ **القَصْرُ:** المسكن المشيد بأسباب البقاء للأولاد، وهو بيت الملك للبقاء. ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحَجّ: 45].

■ **الدَّارُ:** البيت الذي تطول فيه مدة سكن صاحبه به أجيالاً فيعرف بأهله ﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: 145].

■ **الحِصْنُ:** غرف على امتداد السور للمراقبة ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم﴾ [الحَشر: 2].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والراء والحاء أصلٌ منقاسٌ، يدلُّ على ظهور الشَّيء

(1) معجم مقاييس اللغة.

وبُروزه. من ذلك الشَّيء الصريح. والصَّريح: المحض الحسَب، وجمعه صُرَحاء. قال الخليل: ويجمع الخيلُ على الصرائح. وقال: وكلُّ خالصٍ صريح. يقال: هو بَيِّنُ الصَّراحة والصُّروحة. وصرَّحَ بما في نفسه: أَظهَرَه. ويقال: كأس صراحٌ، إذا لم تُشَبْ بِمزاج. وصرَّحت الخمرُ، إذا ذهب عنها الزَّبد.

ويقال: جاء به صُرَاحاً، أي جِهاراً. ولقيت فلاناً مُصارَحة وصِراحاً، أي كِفاحا. ويقال: صرَّح الحقُّ عن مَحْضِه، أي انكشف الأمرُ بعد غُيوبهِ. والصَّرْحة المكان، ويقال بل هو المَتْن من الأرض. ويقال: يومُ مُصرِّح، إذا كان لا سحابَ فيه، وهو في شعر الطِّرِمَّاح. والصَّرح بيتٌ واحدٌ يُبنى منفرداً ضخماً طويلاً في السَّماء. وكلُّ بناءٍ عالٍ فهو صرْح.

قال الخليل(1): الصَّرْح: بَيْت منُفَرِد يُبنَى ضَخْماً طويلاً في السماء، ويُجمَع الصُّرُوح، يُريدُ بالنَّعام: خَشَبات قائماتٍ على أرجاء الآباد. والصَّريحُ: اللَّبَن المَحْضُ الخالصُ. ومن كل شيء. ومن البَول: إذا لم يكنْ عليه رَغوة.

والصَّريح من الخَيل والرجال: المَحْض الحَسَب وجمعه: صُرَحاء، وجمع الخيل: الصَّرائح. وصَريح النُّصْح: مَحْضُه، فالصَّرْحةُ: موضع، ويقال: مَتْنٌ من الأرض مُسْتَوٍ.

وصرَّح ما في نفسه تصريحاً: أي أبداه. وخَمرٌ وكأسٌ صُراحِيَةٌ وصُراحُ: أي لم تُشَبْ بمزاج، وصَرَّحَتِ الخمر تصريحاً: ذهب عنها الزَّبَد، ويقال: جاء بالكُفر صُراحاً: أي جَهاراً.

قال الفيروزآبادي(2): الصَّرْحُ: القَصْرُ، وكُلُّ بناءٍ عالٍ، وقَصْرٌ لبُخْت نَصَّرَ قُرْبَ بابِلَ، وبالتحريك: الخالِصُ من كُلِّ شيءٍ، كالصَّريح والصُّراح، بالفتح والضم، والاسمُ: الصَّراحَةُ والصُّروحَةُ. وصَرُحَ نَسَبُه، ككَرُمَ: خَلُصَ، وهو صَريحٌ من صُرحاءَ وصَرائِحَ. وشَتَمَهُ مُصارَحَةً وصُراحاً، بالضم والكسر، أي:

(1) العين.
(2) القاموس المحيط.

مُواجَهَةً، والاسمُ: كغُرابٍ. وكأسٌ صُراحٌ: لم تُشَبْ بِمِزاجٍ. والتَّصْريحُ: خِلافُ التَّعْريضِ، وتَبْيينُ الأَمْرِ، كالصَّرْحِ والإِصْراحِ، وانْكِشافُ الأَمْرِ، لازِمٌ مُتَعَدٍّ، وصرح في الخَمْرِ: ذَهابُ زَبَدِها.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ [النمل: 44].

قال الألوسي[1]: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾ استئناف بياني كأنه قيل فماذا قيل لها بعد الامتحان المذكور؟ فقيل: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي﴾ الخ ولم يعطف على قوله تعالى: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ [النَّمل: 42] لئلا يفوت هذا المعنى. وجيء بلها هنا دون ما مر لمكان أمرها، و﴿ٱلصَّرْحَ﴾ القصر وكل بناء عال ومنه ﴿ٱبْنِ لِي صَرْحًا﴾ [غافر: 36] وهو من التصريح وهو الإعلان البالغ. وقال مجاهد ﴿ٱلصَّرْحَ﴾ هنا البركة. وقال ابن عيسى الصحن وصرحة الدار ساحتها.

قال الشعراوي[2]: الصَّرْح: إما أن يكون القصر المشيد الفخم، وإما أن يكون البهو الكبير الذي يجلس فيه الملوك مثل: إيوان كسرى مثلاً، فلما دخلتْ ﴿حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ ظنَّته ماءً، والإنسان إذا رأى أمامه ماءً أو بَلَلاً يرفع ثيابه بعملية آلية قَسْرية حتى لا يصيبه البَلَل؛ لذلك كشفتْ بلقيس عن ساقيها يعني: رفعتْ ذَيْل ثوبها.

وهنا نَبهها سليمان ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ يعني: ادخلي لا تخافي بللاً، فهذا ليس لُجةَ ماء، إنما صَرْح ممرد من قوارير يعني: مبنيٌّ من الزجاج والبللور أو الكريستال، بحيث يتموج الماء من تحته بما فيه من أسماك.

---

(1) روح المعاني.

(2) تفسير الشعراوي.

صرخ

(صَرَخَ - بَكَى - دَمْدَمَ - أَزَّ - غَلَى - عَصَفَ - قَرَعَ - قَصَفَ - رَعَدَ)

■ **الصُّرَاخُ:** ارتفاع الصوت بالبكاء ألماً ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فاطر: 37].

■ **البُكَاءُ:** سالت دموعه تأثراً من فرح أو حزن ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: 58].

■ **الدَّمْدَمَةُ:** صوت الهدّة كوقوع قنبلة عظيمة ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشّمس: 14].

■ **الأَزِيزُ:** صوت غليان القدر ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: 83].

■ **الغَلَيَانُ:** صوت القدر إذا طفحت بعد الأزيز ﴿ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: 45-46].

■ **العَصْفُ:** صوت الريح الشديدة حين تحرك العاصفة ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: 22].

■ **القَصْفُ:** صوت الريح حين تقصف الشجر ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ [الإسراء: 69].

■ **القَرْعُ:** صوت ضرب الحديد مع الحديد ومنه قرع طبول الحرب ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ [الحاقّة: 4].

■ **الرَّعْدُ:** صوت السحاب ليمطر بغزارة ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الرّعد: 13].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والراء والخاء أُصَيلٌ يدلُّ على صوتٍ رفيع. من ذلك الصُّراخ، يقال: صَرَخ يَصرُخ، وهو إذا صوّت. ويقال الصَّارخ: المستغيث، والصارخ: المغيث، ويقال بل المُغيث مُصرِخ؛ لقوله تعالى في قصة من قال: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: 22].

قال الجوهري[2]: الصُّراخُ: الصوت. تقول: صَرَخَ صَرْخَةً واصْطَرَخَ، بمعنىً. والتَّصَرُّخُ تكلُّف الصُّرَاخ. يقال: التَّصَرُّخُ به حُمقٌ، أي بالعُطاس. والمُصْرِخُ المُغِيثُ. والمُسْتَصْرِخُ المُسْتغيث. تقول منه: اسْتَصْرَخَني فأَصْرَخْته. والصَّريخُ صوت المستصرِخ. والصَّريخُ أيضاً الصارِخ، وهو المُغيثُ، والمُسْتَغيثُ أيضاً، وهو من الأضداد.

قال الزمخشري[3]: تقول: له عولة كعولة الثكلى وصرخة كصرخة الحبلى.

وصرخ يصرخ صراخاً وصريخاً وهو صارخ وصريخ وقد نقع الصريخ.

قال: قوم إذا نقع الصريخ رأيتهم من بين ملجم مهره أو سافع.

والصراخ: صوت المستغيث وصوت المغيث إذا صرخ بقومه للإغاثة. قال سلامة: إذا ما أتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنابيب، أي كان الغياث له.

وتقول: جاء فلان صارخاً وصريخاً ومستصرخاً: مستغيثاً. وأقبل صارخاً وصارخةً وصريخاً ومصرخاً: مغيثاً. قال: وكانوا مهلكي الأبناء لولا تداركهم بصارخة شفيق وفي المثل «عبد صريخه أمة» أي مغيثه. وأصرخته: أغثته. واستصرخني: استغاثني. وتصارخوا واصطرخوا: تصايحوا.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) أساس البلاغة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: 22].

قال الشعراوي(1): ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾.

هذا هو قَوْل الشيطان الذي سبق وأنْ تعالى على آدم لحظة أنْ طلب منه الحق سبحانه أن يسجدَ له مع الملائكة؛ ولكن الموقف هنا هو التساوي بين الذين أغواهم وبينه؛ فهو يعلن أنه لن ينفعهم وهم لن ينفعونه.

قال القرطبي(2): ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ﴾ أي بمغيثكم. ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾ أي بمغيثيّ. والصّارخ والمستصرخ هو الذي يطلب النُّصرة والمعاونة، والمُصْرِخ هو المغِيث.

● **قال تعالى:** ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فَاطِر: 37].

قال الفخر الرازي(3): ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا﴾ أي لا يخفف وإن اصطرخوا واضطربوا لا يخفف الله من عنده إنعاماً إلى أن يطلبوه بل يطلبون ولا يجدون والاصطراخ من الصراخ والصراخ صوت المعذب.

قال البغوي(4): ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ﴾، يستغيثون ويصيحون، ﴿فِيهَا﴾ وهم يفتعلون من الصراخ وهو الصياح يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا﴾، منها من النار.

---

(1) تفسير الشعراوي.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) التفسير الكبير.
(4) معالم التنزيل.

صرف

(صَرف - دَرأ - دَفع - كَفّ)

■ **الصَّرْفُ:** ردُّ الشيء من حالة إلى حالة أو إبداله بغيره ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ [يوسف: 34].

■ **الدَّرْءُ:** إبعاد أحد الخيارين وبسرعة ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: 22].

■ **الدَّفْعُ:** حماية المدفوع عنه بقوة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحجّ: 38].

■ **الكَفُّ:** الدفع للتوقف ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [الفتح: 24].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والراء والفاء معظم بابِهِ يدلُّ على رَجْع الشيء. من ذلك: صَرفْتُ القومَ صَرْفاً وانصرفوا، إذا رَجَعْتَهم فرَجَعوا. والصَّرِيف: اللّبَن ساعةَ يُحلَب ويُنصرَف به. والصَّرْف في القُرْآنِ: التَّوبة؛ لأنَّه يُرجَع به عن رتبة المذنبين. والصَّرْفة نجم. قال أهلُ اللّغة: سمِّيت صرفةً لانصراف البرد عند طلوعها. والصَّرْفة خَرَزة يؤخَذ بها الرِّجال، وسمِّيت بذلك كأنَّهم يصرفون بها القلبَ عن الذي يريده منها. قال الخليل: الصَّرْف فَضْل الدِّرهم على الدِّرهم في القِيمة. ومعنى الصَّرف عندنا أنَّه شيءٌ صُرِف إلى شيء، كأنَّ الدِّينارَ صُرِف إلى

(1) معجم مقاييس اللغة.

الدراهم، أي رُجِع إليها، إذا أخذتَ بدلَه. قال الخليل: ومنه اشتُقَّ اسمُ الصَّيرفيّ، لتصريفه أحدَهما إلى الآخَر. قال: وتصريف الدَّراهِم في البِياعات كلِّها: إنفاقُها. قال أبو عُبيدٍ: صَرْف الكلام: تزيينهُ والزِّيادةُ فيه، وإنَّما سُمِّيَ بذلك لأنَّه إذا زيّن صرف الأسماعَ إلى استماعه. ويقال لِحَدَث الدَّهْر: صَرْفٌ، والجمع صُروف، وسمِّي بذلك لأنه يتصرَّف بالناس، أي يقلِّبهم ويردِّدهم. فأمّا حِرْمَةَ الشَّاءِ والبقَر والكلاب، فيقال لها الصِّرَاف، وهو عندنا من قياس الباب، لأنَّها تَصَرَّف أي تَرَدّدَ وتُراجِع فيه. ومن الباب الصَّريف، وهو صوت نابِ البعيرِ. وسمِّي بذلك لأنَّه يردِّده ويرَجِّعه.

وممّا أحسِبه شاذًّا عن هذا الأصل: الصَّرَفَانُ، وهو الرَّصاص. والصَّرَفَانُ في قوله: مختلفٌ فيه، فقال قوم هو الرَّصاص. وقال آخَرون: الصَّرفانُ: جنْس من التَّمر. وأنشدوا: قالوا: ولم يكن يُهدَى للزّبّاء شيءٌ من الطُّرف كان أحبَّ إليها من التَّمر.

ومما شذَّ أيضاً الصِّرْف: شيء من الصِّبْغ يُصبَغ به الأديم.

قال الخليل(1): الصَّرْفُ: فَضْلُ الدِّرْهَم في القيمة، وجَوْدةُ الفِضَّة، وبَيْعُ الذَّهَبِ بالفِضَّةِ، ومنه الصَّيْرَفِيُّ لتَصريفهِ أحدَهُما بالآخَر. والتَّصريف: اشتِقاق بعضٍ من بعضٍ. وصَيْرفِيّات الأمُور: مُتَصرفاتُها أي تَتَقَلَّبُ بالناسِ. وتصريف الرِّياحِ: تَصَرُّفُها من وَجْهٍ إلى وَجهٍ، وحالٍ إلى حال، وكذلك تصريف الخُيُول والسُّيُول والأمُور. وصَرْف الدّهْرِ: حَدَثُه. وصَرْف الكلمة: إجراؤها بالتنوين. وقال الحسن: الصَّرْفُ: التَّطَوُّع، والعَدْل: الفريضةُ. والصَّرْفُ: أن تَصِرفَ إنساناً على وَجْهٍ يُريده إلى مَصْرفٍ غير ذلك. والصَّرْفةُ: كوكَبٌ واحد خَلْفَ خَراتَيِ الأَسَدِ، اذا طَلَعَ أمامَ الفَجْر فذاك أوّلُ الخريف، واذا غابَ مع طلوع الفَجْر فذاك أوّلُ الربيع، وهو من مَنازِلِ القَمَر. والعَرَب تقول: الصَّرْفةُ: نابُ الدَّهرُ، لأنّها تفترُّ عن البَرْد أو عن الحَرِّ في الحالتين.

---

(1) العين.

والصِّراف: حِرمةُ الشَاءِ والبَقَر والكِلاب أي استحِرامُها، وصَرَفَتِ الكلبةُ تصرِفُ صرافاً فهي صارف. والصَّريفُ: صوتُ نابِ البعير حين يَصرِفُ اذا حَرَقَ أحدَهُما بالآخَر. والصَّريفُ: صوتُ البَكْرةِ. والصَّريفُ: اللَّبَنُ الحليبُ ساعةَ يُحْلَب. والصَّريفُ: الخَمْرُ الطيِّبةُ، قال بعضهم: جعلها صَريفيّة لأنّها أُخِذَتْ من الدَنِّ ساعتئذٍ كالبن الصَّريفِ. وشَرابٌ صِرْفٌ: غيرُ مَمزوجٍ. والصِّرْفُ: كُلُّ شيءٍ لم يُخْلَطُ بشيءٍ. والصِّرَفانُ: من أجوَد التَّمْرِ، وضَرْب منه من أَرْزَنه. ويقال: الصَّرَفان المَوْتُ، قال: أَجَندلاً يَحْمِلْنَ أم حَديداً أم صَرَفاناً بارداً شديداً والصِّرْفُ: الأَديمُ الشديدُ الحُمرة.

المعنى المشترك لكلمة (صرف)

وقد وردت كلمة (صرف) في القرآن الكريم على ثمانية أوجه:

الوجه الأول: صرف بمعنى: وجّه ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: 29].

الوجه الثاني: صرف يعني: بين ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الإسرَاء: 89].

الوجه الثالث: صرفنا بمعنى: قسمنا ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ [الفُرقان: 50].

الوجه الرابع: صرف أي: أمال ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التّوبَة: 127].

الوجه الخامس: صرف يعني: هزم ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عمران: 152].

الوجه السادس: التصريف بمعنى: البلوى والتقليب ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البَقَرَة: 164].

الوجه السابع: الصرف بمعنى: الدفع ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ [الفُرقان: 65].

الوجه الثامن: صرف أي: عدل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ [غافر: 69].

❋ ❋ ❋

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: 152].

قال القرطبي(1): ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ أي بعد أن استوليتم عليهم ردّكم عنهم بالانهزام. ودَلّ هذا على أن المعصية مخلوقة لله تعالى. وقالت المعتزلة: المعنى ثم انصرفتم؛ فإضافته إلى الله تعالى بإخراجه الرّعب من قلوب الكافرين من المسلمين ابتلاءً لهم. قال القشيري: وهذا لا يغنيهم؛ لأن إخراج الرّعب من قلوب الكافرين حتى يستخفّوا بالمسلمين قبيحٌ ولا يجوز عندهم، أن يقع من الله قبيحٌ، فلا يبقى لقوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ معنًى. وقيل: معنى ﴿صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ أي لم يكلفكم طلبهم.

قال الزمخشري(2): ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الإيمان عندها.

● **قال تعالى:** ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ [التوبة: 127].

قال الشوكاني(3): ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ أي: عن ذلك المجلس إلى منازلهم، أو عن ما يتقضي الهداية والإيمان إلى ما يقتضى الكفر والنفاق، ثم دعا الله سبحانه عليهم، فقال: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ أي: صرفها عن الخير وما فيه الرشد لهم والهداية، وهو سبحانه مصرّف القلوب ومقلبها.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) الكشاف.
(3) فتح القدير.

وقيل المعنى: أنه خذلهم عن قبول الهداية. وقيل: هو دعاء لا يراد به وقوع مضمونه، كقولهم: قاتله الله. ثم ذكر سبحانه السبب الذي لأجله انصرفوا عن مواطن الهداية، أو السبب الذي لأجله استحقوا الدعاء عليهم بقوله: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ فقال: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ ما يسمعونه لعدم تدبرهم وإنصافهم.

قال البغوي(1): ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾، عن الإيمان بها. وقيل: انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها، ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾، عن الإيمان. قال أبو إسحاق الزجاج: أضلّهم اللهُ مجازاةً على فعلهم ذلك، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾، عن الله دينه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا تقولوا إذا صليتم: انصرفنا من الصلاة فإنّ قوماً انصرفُوا فصرفَ اللهُ قلوبَهم، ولكنْ قُولُوا قد قضينا الصلاة».

● **قال تعالى**: ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هُود: 8].

قال ابن عاشور(2): هذه الجملة واقعة موقع الجواب عن كلامهم إذ يقولون ما يحبس عنا العذاب، فلذلك فصلت كما تفصل المحاورة. وهذا تهديد وتخويف بأنّه لا يصرف عنهم ولكنه مؤخر. وافتُتح الكلام بحرف التّنبيه للاهتمام بالخبر لتحقيقه وإدخال الروع في ضمائرهم. وتقديم الظرف للإيماء بأنّ إتيان العذاب لا شك فيه حتى أنه يوقّت بوقت. والصرف: الدفع والإقصاء.

قال الشعراوي(3): ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾.

وهذا تأكيد أن العذاب سيأتي، ولكن العباد دائماً يعجلون.

والله سبحانه لا يعجل بعجلة العباد؛ حتى تبلغ الأمور ما أراد، وكل أمر له وقت وله ميلاد، وسيأتيهم ما كانوا يستعجلون؛ لأن الحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

وقد جاء تأكيد وصول العذاب إليهم بأشياء: أولها: «ألا» وهي أداة تنبيه،

(1) معالم التنزيل.
(2) التحرير والتنوير.
(3) تفسير الشعراوي.

وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾، وهذا خبر بأن العذاب آت لا محالة؛ لأن الذي يخبر به هو الله سبحانه وتعالى.

وأيضاً فهذا العذاب: ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾. أي: أنه عذاب مستمر.

● **قال تعالى**: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ [الفرقان: 19].

قال ابن عجيبة(1): ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾؛ فما يملكون ﴿صَرْفًا﴾؛ دفعاً للعذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ أي: فرداً من أفراد النصر. والمعنى: فما تستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو ينصروكم. وعن حفص بالتاء، أي: فما تستطيعون أنتم أيها الكفرة صرفاً للعذاب عنكم، ولا نصر أنفسكم.

قال أبو السعود(2): ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ أي ما تملكون ﴿صَرْفًا﴾ أي دفعاً للعذاب عنكم بوجهٍ من الوجوه كما يُعرب عنه التَّنكيرُ أي لا بالذَّاتِ ولا بالواسطة وقيل: حيلةً من قولهم إنَّه ليتصرف في أموره أي يحتالُ فيها وقيل: توبة ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ أي فرداً من أفراد النَّصر لا من جهةِ أنفسِكم ولا من جهةِ غيرِكم. والفاءُ لترتيبِ عدمِ الاستطاعةِ على ما قبلها من التَّكذيبِ لكن لا على أنَّه لولاه لوُجدتْ الاستطاعةُ حقيقةً بل في زعمِهم حيثُ كانُوا يزعمون أنَّهم يدفعون عنهم العذابَ وينصرونهم، وفيه ضربُ تهكُّم بهم. وقُرِىء يستطيعون على صيغة الغَيبةِ أي ما يستطيعُ آلهتُكم أنْ يصرفوا عنكمُ العذابَ أو يحتالُوا لكم ولا أنْ ينصروكم، وترتب ما بعد الفاء على ما قبلَها كما مرَّ بيانُه.

● **قال تعالى**: ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأحقاف: 27].

قال الخازن(3): ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ﴾ يعني وبينا لهم الحجج والدلائل الدالة على التوحيد ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يعني عن كفرهم فلم يرجعوا فأهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم في الكفر.

---

(1) البحر المديد.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) لباب التأويل.

قال ابن الجوزي[1]: ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ﴾ أي: بيّنّاها ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ يعني أهل القُرى ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم. وهاهنا محذوف، تقديره: فما رَجَعوا عن كفرهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الأحقاف: 29].

قال الألوسي[2]: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ أي أملناهم إليك ووجهناهم لك. والنفر على المشهور ما بين الثلاثة والعشرة من الرجال لأنه من النفير والرجال هم الذين إذا حزبهم أمر نفروا لكفايته، والحق أن هذا باعتبار الأغلب فإنه يطلق على ما فوق العشرة في الفصيح، وقد ذكر ذلك جمع من أهل اللغة، وفي «المجمل» الرهط والنفر يستعمل إلى الأربعين، وفي كلام الشعبي حدثني بضعة عشر نفراً، وسيأتي إن شاء الله تعالى تفسيره هنا بما زاد على العشرة ولا يختص بالرجال، والأخذ من النفير لا يدل على الاختصاص بهم بل ولا بالناس لإطلاقه على الجن هنا.

قال ابن عاشور[3]: هذا تأييد للنبي ﷺ بأن سخر الله الجن للإيمان به وبالقرآن فكان رسول الله ﷺ مصدّقاً عند الثقلين ومعظّماً في العالَمَيْن وذلك ما لم يحصل لرسول قبله.

والمقصود من نزول القرآن بخبر الجن توبيخ المشركين بأن الجن وهم من عالم آخر عَلِموا القرآن وأيقنوا بأنه من عند الله والمشركون وهم من عالم الإنس ومن جنس الرسول ﷺ المبعوث بالقرآن وممن يتكلم بلغة القرآن لم يزالوا في ريب منه وتكذيب وإصرار، فهذا موعظة للمشركين بطريق المضادة لأحوالهم بعد أن جرت موعظتهم بحال مماثليهم في الكفر من جنسهم.

فالمعنى: صرفناهم إليك ليستمعوا القرآن.

---

(1) زاد المسير.
(2) روح المعاني.
(3) التحرير والتنوير.

● **قال تعالى**: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ [طه: 113].

قال القرطبي[1]: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ أي بيّنا ما فيه من التخويف والتهديد والثواب والعقاب.

قال الفخر الرازي[2]: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ أي كررناه وفصلناه ويدخل تحت الوعيد بيان الفرائض والمحارم لأن الوعيد فعل يتعلق فتكريره يقتضي بيان الأحكام فلذلك قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزُّمَر: 28].

(1) الجامع لأحكام القرآن.

(2) التفسير الكبير.

صرم
(صَرَمَ - بَتَرَ - بَتَكَ - بَتَلَ - حَسَمَ - فَصَلَ - فَصَمَ - قَطَعَ)

■ **الصَّرْمُ:** القطع الذي لا رجعة فيه ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القَلَم: 17].

■ **البَتْرُ:** قطع الذنب والعقب ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: 3].

■ **البَتْكُ:** قطع الأعضاء ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [النِّساء: 119].

■ **البَتْلُ:** قطع الاختلاط بالآخرين لحساب أمر مهم آخر ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المُزمّل: 8].

■ **الحَسْمُ:** إزالة أثر الشيء بعد قطعه ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ﴾ [الحَاقَّة: 7].. وذلك بإزالة أثر الحياة عنهم تماماً بعد قتلهم وكأنهم أشياء يابسة.

■ **الفَصْلُ:** قطع صلة أحد الشيئين بالآخر حتى صار بينهما فجوة ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: 94].

■ **الفَصْمُ:** قطع الجزء الذي يمسك منه الشيء ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البَقَرَة: 256].

■ **القَطْعُ:** إزالة بعض الشيء عن بعضه ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 72].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الخليل[1]: الصَّرْمُ دَخيلٌ. والصَّرْمُ: قَطعٌ بائِنٌ لِحَبْل وعِذْقٍ ونحوه. والصِّرامُ: وقت صِرام النّخْل، وصَرَمَ العِذْقُ عن النَّخْلة، وأصْرَمَ النَّخْلُ إذا حان وقتُ اصِطِرامِه. والصَّريمة: إحكامُكَ أمراً والعَزْمُ عليه. وقوله تعالى: ﴿فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: 20] أي كاللَّيلِ. والصَّريمةُ: الرأيُ النافِذُ. والصريمة: الرَّمْلُ المُتَصَرِّمُ من مُعظَم الرَّملِ، قال: به لا بِظَبْيٍ بالصريمةِ أَعْفَرا والصِّرْمَةُ: قطيعٌ من الإبلِ نحوُ ثلاثين. والصِّرْمُ: طائفة من القومِ ينزِلون بإبلِهم في ناحيةِ الماء فهم أهل صَرْمٍ، والجمع على أصرام، ثم يُجمَع على أصارم. وصَرمَ الرجلُ صَرامةً فهو صارمٌ: ماضٍ في أمره. وناقةٌ مُصَرَّمةٌ، وذلك أن يُصَرَّم طُبْيُها فيَقْرَحُ عمداً حتى يفسُدَ الإحليلُ فلا يخرُجُ منه لَبَنٌ، فيَيْبَسُ وذلك أقْوَى لها. والصِّرْمةُ: قِطعةٌ من السَّحاب، قال النابغة: تُزجى مع الليل، من صُرّادِها، صِرَماً وتَصَرَّمَتِ الأيّام والسَّنَةُ والأمر أي انقَضى. وانصَرَمَ الأمرُ والشيءُ اذا انقطع فذَهَبَ. وأَصْرَمَ الرجلُ: ساءَتْ حالُه وفيه تماسُكٌ بَعْدُ، والاسْمُ الإصرامُ. وصَرامِ: الحَرْبُ، قال الكُمَيت: على حين دَرَّةٍ من صَرامِ وسَيْفٌ صارمٌ أي قاطِعٌ ذو صَرامةٍ.

قال الفيروزآبادي[2]: صَرَمَهُ يَصْرِمُهُ صَرْماً، ويُضَمُّ: قَطَعَهُ بائناً،وصرم فُلاناً: قَطَعَ كَلامَهُ،وصرم النَّخْلَ والشَّجَرَ: جَزَّهُ،كاصْطَرَمَهُ،وصرم عِنْدَنا شَهْراً: مَكَثَ،وصرم الحَبْلُ: انْقَطَعَ،كانصَرَمَ. وأصْرَمَ النَّخْلُ: حانَ لهُ أن يُصْرَمَ. وصَرامُه، ويُكْسَرُ: أوَانُ إدْراكِهِ.

---

(1) العين. (2) القاموس المحيط.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم: 17].

قال الألوسي(1): ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ ليقطع من ثمارها بعد استوائها ﴿مُصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصباح، وهذا حكاية لقسمهم لا على منطوقهم وإلا لقيل لنصرمنها بنون المتكلمين وكلا الأمرين جائز في مثله.

قال ابن عاشور(2): والصرم: قطع الثمرة وجذاذها. ومعنى ﴿مُصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصباح أي في أوَائل الفجر.

قال أبو السعود(3): ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ ليقطَعُنَّها داخلينَ في الصباحِ.

● **قال تعالى:** ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [القلم: 20-22].

قال القرطبي(4): قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ أي كالليل المظلم؛ عن ابن عباس والفرّاء وغيرهما.

وعن ابن عباس أيضاً: كالرَّماد الأسود. قال: الصريم الرماد الأسود بلغة خُزَيمة. الثورِيّ: كالزرع المحصود. فالصريم بمعنى المصروم أي المقطوع ما فيه. وقال الحسن: صُرِم عنها الخير أي قطع؛ فالصريم مفعول أيضاً. وقال المؤرّج: أي كالرملة انصرمت من معظم الرمل. يقال: صريمة وصرائم؛ فالرّملة لا تنبت شيئاً يُنتفع به. وقال الأخفش: أي كالصبح انصرم من الليل. وقال المبرد: أي كالنهار؛ فلا شيء فيها. قال شَمِر: الصَّريم الليل والصَّريم النهار؛ أي ينصرم هذا عن ذاك وذاك عن هذا. وقيل: سُمَي الليل صريماً لأنه يقطع

(1) روح المعاني.
(2) التحرير والتنوير.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

بظلمته عن التصرف؛ ولهذا يكون فعيل بمعنى فاعل. قال القُشَيْرِيّ: وفي هذا نظر؛ لأن النهار يسمَّى صِريماً ولا يقطع عن تصرّف.

قال الزمخشري[1]: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ كالمصرومة لهلاك ثمرها. وقيل: الصريم الليل، أي: احترقت فاسودت. وقيل: النهار أي: يبست وذهبت خضرتها. أو لم يبق شيء فيها، من قولهم: بيض الإناء، إذا فرغه. وقيل الصريم الرمال ﴿صَٰرِمِينَ﴾ حاصدين. فإن قلت: هلا قيل: اغدوا إلى حرثكم؛ وما معنى (على)؟ قلت: لما كان الغدوّ إليه ليصرموه ويقطعوه: كان غدوّاً عليه، كما تقول: غدا عليهم العدوّ.

(1) الكشاف.

صرط

(صِرَاط - إمَام - طَرِيق)

■ **الصِّرَاطُ:** الطريق المستقيم ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾ [الأنعام: 153].

■ **الإمَامُ:** الطريق المتصل تتفرع عنه طرق كثيرة ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [الحِجر: 79].

■ **الطَّرِيقُ:** النهج والسبيل ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأحقاف: 30].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[(1)]: الصاد والراء والطاء وهو من باب الإبدال، وقد ذكر في السين، وهو الطَّرِيق فالذي جاء منه على القياس، الذي تقدَّم ذكره.

قال الأزهري[(2)]: قرأ ابن كثير ونافع وأَبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي: اهْدِنا الصِّراطَ المستقيم، بالصاد، وقرأ يعقوب بالسين، قال: وأَصل صاده سين قلبت مع الطاء صاداً لقُرب مخارجها. قال الجوهري: الصراطُ والسراطُ والزّراطُ الطريق.

المعنى المشترك لكلمة (صرط)

وقد وردت كلمة (الصراط) في القرآن الكريم على وجهين:

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) تهذيب اللغة.

الوجه الأول: الصراط بمعنى: الطريق ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: 86].

الوجه الثاني: الصراط بمعنى: الدين ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: 153].

قال أبو السعود[1]: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى﴾ إشارةٌ إلى ما ذكر في الآيتين من الأمر والنهي، قاله مقاتل وقيل: إلى ما ذكر في السورة فإنها بأسرها في إثبات التوحيدِ والنبوة وبيانِ الشريعة، وقرىء صراطيَ بفتح الياء، ومعنى إضافتِه إلى ضميره عليه الصلاة والسلام انتسابُه إليه عليه الصلاة والسلام من حيث السلوكُ لا من حيث الوضعُ كما في صراط الله، والمرادُ بيانُ أن ما فُصِّل من الأوامر والنواهي غيرُ مختصةٍ بالمتلو عليهم بل متعلقةٌ به عليه الصلاة والسلام أيضاً وأنه ﷺ مستمرٌّ على العمل بها ومراعاتِها وقوله تعالى: ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ حالٌ مؤكدةٌ، ومحل أن مع ما في حيزها الجرُّ بحذف لام العلة أي ولأن هذا صراطي أي مسلكي مستقيماً.

قال الألوسي[2]: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى﴾ إشارة إلى شرعه عليه الصلاة والسلام على ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ويلائمه النهي الآتي، وعن مقاتل أنه إشارة إلى ما في الآيتين من الأمر والنهي، وقيل: إلى ما ذكر في السورة فإن أكثرها في إثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة.

وقرأ ابن عامر ﴿صِرَٰطِى﴾ بفتح الياء، وقرىء ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى﴾. ﴿وَهَٰذَا

(1) إرشاد العقل السليم. (2) روح المعاني.

﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: 126] وإضافة الصراط إلى الرب سبحانه من حيث الوضع وإليه عليه الصلاة والسلام من حيث السلوك والدعوة أي هذا الصراط الذي أسلكه وأدعو إليه ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ لا اعوجاج فيه.

● **قال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6].**

قال ابن عاشور(1): تهيأ لأصحاب هذه المناجاة أن يسعوا إلى طلب حظوظهم الشريفة من الهداية بعد أن حمدوا الله ووصفوه بصفات الجلالة ثم أتبعوا ذلك بقولهم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: 5] الذي هو واسطة جامع بين تمجيد الله تعالى وبين إظهار العبودية وهي حظ العبد بأنه عابد ومستعين وأنه قاصر ذلك على الله تعالى، فكان ذلك واسطة بين الثناء وبين الطلب، حتى إذا ظنوا بربهم الإقبال عليهم ورجَوا من فضله، أفضوا إلى سُؤَال حظهم فقالوا: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ فهو حظ الطالبين خاصة لما ينفعهم في عاجلهم وآجلهم، فهذا هو التوجيه المناسب لكون الفاتحة بمنزلة الديباجة للكتاب الذي أُنزل هدى للناس ورحمة فتتنزل هاته الجملة مما قبلها منزلة المقصد من الديباجة، أو الموضوع من الخطبة، أو التخلص من القصيدة، ولاختلاف الجمل المتقدمة معها بالخبرية والإنشائية فصلت هذه عنهن، وهذا أَوْلى في التوجيه من جعلها جواباً لسؤال مقدر على ما ذهب إليه صاحب «الكشاف».

ولا شك أن المطلوب بقوله: ﴿ٱهْدِنَا﴾ الملقَّن للمؤمنين هو ما يناسب حال الداعي بهذا إن كان باعتبار داع خاص أو طائفة خاصة عندما يقولون: اهدنا، أو هو أنواع الهداية على الجملة باعتبار توزيعها على من تأهل لها بحسب أهليته إن كان دعاء على لسان المؤمنين كلهم المخاطبين بالقرآن، وعلى كلا التقديرين فبعض أنواع الهداية مطلوب حصوله لمن لم يبلغ إليه، وبعضها مطلوب دوامه لمن

(1) التحرير والتنوير.

كان حاصلاً له خاصة أو لجميع الناس الحاصل لهم، وذلك كالهداية الحاصلة لنا قبل أنْ نسألها مثل غالب أنواع الجنس الأول.

والصراط الطريق وهو بالصاد وبالسين وقد قرىء بهما في المشهورة وكذلك نطقت به بالسين جمهور العرب إلا أهل الحجاز نطقوه بالصاد مبدلة عن السين لقصد التخفيف في الانتقال من السين إلى الراء ثم إلى الطاء قال في «لطائف الإشارات» عن الجعبري إنهم يفعلون ذلك في كل سين بعدها غين أو خاء أو قاف أو طاء وإنما قلبوها هنا صاداً لتُطابقَ الطاء في الإطباق والاستعلاء والتفخم مع الراء استثقالاً للانتقال من سفل إلى علو. أي بخلاف العكس نحو طَسْت لأن الأول عمل والثاني ترك. وقَيسٌ قلبوا السين بين الصاد والزاي وهو إشمام وقرأ به حمزة في رواية خلف عنه. ومن العرب من قلب السين زاياً خالصة قال القرطبي: وهي لغة عُذرة وكلب وبني القَيْن وهي مرجوحة ولم يُقرأ بها، وقد قرأ باللغة الفصحى (بالصاد) جمهور القراء وقرأ بالسين ابن كثير في رواية قنبل، والقراءة بالصاد هي الراجحة لموافقتها رسم المصحف وكونها اللغة الفصحى.

فإن قيل كيف كتبت في المصحف بالصاد وقرأها بعض القراء بالسين؟ قلت إن الصحابة كتبوها بالصاد تنبيهاً على الأفصح فيها، لأنهم يكتبون بلغة قريش واعتمدوا على علم العرب فالذين قرأوا بالسين تأولوا أن الصحابة لم يتركوا لغة السين للعلم بها فعادلوا الأفصح بالأصل ولو كتبوها بالسين مع أنها الأصل لتوهم الناس عدم جواز العدول عنه لأنه الأصل والمرسوم كما كتبوا المصيطر بالصاد مع العلم بأن أصله السين فهذا مما يَرجِع الخلاف فيه إلى الاختلاف في أداء اللفظ لا في مادة اللفظ لشهرة اختلاف لهجات القبائل في لفظ مع اتحاده عندهم.

والصراط اسم عربي ولم يقل أحد من أهل اللغة أنه معرب ولكن ذَكر في «الإتقان» عن النقاش وابن الجوزي أنه الطريق بلغة الروم وذكر أن أبا حاتم ذكر ذلك في كتاب «الزينة» له وبنى على ذلك السيوطي فزاده في منظومته في المعرب.

والصراط في هذه الآية مستعار لمعنى الحق الذي يبلغ به مدركه إلى الفوز برضاء الله لأن ذلك الفوز هو الذي جاء الإسلام بطلبه.

والمستقيم اسم فاعل استقام مطاوع قومته فاستقام، والمستقيم الذي لا عوج فيه ولا تعاريج، وأحسن الطرق الذي يكون مستقيماً وهو الجادة لأنه باستقامته يكون أقرب إلى المكان المقصود من غيره فلا يضل فيه سالكه ولا يتردد ولا يتحير.

والمستقيم هنا مستعار للحق البين الذي لا تخلطه شبهة باطل فهو كالطريق الذي لا تتخلله بُنَيَّات، عن ابن عباس أن الصراط المستقيم دين الحق، ونقل عنه أنه ملة الإسلام، فكلامه يفسر بعضُه بعضاً ولا يريد أنهم لقنوا الدعاء بطلب الهداية إلى دين مضى وإن كانت الأديان الإلٰهية كلها صُرُطاً مستقيمة بحسب أحوال أممها يدل لذلك قوله تعالى في حكاية غَواية الشيطان: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعرَاف: 16].

فالتعريف في (الصراط المستقيم) تعريف العهد الذهني، لأنهم سألوا الهداية لهذا الجنس في ضمن فرد وهو الفرد المنحصر فيه الاستقامة لأن الاستقامة لا تتعدد كما قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يُونس: 32] ولأن الضلال أنواع كثيرة كما قال: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المَائدة: 100] وقد يوجه هذا التفسير بحصول الهداية إلى الإسلام فعلمهم الله هذا الدعاء لإظهار منته وقد هداهم الله بما سبق من القرآن قبل نزول الفاتحة ويهديهم بما لحق من القرآن والإرشاد النبوي. وإطلاق الصراط المستقيم على دين الإسلام ورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾ [الأنعام: 161]. والأظهر عندي أن المراد بالصراط المستقيم المعارف الصالحات كلها من اعتقاد وعمل بأن يوفقهم إلى الحق والتمييز بينه وبين الضلال على مقادير استعداد النفوس وسعة مجال العقول النيرة والأفعال الصالحة بحيث لا يعتريهم زيغ وشبهات في دينهم

وهذا أولى ليكون الدعاء طلب تحصيل ما ليس بحاصل وقت الطلب وإنَّ المرء بحاجة إلى هذه الهداية في جميع شؤونه كلها حتى في الدوام على ما هو متلبس به من الخير للوقاية من التقصير فيه أو الزيغ عنه.

والهداية إلى الإسلام لا تُقْصَر على ابتداء اتباعه وتقلده بل هي مستمرة باستمرار تشريعاته وأحكامه بالنص أو الاستنباط. وبه يظهر موقع قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفَاتِحَة: 7] مصادفاً المحز.

صرع

(صَرِعَ - خَنَقَ - حَسَّ - وَأَدَ - ذَكَوَ - صَلَبَ - عَقَرَ)

■ **الصَّرَعُ:** الموت بالطرح أرضاً بقوة ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ [الحَاقَّة: 7].

■ **الخَنْقُ:** الموت بالمخنق، وهو حبل يلفّ على الرقبة أو باليدين حتى الموت ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ [المَائدة: 3].

■ **الحَسُّ:** الموت بإصابة الحواس كناية عن قطع الرأس لأنه مجمع الحواس ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: 152].

■ **الوَأْدُ:** الموت بالدفن حياً ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: 8].

■ **الذَّكَاةُ:** الموت ذبحاً بالسكين من الحلق ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المَائدة: 3].

■ **الصَّلْبُ:** الموت بتعليق الإنسان بحبل من رقبته ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النِّساء: 157].

■ **العَقْرُ:** الموت بقطع الأرجل ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾ [الأعرَاف: 77].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والراء والعين أصلٌ واحدٌ يدلُّ على سقوطِ شيءٍ إلى الأرض عن مراس اثنين، ثم يُحمَلُ على ذلك ويشتقُّ منه. من ذلك صَرَعْتُ الرَّجلَ صَرْعَاً، وصارعتُهُ مصارَعة، ورجلٌ صَرِيع. والصَّريع من الأغصانِ: ما

(1) معجم مقاييس اللغة.

تَهدَّلَ وسقط إلى الأرض، والجمع صُرُع. وإذا جُعِلَتْ من ذلك السَّاقط قَوْسٌ فهي صَرِيع. وأمَّا المحمول على هذا فقولُهم: هما صِرْعان، يقال إنَّ معنى ذلك أنَّهما يقعان معاً. وهذا مَثَلٌ وتشبيه. وكذلك مِصْرَاعا البابِ مأخوذانِ من هذا، أي هما متساويان يقعان معاً. والصَّرعانِ إبلان يختلفان في المشْي، فتذهب هذه وتجيءُ هذه لكثرتها.

ومَصَارِع النَّاس: مَساقِطُهم.

قال الخليل[1]: صرع: صرعه صرعاً، أي: طرحه بالأرض. والصِّراع: معالجتهما أيّهما يصرع صاحبه. ورجل صِرّيع، أي: تلك صنعته الّتي يعرف بها. وصرّاع شديد الصّرع وإن لم يكن معروفاً... وصَروع للأقران: أي: كثير الصّرع لهم. والصّراعة مصدر الاصطراع بين القوم، وأصَّرَعة: القوم يصرعون من صارعوا.

والصُّرَعَةُ: القوم يصرعون من صارعوا. والمِصراعان من الأبواب: بابان منصوبان ينضمّان جميعاً مدخلهما في الوسط من المصراعين. ومن الشّعر ما كان قافيتان في بيت.. يقال: صرَّعت الباب والشعر تصريعاً. ومصارع القوم: سقوطهم عند الموت.

والصُّرْعة: الرجل الحليم عند الغضب. قال الضرير: الاصطراع مصدر والصِّراعة اسم كالحِياكة والحِراثة.

فالمصارع هٰهنا كان قياسه: مصاريع، لأنه مصروع. ألا ترى أنه ذكر قيامها، فهو جمع. وما ينبغي أن يكون المصَارعُ أن يكون جمعاً ولكنه مضطرّ إلى ذلك.

قال الفيروزآبادي[2]: الصَّرْعُ، ويكسرُ: الطَّرْحُ على الأرْضِ، كالمَصْرَعِ، كمَقعدٍ، وهو مَوْضِعهُ أيضاً، وقد صَرَعهُ، كمَنَعه. والصِّرْعَةُ، بالكسر: للنَّوْعِ، ومنه المَثَلُ: «سُوءُ الاسْتمساكِ خيرٌ من حُسنِ الصِّرْعَةِ»، ويُرْوَى بالفتح بمعنى المَرَّةِ،

---

(1) العين. (2) القاموس المحيط.

وبالضم: من يَصْرَعهُ الناسُ كثيراً. وكهُمَزةٍ: من يَصْرَعُهُم،كالصِّرِّيع والصُّرَّاعة، كسِكِّينٍ ودُرَّاعَةٍ. وكأميرٍ: المَصْروعُ، جمعه: صَرْعَى، والقوسُ لم يُنْحَتْ منها شيءٌ، أو التي جَفَّ عُودُها على الشَّجَرِ، وكذلك السوطُ، والقَضيبُ من الشَّجَرِ يَنْهَصِرُ إلى الأرضِ فَيَسْقُطُ عليها، وأصْلُهُ في الشَّجَرَةِ، فَيَبْقَى ساقِطاً في الظِّلِّ لا تُصيبُهُ الشمسُ فيكونُ ألْيَنَ من الفَرْعِ وأطْيَبَ رِيحاً، ويُسْتاكُ به، جمعه: صُرُعٌ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ [الحَاقَّة: 7].

قال الألوسي(1): ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ﴾ أي إن كنت حاضراً حينئذ، فالخطاب فيه فرضي ﴿فِيهَا﴾ أي في الأيام والليالي، وقيل في مهاب الريح وقيل في ديارهم والأول أظهر ﴿صَرْعَىٰ﴾ أي هلكى جمع صريع.

قال أبو السعود(2): ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ﴾ إنْ كنتَ حاضراً حينئذٍ ﴿فِيهَا﴾ في مهابِّها أو في تلكَ الليالِي والأيامِ ﴿صَرْعَىٰ﴾ مَوْتَى جمعُ صريعٍ.

قال الفخر الرازي(3): ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ أي في مهابها، وقال آخرون: أي في تلك الليالي والأيام: ﴿صَرْعَىٰ﴾ جمع صريع. قال مقاتل: يعني موتى يريد أنهم صرعوا بموتهم، فهم مصرعون صرع الموت.

---

(1) روح المعاني.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) التفسير الكبير.

صعد

(صَعِيد - تُراب - طِين - ثَرَى - حَقْف)

■ **الصَّعِيدُ:** التراب الطاهر ذو الغبار ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النِّساء: 43].

■ **التُّرَابُ:** وجه الأرض الهش الصالح للزراعة ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الرُّوم: 20].

■ **الطِّينُ:** التراب مع الماء، الطين اللازج شديد الجمود والقوة، والطين الصلصال الجاف ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ [الأنعام: 2].

■ **الثَّرَى:** التراب المشتمل على الشيء النفيس من معادن ونحوهما ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: 6].

■ **الحَقْفُ:** التراب المتلبد المائل في سفوح التلال ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: 21].

❋ ❋ ❋

صعد

(صَعَد - رَقي - رَفع - عَرَج - عَلا - طَارَ)

- **الصُّعُودُ:** بالضم الذهاب في المكان العالي عبر عقبة قوية ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: 10].
- **الرُّقِيُّ:** الصعود الصعب والنادر ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسرَاء: 93].
- **الرَّفْعُ:** إعلاء الشيء الموضوع عن مقره ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البَقَرَة: 63].
- **العُرُوجُ:** الذهاب في صعود باستقامة كالمصعد الكهربائي ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعَارج: 4].
- **العُلُوُّ:** (علا يعلو) وصل المكان العالي للنهاية للمحمود والمذموم ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القَصَص: 4]. (وعلى يعلى) في المحمود فقط ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحَجّ: 62].
- **الطَّيَرَانُ:** الصعود بجناح ﴿وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعَام: 38].

❋ ❋ ❋

صعد

(صَعُد - جَهَد - شَقَّ - رَهَق)

■ **الصَّعُودُ:** العقبة الشاقة ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدَّثّر: 17].

■ **الجُهْدُ:** تحمل ما هو أكثر من الطاقة ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ [الأنعَام: 109].

■ **المَشَقَّةُ:** الانكسار الذي يلحق النفس والبدن ﴿لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النّحل: 7].

■ **الرَّهَقُ:** المشقة بالقهر ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يُونس: 27].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والعين والدال أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ارتفاعٍ ومشقّة. من ذلك الصَّعُود خلاف الحَدُور، ويقال صَعِدَ يَصْعَد. الإِصعاد مقابلة الحَدُور من مكانٍ أرفع. والصَّعود: العقَبة الكَؤود، والمشقّة من الأمر، قال الله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدَّثّر: 17].

وأما الصُّعُدات فهي الطُّرُق، الواحد صَعيد. وقال رسول الله ﷺ: «**إيّاكم والقعودَ بالصُّعُدات إلَّا من أدَّى حَقَّها**». ويقال: صعيد وصُعْد وصُعُدات، وهو جمع الجمع، كما يقال: طريق وطُرُقٌ وطُرُقات. فأمَّا الصعيد فقال قَومٌ: وجه

(1) معجم مقاييس اللغة.

الأرض. وكان أبو إسحاقَ الزَّجَّاجُ يقول: هو وجه الأرض، والمكانُ عليه ترابٌ أو لم يكن. قال الزّجّاج: ولا يختلف أهلُ اللّغة أنَّ الصَّعيد ليس بالتراب. وهذا مذهبٌ يذهب إليه أصحابُ مالكٍ بن أَنَس. وقولهم إنَّ الصَّعيد وجهُ الأرض سواءٌ كان ذا ترابٍ أو لم يكُنْ، هُو مذهبُنا، إلَّا أنَّ الحقَّ أحقُّ أن يُتَّبع، والأمر بخلاف ما قاله الزّجّاج. وذلك أنَّ أبا عبيدٍ حَكى عن الأصمعيّ أنَّ الصّعيدَ التراب. وفي الكتاب المعروف بالخليل، قولهم تيمَّمْ بالصَّعيد، أي خُذْ من غُبارِهِ. فهذا خلافُ ما قاله الزّجّاج. ومن الباب الصُّعَداء، وهو تنفُّسٌ بتوجُّع، فهو نَفَسٌ يعلو، فهو من قياس الباب، وأما الصَّعود من النُّوق فهي التي يموت حُوارها فتُرْفَع إلى ولدها الأوَّل فتدرُّ عليه. وذلك فيما يقال أطيَبُ للبنها. ويقال: بل هي التي تُلقي ولدها. وهو تفسير قوله: ويقال: تَصَعَّدَني الأمرُ، إذا شقَّ عليكَ. قال عمر: «ما تصعَّدتْني خطبةُ النكاح». وقال بعضهم: «الخطبةُ صُعُد، وهي على ذي اللُّبِّ أَرْبَى». ومما يُقارب هذا قولُ أبي عمروٍ: أَصْعَدَ في البِلاد: ذهب أينما توجَّه.

ومما لا يبعد قياسه الصَّعْدة من النِّساء: المستقيمةُ القامةِ، فكأنها صَعْدَةٌ، وهي القناةُ المستوِيةُ تنبت كذلك، لا تحتاج إلى تثقيف.

قال الجوهري(1): صَعِدَ السُّلَّمِ صُعوداً. وصَعَّدَ في الجبلِ وعلى الجبل تصعيداً. قال أبو زيد: ولم يعرفوا فيه صَعِدَ. وقال الأخفش: أَصْعَدَ في الأرض: أي مضَى وسار. وأَصْعَدَ في الوادي وصَعَّدَ تَصْعيداً، أي انْحَدَرَ فيه.

وتَصَعَّدَني الشيءُ، أي شَقَّ عَلَيَّ. وعذابٌ صَعَدٌ، أي شديدٌ. والصَّعودُ: خلاف الهَبوط، والجمع صَعائد وصُعُدٌ.

والصَّعودُ العَقَبَةُ الكَؤُودُ، والصَّعودُ من النوق: التي تُخْدِجُ فَتُعْطَفُ على ولدِ عَامٍ أَوَّلَ. تقول منه: أَصْعَدَتِ الناقةُ وأَصْعَدْتُها أنا، كلتاهما بالألف. والصَّعيدُ: الترابُ. وقال ثعلب: وجهُ الأرضِ، لقوله تعالى: ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف: 40].

---

(1) الصحاح في اللغة.

والجمع صُعُدٌ وصُعُداتٌ.

ويقال أيضاً: هذا النبات يُنْمي صُعُداً، أي يَزْداد طولاً.

والصَّعْدَةُ القناة المستوية، تنبت كذلك لا تحتاج إلى تَثْقيفٍ. قال الشاعر:

صَعْدَةٌ نابتةٌ في حائر أَيْنما الريحُ تُمَيِّلُها تَمِلْ

وبَناتُ صَعْدَةَ: حُمُر الوَحْش، والنسبة إليها صاعِدِيٌّ على غير قياس.

والصُعَداءُ بالضم والمدّ: تَنَفُّسٌ ممدودٌ.

قال الفيروزآبادي[1]: صَعِدَ في السُّلَّم، كسَمِعَ، صُعوداً، وصَعَّدَ في الجَبَلِ، وصعد عليه تَصْعيداً: رَقِيَ، ولم يُسْمَعْ: صَعِدَ فيه. وأصْعَدَ: أتى مكَّةَ، وصعد في الأرضِ: مَضَى، وصعد في الوادِي: انْحَدَرَ، كصَعَّدَ تَصْعيداً. وتَصَعَّدَنِي الشيءُ، وتَصاعَدَني: شَقَّ عليَّ. والإِصَّعُّدُ، بالكسر وفتح الصادِ وضم العين مُشَدَّدَتَيْنِ، والإِصَّاعُدُ والاصْطِعادُ: الصُّعودُ. والصَّعودُ، بالفتح: ضِدُّ الهَبوطِ، جمعه: صُعُدٌ وصعائِدُ، والناقةُ تُخْدِجُ فَتُعْطَفُ على ولَدِ عام أوَّلَ، وقد أصْعَدَتْ، وأصْعَدْتُها أنا، وجبلٌ في جَهَنَّمَ، والعَقَبَةُ الشَّاقَّةُ، كالصَّعوداءِ. وبَناتُ صَعْدَةَ: حُمُرُ الوَحْشِ، والنِّسْبَةُ إليها: صاعِدِيٌّ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ [آل عمران: 153].

قال الفخر الرازي[2]: فيه قولان: أحدهما: أنه متعلق بما قبله، وعلى هذا التقدير ففيه وجوه: أحدها: كأنه قال وعفا عنكم إذ تصعدون، لأن عفوه عنهم لا بد وأن يتعلق بأمر اقترفوه، وذلك الأمر هو ما بينه بقوله: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ والمراد

(1) القاموس المحيط. (2) التفسير الكبير.

به ما صدر عنهم من مفارقة ذلك المكان والأخذ في الوادي كالمنهزمين لا يلوون على أحد وثانيها: التقدير: ثم صرفكم عنهم إذ تصعدون. وثالثها: التقدير: ليبتليكم إذ تصعدون.

والقول الثاني: أنه ابتداء كلام لا تعلق له بما قبله، والتقدير: اذكر إذ تصعدون وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: قال صاحب «الكشاف»: قرأ الحسن (إِذْ تُصْعِدُونَ فِي الجَبَلِ)، وقرأ أبي ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ وقرأ أبو حيوة ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ بفتح التاء وتشديد العين، من تصعد في السلم.

المسألة الثانية: الإصعاد: الذهاب في الأرض والأبعاد فيه، يقال صعد في الجبل، وأصعد في الأرض، ويقال أصعدنا من مكة إلى المدينة، قال أبو معاذ النحوي: كل شيء له أسفل وأعلى مثل الوادي والنهر والأزقة، فإنك تقول: صعد فلان يصعد في الوادي إذا أخذ من أسفله إلى أعلاه، وأما ما ارتفع كالسلم فإنه يقال صعدت.

المسألة الثالثة: ولا تلوون على أحد: أي لا تلتفتون إلى أحد من شدة الهرب، وأصله أن المعرج على الشيء يلوي إليه عنقه أو عنان دابته، فإذا مضى ولم يعرج قيل لم يلوه، ثم استعمل اللي في ترك التعريج على الشيء وترك الالتفات إلى الشيء، يقال: فلان لا يلوي على شيء، أي لا يعطف عليه ولا يبالي به.

● **قال تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾** [النِّساء: 43].

قال أبو السعود[1]: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ فتعمَّدوا شيئاً من وجه الأرضِ طاهراً، قال الزجاجُ: الصعيدُ وجهُ الأرضِ تراباً أو غيرَه وإن كان صخراً لا ترابَ عليه لو ضرب المتيممُ يدَه عليه ومسَحَ لكان ذلك طَهورَه وهو مذهبُ أبي حنيفةَ رحمه الله، وعند الشافعيِّ رحمه الله لا بد أن يعلَقَ باليد شيءٌ من التراب.

---

(1) إرشاد العقل السليم.

قال ابن عجيبة(1): ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ أي: اقصدوا ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ أي: ظاهراً، وهو ما صعد على وجه الأرض من جنسها؛ كتراب، وهو الأفضل، وثلج وخضخاض وحجر ومدر، لا شجر وحشيش ومعدن ذهب وفضة، وما التحق بالعقاقير، كشب، وملح، وكبريت، وغاسول وشبهه، فلا يجوز.

● **قال تعالى**: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: 125].

قال الألوسي(2): ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ استئناف أو حال من ضمير الوصف أو وصف آخر، والمراد المبالغة في ضيق صدره حيث شبه بمن يزاول ما لا [يكاد] يقدر عليه فإن صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة، وفيه تنبيه على أن الإيمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود، والامتناع في ذلك عادي. وعن الزجاج معناه كأنما يتصاعد إلى السماء نبواً عن الحق وتباعداً في الهرب منه، وأصل ﴿يَصَّعَّدُ﴾ يتصعد وقد قرىء به فادغمت التاء في الصاد. وقرأ ابن كثير ﴿يَصَّعَّدُ﴾ وأبو بكر عن عاصم (يصاعد) وأصله أيضاً يتصاعد ففعل به ما تقدم.

قال ابن عاشور(3): ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾. قرأه الجمهور: ﴿يَصَّعَّدُ﴾ - بتشديد الصاد وتشديد العين - على أنّه يَتفعَّل من الصعود، أي بتكلّف الصعود، فقلبت تاء التفعّل صاداً لأنّ التاء شبيهة بحروف الإطباق، فلذلك تقلب طاء بعد حروف الإطباق في الافتعال قلباً مطّرداً ثمّ تدغم تارة في مماثلها أو مقاربها، وقد تقلب فيما يشابه الافتعال إذا أريد التّخفيف بالإدغام، فتدغم في أحد أحرف الإطباق، كما هنا، فإنّه أريد تخفيف أحد الحروف الثّلاثة المتحرّكة المتوالية من (يَتصعّد)، فسُكنت التاء ثمّ أدغمت في الصّاد إدغام المقارب للتخفيف. وقرأه ابن كثير: ﴿يَصَّعَّدُ﴾ - بسكون الصّاد وفتح العين، مخفّفاً.

---

(1) البحر المديد.
(2) روح المعاني.
(3) التحرير والتنوير.

وقرأه أبو بكر، عن عاصم: (يصّاعد) - بتشديد الصّاد بعدها ألف - وأصله يتصاعد.

● **قال تعالى:** ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجنّ: 17].

قال الطبري[1]: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ يقول عزّ وجل: ومن يُعرض عن ذكر ربه الذي ذكره به، وهو هذا القرآن ومعناه: ومن يعرض عن استماع القرآن واستعماله، يسلكه الله عذاباً صعداً: يقول: يسلكه الله عذاباً شديداً شاقًّا.

قال ابن كثير[2]: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: عذاباً مشقًّا شديداً موجعاً مؤلماً، قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وابن زيد: ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ أي: مشقة لا راحة معها، وعن ابن عباس: جبل في جهنم، وعن سعيد بن جبير: بئر فيها.

---

(1) جامع البيان.
(2) تفسير ابن كثير.

صعَّر

(صعَّر - اخْتَالَ - تَكَبَّرَ - افْتَخَرَ)

■ **التَّصْعِيرُ:** إمالة العنق عن النظر كِبراً ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: 18].

■ **الخُيَلَاءُ:** التكبر عن تخيل فضيلة وهمية تراءت للإنسان ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 18].

■ **الكِبْرُ:** أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره من شدة إعجابه بنفسه ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: 56].

■ **الفَخْرُ:** المباهاة بما اختصه الله به من نعمة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 18].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والعين والراء أصل مطرد يدلُّ على مَيَل في شيء. من ذلك الصَّعَر، وهو المَيَل في العُنُق. والتصعير: إمالة الخدِّ عن النّظرِ عُجْباً. وربَّما كان الإنسان والظَّليمُ أَصْعَرَ خِلقة. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان 18]، وهو من الصَّيعِريّة، وهو اعتراضُ البَعِير في سيره. والصَّيْعِرِيّةُ: سِمَةٌ من سِمات النوق في أعناقها، ولعلَّ فيها اعتراضاً. قال المسيّب: فأما الحديث: «**ليس فيهم إلّا أصعَرُ أو أبتر**»، فمعناه ليس إلّا معجبٌ ذاهب أو ذَليل. ويقال:

(1) معجم مقاييس اللغة.

سَنامٌ صَيْعَرِيٌّ، أي عظيم. وإنّما قيل له ذلك لأنّه إذا عظم مالَ. ومما شذَّ عن الباب قولهم: قَرَبٌ مُصْعَرٌّ، أي شديد. قال: والله أعلم بالصَّواب.

قال الجوهري[1]: الصَّعَرُ: الميل في الخَدِّ خاصةً. وقد صَعَّرَ خَدَّه وَصاعَرَهُ، أي أمالَه مر الكِبْرِ. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾.

وفي الحديث: «ليس فيه إلا أَصْعَرُ أو أَبْتَرُ»، أي ليس فيه إلَّا ذاهبٌ بنفسه أو ذليلٌ. وربَّما كان الإنسانُ والظليم أَصْعَرَ، خِلْقةً.

يعني شديداً. والصَّيْعَرِيَّةُ: اعتراضٌ في السَّيْرِ، وهو من الصَّعَرِ.

والصَّيْعَرِيَّةُ سِمَةٌ في عُنق البعير.

والصُّعْرورُ: قِطعة من الصمغ فيها طولٌ والتواء. وقال أبو عمرو: الصَّعاريرُ ما جَمَدَ من اللَّثى. وصَعْرَرْتُ الشيء فَتَصَعْرَرَ، أي استدار.

قال الفيروزآبادي[2]: الصَّعَرُ، محركةً،والتَّصَعُّرُ: مَيْلٌ في الوجهِ، أو في أحدِ الشِّقَّيْنِ، أو داءٌ في البَعيرِ، يلوِي عُنُقَه منه، صَعِرَ، كفَرِحَ، فهو أصْعَرُ.

وصَعَّرَ خَدَّه تَصْعِيراًوصاعَرَهُ وأصْعَرَهُ: أمالَهُ عن النَّظَرِ إلى الناسِ تَهاوُناً من كِبْرٍ، ورُبَّما يكونُ خِلْقَةً. وقَرَبٌ مُصْعَرٌ، كمُكْرَمٍ: شديدٌ. والصَّيْعَرِيَّةُ: اعْتِراضٌ في السَّيْرِ، وسِمَةٌ في عُنُقِ الناقةِ لا البَعيرِ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: 18].

قال أبو السعود[3]: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي تُمِله ولا تُولِّهم صفحة

(1) الصحاح في اللغة.
(2) القاموس المحيط.
(3) إرشاد العقل السليم.

وجهِك كما هو ديدنُ المتكبرينَ. من الصَّعرِ وهو الصَّيَدُ وهو داءٌ يصيبُ البعيرَ فيلوى منه عنقَهُ. وقُرىء ولا تُصاعرْ. وقُرىء ولا تَصْعِرْ من الإفعالِ والكلُّ بمعنى مثل عَلَاهُ وعَالَاهُ وأعَلَاهُ

قال الألوسي[1]: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون.

(1) روح المعاني.

صعق

(صَعَقَ - بَطَشَ - دمَّرَ)

■ **الصَّعْقُ:** الصوت الشديد ويأتي من السماء ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [النساء: 153].

■ **البَطْشُ:** قهر العدو بصولة تذهب القدرة على الحركة ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: 130].

■ **التَّدْمِيرُ:** إبطال وظيفة الشيء ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ﴾ [الأعراف: 137].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الصاد والعين والقاف أصلٌ واحدٌ يدلُّ على صَلْقَةٍ وشِدَّة صَوت. من ذلك الصَّعْق، وهو الصَّوت الشَّديد. يقال: حِمارٌ صَعِقُ الصَّوتِ، إذا كان شديدَه. ومنه الصَّاعقة، وهي الوقع الشّديدُ من الرَّعْدِ. ويقال: إنَّ الصُّعاق الصَّوت الشديد. ومنه قولهم: صَعِق، إذا ماتَ، كأنَّه أصابته صاعقةٌ. قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: 68].

قال الخليل(2): الصُّعَاقُ: الصَّوت الشَّديد للثَّور والحمارِ، صَعَقُ صُعاقاً،

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.

وحِمارٌ صَعْقُ الصَّوْتِ أي شديدهُ. والصَّعَّاقُ: الشَّديدُ الصَّوْتِ. والصَّاعِقَةُ: صيحةُ العَذَابِ. والصَّاعِقَةُ: الوَقْعُ الشَّديدُ من صوْتِ الرَّعْدِ، يسقُطُ معه قِطْعة من نار يقال: إنها من صَوْت الملك، ويجمع صَواعِق. والصَّعِقُ: المغْشِيُّ عليه. صُعِق صَعْاقاً: غُشِي عليه من صَوْتٍ يسمعه أو حِسٍّ أو نحوه. وصعِق صعَقاً: مات.

قال الجوهري(1): الصَّاعِقَةُ: نارٌ تسقُط من السماء في رعدٍ شديدٍ. يقال: صَعَقَتْهُم السماءُ، إذا ألقت عليهم الصاعقَةَ. والصاعِقَةُ أيضاً: صَيحة العذاب. ويقال: صَعِقَ الرجل صَعْقَةً وتَصْعاقاً، أي غُشِيَ عليه، وأَصْعَقَهُ غيره. وقوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾، أي مات.

وحمارٌ صَعِقَ الصوت، أي شديده.

المعنى المشترك لكلمة (صعق)

وقد وردت كلمة (صعق) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: الصعقة بمعنى: الموت عقوبة ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النِّساء: 153].

الوجه الثاني: الصعق: عذاب فيه موت لا يرجع صاحبه إلى الدنيا ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فُصّلت: 13].

الوجه الثالث: الصاعقة: الموت بالآجال من غير عذاب ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزُّمَر: 68].

الوجه الرابع: الصاعقة: النار التي تقع من السحاب ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ [الرّعد: 13].

---

(1) الصحاح في اللغة.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [النساء: 153].

قال أبو السعود[1]: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ أي النارُ التي جاءتهم من السماء فأهلكتهم، وقرىء الصعقةُ ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ أي بسبب ظلمِهم وهو تعنتُهم وسؤالُهم لما يستحيل في تلك الحالةِ التي كانوا عليها، وذلك لا يقتضي امتناعَ الرؤيةِ مطلقاً.

قال ابن كثير[2]: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ أي: بطغيانهم وبغيهم، وعتوهم وعنادهم، وهذا مفسر في سورة البقرة حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة: 55-56].

● قال تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ [الرعد: 13].

قال القرطبي[3]: نزلت الآية في أربد بن ربيعة أخي لَبيد بن ربيعة، وفي عامر بن الطُّفَيْل؛ قال ابن عباس: «أقبل عامر بن الطُّفَيْل وأَرْبَد بن ربيعة العامريان يريدان النبي ﷺ وهو في المسجد جالس في نفر من أصحابه، فدخلا المسجد، فاستشرف الناس لجمال عامر وكان أعور، وكان من أجمل الناس؛ فقال رجل من أصحاب النبي ﷺ: هذا يا رسول الله عامر بن الطُّفَيْل قد أقبل نحوك؛ فقال: «**دَعْه فإن يُرِد الله به خيراً يَهْدِه**» فأقبل حتى قام عليه فقال: يا محمد ما لي إن أسلمت؟ فقال: «**لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين**». قال: أتجعل لي الأمر من بعدك؟ قال: «**ليس ذاك إليّ إنما ذلك إلى الله يجعله حيث يشاء**». قال: أفتجعلني على الوَبَر وأنت على المَدَر؟ قال: «**لا**». قال: فما تجعل لي؟ قال: «**أجعل لك أَعِنّة الخيل تغزو عليها**

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) تفسير ابن كثير.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

في سبيل الله». قال: أو ليس لي أعنّة الخيل اليوم؟ قم معي أكلمك؛ فقام معه رسول الله ﷺ، وكان عامر أومأ إلى أَرْبَد: إذا رأيتني أكلمه فدُرْ من خلفه وٱضربه بالسيف؛ فجعل يخاصم النبي ﷺ ويراجعه؛ فاخترط أَرْبَدْ من سيفه شبراً ثم حبسه الله، فلم يقدر على سَلّه، ويَبست يده على سيفه، وأرسل الله عليه صاعقة في يوم صائفٍ صاحٍ فأحرقته، وولّى عامر هارباً وقال: يا محمدُ دعوت ربك على أربد حتى قتلته؛ والله لأملأنها عليك خيلاً جُرْداً، وفتياناً مُرْداً؛ فقال عليه السلام: «**يمنعك الله من ذلك وأبناء قَيْلة**» يعني الأوْس والخَزْرَج؛ فنزل عامر بيت ٱمرأة سَلولية؛ وأصبح وهو يقول: والله لئن أَصْحَرَ لي محمدٌ وصاحبه - يريد مَلَك الموت - لأنفذتهما برمحي؛ فأرسل الله مَلَكاً فلطمه بجناحه فأذراه في التراب؛ وخرجت على ركبته غُدَّة عظيمة في الوقت؛ فعاد إلى بيت السَّلولية وهو يقول: غُدّة كغدة البعير، وموت في بيت سَلُولية؛ ثم ركب على فرسه فمات على ظهره».

● **قال تعالى**: ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: 13].

قال أبو السعود(1): ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ متصلٌ بقولِه تعالَى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ﴾ [فُصّلَت: 9] الخ أي فإنْ أعرضُوا عن التدبرِ فيما ذُكِرَ من عظائمِ الأمورِ الداعيةِ إلى الإيمانِ أو عن الإيمانِ بعد هذا البيانِ ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿أَنذَرْتُكُمْ﴾ أي أنذركُم وصيغةُ الماضِي للدلالةِ على تحقيقِ الإنذارِ المنبىءِ عن تحقيقِ المنذَرِ به ﴿صَٰعِقَةً﴾ أي عذاباً هائلاً شديدَ الوقع كأنه صاعقةٌ ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ وقُرِىءَ صعقةً مثلَ صعقةِ عادٍ وثمودٍ وهي المرةُ من الصعْقِ أو الصَّعَقُ يقالَ صعقتْهُ الصاعقةُ صعْقاً فصَعِقَ صعْقاً وهو من باب فعلته فَفَعِلَ.

قال ابن عجيبة(2): يقول الحق جلّ جلاله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ عن الإيمان بعد هذا البيان؛ ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿أَنذَرْتُكُمْ﴾ خوّفتكم. وعبّر بالماضي للدلالة على تحقُّق الإنذار المنبىء عن تحقُّق الوقوع، ﴿صَٰعِقَةً﴾ أي: عذاباً شديداً لو وقع كان كأنه

(1) إرشاد العقل السليم. (2) البحر المديد.

صاعقة، وأصلها: رعد معه نار تحرق. تكون ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ وقد تقدّم عذابهما.

● **قال تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾** [الزمر: 68].

قال الألوسي[1]: ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي ماتوا بسبب ذلك، ويحتمل أنهم يغشى عليهم أولاً ثم يموتون، وفي «صحيح مسلم» من حديث طويل فيه ذكر الدجال «**ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أُصغي ليتاً ورفع ليتاً فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس**» وقرىء ﴿فَصَعِقَ﴾ بضم الصاد.

قال الشعراوي[2]: ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كلمة صعق تأتي بمعنيين. صعق بمعنى هلك كما في قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: 45] يعني: يهلكون. وتأتي صعق بمعنى أُغمي عليه وفقد الوعي، كما حدث لسيدنا موسى عليه السلام حين تجلَّى ربُّه للجبل، فلما دعا موسى ربه قال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: 143] وليس المعنى هنا أنني لا أُرى، إنما أنا أُرى لكنك في تكوينك الحالي لا تستطيع أنْ تراني، إذن: قد يتغيَّر الحال على صورة يمكنك فيها أنْ تراني. وإذا كان البشر قد توصَّلوا لطرق وأساليب وأسباب تُمكِّن من رؤية ما لم تقدر على رؤيته، فرأينا النظارة والنظارة المعظمة والتليسكوبات. . إلخ. إذن: فالحق سبحانه من باب أَوْلَى قادر على أنْ يجعلك ترى ما لم تكُنْ تراه من قبل. ثم يقول سبحانه في تمام هذه القصة: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ﴾ [الأعراف: 143] الحق سبحانه يريد أنْ يؤكد لموسى عليه السلام هذه القضية لا بالقول إنما بالفعل ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ﴾. وكأن الحق سبحانه يقول لنبيه موسى: إذا كنت صُعِقْتَ - يعني: فقدتَ الوعي - من رؤية المتجلَّى عليه وهو الجبل، فكيف بك إذا رأيتَ المتجلِّي سبحانه؟.

---

(1) روح المعاني. (2) تفسير الشعراوي.

صغر

(صَغُرَ - طَفَّ - نَقَرَ - فَتَلَ - قَطْمَرَ - قَلَّ - يَسُرَ)

■ **الصَّغِيرُ:** الأقل عمراً أو وزناً أو شأناً ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القَمَر: 53].

■ **الطَّفِيفُ:** القليل الذي لا يتغير به كثير ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطفّفين: 1].

■ **النَّقِيرُ:** القليل الذي لا يتغير به مطلقاً ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النِّساء: 124].

■ **الفَتِيلُ:** القليل الحقير وهو ما تفتله بين أصابعك من وسخ جسدك ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النِّساء: 49].

■ **القِطْمِيرُ:** الممسوح الذي لا يبين ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فَاطِر: 13].

■ **القليلُ:** العدد الأدنى من الآخر ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هُود: 40].

■ **اليَسِيرُ:** اجتماع القلة والسهولة في الشيء ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ [البَقَرَة: 196].

* * *

صغر

(صَغَرَ - دَخر - دَحر - هَزَم - قَهر)

■ **الصَّغَرُ:** الصغر ضد الكبر، ويأتي تصغير المقابل وإذلاله ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: 29].

■ **الدَّخْرُ:** إذلال العدو عن دحره ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60].

■ **الدَّحْرُ:** طرد العدو بعد هزيمته من المعركة ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: 18].

■ **الهَزْمُ:** تحطيم العدو في أرض المعركة ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: 251].

■ **القَهْرُ:** الاستيلاء على إرادة العدو بعد هزيمته ودحره ودخره.

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الصاد والغين والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على قِلَّةٍ وحقارة. من ذلك الصِّغَر: ضدّ الكِبَر. والصَّغير: خلاف الكبير. والصاغِر: الرَّاضي بالضَّيمِ صُغْراً وصَغاراً. ويقال: أصغَرت النَّاقةُ وأكبَرَتْ. والإِصْغار: حنينُها [الخفيض. والإِكبار:] العالي.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الجوهري[1]: الصِّغَرُ: ضد الكِبَر. وقد صَغُرَ الشيء، وهو صَغيرٌ وصُغارٌ بالضم. وأَصْغَرَهُ غيرُهُ، وصَغَّرَهُ تَصْغيراً. وأَصْغَرْتُ القِرْبَةَ: خرزْتها صَغيرَةً. واسْتَصْغَرَهُ عَدَّهُ صَغيراً. وتَصاغَرَتْ إليه نفسه: تحاقَرَتْ. وقد جُمع الصَّغيرُ في الشِّعر على صُغَراءَ.

والصُّغْرى: تأنيث الأَصْغَرِ، والجمع الصُّغَرُ. قال سيبويه: لا يقال نِسوةٌ صُغَرٌ، ولا قومٌ أَصاغِرُ، إلَّا بالألف واللام. قال: وسمعنا العرب تقول الأَصاغِرُ، وإنْ شئت قلت الأَصْغَرونَ.

والصَّغارُ بالفتح: الذُلُّ والضَيمُ، وكذلك الصُّغْر بالضم.

والمصدر الصَّغَرُ بالتحريك. وقد صَغِرَ الرجل بالكسر يَصْغَرُ صَغَراً. يقال: قم على صَغَرِكَ وصُغْرِكَ. والصاغِرُ الراضي بالضيم. والمَصْغُوراءُ: الصِّغارُ. وأرضٌ مُصْغِرَةٌ: نَبْتُها صَغيرٌ لم يَطُلْ.

قال الفيروزآبادي[2]: الصِّغَرُ، كعنبٍ، والصَّغارَةُ، بالفتح: خلافُ العِظَمِ، أو الأُولى في الجِرْمِ، والثانيةُ في القَدْرِ، صَغُرَ، ككَرُمَ وفَرِحَ، صَغارَةَ وصِغَراً، كعنبٍ، وصَغَراً، محركةً، وصُغْراناً، بالضم، فهو صغيرٌ وصُغارٌ وصُغْرانٌ بضمهما جمعه: صِغارٌ وصُغَراءُ ومَصْغُوراءُ، وأصاغِرُ: جمعُ أصْغَرَ، كالأصاغِرَةِ. وصَغَّرَهُ وأصْغَرَه: جَعَلَه صغيراً. وتصغيرُهُ: صُغَيِّرٌ وصُغَيِّيْرٌ. وأرضٌ مُصْغِرَةٌ: نَبْتُها صغيرٌ، وقد أصْغَرَتْ. وصِغْرَتُهُمْ، بالكسر: أصْغَرُهم. وأنا من الصِّغْرَةِ: من الصِّغارِ. وما صَغَرَنِي إلا بسَنَةٍ، كنَصَرَ، أي: ما صَغُرَ عَنِّي. والصاغرُ: الراضي بالذُّلِّ جمعه: صَغَرَةٌ، ككَتَبَةٍ، وقد صَغُرَ، ككَرُمَ، صِغَراً، كعنبٍ، وصَغاراً وصَغارَةً، بفتحهما، وصُغْراناً وصُغْراً، بضمهما.

---

(1) الصحاح في اللغة. (2) القاموس المحيط.

المعنى المشترك لكلمة (صغر)

وقد وردت كلمة (صغر) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: الصغير بمعنى: الخفيف ﴿أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾ [سبأ: 3].

الوجه الثاني: الصغير بمعنى: القليل ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: 49].

الوجه الثالث: الصغار بمعنى: الذل والهوان ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: 124].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: 29].

قال الألوسي(1): ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: 29] أي أذلاء وذلك بأن يعطوها قائمين والقابض منهم قاعد قاله عكرمة، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تؤخذ الجزية من الذمي ويوجأ عنقه، وفي رواية أنه يؤخذ بتلبيبه ويهز هزاً ويقال: أعط الجزية يا ذمي، وقيل: هو أن يؤخذ بلحيته وتضرب لهزمته، ويقال: أد حق الله تعالى يا عدو الله. ونقل عن الشافعي أن الصغار هو جريان أحكام المسلمين عليهم، وكل الأقوال لم نر اليوم لها أثراً لأن أهل الذمة فيه قد امتازوا على المسلمين والأمر لله عز وجل بكثير حتى أنه قبل منهم إرسال الجزية على يد نائب منهم، وأصح الروايات أنه لا يقبل ذلك منهم بل يكلفون أن يأتوا بها بأنفسهم

---

(1) روح المعاني.

مشاة غير راكبين وكل ذلك من ضعف الإسلام عامل الله تعالى من كان سبباً له بعدله.

قال ابن عجيبة[1]: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: 29] أي: ما تقرر عليهم أن يعطوه، وقدْرها عند مالك: أربعة دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهماً على أهل الورق، يؤخذ ذلك من كل رأس، واتفق العلماء على قبول الجزية من اليهود والنصارى، ويلحق بهم المجوس؛ لقوله ﷺ: «**سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الكتاب**» لأن لهم شبهة كتاب، فألحقوا بهم. واختلفوا في قبولها من عَبدة الأوثان؛ قال مالك: تؤخذ من كل كافر إلا المرتد، ولا تؤخذ من النساء والصبيان والمجانين.

وقوله تعالى: ﴿عَن يَدٍ﴾ أي: يباشر إعطاءها بيده، لا يبعثها مع أحد، أو لا يمطل بها، كقولك: يداً بيد، أو عن استسلام وانقياد، كقولك: ألقى فلان بيده. ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾؛ أذلاء محقرون. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: تؤخذ الجزية من الذمي، وتوجأ عنقه، أي: تصفع.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: 61].

قال الخازن[2]: ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ يعني من الذرة ﴿وَلَا أَكْبَرَ﴾ يعني منها ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ يعني في اللوح المحفوظ.

قال الطبري[3]: ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ فقرأ ذلك عامَّة القرّاء بفتح الراء من «أصغر» و«أكبر» على أن معناها الخفض، عطفاً بالأصغر على الذرّة وبالأكبر على الأصغر، ثم فتحت راؤهما لأنهما لا يجريان. وقرأ ذلك بعض الكوفيين: «وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذلكَ وَلا أَكْبَرُ» رفعاً، عطفاً بذلك على معنى المثقال لأن معناه الرفع. وذلك أن «مِنْ» لو أُلقيت من الكلام لرفع المثقال، وكان الكلام

(1) البحر المديد.
(2) لباب التأويل.
(3) جامع البيان.

حينئذ: وَما يَعْزُبُ عن ربك مثقال ذرّة ولا أصغر من مثقال ذرّة ولا أكبر، وذلك نحو قوله: ﴿مِّنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فَاطِر: 3] و«غيرِ الله».

● **قال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾** [القَمَر: 53].

قال القرطبي(1): ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ أي كل ذنب كبير وصغير مكتوب على عامله قبل أن يفعله ليجازى به، ومكتوب إذا فعله؛ سَطَرَ يَسْطُرُ سَطْراً كَتَب؛ وٱستطَرَ مثله.

قال الفخر الرازي(2): تعميم للحكم أي ليست الكتابة مقتصرة على ما فعلوه بل ما فعله غيرهم أيضاً مسطور فلا يخرج عن الكتب صغيرة ولا كبيرة، وقد ذكرنا في قوله تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [سبأ: 3] أن في قوله ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ ﴿أَكْبَرُ﴾ فائدة عظيمة وهي أن من يكتب حساب إنسان فإنما يكتبه في غالب الأمر لئلا ينسى فإذا جاء بالجملة العظيمة التي يأمن نسيانها ربما يترك كتابتها ويشتغل بكتابة ما يخاف نسيانه، فلما قال: ﴿وَلَآ أَكْبَرُ﴾ [سَبَإ: 3] أشار إلى الأمور العظام التي يؤمن من نسيانها أنها مكتوبة أي ليست كتابتنا مثل كتابتكم التي يكون المقصود منها الأمن من النسيان، فكذلك نقول: هٰهنا وفي قوله: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: 49] وفي جميع هذه المواضع قدم الصغيرة لأنها أليق بالتثبت عند الكتابة فيبتدىء بها حفظاً عن النسيان في عادة الخلق فأجرى الله الذكر على عادتهم، وهذا يؤيد ما ذكرنا من قبل أن كلا وإن كان نكرة يحسن الابتداء به للعموم وعدم الإبهام.

قال البغوي(3): ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾، من الخلق وأعمالهم وآجالهم.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) التفسير الكبير.
(3) معالم التنزيل.

صغا

(صَغَا - سَمِع - اسْتَمَعَ)

■ **الإصْغَاءُ:** الميل بالأذن نحو المتحدث لشدة الانتباه ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الأنعام: 113].

■ **السَّمَعُ:** السمع قوة في الأذن به يرى لها الصوت ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: 212].

■ **والاسْتِمَاعُ:** السمع المتعمد لصوت معني ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: 41].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الصاد والغين والحرف المعتل أصلٌ صحيح يدلُّ على المَيْل، من ذلك قولُهم: صِغْو فلانٍ معك، أي ميلُه. وصَغتِ النجوم: مالت للغُيوب. وأصغى إليه، إذا مال بسمعِهِ نحوَه. وأَصْغَيت الإِناءَ أَمَلْتُهُ. ومنه قولهم للذين يَميلون مع الرَّجُل من أصحابِهِ وذوي قُرْباه: صاغِيةٌ. وحُكي: صَغَوْتُ إليه أَصْغَى صَغْواً وصَغىً، مقصور.

قال الجوهري(2): صغا يَصغو ويَصْغي صُغُوًّا، أي مال. وكذلك صَغِيَ يَصْغَى صَغىً وصُغِيًّا. وصَغَتِ النجومُ، إذا مالت للغروب. قال أبو زيد: يقال:

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) الصحاح في اللغة.

صَغْوُهُ معك وصِغْوُهُ معك وصَغاهُ معك، أي ميله. وقولهم: أكرموا فلاناً في صاغِيَتِهِ، وهم القومُ الذين يميلون إليه ويأتونه ويطلبون ما عنده.

وأَصْغَيْتُ إلى فلانٍ، إذا ملتَ بسمعك نحوه. وأَصْغَيْتُ الإناءَ: أملته. يقال: فلان مُصْغىً إناؤه، إذا نُقِصَ حقّه. وأَصْغَتِ الناقةُ، إذا أمالت رأسَها إلى الرحل كأنَّها تستمع شيئاً حينَ يشدُّ عليها الرحل.

قال الفيروزآبادي[1]: صَغا يَصْغُو ويَصْغَى صَغْواً،وصَغِيَ يَصْغَى صَغاً وصُغِيًّا: مالَ، أو مالَ حَنَكُه، أو أحَدُ شِقَّيْهِ، وهو أصْغَى، وصغا الشَّمْسُ: مالَتْ للغُروبِ، وهي صَغْواءُ. وصَغْوَهُ وصِغْوُهُ وصَغاهُ مَعَكَ، أي: مَيْلُه. وصاغِيَتُكَ: الذينَ يَميلونَ إليكَ في حَوائِجِهِم. وأصْغَى: اسْتَمَعَ، وصغا إليه: مالَ بِسَمْعِه، وصغا الإِناءَ: أمالَهُ، والشيءَ: نَقَصَهُ، والناقَةُ: أمالَتْ رأسَها إلى الرَّجُلِ كالمُسْتَمِع شيئاً.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: 113].

قال أبو السعود[2]: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ أي إلى زُخرُفِ القولِ وهو على الوجه الأولِ علة أخرى للإيحاء معطوفةٌ على غروراً وما بينهما اعتراضٌ وإنما لم ينصَبْ لفقد شرطِه إذ الغرورُ فعلُ الموحي وصغْوُ الأفئدةِ فعلُ الموحىٰ إليه أي يوحي بعضُهم إلى بعض زُخْرفَ القولِ ليغرِّرَهم به ولتميل إليه ﴿أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ إنما خصَّ بالذكر عدمُ إيمانِهم بالآخرة دون ما عداها من الأمور التي

(1) القاموس المحيط. (2) إرشاد العقل السليم.

يجب الإيمانُ بها وهم بها كافرون إشعاراً بما هو المدارُ في صغْو أفئدتِهم إلى ما يلقى إليهم، فإن لذّاتِ الآخرةِ محفوفةٌ في هذه النشأةِ بالمكاره، وآلامُها مزينةٌ بالشهوات فالذين لا يؤمنون بها وبأحوال ما فيها لا يدرون أن وراءَ تلك المكارهِ لذّاتٍ ودون هذه الشهواتِ آلاماً وإنما ينظُرون إلى ما بدا لهم في الدنيا باديءَ الرأي فهم مضطرون إلى حبّ الشهواتِ التي من جملتها مزخْرَفاتُ الأقاويلِ ومُموَّهاتُ الأباطيل وأما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحالِ ناظرين إلى عواقب الأمورِ لم يُتصوَّر منهم الميلُ إلى تلك المزخرَفاتِ لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتِها.

قال الألوسي[1]: ﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ﴾ أي إلى زخرف القول، وقيل: الضمير للوحي أو للغرور أو للعداوة لأنها بمعنى التعادي، والواو للعطف وما بعدها عطف على ﴿غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام: 112] بناء على أنه مفعول له فيكون علة أخرى للإيحاء وما في البين اعتراض، وإنما لم ينصب لفقد شرط النصب إذ الغرور فعل الموحي وصغو الأفئدة فعل الموحى إليه. وهو على الوجهين الأخيرين علة لفعل محذوف يدور عليه المقام أي وليكون ذلك جعلنا ما جعلنا. «وأصل الصغو - كما قال الراغب - الميل يقال: صغت الشمس والنجوم صغوا مالت للغروب وصغيتُ الإناء وأصغيته وأصغيت إلى فلان ملت بسمعي نحوه، والمراد هنا ولتميل إليه. ﴿أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي على الوجه الواجب. وخص عدم إيمانهم بها دون ما عداها من الأمور التي يجب الإيمان بها وهم بها كافرون - قال مولانا شيخ الإسلام - «إشعاراً بما هو المدار في صغو أفئدتهم إلى ما يلقى إليهم فإن لذات الآخرة محفوفة في هذه النشأة بالمكاره وآلامها مزينة بالشهوات فالذين لا يؤمنون بها وبأحوال ما فيها لا يدرون أن وراء تلك المكاره لذات ودون هذه الشهوات آلاما وإنما ينظرون ما بدا لهم في الدنيا بادي الرأي فهم مضطرون إلى

(1) روح المعاني.

حب الشهوات التي من جملتها مزخرفات الأقاويل ومموهات الأباطيل، وأما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال ناظرين إلى عواقب الأمور لم يتصور منهم الميل إلى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها».

صف

(صَفَّ - جَمَعَ - حَشَرَ - آلَفَ - وَفَّقَ - ضَمَّ - حَوَى)

■ **الصَّفُّ:** أن تجعل الشيء على خط مستوٍ ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ [الصافات: 1].

■ **الجَمْعُ:** ضمّ الشيء إلى الشيء في المكان ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ [التّغابن: 9].

■ **الحَشْرُ:** ضمّ الشيء إلى الشيء سوقاً ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الأعراف: 111].

■ **التَّأْلِيفُ:** ضم الشيء إلى بعض بتوافق وإلصاق ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: 103].

■ **التَّوْفِيقُ:** ضمّ الآراء المتنافرة لبعضها ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النِّساء: 35].

■ **الضَّمُّ:** جعل الجزء مع الكلّ ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: 22].

■ **الحَوْيُ:** حوى الشيء يحويه واحتواه واحتوى عليه: جمعه وأحرزه، وقيل: حوى الشيء ملكه ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: 5].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال الجوهري[1]: الصَّفُّ: واحدُ الصُّفوفِ. وصافُّوهُمْ في القتال.

(1) الصحاح في اللغة.

والمَصَفُّ: الموقفُ في الحرب، والجمع المَصافُّ. والصَّفُّ: أن تَحلُب الناقةَ في مِحْلبين أو ثلاثة تَصُفُّ بينها. وصُفَّةُ الدارِ والسَّرجِ: واحدة الصُّفَفِ. ويقال: ناقةٌ صَفوفٌ، للتي تَصُفُّ أقداحاً من لبنها إذا حُلِبتْ، وذلك من كثرة لبَنها؛ كما يقال قَرونٌ وشَفوعٌ.

والصَّفيف: ما صُفَّ من اللحم على الجمر لينشوِيَ.

تقول منه: صَفَفْتُ اللحمَ صَفًّا. وصَفَفْتُ القومَ فاصْطَفُّوا، إذا أقمتَهم في الحرب صفًّا. وصَلَّتِ الإبل قوائمها فهي صافَّةٌ وصَوافُّ، وكذلك صَفَفْتُ السَّرجَ، جعلت له صُفَّةً.

قال ابن منظور[1]: الصَّفُّ: السَّطْرُ المُسْتَوي من كل شيء معروفٌ، وجمعه صُفُوفٌ. وصَفَفْتُ القوم فاصْطَفُّوا إذا أَقمتهم في الحرب صَفًّا. وفي حديث صلاة الخَوْفِ: أَن النبي ﷺ، كان مُصافَّ العَدُوِّ بعُسْفانَ أَي مُقابِلهم. يقال: صَفَّ الجيشَ يَصُفُّه صَفًّا وصافَّهُ، فهو مُصافٌّ إذا رَتَّبَ صُفُوفَه في مُقابِل صُفُوفِ العدوّ، والمَصافُّ، بالفتح وتشديد الفاء: جمع مَصَفٍّ وهو موضع الحرب الذي يكون فيه الصُّفُوفُ. وصَفَّ القوم يَصُفُّونَ صَفًّا واصْطَفُّوا وتَصافُّوا: صاروا صَفًّا. وتَصافُّوا عليه: اجتمعوا صَفًّا. اللحياني: تَصافُّوا على الماء وتَضافُّوا عليه بمعنى واحد إذا اجتمعوا عليه، ومثله تَضَوَّكَ في خُرْئِهِ، وتَصَوَّكَ إذا تَلَطَّخَ به، وصلاصِلُ الماء وضَلاضِلُه.

وقوله عز وجل: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ [الصَّافات: 1]؛ قيل: الصافَّاتُ الملائكةُ مُصْطَفُّونَ في السماء يسبحون الله تعالى؛ ومثله: وإنا لنحن الصَّافُّون؛ قال: وذلك لأَنَّ لهم مَراتِبَ يقومون عليها صُفُوفاً كما يَصْطَفُّ المُصَلُّون. وقول الأَعرابية لبنيها: إذا لَقِيتُمُ العَدُوَّ فدَغَرى ولا صَفًّا أَي لا تَصُفُّوا صَفًّا. والصَّف: موقف الصُّفوفِ. والمَصَفُّ: الموْقفُ في الحرب، والجمع المَصافُّ، وصافُّوهم القِتالَ. والصَّفُّ

(1) اللسان.

في القرآن المُصَلَّى وهو من ذلك لأَن الناس يَصْطَفُّون هنالك. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾ [طه: 64]؛ مُصْطَفّين فهو على هذا حال. قال الأزهري: معناه ثم ائْتُوا الموضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتِكم. يقال: ائْتِ الصفَّ أَي ائْتِ المُصَلَّى، قال: ويجوز ثم ائْتُوا صفًّا أَي مصطفين ليكون أَنْظَم لكمْ وأَشدّ لهَيْبَتِكم. قال الليث: الصفُّ واحد الصُّفوف معروف. والطير الصَّوافُّ: التي تَصُفُّ أَجْنِحتَها فلا تحركها. وقوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: 48]؛ قال ابن عرفة: يجوز أَن يكونوا كلهم صَفًّا واحداً ويجوز أَن يقال في مثل هذا صَفًّا يراد به الصُّفُوفُ فيؤدي الواحدُ عن الجميع.

قال الفيروزآبادي[1]: الصَّفُّ: المَصْدَرُ، كالتَّصْفِيفِ، وواحِدُ الصُّفوفِ، والقومُ المُصْطَفُّونَ، وأنْ تَحْلُبَ الناقَةَ في مِحْلَبَيْنِ أو ثَلَاثةٍ، وأن يَبْسُطَ الطائِرُ جَناحَيْهِ، وة بالمَعَرَّةِ. و﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا﴾ [الصَّافات: 1]: المَلائكَةُ المُصْطَفُّونَ في السماءِ، يُسَبِّحونَ، لهم مَرَاتِبُ يَقومونَ عليها صُفوفاً، كما يَصْطَفُّ المُصَلُّونَ.

المعنى المشترك لكلمة (صفّ)

وقد وردت كلمة (صف) في القرآن الكريم على وجهين:

الوجه الأول: الصف بمعنى: الجمع ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: 48].

الوجه الثاني: الصف بعينه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصَّف: 4].

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا﴾ [الصافات: 1].

(1) القاموس المحيط.

قال الفخر الرازي[1]: وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: قرأ أبو عمرو وحمزة ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ بإدغام التاء فيما يليه، وكذلك في قوله: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ [الصافات: 2-3] والباقون بالإظهار، وقال الواحدي رحمه الله: إدغام التاء في الصاد حسن لمقاربة الحرفين، ألا ترى أنهما من طرف اللسان وأصول الثنايا يسمعان في الهمس، ولامدغم فيه يزيد على المدغم بالإطباق والصفير، وإدغام الأنقص في الأزيد حسن، ولا يجوز أن يدغم الأزيد صوتاً في الأنقص، وأيضاً إدغام التاء في الزاي في قوله: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ حسن لأن التاء مهموسة والزاي مجهورة وفيها زيادة صفير كما كان في الصاد، وأيضاً حسن إدغام التاء في الذي في قوله: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ لاتفاقهما في أنهما من طرف اللسان وأصول الثنايا، وأما من قرأ بالإظهار وترك الإدغام فذلك لاختلاف المخارج، والله أعلم.

المسألة الثانية: في هذه الأشياء الثلاثة المذكورة المقسم بها يحتمل أن يتكون صفات ثلاثة لموصوف واحد، ويحتمل أن تكون أشياء ثلاثة متباينة، أما على التقدير الأول ففيه وجوه الأول: أنها صفات الملائكة، وتقديره أن الملائكة يقفون صفوفاً. إما في السمٰوات لأداء العبادات كما أخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ [الصَّافات: 165] وقيل إنهم يصفون أجنحتهم في الهواء يقفون منتظرين وصول أمر الله إليهم، ويحتمل أيضاً أن يقال معنى كونهم صفوفاً أن لكل واحد منهم مرتبة معينة ودرجة معينة في الشرف والفضيلة أو في الذات والعلية وتلك الدرجة المرتبة باقية غير متغيرة وذلك يشبه الصفوف.

قال ابن كثير[2]: قال سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ وهي الملائكة، ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ هي الملائكة، ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ هي الملائكة، وكذا قال ابن عباس

(1) التفسير الكبير. (2) تفسير ابن كثير.

رضي الله عنهما ومسروق وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والسدي وقتادة والربيع بن أنس. قال قتادة: الملائكة صفوف في السماء. وقال مسلم: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجعل لنا ترابها طهوراً إذا لم نجد الماء**» وقد روى مسلم أيضاً وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الأعمش عن المسيب بن رافع عن تميم ابن طرفة عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟**» قلنا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال ﷺ: «**يتمون الصفوف المتقدمة، ويتراصون في الصف**».

● **قال تعالى:** ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ [الصافات: 165].

قال القرطبي(1): ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ قال الكلبي: صفوفهم كصفوف أهل الدنيا في الأرض. وفي صحيح مسلم عن جابر بن سَمُرة قال: خرج علينا رسول ﷺ ونحن في المسجد؛ فقال: «**ألا تَصُفّون كما تَصُفّ الملائكة عند ربها**» فقلنا: يا رسول الله كيف تصفّ الملائكة عند ربها؟ قال: «**يُتمون الصفوف الأوَلَ ويتراصُّون في الصفّ**» وكان عمر يقول إذا قام للصلاة: أقيموا صفوفكم واستووا إنما يريد الله بكم هَدْي الملائكة عند ربها ويقرأ: «وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُون» تأخر يا فلان تقدّم يا فلان؛ ثم يتقدّم فيكبر.

وقد مضى في سورة «الحجر» بيانه. وقال أبو مالك: كان الناس يصلّون متبدّدين فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ فأمرهم النبي ﷺ أن يصطفوا. وقال الشعبي: جاء جبريل أو ملَك إلى النبي ﷺ فقال: تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه؛ إن الملائكة لتصلي وتسبح ما في السماء ملَك فارغ.

(1) الجامع لأحكام القرآن.

وقيل: أي لنحن الصافون أجنحتنا في الهواء وقوفاً ننتظر ما نؤمر به. وقيل: أي نحن الصافون حول العرش.

قال أبو السعود[1]: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ﴾ في مواقفِ الطَّاعةِ ومواطن الخِدمة.

قال الخازن[2]: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ﴾ يعني الملائكة صفوا أقدامهم في عبادة الله تعالى كصفوف الناس في الصلاة في الأرض.

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾ [طه: 64].

قال الطبري[3]: ﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾ يقول: احضروا وجيئوا صفاً والصفّ هٰهنا مصدر، ولذلك وحد، ومعناه: ثم ائتوا صفوفاً، وللصفّ في كلام العرب موضع آخر، وهو قول العرب: أتيت الصفّ اليوم، يعني به المصلى الذي يصلى فيه.

قال الزمخشري[4]: أمروا بأن يأتوا صفاً لأنه أهيب في صدور الرائين. وروي: أنهم كانوا سبعين ألفاً مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد أقبلوا إقبالة واحدة. وعن أبي عبيدة أنه فسر الصف بالمصلى، لأن الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم مصطفين. ووجه صحته أن يقع علماً لمصلى بعينه، فأمروا بأن يأتوه أو يراد. ائتوا مصلى من المصليات.

● **قال تعالى**: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: 106].

قال الفخر الرازي[5]: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ ليبين أن ذلك النسف لا يزيل الاستواء لئلا يقدر أنها لما زالت من موضع إلى موضع آخر صارت هناك حائلة، هذا كله إذا كان المقصود من سؤالهم الاعتراض على كيفية المخافتة، أما لو كان الغرض من السؤال ما ذكرنا من أنه لا نقصان فيها في الحال فوجب أن لا ينتهي أمرها إلى البطلان، كان تقرير الجواب: أن بطلان الشيء قد يكون بطلاناً يقع

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) لباب التأويل.
(3) جامع البيان.
(4) الكشاف.
(5) التفسير الكبير.

توليدياً، فحينئذ يجب تقديم النقصان على البطلان وقد يكون بطلاناً يقع دفعة واحدة، وههنا لا يجب تقديم النقصان على البطلان، فبين الله تعالى أنه يفرق تركيبات هذا العالم الجسماني دفعة بقدرته ومشيئته فلا حاجة ههنا إلى تقديم النقصان على البطلان.

أنه تعالى وصف الأرض ذلك الوقت بصفات. أحدها: كونها قاعاً وهو المكان المطمئن وقيل مستنقع الماء. وثانيها: الصفصف وهو الذي لا نبات عليه. وقال أبو مسلم: القاع الأرض الملساء المستوية وكذلك الصفصف. وثالثها: قوله: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: 107] وقال صاحب «الكشاف»: قد فرقوا بين العِوج والعَوج فقالوا: العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الأعيان، فإن قيل: الأرض عين فكيف صح فيها المكسور العين؟ قلنا: اختيار هذا اللفظ له موقع بديع في وصف الأرض بالاستواء ونفي الاعوجاج، وذلك لأنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسويتها وبالغت في التسوية فإذا قابلتها المقاييس الهندسية وجدت فيها أنواعاً من العوج خارجة عن الحس البصري. قال فذاك القدر في الاعوجاج لما لطف جداً ألحق بالمعاني فقيل فيه: عوج بالكسر، واعلم أن هذه الآية تدل على أن الأرض تكون ذلك اليوم كرة حقيقية لأن المضلع لا بد وأن يتصل بعض سطوحه بالبعض لا على الاستقامة بل على الاعوجاج وذلك يبطله ظاهر الآية. ورابعها: الأمت النتوء اليسير، يقال: مد حبله حتى ما فيه أمت وتحصل من هذه الصفات الأربع أن الأرض تكون ذلك اليوم ملساء خالية عن الارتفاع والانخفاض وأنواع الانحراف والاعوجاج.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: 41].

قال ابن عاشور(1): والصافّات من صفات الطير يراد به صفهن أجنحتهن في

(1) التحرير والتنوير.

الهواء حين الطيران. وتخصيص الطير بالذكر من بين المخلوقات للمقابلة بين مخلوقات الأرض والسماء بذكر مخلوقات في الجو بين السماء والأرض ولذلك قيّدت بـ ﴿صَٰٓفَّٰتٖۖ﴾.

قال الشعراوي[1]: ﴿وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ﴾ فلماذا خَصَّ الطير بالذكْر مع أنها داخلة في ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

قالوا: خَصَّها لأن لها خصوصية أخرى وعجيبة، يجب أن نلتفت إليها؛ لأن الله تعالى يريد أنْ يجعل الطير مثلاً ونموذجاً لشيء أعظم، فالطير كائن له وزن وثِقل، يخضع لقانون الجاذبية التي تجذب للأرض كُلَّ ثقل يعلَقُ في الهواء.

لكن الحق - سبحانه وتعالى - يخرق هذا القانون للطير حين يصُفُّ أجنحته في الهواء، يظل مُعلّقاً لا يسقط: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ﴾ [المُلك: 19].

وكأن الخالق - عز وجل يقول: خُذُوا من الطير المشاهد نموذجاً ووسيلة إيضاح، فإذا قلتُ لكم: ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ﴾ [الحَجّ: 65] فَصدِّقوا وآمنوا أن الله يُمسك السماء، بل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ [فاطر: 41]. فخُذْ من المشهد الذي تدركه دليلاً على ما لا تدركه.

● **قال تعالى**: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ﴾ [الحَجّ: 36].

قال أبو السعود[2]: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾ بأنْ تقولُوا عند ذبحِها اللهُ أكبرُ لا إلٰهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبرُ اللهمَّ منكَ وإليكَ ﴿صَوَآفَّۖ﴾ أي قائماتٍ قد صففنَ أيديهنَّ وأرجلهنَّ. وقُرىء صَوَافنَ من صَفن الفرسُ إذا قام على ثلاثٍ وعلى طرفِ سُنْبكِ الرَّابعةِ لأنَّ البدنةَ تُعقل إحدىٰ يديها فتقومُ على ثلاثٍ. وقُرىء صَوَافِنا بإبدالِ

(1) تفسير الشعراوي.
(2) إرشاد العقل السليم.

التَّنوينِ من حرفِ الإطلاقِ عند الوقفِ. وقُرِىء صَوَافِى أي خَوَالِصَ لوجهِ اللهِ عزَّ وجلَّ. وصَوَافْ على لغة مَن يُسكِّنُ الياءَ على الإطلاق كما في قوله:

لعلِّي أرىٰ باقْ على الحدثانِ

قال ابن عجيبة[1]: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾ بأن تقولوا عند ذبحها: بسم الله، اللهم منك وإليك. حال كونها ﴿صَوَآفَّ﴾ أي: قائمات، قد صففن أيديهن وأرجلهن.

● **قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖ﴾** [الطُّور: 20].

قال القرطبي[2]: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ﴾ سُرُر جمع سرير وفي الكلام حذف تقديره: متكئين على نمارق سرر. ﴿مَّصۡفُوفَةٖ﴾ قال ٱبن الأعرابي: أي موصولة بعضها إلى بعض حتى تصير صفًّا. وفي الأخبار أنها تصفّ في السماء بطول كذا وكذا؛ فإذا أراد العبد أن يجلس عليها تواضعت له، فإذا جلس عليها عادت إلى حالها. قال ٱبن عباس: هي سرر من ذهب مكلّلة بالزبرجد والدر والياقوت، والسرير ما بين مكة وأيلة.

قال الطبري[3]: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖ﴾ قد جعلت صفوفاً، وترك قوله: على نمارق، اكتفاء بدلالة ما ذكر من الكلام عليه.

● **قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾** [الفجر: 22].

قال الألوسي[4]: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ قال منذر بن سعيد معناه ظهر سبحانه للخلق هنا لك وليس ذلك بمجيء نقلة وكذلك مجيء الطامة والصاخة وقيل الكلام على حذف المضاف للتهويل أي وجاء أمر ربك وقضاؤه سبحانه واختار جمع أنه تمثيل لظهور آيات اقتداره تعالى وتبين آثار قدرته عز وجل وسلطانه عز سلطانه مثلت

---

(1) البحر المديد.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) جامع البيان.
(4) روح المعاني.

حاله سبحانه في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم وأنت تعلم ما للسلف في المتشابه من الكلام.

﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ أي جنس الملك فيشمل جمع ملائكة السماوات عليهم السلام ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ أي مصطفين أو ذوي صفوف فإنه قيل ينزل يوم القيامة ملائكة كل سماء فيصطفون صفاً بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن والإنس وقيل يصطفون بحسب أمكنة أمور تتعلق بهم وهو قريب مما ذكر وروي أن ملائكة كل سماء تكون صفاً حول الأرض فالصفوف سبعة على ما هو الظاهر. وقال بعض الأفاضل الظاهر أن الملك أعم من ملائكة السماوات وغيرها وتعريفه للاستغراق وادعى أن اصطفافهم بحسب مراتبهم اصطفاف أهل الدنيا في الصلاة وظاهره أنه اصطفاف من غير تحديق ورأيت غير أثر في أنهم يصطفون محدقين.

قال أبو السعود[1]: ﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ أي مُصطفينَ أو ذَوِي صفوفٍ فإنه ينزلُ يومئذٍ ملائكةُ كلِّ سماءٍ فيصطفونَ صفاً بعدَ صفٍ بحسب منازِلِهم ومراتبِهم مُحدقينَ بالجنِّ والإنسِ. ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ كقولِه تعالَى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ [الشُّعَرَاء: 91] قال ابنُ مسعودٍ ومقاتلٌ تُقادُ جهنمُ بسبعينَ ألفَ زمامٍ كلُّ زمامٍ معه سبعونَ ألفَ مَلَكٍ يَجرونَها حتى تُنصبَ عن يسارِ العرشِ لها تغيظٌ وزفيرٌ وقد رَواهُ مسلمٌ في صحيحِه عن ابنِ مسعودٍ مَرْفُوعاً. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ [الفجر: 23] بدلٌ مِنْ إذَا دكتْ والعاملُ فيهِمَا قولُه تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي يتذكرُ ما فرَّطَ فيهِ بتفاصيلِه.

(1) إرشاد العقل السليم.

صفح

(صَفَحَ - حَطَّ - وَضَعَ)

■ **الصَّفْحُ:** ترك التثريب والتأنيب، وهو أبلغ من العفو لذلك قال تعالى: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [البَقَرَة: 109].

■ **الحَطُّ:** التجاوز عن جزء من الدَّين أو العقاب ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ [البَقَرَة: 58].

■ **الوَضْعُ:** التجاوز عن كل الدَّين أو العقاب ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعرَاف: 157].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والفاء والحاء أصلٌ صحيحٌ مطَّرد يدلُّ على عَرْض وعِرَض. من ذلك صُفْح الشَّيء: عُرْضُهُ. ويقال رأس مُصْفَحٌ: عريض. والصفيحة: كلُّ سيفٍ عريض. وصَفْحَتا السَّيف: وَجْهاه. وكلُّ حجرٍ عريضٍ صفيحةٌ، والجمع صَفائِح. والصُّفَّاح: كلُّ حجرٍ عريض. قال النّابغة: ويُوقِدْن بالصُّفّاحِ نارَ الحُباحِبِ.

ومن الباب: المُصافحةُ باليد، كأنَّه ألصقَ يدَه بصَفحةِ يدِ ذاك. والصَّفْح الجنْب. وصَفحا كلِّ شيء: جانباه. فأمَّا قولهم: صَفَح عنه، وذلك إعْراضُهُ عن

(1) معجم مقاييس اللغة.

ذنْبِهِ، فهو من البابِ؛ لأنَّه إذا أعرضَ عنه فكأنَّه قد ولَّاه صَفْحتَه وصُفحه، أي عُرضه وجانِبَه، وهو مَثَلٌ. ومن الباب: صَفحت الرَّجلَ وأصفحتُهُ، إذا سألك فمنعتَه. وهو من أنّك أريتَه صَفْحَتَك مُعْرِضاً عنه. ويقال: صَفحتُ الإبلَ على الحوض، إذا أمررتَها عليه، وكأنَّكَ أَرَيْتَ الحوضَ صَفَحَاتِها، وهي جُنوبُها. ومما شذَّ عن الباب قولُهم: صفحت الرَّجل صفحاً، إذا سَقيتَه أيَّ شرابٍ كان ومتى كان.

قال الجوهري[1]: صَفْحُ الشيءِ: ناحيتُه. وصَفْحُ الإنسان: جَنْبُه. وصَفْحُ الجبل: مُضْطَجَعُه. وصَفْحَةُ كلِّ شيءٍ: جانبُه. ونَظَر إليَّ بِصَفْحِ وجهه وبصُفْح وجهه، أي بِعُرْضِه. قال أبو عبيدة: يقال ضَرَبَهُ بصُفْح السَيف. وصفيحةَ الوجه: بَشَرَةُ جِلْدِه. وصَفائح الباب: أَلْواحه. والصَّفيحة: السَّيْفُ العَريض، وكذلك الحَجَرُ العريض. ووَجْهُ كلِّ شيء عريضٍ صَفيحةٌ. وصَفَحْتُ عن فلانٍ، إذا أعْرضْتَ عن ذَنْبِه. وقد ضَرَبْتُ عنه صَفْحاً، إذا أعْرَضْتَ عنه وتركتَه. وصَفَحْتُ الإبلَ على الحوْض، إذا أَمْرَرْتَها. وصفَحْتُ فُلاناً وأصفحتُه، إذا سألك فردَدْتَه. وصَفَحْتُهُ وأَصْفَحْتُهُ جميعاً، إذا ضَرَبْتَهُ بالسيف مُصْفَحاً، أي بِعُرْضه. وتَصَفَّحْتُ الشيءَ، إذا نَظَرتَ في صَفَحاتِه. والمصافحة الأخْذُ باليد. والتَّصافُحُ مثله.

وتقول: وَجْه هذا السيف مُصْفَحٌ، أي عريض، من أَصْفَحْتُهُ والمصفح أيضاً: المحال وفي الحديث قلب المؤمن مصفح على الحق. والمُصْفَحُ أيضاً: السادس من سهام المَيْسِرِ. والتَّصْفيحُ: مثل التصفيق. وفي الحديث: «**التَّسْبيحُ للرجال والتَّصفيح للنساء**»، ويُروى أيضاً بالقاف. وتَصفيحُ الشيء: جعلُه عَريضاً. ومنه قولهم رجُلٌ مُصَفَّحُ الرأس، إذا كان عريض الرأسِ.

والصُّفَّاح بالضم والتشديد: الحَجَر العريض.

قال الفيروزآبادي[2]: الصَّفْحُ: الجانِبُ، وصفح من الجَبَلِ: مُضْطَجَعُهُ،

(1) الصحاح في اللغة. (2) القاموس المحيط.

وصفح منك: جَنْبُكَ، وصفح من الوَجْهِ والسَّيْفِ: عرْضُهُ، ويُضمُّ، جمعه: صِفاحٌ، ورَجُلٌ من بني كَلْبٍ، وكمَنَعَ: أَعْرَضَ وتَرَكَ، وصفح عنه: عَفا، وصفح الإبِلَ على الحَوْضِ: أمَرَّها عليه، وصفح السائِلَ: رَدَّه، كأَصْفَحَه، وصفح بالسَّيْفِ: ضَرَبَهُ مُصْفَحاً، أي: بِعُرْضِه.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البَقَرَة: 109].

قال الألوسي(1): ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ العفو ترك عقوبة المذنب، والصفح ترك التثريب والتأنيب وهو أبلغ من العفو إذ قد يعفو الإنسان ولا يصفح، ولعله مأخوذ من تولية صفحة الوجه إعراضاً أو من تصفحت الورقة إذا تجاوزت عما فيها. وآثر العفو على الصبر على أذاهم إيذاناً بتمكين المؤمنين ترهيباً للكافرين.

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ هو واحد الأوامر؛ والمراد به الأمر بالقتال بقوله سبحانه: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إلى ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: 29] أو الأمر بقتل قريظة وإجلاء بني النضير.

قال الشعراوي(2): ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾.. ما هو العفو وما هو الصفح؟.. يقال عفت الريح الأثر أي مسحته وأزالته.. فالإنسان حين يمشي على الرمال تترك قدمه أثراً فتأتي الريح وتعفو الأثر أي تزيله.. ولذلك فإن العفو أن تمحو من نفسك أثر أي إساءة وكأنه لم يحدث شيء.. والصفح يعني طي صفحات هذا الموضوع لا تجعله في بالك ولا تجعله يشغلك.. وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾.. أن هذا الوضع بالنسبة لليهود وما يفعلونه في المؤمنين لن

(1) روح المعاني.
(2) تفسير الشعراوي.

يستمر لأن الله سبحانه قد أعد لهم أمراً ولكن هذا الأمر لم يأت وقته ولا أوانه.. وعندما يأتي سيتغير كل شيء.. لذلك يقول الله للمؤمنين لن تظلوا هكذا.. بل يوم تأخذونهم فيه بجرائمهم ولن يكون هذا اليوم بعيداً.. عندما يقول الله سبحانه: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾.. فلابد أن أمر الله آت.. لأن هذه قضية تتعلق بجوهر الإيمان كله.. فلا يقال أبداً حتى يأتي الله بأمره ثم لا يجيء هذا الأمر.. بل أمر الله بلا شك نافذ وسينصركم عليهم..

● **قال تعالى:** ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: 85].

قال أبو السعود[1]: ﴿فَٱصْفَحْ﴾ أي أعرض عنهم ﴿ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ إعراضاً جميلاً وتحمَّلْ أذيَّتهم ولا تعجَلْ بالانتقام منهم، وعامِلْهم معاملةَ الصَّفوح الحليم، وقيل: هي منسوخةٌ بآية السيف.

قال الخازن[2]: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ أي فأعرض عنهم يا محمد واعفُ عنهم عفواً حسناً. واحتمل ما تلقى من أذى قومك وهذا الصفح والإعراض منسوخ بآية القتال، وقيل فيه بُعد لأن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه ﷺ، أن يظهر الخلق الحسن وأن يعاملهم بالعفو والصفح الخالي من الجزع والخوف.

● **قال تعالى:** ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [الزّخرُف: 5].

قال القرطبي[3]: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ يعني: القرآن؛ عن الضحاك وغيره. وقيل: المراد بالذكر العذاب؛ أي أفنضرب عنكم العذاب ولا نعاقبكم على إسرافكم وكفركم؛ قاله مجاهد وأبو صالح والسدي، ورواه العَوْفي عن ابن عباس. وقال ابن عباس: المعنى أفحسبتم أن نصفح عنكم العذاب ولما تفعلوا ما أمرتم به. وعنه أيضاً أن المعنى أتكذبون بالقرآن ولا تعاقبون. وقال السدي أيضاً؛ المعنى أفنترككم سُدًى فلا نأمركم ولا ننهاكم. وقال قتادة: المعنى

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) لباب التأويل.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

أفنهلككم ولا نأمركم ولا ننهاكم. وعنه أيضاً: أفنمسك عن إنزال القرآن من قبل أنكم لا تؤمنون به فلا ننزله عليكم. وقاله ابن زيد. قال قتادة: والله لو كان هذا القرآن رفع حين ردّدته أوائل هذه الأمة لهلكوا، ولكن الله ردّده وكرره عليهم برحمته. وقال الكسائي: أفنطوي عنكم الذكر طَيًّا فلا توعظون ولا تؤمرون.

صفد

(صَفَد - غُلّ - سِلْسِلَة)

■ **الصَّفْدُ:** جامعة من حديد تجمع القدمين ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: 49].

■ **الغُلُّ:** جامعة تجمع اليدين إلى الرقبة ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: 29].

■ **السِّلْسِلَةُ:** حبل من حلق حديدية توضع في رقبة المجرم ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر: 71].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الصاد والفاء والدال أصلان صحيحان: أحدُهما عَطاءٌ، والآخَر شَدٌّ بشيء. فالأوَّل الصَّفَد؛ يقال: أَصفدتُهُ، إذا أعطيتَه.

وأمَّا الصَّفْد فالغُلّ، ويقال الصَّفْد التقييد. والأصفاد: الأقْياد. والصِّفاد: القَيد أيضاً.

وفي الحديث: «**إذا دخل شهرُ رمضانَ صُفِّدت الشياطين**».

قال الجوهري(2): صَفَدَهُ يَصْفِدُهُ صَفْداً، أي شَدَّه وأَوْثَقَه. وكذلك التَّصْفيدُ. والصَّفَدُ بالتحريك: العَطاءُ. والصَّفَدُ أيضاً: الوَثاقُ. وأَصْفَدْتُهُ إصْفاداً، أي

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) الصحاح في اللغة.

أعْطَيْتُهُ مالاً، ووَهبْتُ له عَبْداً. والصِّفادُ: ما يوثَقُ به الأسيرُ من قِدٍّ وقَيْدٍ وغُلٍّ. والأَصْفادُ: القُيودُ.

قال الفيروزآبادي[1]: صَفَدَه يَصْفِدُه: شَدَّه، وأوثَقَه، كأَصْفَدَه وصَفَّدَه. والصَّفَدُ، محرَّكةً: العَطاءُ، والوَثاقُ، وبِلا لامٍ: د بالشَّامِ. وككِتابٍ: ما يُوثَقُ به الأَسيرُ من قِدٍّ أو قَيْدٍ. والأَصْفادُ: القُيودُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: 49].

قال القرطبي[2]: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ وهم المشركون. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة. ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ أي مشدودين ﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ وهي الأغلال والقيود، واحدها صَفْد وصَفَد. ويقال: صَفَدته صَفْداً أي قيّدته والاسم الصَّفَد، فإذا أردت التكثير قلت: صَفَّدته تصفِيداً؛ قيل: يقرن كل كافر مع شيطان في غُلّ، بيانه قوله: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصَّافات: 22] يعني قرناءهم من الشياطين. وقيل: إنهم الكفار يجمعون في الأصفاد كما اجتمعوا في الدنيا على المعاصي.

قال الشوكاني[3]: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ معطوف على ﴿وَبَرَزُوا۟﴾ [إبراهيم: 48] أو على ﴿تُبَدَّلُ﴾ [إبراهيم: 48]، والمجيء بالمضارع لاستحضار الصورة، والمجرمون هم: المشركون، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يوم القيامة، و﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ أي: مشدودين إما بجعل بعضهم مقروناً مع بعض، أو قرنوا مع الشياطين، كما في قوله: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزّخرُف: 36]. أو جعلت أيديهم مقرونة إلى أرجلهم، والأصفاد: الأغلال، والقيود.

---

(1) القاموس المحيط.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) فتح القدير.

صفر
(صُفْر)

■ **الصُّفَرةُ:** لون من الألوان التي بين السواد والبياض، وهي إلى السواد أقرب، ولذلك قد يعبر بها عن السواد.

قال الحسن: ﴿بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ [البَقَرَة: 69]. . أي سوداء. وقال بعض: لا يقال في السواد: فاقع، وإنما يقال فيها حالكة. وقال تعالى: ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ [الزُّمَر: 21].

﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: 33] قيل هي جمع أصفر. وقيل بل أراد الصفر المخرج من الممالك، ومنه قيل للنحاس: صفر، وقد يقال: الصفير للصوت حكاية لما يسمع، ومن هذا صفير متعارف في كل خالٍ من الآنية وغيرها، وسمي خلو الجوف والعروق من الغذاء صفراً. ولما كانت العروق الممتدة في الكبد إلى المعدة إذا لم تجد غذاء امتصت أجزاء المعدة اعتقدت جهلة العرب أن ذلك حية في البطن تعض بعض الشراسف. حتى نفى النبي ﷺ فقال: «**لا عدوى ولا صفر ولا هامة**» أخرجه البخاري في الطب، ومسلم.

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والفاء والراء ستّة أوجه: فالأصل الأوَّل لونٌ من الألوان. والثاني الشَّيء الخالي. والثالث جوهرٌ من جواهر الأرضِ. والرَّابع

(1) معجم مقاييس اللغة.

صَوت. والخامس زَمان. والسادس نَبْت. فالأوَّلُ: الصُّفْرة في الألوان. وبنو الأصفر: مُلوكُ الرُّومِ؛ لِصُفْرةٍ اعتَرَتْ أبَاهم.

والأصل الثاني: الشيء الخالي، يقال هو صِفْر. ويقولون في الشتم: ما له صَفِر إناؤه. أي هلكت ماشيتُهُ. ومن الباب قولُهم للذي به جنونٌ: إنه لفي صُفْرَةٍ وصِفْرة بالضم والكسر، إذا كان في أيامٍ يزول فيها عقلُهُ. والقياس صحيح؛ لأنه كأنه خالٍ بين عقله. والأصل الثالث: الصُّفْر من جواهر الأرض، يقال إنَّه النُّحاس. وقد يقال الصِّفْر. وقد أخبرني عليُّ بن إبراهيمَ القطانُ، عن عليّ بن عبد العزيز، عن أبي عُبيد قال: قال الأصمعي: النُّحاس الطَّبيعة والأصل، والنُّحاس هو الصُّفر الذي تعمل منه الآنية، فقال «الصُّفْر»، بضم الصاد. قال أبو عبيدٍ مثلَهُ، إلَّا أنَّه قال الصِّفْر، بكسر الصاد. وأمَّا الرَّابع فالصَّفير للطَّائر. وقولهم: ما بها صافرٌ، من هذا، أي كأنَّه يصوِّت. وأمَّا الزمان فصَفَر: اسم هذا الشهر. قال ابنُ دريد: الصَّفَرَانِ شهرانِ في السَّنة، سمِّي أحدُهما في الإسلام المحرَّم. والصَّفَريّ، نباتٌ يكون في أوّلِ الخريفِ. والصَّفَريّ في النَّتاج بعد اليقظيّ. وأمَّا النَّبات فالصَّفَار، وهو نبتٌ، يقال إنَّه يبيس البُهْمَى.

قال الجوهري[1]: الصُّفْرَةُ: لون الأَصْفَرِ. وقد اصْفَرَّ الشيء، واصفَارَّ، وصَفَّرَهُ غيره. وأهلك النِّساء الأصفران: الذهبُ والزعفرانُ، ويقال: الوَرْسُ والزعفرانُ. وفرسٌ أَصْفَرُ، وهو الذي يسمَّى بالفارسية زَرْدَهْ. قال الأصمعي: ولا يسمَّى أَصْفَرَ حتَّى يَصْفَرَّ ذَنَبُهُ وعُرْفُهُ. وربَّما سَمَّتِ العرب الأسودَ أَصْفَرَ.

ويقال: إنَّه لفي صُفْرَةٍ، للذي يعتريه الجنون، إذا كان في أَيامٍ يزول فيها عقلُه، لأنَّهم كانوا يمسحونه بشيءٍ من الزعفران.

والصُّفْرُ بالضم: الذي تُعمَل منه الأواني. وأبو عبيدة يقوله: بالكسر. والصِّفْرُ أيضاً: الخالي. يقال: بيتٌ صِفْرٌ من المتاع، ورجلٌ صِفْرُ اليدين. وفي

(1) الصحاح في اللغة.

الحديث: «إنَّ أَصْفَرَ البيوت من الخير البيتُ الصِّفْرُ من كتاب الله». وقد صَفِرَ بالكسر. وأَصْفَرَ الرجل فهو مُصْفِرٌ، أي افتقر. والصَّفاريتُ: الفُقَراءُ، الواحد صِفْريتٌ. وصَفَرٌ الشهرُ بعد المحرم. والجمع أَصْفارٌ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ [البَقَرَة: 69].

قال القرطبي[1]: ﴿صَفْرَآءُ﴾ جمهور المفسرين أنها صفراء اللون، من الصُّفرة المعروفة. قال مكيّ عن بعضهم: حتى القَرْن والظِّلْف. وقال الحسن وابن جُبير: كانت صفراء القرن والظِّلْف فقط. وعن الحسن أيضاً: «صفراء» معناه سوداء. قلت: والأوّل أصح لأنه الظاهر؛ وهذا شاذّ لا يُستعمل مجازاً إلا في الإبل؛ قال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المُرسَلات: 33] وذلك أن السُّود من الإبل سوادها صُفرة. ولو أراد السواد لما أكّده بالفُقُوع، وذلك نَعْتٌ مختصّ بالصّفرة، وليس بوصف السواد بذلك.

قال الخازن[2]: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ قال ابن عباس شديد الصفرة وقيل: لونها صاف وقيل الصفراء السوداء والأول أصح لأنه يقال أصفر فاقع وأسود حالك ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ أي يعجبهم حسنها وصفاء لونها.

● **قال تعالى:** ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ [الزُّمَر: 21].

قال أبو حيان[3]: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾: يقارب الثمار، ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾: أي زالت خضرته ونضارته.

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) لباب التأويل.
(3) البحر المحيط.

قال الطبري[1] : ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ يقول: ثم ييبس ذلك الزرع من بعد خُضرته، يقال للأرض إذا يبس ما فيها من الخضر وذوي: هاجت الأرض، وهاج الزرع.

وقوله: ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ يقول: فتراه من بعد خُضرته ورطوبته قد يبس فصار أصفر، وكذلك الزرع إذا يبس أصفر.

● **قال تعالى:** ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: 33].

قال الألوسي[2] : ﴿كَأَنَّهُۥ﴾ أي الشرر ﴿جِمَٰلَتٌ﴾ بكسر الجيم كما قرأ به حمزة والكسائي وحفص وأبو عمرو في رواية الأصمعي وهارون عنه وهو جمع جمل والتاء لتأنيث الجمع كما في «البحر» يقال جمل وجمال وجمالة أو اسم جمع له كما قيل في حجر وحجارة والتنوين للتكثير. ﴿صُفْرٌ﴾ فإن الشرار لما فيه من النارية والهوائية يكون أصفر فالصفرة على معناها المعروف وقيل سود والتعبير بصفر لأن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة، شبه الشرر حين ينفصل من النار في عظمه بالقصر وحين يأخذ في الارتفاع والانبساط لانشقاقه عن أعداد غير محصورة بالجمال لتصور الانشقاق والكثرة والصفرة والحركة المخصوصة وقد روعي الترتيب في التشبيه رعاية لترتيب الوجود وأفيد أن القصور والجمال يشبه بعضها ببعض.

قال ابن عاشور[3] : وقوله: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ تشبيه له في حجمه ولونه وحركته في تطايره بجمالات صفر. وضمير ﴿كَأَنَّهُۥ﴾ عائد إلى شرر.

والجِمالات: بكسر الجيم جمع جِمالة، وهي اسم جمع طائفة من الجمال، أي تُشبه طوائف من الجمال متوزعة فرقاً، وهذا تشبيه مركب لأنه تشبيه في هيئة الحجم مع لونه مع حركته. والصُفرة: لون الشرر إذا ابتعد عن لهيب ناره.

(1) جامع البيان.
(2) روح المعاني.
(3) التحرير والتنوير.

صفن

(صَفَنَ - رَتَلَ - صَفَّ - نَضَدَ)

■ **الصَّفْنُ:** الجمع بين الشيئين بتساوي الطول والعرض بفترة وجيزة ﴿ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ [ص: 31].

■ **الرَّتْلُ:** اتساق الخيل أو الإبل على خط السير بين سائق واحد وقائد واحد، وفي المجاز قوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المُزمّل: 4].

■ **الصَّفُّ:** هو الرتل ساعة وقوفه على خط مستوٍ ﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا﴾ [الصَّافات: 1] أي الملائكة.

■ **النَّضَدُ:** جمع الأشياء بعضها فوق بعض بتناسق ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقِعَة: 29].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والفاء والنون أصلانِ صحيحانِ، أحدهما جنسٌ من القيامِ، والآخر وِعاءٌ من الأوعية. فالأوّل: الصُّفون، وهو أن يقومَ الفرسُ على ثلاثِ قوائمَ ويرفعَ الرَّابعة، إلَّا أنَّه ينالُ بطرَف سُنْبُكِها الأرض. والصَّافن: الذي يصفُّ قدمَيه. وفي حديث البَرَاء: «قمنا خَلْفَ رسول الله ﷺ صُفُوناً». ومنه تَصَافَنَ القومُ [الماء]، وذلك إذا اقتسموه بالصُّفن، والصُّفْن: جلدةٌ يُسْتَقَى بها.

(1) معجم مقاييس اللغة.

ومما شذَّ عن الأصلين: الصَّافن، وهو عِرْقٌ.

قال الجوهري(1): الصَّفَنُ بالتحريك: جِلدةُ بيضةِ الإنسان، والجمع أَصْفانٌ. والصُّفْنُ بالضم: وعاءٌ من أَدَمٍ مثل السُفْرَةِ يُستقى بها. وقال الفرَّاء: هو شيءٌ مثل الرِّكوة يُتوضَّأ فيه. وقال أبو عمرو: الصُّفْنُ: خريطةٌ تكون للراعي، فيها طعامُه وزِنادُه وما يَحتاج إليه. وتَصافَنَ القومُ الماءَ: اقتسموه بالحَصَص، وذلك إنَّما يكون بالمَقْلة، يُسقى الرَّجلُ قدرَ ما يغمُرها. والصافِنُ من الخيل: القائمُ على ثلاثِ قوائِم، وقد أقامَ الرابعةَ على طرف الحافر. تقول: صَفَنَ الفرس يَصْفَنُ صُفوناً. والصافِنُ: الذي يصُفُّ قَدمَيه. وفي الحديث: (كنَّا إذا صلَّينا خَلفَه فرفع رأسَه من الرُّكوعِ قُمنا خلفَه صُفوناً، فإذا سَجَد تَبِعناه)، أي قمنا صافِّين أقدامنا.

قال الفيروزآبادي(2): الصَّفْنُ: وعاء الخُصْيَةِ، ويُحَرَّكُ، والسُّفْرَةُ، والشِّقْشِقَةُ، كالصَّفْنَةِ فيهما، وبالضم: كالرَّكْوَةِ يُتَوَضَّأُ فيها، وخَريطَةٌ لِطَعامِ الرَّاعي وزِنادِهِ وأَدَاتِهِ، كالصَّفْنَةِ، بالفتحِ. وتَصافَنُوا الماء: اقْتَسَمُوهُ بالحِصَصِ. وصَفَنَ الفَرَسُ يَصْفِنُ صُفوناً: قامَ على ثلاثِ قوائِمَ وطَرَفِ حافِرِ الرابعةِ، وصفن الرجُلُ: صَفَّ قَدَمَيْهِ، وصفن به الأرضَ: ضَرَبَهُ. والصَّفَنُ، محرَّكةً: ما فيه السُّنْبُلَةُ من الزَّرْعِ، وبَيْتٌ يُنَضِّدُهُ الزُّنْبُورُ ونحوهُ لنفسِهِ أو لفِراخِهِ، وفِعْلُهُ: التَّصْفِينُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ [ص: 31].

قال ابن عاشور(3): ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾: وصف لموصوف محذوف استغنى عن ذكره لدلالة الصفة عليه لأن الصافن لا يكون إلا من الخيل والأفراس وهو الذي

(1) الصحاح في اللغة.
(2) القاموس المحيط.
(3) التحرير والتنوير.

يقف على ثلاث قوائم وطرف حافر القائمة الرابعة لا يمكّن القائمة الرابعة من الأرض، وتلك من علامات خفته الدالة على كرم أصل الفرس وحسن خلاله، يقال: صفن الفرس صُفوناً.

قال الشعراوي[1]: ﴿ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ﴾ جمع صَافِن، وهو الجَواد العريق الأصيل، وتستطيع أنْ تلاحظ الجواد الأصيلَ من وقفته، فهو لا يقف على أربع، إنما على ثلاث في رشاقة، وكأنه على أُهبة الاستعداد.

ومعنى ﴿ٱلْجِيَادُ﴾ جمع: جَوَاد وهو القوي السريع، فلما عُرِضَتْ على سيدنا سليمان الصافناتُ الجيادُ من خَيْلِه وقواته.

● **قال تعالى**: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ [الحج: 36].

قال البيضاويّ[2]: ﴿صَوَآفَّ﴾ قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن، وقرىء «صوافن» من صفن الفرس إذا قام على ثلاث. وعلى طرف حافر الرابعة لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث، وقرىء «صوافنا» بإبدال التنوين من حرف الإطلاق عند الوقف و«صوافي» أي خوالص لوجه الله، و«صوافي» بسكون الياء على لغة من يسكن الياء مطلقاً كقولهم: أعط القوس باريها.

قال القرطبي[3]: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ أي انحروها على اسم الله. و«صوافّ» أي قد صفّت قوائمها. والإبل تُنحر قياماً معقولة. وأصل هذا الوصف في الخيل؛ يقال: صَفَن الفرس فهو صافن إذا قام على ثلاث قوائم وثَنَى سُنْبُك الرابعة؛ والسّنبك طرف الحافر.

---

(1) تفسير الشعراوي.
(2) أنوار التنزيل.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

صفو

(صَفوَ - جَبَى - آثَر - اخْتَارَ - اخْتَصَّ)

- **الاصْطِفَاءُ:** تحديد من يرفعهم في نفسه على الآخرين ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عِمرَان: 42].
- **الاجْتِبَاءُ:** جمع شيء يحبه إلى سائر ما، ومن يحب ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القَلَم: 50].
- **الإيثَارُ:** تحديد محبوبٍ لنفسه هو على سائر من يحب لأثر خفي. فالأثر: فضل والإيثار تفضيل ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: 91].
- **الاخْتِيَارُ:** تحديد من يصلح لوظيفة خاصة من بين آخرين ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعرَاف: 155].
- **التَّخْصِيصُ:** تحديد من يستحق فضله المتميز ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البَقَرَة: 105].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والفاء والحرف المعتلّ أصلٌ واحدٌ يدلُّ على خلوصٍ من كل شَوب. من ذلك الصَّفاء، وهو ضدُّ الكَدَرِ؛ يقال: صفا يصفو، إذا خَلص. يقال: لكَ صَفْوُ هذا الأمرِ وصِفْوته. ومحمَّد صِفوة الله تعالى وخِيرَتُه من خَلْقِه، ومُصْطفاهُ ﷺ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

والصَّفِيُّ: ما اصطفاه الإمام من المَغْنم لنفسه، وقد يسمَّى بالهاء الصَّفِيَّة، والجمع الصَّفَايا والصَّفِيَّة والصَّفِيّ، وهو بغير الهاء أشهر: النّاقةُ الكثيرة اللّبَن، والنَّخْلة الكثِيرةُ الحَمْل، والجمع الصَّفَايا. وإنَّما سُمِّيت صفيًّا لأنَّ صاحِبَها يصطفيها. ومن الباب قولهم: أَصْفت الدَّجاجةُ، إذا انقطع بيضُها، إصفاءً. وذلك كأنَّها صَفَتْ أي خَلَصت من البَيْضِ، ثم جُعِلَ ذلك على أَفْعَلتْ فرقاً بينها وبين سائرِ ما في بابها، وشبّه بذلك الشَّاعِرُ إذا انقطع شِعْرُهُ. ومن الباب الصَّفَا، وهو الحجر الأَمْلَسُ، وهو الصَّفْوانُ، الواحدة صَفوانةٌ، وسمِّيت صفوانَةً لذلك، لأنَّها تَصْفُو من الطِّين والرَّمْل. قال الأصمعيُّ: الصَّفْوان والصَّفْواءُ والصَّفَا، كله واحد. ويقال يومٌ صفوانٌ، إذا كان صافِيَ الشَّمسِ شديدَ البَرْدِ.

قال الخليل[1]: الصَّفْوُ نقيض الكَدَرِ، وصَفْوَةُ كُلِّ شيءٍ خالصُه وخَيرُه.

والصَّفاءُ: مُصافاة المَوَدَّة والإخاءِ. والصَّفاءُ: مصدرُ الشيءِ الصافي. واستَصفَيْتُ صَفوةً أي أَخَذْتُ صَفْوَ ماءٍ من غديرٍ. وصَفِيُّ الإنسانِ: الذي يُصافيه المَوَدَّةَ. وناقةٌ صَفيٌّ: كثيرة اللبَن، ونخلةٌ صَفيٌّ: كثيرةُ الحَمل، وتجمع صَفايا. والصَّفَا: حَجَرٌ صُلْبٌ أملَسُ، فإذا نَعَتَّ الصخرةَ قُلتَ: صَفاة وصَفْواء، والتذكير: صفاً وصَفْوانٌ، واحده صَفْوانةٌ، وهي حجارةٌ مُلْسٌ لا تُنبِتُ شيئاً.

والصَّفيُّ: ما كانَ رسولُ الله ﷺ يَصطَفيه لنفسه أي يختاره من الغَنيمة بعد الخمس قبلَ أن يَقسِمَ. والاصطِفاءُ: الاختيار، افتِعال من الصَّفْوة، ومنه النبيُّ المُصطَفَى، والأنبياءُ المُصْطَفُونَ: إذا اختاروا، هذا بضمّ الفاء.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: 158].

(1) العين.

قال الألوسي(1): ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ الصفا في الأصل الحجر الأملس مأخوذ من صفا يصفو إذا خلص، واحده صفاة - كحصى وحصاة، ونوى ونواة - والمروة في الأصل الحجر الأبيض اللين - والمرو - لغة فيه، وقيل: هو جمع مثل تمرة وتمر، ثم صارا في العرف علمين لموضعين معروفين بمكة للغلبة، واللام لازمة فيهما، وقيل: سمي الصفا لأنه جلس عليه آدم صفي الله تعالى، وسمي - المروة - لأنه جلست عليه امرأته حواء، و - الشعائر - جمع شعيرة، أو شعارة - وهي العلامة - والمراد بهما أعلام المتعبدات أو العبادات الحجية، وقيل: المعنى إن الطواف بين هذين الجبلين من علامات دين الله تعالى، أو أنهما من المواضع التي يقام فيها دينه، أو من علاماته التي تعبد بالسعي بينهما لا من علامات الجاهلية.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: 33].

قال النسفي(2): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾ اختار ﴿ءَادَمَ﴾ أبا البشر ﴿وَنُوحًا﴾ شيخ المرسلين ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إسماعيل وإسحاق وأولادهما ﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ موسى وهارون هما ابنا عمران بن يصهر. وقيل: عيسى ومريم بنت عمران ابن ماثان وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على عالمي زمانهم.

قال العزّ بن عبد السلام(3): اصطفاهم بالنبوة، أو بتفضيلهم على أهل زمانهم، أو باختيار دينهم لهم.

● **قال تعالى:** ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: 42].

---

(1) روح المعاني.
(2) مدارك التنزيل.
(3) التفسير العظيم.

قال ابن عطية[1]: ﴿ٱصۡطَفَىٰكِ﴾ مأخوذ من صفا يصفو وزنه - افتعل - وبدلت التاء طاء التناسب الصاد، فالمعنى تخيرك لطاعته وقوله تعالى: ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ معناه من كل ما يصم النساء في خلق أو خلق أو دين قاله مجاهد وغيره، وقال الزجّاج: قد جاء في التفسير أن معناه طهرك من الحيض والنفاس.

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال، «**خير نساء العالمين أربع، مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد**».

قال البغوي[2]: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ﴾ اختارك ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ قيل من مسيس الرجال وقيل من الحيض والنفاس، قال السدي: كانت مريم لا تحيض، وقيل: من الذنوب ﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قيل: على عالمي زمانها، وقيل: على جميع نساء العالمين في أنها ولدت بلا أب، ولم يكن ذلك لأحد من النساء، وقيل: بالتحرير في المسجد ولم تحرر أنثى.

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ **[الأعراف: 144]**.

قال القرطبي[3]: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ الاصطفاء: الاجتباء؛ أي فضّلتك. ولم يقل على الخلق؛ لأن من هذا الاصطفاء أنه كلمه وقد كلم الملائكة، وأرسله وأرسل غيره. فالمراد «عَلَىٰ النَّاسِ» المرسل إليهم.

قال ابن كثير[4]: يذكر تعالى أنه خاطب موسى بأنه اصطفاه على أهل زمانه برسالاته تعالى، وبكلامه، ولا شك أن محمداً ﷺ سيد ولد آدم من الأولين والآخرين، ولهذا اختصه الله تعالى بأن جعله خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تستمر

(1) المحرر الوجيز.
(2) معالم التنزيل.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) تفسير ابن كثير.

شريعته إلى قيام الساعة، وأتباعه أكثر من أتباع سائر الأنبياء والمرسلين كلهم، وبعده في الشرف والفضل إبراهيم الخليل عليه السلام، ثم موسى بن عمران كليم الرحمن عليه السلام ولهذا قال الله تعالى له: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ أي: من الكلام والوحي والمناجاة.

● **قال تعالى:** ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [الحج: 75].

قال الشوكاني(1): ثم أراد سبحانه أن يردّ عليهم ما يعتقدونه في النبوّات والإلٰهيات فقال: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ كجبريل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل ويصطفي أيضاً رسلاً ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الأنبياء، فيرسل الملك إلى النبيّ، والنبيّ إلى الناس، أو يرسل الملك لقبض أرواح مخلوقاته، أو لتحصيل ما ينفعهم، أو لإنزال العذاب عليهم.

● **قال تعالى:** ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: 59]

قال الطبري(2): يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﴿قُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على نعمه علينا، وتوفيقه إيانا لما وفَّقنا من الهداية ﴿وَسَلَـٰمٌ﴾ يقول: وأَمنة منه من عقابه الذي عاقب به قوم لوط، وقوم صالح، على الذين اصطفاهم، يقول: الذين اجتباهم لنبيه محمد ﷺ، فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدّين الذي بعثه بالدعاء إليه دون المشركين به، الجاحدين نبوّة نبيه. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا طلق، يعني ابن غنام، عن ابن ظهير، عن السديّ، عن أبي مالك، عن ابن عباس ﴿وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النَّمل: 59] قال: أصحاب محمد اصطفاهم الله لنبيه. حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: قلت لعبد الله بن المبارك: أرأيت قول الله ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ

(1) فتح القدير.

(2) جامع البيان.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ من هؤلاء؟ فحدثني عن سفيان الثوري، قال: هم أصحاب رسول الله ﷺ.

قال الزمخشري[1]: أمر رسوله ﷺ أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته، وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده. وفيه تعليم حسن، وتوقيف على أدب جميل، وبعث على التيمن بالذكرين، والتبرك بهما، والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى إلى السامعين وإصغائهم إليه، وإنزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع. ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابراً عن كابر هذا الأدب، فحمدوا الله عزّ وجل وصلوا على رسول الله ﷺ أمام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة، وفي مفتتح كل خطبة، وتبعهم المترسلون فأجروا عليه أوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن. وقيل: هو متصل بما قبله، وأمر بالتحميد على الهالكين من كفار الأمم والصلاة على الأنبياء عليهم السلام وأشياعهم الناجين. وقيل: هو خطاب للوط عليه السلام، وأن يحمد الله على هلاك كفار قومه، ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص: 47].

قال البيضاويّ[2]: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ لمن المختارين من أمثالهم المصطفين عليهم في الخير جمع خير كشر وأشرار. وقيل جمع خير أو خير على تخفيفه كأموات في جمع ميت أو ميت.

قال ابن الجوزي[3]: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾ أي: من الذين اتخذهم اللهُ صَفْوَةً فصفَّاهم من الأدناس ﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾ الذين اختارهم.

● **قال تعالى**: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ [البَقَرَة: 264].

---

(1) الكشاف.
(2) أنوار التنزيل.
(3) زاد المسير.

قال الألوسي[1]: ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ أي المرائي في الإنفاق، والفاء لربط ما بعدها بما قبلها ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ أي حجر كبير أملس وهو جمع صفوانة أو صفاء أو اسم جنس ورجح بعود الضمير إليه مفرداً في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ أي شيء يسير منه.

قال ابن عاشور[2]: ومُثّل حال الذي ينفق ماله رئاء الناس المشبه به - تمثيلاً يسري إلى الذين يُتبعون صدقاتهم بالمنّ والأذى بقوله: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ إلخ - وضمير مثله عائد إلى الذي ينفق ماله رئاء للناس، لأنّه لما كان تمثيلاً لحال المشبّه به كان لا محالة تمثيلاً لحال المشبّه، ففي الكلام ثلاثة تشبيهات.

مثَّل حال الكافر الذي ينفق ماله رئاء الناس بحال صفوان عليه تراب يغشيه، يعني يَخاله الناظر تربة كريمة صالحة للبذر، فتقدير الكلام عليه تراب صالحٌ للزرع فحذفت صفة التراب إيجازاً اعتماداً على أنّ التراب الذي يرقب الناس أن يصيبه الوابل هو التراب الذي يبذرون فيه، فإذا زرعه الزارع وأصابه وابل وطمع الزارع في زكاء زرعه، جرفه الماء من وجه الصفوان فلم يترك منه شيئاً وبقي مكانُه صلداً أملس فخاب أمل زارعه.

وهذا أحسن وأدّق من أن نجعل المعنى تمثيل إنفاق الكافر بحال تراب على صفوان أصابه وابل فجرفه، وأنّ وجه الشبه هو سرعة الزوال وعدم القرار كقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ﴾ [إبراهيم: 18] فإنّ مورد تلك الآية مقام آخر.

(1) روح المعاني. (2) التحرير والتنوير.

صلل

(صَلَل - تُرَاب - طِين - ثَرَى - صَعِيد - حَقْف)

■ **الصَّلَلُ:** الأرض اليابسة ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمٰن: 14].

■ **التُّرَابُ:** وجه الأرض الهش الصالح للزراعة ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الرُّوم: 20].

■ **الطِّينُ:** التراب مع الماء، الطين اللازج شديد الجمود والقوة، والطين الصلصال الجاف ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ [الأنعام: 2].

■ **الثَّرى:** التراب المشتمل على الشيء النفيس من معادن ونحوهما ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: 6].

■ **الصَّعِيدُ:** التراب الطاهر ذو الغبار ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النِّساء: 43].

■ **الحَقْفُ:** التراب المتلبد المائل في سفوح التلال ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: 21].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الجوهري[1]: الصَّلّة: الأرض اليابسة. والصَّلَّةُ: الجِلْدُ. يقال: خُفٌّ

(1) الصحاح في اللغة.

جيّدُ الصَّلَّةِ. وقد صَللْتُ الخُفَّ. والصَّلَّةُ أيضاً: واحدة الصِّلالِ، وهي القطع من الأمطار المتفرِّقة، يقع منها الشيء بعد الشيء. والصِّلالُ أيضاً: العُشبُ، سمِّي باسم المطر المتفرِّق. والصِّلُّ بالكسر: الحيَّةُ التي لا تنفع منها الرُّقْية. يقال: إنَّها لَصِلُّ صَفاً، إذا كانت مُنْكَرَةً مثل الأفعى. ويقال للرجل إذا كان داهياً مُنْكَراً: إنّه لَصِلُّ أَصلالٍ، أي حيّةٌ من الحيّات شُبِّه الرجل بها.

والصِّلُّ أيضاً: نبتٌ. والصِّلِّيانُ: بَقْلةٌ، الواحدة صِلِّيانةٌ. ويقال للرجل إذا أسرعَ الحَلِفَ ولم يتتعتع: جَذّها جَذّ العَيْرِ الصِّلِّيانَةَ. وذلك أنّ العيرُ ربّما اقتلع الصِّلِّيانَةَ من أصلها إذا ارتعاها. وصَلَّ اللحمُ يَصِلُّ بالكسر صُلولاً، أي أَنْتَنَ، مطبوخاً كان أو نيّئاً.

وأَصَلَّ مثله. وصَلَّلَتِ اللِّحامُ، شدد للكثرة. وصَلَّ المسمارُ وغيره يَصِلُّ صَليلاً، أي صوّتَ. وطينٌ صَلالٌ ومِصْلالٌ، أي يصوّت كَما يصوِّتُ الفخَّار الجديد. وجاءت الخيلُ تَصِلُّ عطشاً، وذلك إذا سمعْتَ لأجوافها صَليلاً، أي صوتاً. ويقال: صَلَّتُهُم الصالّةُ تَصُلُّهُمْ بالضم، أي أصابَتْهم الداهيةُ.

قال الراغب[1]: أصل الصلصال: تردد الصوت من الشيء اليابس، ومنه قيل: صل المسمار، وسمي الطين الجاف صلصالاً. قال تعالى: ﴿مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمٰن: 14]، ﴿مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: 26]، والصلصلة: بقية ماء، سميت بذلك لحكاية صوت تحركه في المزادة، وقيل: الصلصال: المنتن من الطين، من قولهم: صل اللحم، قال: وكان أصله صلال، فقلبت إحدى اللامين، وقرئ: (أئذا صَلَلْنَا)، (وهي قراءة شاذة) أي: أنتنا وتغيرنا، من قولهم: صل اللحم وأصل.

(1) مفردات الراغب.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: 26]

قال ابن عاشور(1): تكملة لإقامة الدليل على انفراده تعالى بخلق أجناس العوالم وما فيها. ومنه يتخلص إلى التذكير بعداوة الشيطان للبشر ليأخذوا حذرهم منه ويحاسبوا أنفسهم على ما يخامرها من وَسْواسه بما يرديهم. جاء بمناسبة ذكر الإحياء والإماتة فإن أهم الإحياء هو إيجاد النوع الإنساني. ففي هذا الخبر استدلال على عظيم القدرة والحكمة وعلى إمكان البعث، وموعظةٌ وذكرى. والمراد بالإنسان آدم عليه السلام. والصلصال: الطين الذي يترك حتى ييبس فإذا يبس فهو صلصال وهو شبه الفَخّار؛ إلا أن الفَخّار هو ما يبس بالطبخ بالنّار. قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمٰن: 14].

والحمأ: الطين إذا اسودّ وكرهت رائحته. وقوله: ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾ صفة لـ ﴿صَلْصَٰلٍ﴾ و﴿مَّسْنُونٍ﴾ صفة لـ ﴿حَمَإٍ﴾ أو لـ ﴿صَلْصَٰلٍ﴾. وإذ كان الصلصال من الحمأ فصفة أحدهما صفة للآخر. والمسنون: الذي طالت مدة مكثه، وهواسم مفعول من فعل سنّهُ إذا تركه مدة طويلة تشبه السّنة. وأحسب أن فعل (سَن) بمعنى ترك شيئاً مدة طويلة غيرُ مسموع.

● **قال تعالى:** ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمٰن: 14].

قال أبو السعود(2): ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ تمهيدٌ للتوبيخِ على إخلالِهم بمواجبِ شكرِ النعمةِ المتعلقةِ بذواتِ كلٍّ واحدٍ من الثقلينِ. والصلصالُ الطينُ اليابسُ الذي له صلصلةٌ، والفخَّارُ الخزفُ. وقد خلقَ الله تعالى آدمَ عليه السلام من ترابٍ جعلَهُ طيناً ثم حمأً مسنوناً ثم صلصالاً فلا تنافيَ بين الآيةِ الناطقةِ بأحدِها وبينَ ما نطقَ بأحدِ الآخرينِ.

---

(1) التحرير والتنوير.

(2) إرشاد العقل السليم.

قال الخازن[1]: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ﴾ يعني من طين يابس له صلصلة وهو الصوت منه إذا نقر ﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾ يعني الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف.

قال القرطبي[2]: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ لما ذكر سبحانه خلق العالم الكبير من السماء والأرض، وما فيهما من الدلالات على وحدانيته وقدرته ذكر خلق العالم الصغير فقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ باتفاق من أهل التأويل يعني آدم. ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ الصلصال الطين اليابس الذي يسمع له صلصلة، شبهه بالفَخَّار الذي طبخ. وقيل: هو طين خلط برمل. وقيل: هو الطين المنتن من صَلَّ اللحمُ وأَصلَّ إذا أنتن؛ وقد مضى في «الحجر». وقال هنا: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ وقال هناك: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: 26]. وقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصَّافات: 11] وقال: ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عِمرَان: 59] وذلك متفق المعنى؛ وذلك أنه أخذ من تراب الأرض فعجنه فصار طيناً، ثم ٱنتقل فصار كالحمإ المسنون، ثم ٱنتقل فصار صلصالاً كالفخَّار.

(1) لباب التأويل.
(2) الجامع لأحكام القرآن.

صلب

(صَلَبَ - خَنَقَ - حَسَّ - وَأد
ذَكَوَ - صَرَعَ - عَقَرَ)

■ **الصَّلْبُ:** الموت بتعليق الإنسان بحبل من رقبته ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النِّساء: 157].

■ **الخَنْقُ:** الموت بالمخنق، وهو حبل يلفّ على الرقبة أو باليدين حتى الموت ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ [المَائدة: 3].

■ **الحَسُّ:** الموت بإصابة الحواس كناية عن قطع الرأس لأنه مجمع الحواس ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: 152].

■ **الوَأْدُ:** الموت بالدفن حياً ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: 8].

■ **الذَّكَاةُ:** الموت ذبحاً بالسكين من الحلق ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المَائدة: 3].

■ **الصَّرْعُ:** الموت بالطرح أرضاً بقوة ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ [الحَاقَّة: 7].

■ **العَقْرُ:** الموت بقطع الأرجل ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾ [الأعرَاف: 77].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية

قال ابن فارس[1]: الصاد واللام والباء أصلان: أحدهما يدلُّ على الشدّة والقوّة، والآخر جنس من الوَدَك. فالأوّل الصُّلب، وهو الشيء الشَّديد. وكذلك

(1) معجم مقاييس اللغة.

سُمِّيَ الظَّهر صُلْباً لقوّته. ويقال إنَّ الصَّلَبَ الصُّلْبُ. ويُنشَد ذلك الصَّالب من الحُمَّى، وهيَ الشَّديدة.

وحكى الكسائيّ: صَلَبَتْ عليه الحمَّى، إذا دامت عليه واشتدَّت، فهو مصلوبٌ عليه. ومن الباب الصُّلّبيَّة: حجارة المِسَنّ، يقال: سِنان مصَلَّبٌ، أي مسنون. ومنه التّصليب، وهو بلوغ الرُّطَب اليُبس؛ يقال صَلَّبَ. ومن الباب الصَّليب، وهو العَلَم.

وأما الأصل الآخر فالصَّليب، وهو وَدَك العَظْم. يقال: اصطَلَبَ الرجُل، إذا جَمَع العظامَ فاستخرج وَدَكها ليأْتدِم به. وأنشد: قالوا: وسمِّيَ المصلوبُ بذلك كأنَّ السِّمَن يجري على وجهه. [والصليب: المصلوب]، ثمَّ سمِّي الشيء الذي يُصلَب عليه صَليباً على المجاورة. وثوب مُصَلَّبٌ، إذا كان عليه نقشُ صَليب. وفي الحديث في الثوب المصلَّب، أن رسول الله ﷺ «**كان إذا رآه في ثوبٍ قَضَبه**»، أي قَطَعَه. فأمَّا الذي يقال: إنَّ الصَّولَبَ البَذْر يُنْثَر على وجه الأرض ثم يُكرَبُ عليه، فمن الكلام المولّد الذي لا أصلَ له.

قال الخليل(1): الصَّلْبُ لغةٌ في الصُّلْبِ، وقد يُقرَأُ: بين الصَّلْبِ والتَّرائبِ.

والصُّلْبُ: الظَّهر، وهو عَظمُ الفَقارِ المتصِّل في وَسَطِ الظَّهْرِ والصُّلْبُ من الجَريِ ومن الصَّهيل: الشديد، وقال: ذو مَيعَةٍ إذا تَرامَى صُلْبُهُ ورُبَّما جاء في معنى الصُلَّب كالحُوّل والقُوَّل والقُلَّب أي المُحتال، والقُوَّل من القَوْل. ورجلٌ صُلْبٌ: ذو صَلابةٍ، وقد صَلُبَ. والصَّلابة من الأرض: ما غَلُظَ واشتدَّ فهو صُلْبٌ، والجميع الصِّلِبَةُ. والصُّلْبُ: مَوضِعٌ بالصَّمّان أرضُه حِجارةٌ. والصُّلْبُ: حِجارةُ المِسَنِّ، يقال: سِنانٌ مُصَلَّبٌ أي قد سُنَّ على المِسَنِّ. ويقال: الصُّلْبَةُ حجارة المَسانِّ، وهو عريضٌ. والصَّليبُ: المَصلُوبُ. والصَّليبُ: ما يَتَّخِذُه النَّصارَى. والصَّليبُ: وَدَكُ الجيفةِ. والتّصليبُ: خِمْرةٌ للمرأةِ، ويُكْرَهُ للرجلِ أنْ

(1) العين.

يَصَلِّيَ في تَصليب العِمامةِ حتى يجعَلَه كَوْراً بعضَه فوقَ بعضٍ. وقد قيلَ: إنه التَّخاصُر دون كَوْرْ العِمامةِ، ولكلٍّ وَجهٌ. وتَصَلَّب لك فلانٌ أي تَشدَّدَ. والصّالِبُ: الحُمَّى التي لا تَنْفُضُ، يُذَكَّرُ ويُؤَنَّثُ، وتقول: أَخَذَتْه الحُمَّى الصّالِبُ. والصَّوْلَبُ والصَّوْليبُ: البَذْرُ الذي يُنثَرُ على الأرض ثمَّ يُكرَبُ عليه.

قال الفيروزآبادي[1]: الصُّلْبُ، بالضم، وكسُكَّرٍ وأميرٍ: الشديدُ. صَلُبَ، ككَرُمَ وسَمِعَ، صلابةً، وصَلَّبَ تَصْليباً، وصَلَّبْتُه أنا، وبالضم وبالتَّحريكِ: عَظْمٌ من لَدُنِ الكاهِلِ إلى العَجْبِ كالصَّالِبِ، جمعه: أَصْلُبٌ وأَصْلابٌ وصِلَبَةٌ، والمَكانُ الغليظُ المُحَجَّرُ، جمعه: صِلَبَةٌ، وبالضم: الحَسَبُ والقُوَّةُ، و بالصَّمَّانِ، وقولُه: سُقْنا بِه الصُّلْبَيْنِ والصَّمَّانا إمَّا تَثْنِيَةٌ للضَّرورَةِ، كَرامَتَينِ في رامَةٍ، وإمَّا هُما مَوْضِعانِ تَغْلِبُ عليهما هذه الصِّفةُ. وصَلَبَه، كَضَرَبَه: جَعَلَه مَصْلوباً.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ [النساء: 23].

قال الألوسي[2]: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمۡ﴾ أي زوجاتهم جمع حليلة سميت الزوجة بذلك لأنها تحل مع زوجها في فراش واحد، أو لأنها تحل معه حيث كان فهي فعلية بمعنى فاعلة، وكذا يقال للزوج حليل. والآية ظاهرة في تحريم الزوجة فقط، وأما حرمة من وطئها الابن ممن ليس بزوجة فبدليل آخر، وقال ابن الهمام: «إن اعتبر الحليلة من حلول الفراش أو حل الإزار تناولت الموطوأة بملك اليمين أو شبهة أو زنا فيحرم الكل على الآباء وهو الحكم الثابت عندنا.

﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ صفة للأبناء، وذكر لإسقاط حليلة المتبنى، وعن عطاء

(1) القاموس المحيط. (2) روح المعاني.

أنها نزلت حين تزوج النبي ﷺ امرأة زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه فقال المشركون في ذلك، وليس المقصود من ذلك إسقاط حليلة الابن من الرضاع فإنها حرام أيضاً كحليلة الابن من النسب. وذكر بعضهم فيه خلافاً للشافعي رضي الله تعالى عنه والمشهور عنه الوفاق في ذلك.

قال ابن عاشور[1]: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ﴾ الحلائل جمع الحليلة فعيلة بمعنى فاعلة، وهي الزوجة، لأنّها تحِلّ معه، وقال الزجّاج: هي فعيلة بمعنى مفعولة، أي محلّلة إذ أباحها أهلها له، فيكون من مجيء فعيل للمفعول من الرباعي في قولهم حكيم، والعدول عن أن يقال: ومَا نكح أبناؤكم - أو - ونساء أبنائكم إلى قوله: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ﴾ تفنّن لتجنّب تكرير أحد اللفظين السابقين وإلّا فلا فرق في الإطلاق بين الألفاظ الثلاثة.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ تأكيد لمعنى الأبناء لدفع احتمال المجاز، إذ كانت العرب تسمّي المتبنّى ابناً، وتجعل له ما للابن، حتّى أبطل الإسلام ذلك وقوله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ [الأحزاب: 5] فما دُعي أحد لمتبنّيه بعدُ، إلّا المقداد بن الأسود وعُدّت خصوصيّة. وأكّد الله ذلك بالتشريع الفعلي بالإذن لرسوله ﷺ بتزوّج زينب ابنة جحش، بعد أن طلّقها زيد بن حارثة الذي كان تبنّاه، وكان يُدعى زيد بن محمد. وابن الابن وابن البنت، وإن سفلا، أبناء من الأصلاب لأنّ للجدّ عليهم ولادة لا محالة.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النِّساء: 157].

قال الشعراوي[2]: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾. وكلمة «وما صلبوه» هنا هي لتوضيح أن مجرد ظنهم أنهم قتلوا المسيح جعلهم يشيعون ذلك ويعلنونه للناس، وهم قد فعلوا ذلك قبل أن يتوجهوا إلى فكرة الصلب، فقد قتلوا شخصاً شبهه الله لهم ولم يكن هو المسيح وصلبوه من بعد ذلك، وبمجرد قتل هذا الشخص طاروا

(1) التحرير والتنوير.
(2) تفسير الشعراوي.

بخبر القتل قبل أن تبدأ فكرة الصلب. ويقطع الله عليهم هذا الأمر، فيقول: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

قال ابن عجيبة[1]: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ رُوِي أن رهطاً من اليهود سبوه هو وأمه، فدعا عليهم، فمُسخوا قردة وخنازير، فاجتمعت اليهود على قتله، فقال لهم: يا معشر اليهود، إن الله يبغضكم، فغضبوا وثاروا ليقتلوه، فبعث الله تعالى جبريل فأدخله خُوجة فيها كُوة في سقفها، ورفعه الله إلى السماء من تلك الكوة، فأمر اليهود رجلاً منهم يقال له: طيطانوس، أن يدخل الخوخة ويقتله، فما دخل الخوخة، لم ير عيسى، فألقى الله تعالى شبه عيسى عليه، فلما أبطأ عليهم دخلوا عليه، فظنوه عيسى، فقتلوه وصلبوه.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: 71].

قال أبو السعود[2]: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ أي عليها، وإيثارُ كلمةِ (في) للدلالة على إبقائهم عليها زماناً مديداً تشبيهاً لاستمرارهم عليها باستقرار المظروفِ المشتملِ عليه، قالوا: وهو أولُ من صَلَب، وصيغةُ التفعيل في الفعلَين للتكثير وقد قرئا بالتخفيف.

● **قال تعالى**: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ [المائدة: 33].

قال الفخر الرازي[3]: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ للعلماء في لفظ ﴿أَوْ﴾ في هذه الآية قولان: الأول: أنها للتخيير وهو قول ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة وقول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد، والمعنى أن الإمام إن شاء قتل وإن شاء صلب، وإن شاء قطع الأيدي والأرجل، وإن شاء نفى، أي واحد من هذه الأقسام شاء فعل.

---

(1) البحر المديد.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) التفسير الكبير.

وقال ابن عباس في رواية عطاء: كلمة ﴿أَوْ﴾ هٰهنا ليست للتخيير، بل هي لبيان أن الأحكام تختلف باختلاف الجنايات، فمن اقتصر على القتل قتل، ومن قتل وأخذ المال قتل وصلب، ومن اقتصر على أخذ المال قطع يده ورجله من خلاف.

قال ابن كثير[1]: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية: من شهر السلاح في فئة الإسلام، وأخاف السبيل، ثم ظفر به، وقدر عليه، فإمام المسلمين فيه بالخيار، إن شاء قتله، وإن شاء صلبه، وإن شاء قطع يده ورجله.

● **قال تعالى**: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: 7].

قال الألوسي[2]: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ﴾ أي من بين أجزاء صلب كل رجل أي ظهره ﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ أي ومن بين ترائب كل امرأة أي عظام صدرها جمع تريبة وفسرت أيضاً بموضع القلادة من الصدور.

قال ابن عاشور[3]: ﴿ٱلصُّلۡبِ﴾: العمود العظمي الكائن في وسط الظهر، وهو ذو الفقرات.

قال ابن عجيبة[4]: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ أي: صُلب الرجل وترائب المرأة، وهي عِظام صدرها، حيث تكون القلادة، وقيل: العظم والعصب من الرَجل، واللحم والدم من المرأة، وقال بعض الحكماء: إنَّ النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع، وتنفصل عن جميع الأعضاء، حتى تستعد لأنّ يتولّد منها مثل تلك الأعضاء ومقرها عروق مُلتف بعضها على بعض عند البيضتيْن، فالدماغ أعظم معونة في توليدها، ولذلك كان الإفراط في الجماع يُورث الضعف فيه، وله خليفة هو النخاع، وهو في الصلب، وفيه شُعب كثيرة نازلة إلى الترائب، وهما أقرب إلى أوعية المَني، فلذا خُصّا بالذكر، فالمعنى على هذا: يخرج من بين صلب الرجل وترائبه وصلب المرأة وترائبها، وهو الأحسن، وبه صدر ابن جزي.

---

(1) تفسير ابن كثير.
(2) روح المعاني.
(3) التحرير والتنوير.
(4) البحر المديد.

صلح

(صَلَحَ - حَسُنَ - جَمل - زَيَنَ - نَضَرَ)

■ **الصَّلاحُ:** ضد الفساد ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البَقَرَة: 82].

■ **الجَمَالُ:** ما يدعوك أنت لإدامة النظر إلى الشيء بلذة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النّحل: 6].

■ **الحُسْنُ:** ما يدعو كل الناس لإدامة النظر إلى الشيء بلذة ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: 26].. أي الجنة.

■ **الزِّينَةُ:** الأسباب التي تجعل الشيء جميلاً ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [المُلك: 5].

■ **النَّضَارَةُ:** توهج البشرة في الوجوه ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: 22-23].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد واللام والحاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على خِلاف الفَساد. يقال: صلُحَ الشَّيءُ يصلُحُ صلاحاً. ويقال: صَلَح بفتح اللام. وحكى ابنُ السكّيت: صلَحَ وصلُح. ويقال: صَلَح صُلوحاً.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

وقال بعض أهل العلم: إنَّ مكة تسمَّى صَلاحاً.

قال الجوهري(1): الصَّلاحُ: ضدّ الفساد. تقول: صَلَح الشيءُ يَصْلُح صُلوحاً. قال الفراء: وحكى أصحابُنا صَلُح أيضاً بالضم. وهذا الشيءُ يَصْلُح لك، أي هو من بابتِك. والصِّلاح بكسر الصاد: المُصالحة، والاسم الصُّلْح، يذكّر ويؤنّث. وقد اصْطَلَحا وتصالَحا واصَّالحا أيضاً مشدّدة الصاد. والإصلاح: نقيض الإفْساد. والمَصْلَحة واحدة المصالح. والاسْتِصْلاحُ: نقيض الاستفساد.

المعنى المشترك لكلمة (صلح)

وقد وردت كلمة (الصلح) في القرآن الكريم على عشرة أوجه:

الوجه الأول: الصلاح بمعنى: الإيمان ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ [الرّعد: 23].

الوجه الثاني: الصلاح بمعنى: حسن المنزلة ﴿وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ [يُوسُف: 9].

الوجه الثالث: الصلاح بمعنى: الرفق ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القَصَص: 27].

الوجه الرابع: الصلاح بمعنى: تسوية الخلق ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعرَاف: 189].

الوجه الخامس: الإصلاح بمعنى: الإحسان ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [هُود: 88]. . يعني: الإحسان.

الوجه السادس: الصلاح بمعنى: الطاعة ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البَقَرَة: 11].

الوجه السابع: الصلاح بمعنى: أداء الأمانة ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: 82]. . يعني أنه كان ذا أمانة.

الوجه الثامن: الصلاح بمعنى: بر الوالدين ﴿إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ﴾ [الإسرَاء: 25].

---

(1) الصحاح في اللغة، معاني القرآن.

الوجه التاسع: الصلاح بمعنى: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هُود: 117].

الوجه العاشر: الصلاح بمعنى: الحج ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ﴾ [المؤمنون: 100].

❋ ❋ ❋

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البَقَرَة: 82].

قال أبو حيان[1]: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: لما ذكر أهل النار، وما أعد لهم من الهلاك: أتبع ذلك بذكر أهل الإيمان، وما أعد لهم في الخلود في الجنان. والمراد بالذين آمنوا: أمّة محمد ﷺ، ومؤمنو الأمم قبله، قاله ابن عباس وغيره، وهو ظاهر اللفظ، وقلّ ما ذكر في القرآن آية في الوعيد، إلا وذكرت آية في الوعد. وفائدة ذلك ظهور عدله تعالى، واعتدال رجاء المؤمن وخوفه، وكمال رحمته بوعده وحكمته بوعيده.

قال الخازن[2]: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾. فإن قلت: العمل الصالح خارج عن اسم الإيمان لأنه تعالى قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فلو دل الإيمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الإيمان تكراراً. قلت: أجاب بعضهم بأن الإيمان وإن كان يدخل فيه جميع الأعمال الصالحة إلا أن قوله: آمن لا يفيد إلا أنه فعل فعلاً واحداً من أفعال الإيمان فإذا حسن أن يقول: والذين آمنوا وعملوا الصالحات وقيل: إن قوله آمنوا يفيد الماضي وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكأنه تعالى قال آمنوا أولاً ثم داوموا عليه آخراً ويدخل فيه جميع الأعمال الصالحات.

---

(1) البحر المحيط. (2) لباب التأويل.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: 56].

قال أبو السعود[1]: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ببعث الأنبياء عليهم السلام وشرْعِ الأحكام.

قال ابن عجيبة[2]: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي، ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ببعث الأنبياء، وشرع الأحكام، أو: ولا تفسدوا في الأرض بالمعاصي الموجبة لفساد العالم بالقحط والفتن، بعد إصلاحها بالخصب والأمان.

● **قال تعالى:** ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: 102].

قال الفخر الرازي[3]: ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ وفيه بحثان:

البحث الأول: في هذا العمل الصالح وجوه: الأول: العمل الصالح هو الاعتراف بالذنب والندامة عليه والتوبة منه، والسيء هو التخلف عن الغزو. والثاني: العمل الصالح خروجهم مع الرسول إلى سائر الغزوات والسيىء هو تخلفهم عن غزوة تبوك. والثالث: أن هذه الآية نزلت في حق المسلمين كان العمل الصالح إقدامهم على أعمال البر التي صدرت عنهم.

البحث الثاني: لقائل أن يقول: قد جعل كل واحد من العمل الصالح والسيىء مخلوطاً. فما المخلوط به. وجوابه أن الخلط عبارة عن الجمع المطلق، وأما قولك خلطته، فإنما يحسن في الموضع الذي يمتزج كل واحد منهما بالآخر، ويتغير كل واحد منهما بسبب تلك المخالطة عن صفته الأصلية كقولك خلطت الماء باللبن. واللائق بهذا الموضع هو الجمع المطلق، لأن العمل الصالح والعمل السيىء إذا حصلا بقي كل واحد منهما كما كان على مذهبنا، فإن عندنا

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) البحر المديد.
(3) التفسير الكبير.

القول بالإحباط باطل، والطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب، والمعصية تبقى موجبة للذم والعقاب، فقوله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ فيه تنبيه على نفي القول بالمحابطة، وأنه بقي كل واحد منهما كما كان من غير أن يتأثر أحدهما بالآخر، ومما يعين هذه الآية على نفي القول بالمحابطة أنه تعالى وصف العمل الصالح والعمل السيىء بالمخالطة. والمختلطان لا بد وأن يكونا باقيين حال اختلاطهما، لأن الاختلاط صفة للمختلطين، وحصول الصفة حال عدم الموصوف محال، فدل على بقاء العملين حال الاختلاط.

● **قال تعالى: ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾** [النساء: 129].

قال الشوكاني[1]: ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ﴾ أي: ما أفسدتم من الأمور التي تركتم ما يجب عليكم فيها من عشرة النساء، والعدل بينهنّ ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ كل الميل الذي نهيتم عنه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لا يؤاخذكم بما فرط منكم.

قال البيضاويّ[2]: ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ﴾ ما كنتم تفسدون من أمورهن. ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ فيم يستقبل من الزمان. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يغفر لكم ما مضى من ميلكم.

● **قال تعالى: ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾** [الأحقاف: 15].

قال الخازن[3]: ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ فأجابه الله تعالى فلم يكن له ولد إلا آمن فاجتمع لأبي بكر إسلام أبويه: أبوه قحافة عثمان بن عمرو، وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو وابنه عبد الرحمٰن وابن عبد الرحمٰن أبي عتيق محمد فهؤلاء أربعة أبو بكر وأبوه وابنه عبد الرحمٰن وابن ابنه محمد كلهم أدركوا النبي ﷺ وأسلموا ولم يجتمع ذلك لأحد من الصحابة غير أبي بكر.

(1) فتح القدير.
(2) أنوار التنزيل.
(3) لباب التأويل.

قال القرطبي[1]: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ أي ٱجعل ذرّيتي صالحين. قال ابن عباس: فلم يبق له ولد ولا والد ولا والدة إلا آمنوا بالله وحده. ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ هو وأبواه وأولاده وبناته كلهم إلا أبو بكر. وقال سهل بن عبد الله: المعنى ٱجعلهم لي خَلَف صِدق، ولك عبيدَ حق. وقال أبو عثمان: ٱجعلهم أبراراً لي مطيعين لك. وقال ٱبن عطاء: وفقهم لصالح أعمال ترضى بها عنهم. وقال محمد بن علي: لا تجعل للشيطان والنفس والهوى عليهم سبيلاً. وقال مالك بن مِقول: ٱشتكى أبو معشر ٱبنَه إلى طلحة بن مُصَرِّف؛ فقال: ٱستعن عليه بهذه الآية؛ وتلا: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: 15].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.

صلد

(صَلْد - أَيْد - طَاقَة - قُدْرَة - قُوَّة)

■ **الصَّلْدُ:** الأرض شديدة الصلابة ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ [البَقَرَة: 264].

■ **الأَيْدُ:** القوة الخارقة ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذّاريات: 47].

■ **الطَّاقَةُ:** قوة التحريك لتفعيل شيء معطل ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البَقَرَة: 184].

■ **القُدْرَةُ:** عدم العجز عن الفعل ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ﴾ [الفَتْح: 21]

■ **القُوَّةُ:** سبب وجود القدرة، فقدرة الملك من قوة الجيش وقدرة الإنسان من قوة الجسم، باستثناء قدرة الله المطلقة ﴿قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [النمل: 33].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الخليل(1): حَجَر صَلدٌ، وجَبينٌ صَلْدٌ أي أملَسُ يابِسٌ. وإذا قُلتَ: صَلْتٌ، فهو مُسْتَوٍ. ورجلٌ صَلْدٌ أي بَخيلٌ جِداً، وقد صَلُدَ صَلادةً. ويقال: رجلٌ صَلُودٌ أيضاً، وقال في الجَبين: بَرّاقُ أَصْلادِ الجَبينِ الأَجْلَهِ.

قال الجوهري(2): حَجَرٌ صَلْدٌ: أي صُلْبٌ أَمْلَسُ. وأَرْضٌ صَلْدَةٌ وجَبينٌ

(1) العين.

(2) الصحاح في اللغة.

صَلْدٌ. وصَلَدَ الزَّنْدُ يَصْلِدُ بالكسر صُلوداً: إذا صَوَّتَ ولم يُخْرِجْ ناراً. وأَصْلَدَ الرَّجُلُ: أي صَلَدَ زَنْدُهُ. والأَصْلَدُ البخيل. والصَّلودُ: القِدْرُ البطيئة الغَلْي، والفَرَسُ الذي لا يَعْرَقُ. وناقةٌ صَلودٌ ومِصْلادٌ، أي بكيئَةٌ.

قال الفيروزآبادي[1]: الصَّلْدُ، ويكسرُ: الصُّلْبُ الأَمْلَسُ، كالصَّلَوْدَدِ، كسَفَرْجَلٍ، وفَرَسٌ لا يَعْرَقُ، كالصَّلُودِ، كصَبورٍ، مَذْمومٌ. وصَلَدَتِ الدابَّةُ تَصْلِدُ: ضَرَبَتْ بِيَدَيْها الأرضَ في عَدْوِها، وصلد في الجَبَلِ: صَعَّدَ، وصلد أَنْيابُهُ: صَوَّتَ صَريفُها، فهي صالِدَةٌ وصَوالِدُ، وصلد الأرضُ: صَلُبَتْ، كأَصْلَدَتْ، وصلد صَلَعَتُه: بَرَقَتْ، وصلد الزَّنْدُ صُلوداً: صَوَّتَ، ولم يُوْر.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلۡدًاۖ﴾ [البَقَرَة: 264].

قال الألوسي[2]: ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلۡدًاۖ﴾ أي أملس ليس عليه شيء من الغبار أصلاً، وهذا التشبيه يجوز أن يكون مفرقاً فالنافق المنافق كالحجر في عدم الانتفاع ونفقته كالتراب لرجاء النفع منهما بالأجر والإنبات، ورياؤه كالوابل المذهب له سريعاً الضار من حيث يظن النفع ولو جعل مركباً لصح، وقيل: إنه هو الوجه والأول ليس بشيء.

قال القرطبي[3]: والصَّلْد: الأملس من الحجارة. قال الكسائي: صَلِد يَصْلَد صَلَداً بتحريك اللام فهو صَلْد بالإسكان، وهو كل ما لا ينبت شيئاً؛ ومنه جَبِينٌ أَصْلَد.

---

(1) القاموس المحيط.
(2) روح المعاني.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

قال الفخر الرازي[1]: ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ﴾ الصلد الأملس اليابس، يقال: حجر صلد، وجبل صلد إذا كان براقاً أملس وأرض صلدة، أي لا تنبت شيئاً كالحجر الصلد وصلد الزند إذا لم يور ناراً.

(1) التفسير الكبير.

صلى

(صَلَي - حَرَق - شَعَلَ - سَجر - شَوَى - صَهَر - غَلَى - كَوَى)

- **الصَّلْيُ:** أن يجعل الشيء وقوداً للنار ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [الأعلى: 12].
- **الحَرْقُ:** إيقاع الحرارة على الشيء بدون لهب ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ [البَقَرة: 266].
- **الشَّعْلُ:** إيقاع الحرارة على الشيء مع لهب ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريَم: 4].
- **السَّجْرُ:** يجعل الكافر وقود التنور خاصته ﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: 72].
- **الشَّوَاءُ:** ما يصيب الجلد من النار حتى ينضج ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ [الكهف: 29].
- **الصَّهْرُ:** يبقى الكافر في الماء الحار حتى يذوب لحمه فلا يبقى إلا العظم ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحجّ: 20].
- **الغَلْيُ:** شدة الصلي حتى تفور به النار فوران القدر ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: 45-46].
- **الكَيُّ:** مرور الحجارة على موضع صغير بقدر الدرهم من الجلد ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ [التوبَة: 35].

❋ ❋ ❋

صلى

(صَلَّى - بَتَل - نَسَك - عَبَد - اسْتَغْفَرَ - دَعَا)

■ **الصَّلَاةُ:** العبادة المفروضة من النية والركوع والسجود إلى التسليم ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النِّساء: 103].

■ **البَتْلُ:** انقطع في العبادة بإخلاص النية انقطاعاً يختص به ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المُزمّل: 8].

■ **النُّسُكُ:** انقطع في العبادة باعتزال الناس حال قيامه بعبادة معينة ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحَجّ: 67].

■ **العِبَادَةُ:** العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الأفضال، وهو الله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: 23]. يقال: تعبد فلان وتنسك، وقعد في معبده.

■ **الاسْتِغْفَارُ:** طلب البعد عن النار ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: 135].

■ **الدُّعَاءُ:** طلب قضاء حاجة ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ [البَقَرَة: 68].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الجوهري[1]: الصَّلاةُ: الدعاء.

(1) الصحاح في اللغة.

والصَّلاة من الله تعالى: الرحمة. والصلاةُ: واحدة الصَّلَواتِ المفروضة، وهو اسم يوضع موضعَ المصدر. تقول: صَلّيْتُ صَلاةً، ولا تقل تَصْلِيَةً. وصَلَّيْتُ على النبي ﷺ.

والمُصَلَّى: تالي السابق. يقال: صَلّى الفرسُ، إذا جاء مُصَلِّياً، وهو الذي يتلو السابق، لأنَّ رأسَه عند صَلاهُ. والصَّلا: ما عن يمين الذنب وشِماله؛ وهما صَلَوانِ. وأَصْلَتِ الفرس، إذا استرخى صَلَواها، وذلك إذا قرب نِتاجُها. وقوله تعالى: ﴿وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ﴾ [الحج: 40]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي كنائس اليهود، أي مواضع الصلوات.

قال ابن منظور[1]: الصَّلاةُ: الرُّكوعُ والسُّجودُ. فأَما قولُه ﷺ: «**لا صَلاةَ لجارِ المَسْجِد إلا في المسْجِد**»، فإنه أَراد لا صلاةَ فاضِلَةٌ أَو كامِلةٌ، والجمع صلوات. والصلاةُ الدُّعاءُ والاستغفارُ؛ قال الأَعشى: وصَهْباءَ طافَ يَهُودِيُّها وأَبْرَزَها، وعليها خَتَمْ وقابَلَها الرِّيحُ في دَنِّها، وصلى على دَنِّها وارْتَسَمْ قال: دَعا لها أَن لا تَحْمَضَ ولا تفسُدَ. والصَّلاةُ من الله تعالى: الرَّحمة؛ قال عدي بن الرقاع: صلى الإِلٰهُ على امْرِئٍ ودَّعْتُه، وأَتمَّ نِعْمَتَه عليه وزادَها وقال الراعي: صلى على عَزَّةَ الرَّحْمٰنُ وابْنَتِها ليلى، وصلى على جاراتِها الأُخَر وصلاةُ الله على رسوله: رحْمَتُه له وحُسْنُ ثنائِه عليه.

والصِّلاءُ، بالمدِّ والكَسْرِ: الشِّواءُ لأَنَّه يُصْلَى بالنَّارِ. وفي حديث عمر: لَوْ شِئْتُ لَدَعَوْتُ بصِلاءٍ؛ هو بالكَسْرِ والمَدِّ الشِّوَاءُ. وفي الحديث: (أَنَّ النبيَّ، صلَّى الله عليه وسلم، أُتِيَ بشَاةٍ مَصْلِيَّةٍ)؛ قال الكسائي: المَصْلِيَّةُ المَشْوِيَّةُ، فأَمَّا إذا أَحْرَقْتَه وأَبْقَيْتَه في النارِ قُلْتَ صَلَّيْته، بالتشديد، وأَصْلَيْته.

قال الأزهري[2]: هذه الصَّلاةُ عندي الرَّحْمة؛ ومنه قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾

(1) اللسان. (2) تهذيب اللغة.

[الأحزاب: 56] فالصَّلاةُ من الملائكة دُعاءٌ واسْتِغْفارٌ، ومن الله رحمةٌ، وبه سُمِّيَت الصلاةُ لِما فيها من الدُّعاءِ والاسْتِغْفارِ. وفي الحديث: «**التحيَّاتُ لله والصَّلوات**»؛ قال أبو بكر: الصلواتُ معناها التَّرَحُّم. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾؛ أي يترَحَّمُون.

وقوله: «اللهم صَلِّ على آلِ أَبي أَوْفى» أي تَرَحَّم عليهم، وتكونُ الصلاةُ بمعنى الدعاء. وفي الحديث قوله ﷺ: «**إذ دُعيَ أَحدُكُم إلى طَعامٍ فليُجِبْ، فإن كان مُفْطِراً فلَيطْعَمْ، وإن كان صائماً فليُصَلِّ**»؛ قوله: فلْيُصَلِّ يَعْني فلْيَدْعُ لأَرْبابِ الطَّعامِ بالبركةِ والخيرِ، والصَّائمُ إذا أُكِلَ عنده الطَّعامُ صَلَّت عليه الملائكةُ؛ ومنه قوله ﷺ: «**من صَلى عليَّ صَلاةً صَلَّت عليه الملائكةُ عَشْراً**».

المعنى المشترك لكلمة (صلي)

وقد وردت كلمة (صلي) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: الصلاة بمعنى: الاستغفار ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: 103].

الوجه الثاني: الصلاة بمعنى: المغفرة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ﴾ [البَقَرَة: 157].

الوجه الثالث: الصلاة بعينها ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البَقَرَة: 3].

الوجه الرابع: الصلوات بمعنى: بيوت الصلاة ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيراًۗ﴾ [الحج: 40].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النِّساء: 103].

قال أبو السعود[1]: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ أي فرضاً موقتاً، قال مجاهدٌ: وقّته الله عليهم فلا بد من إقامتها في حالة الخوفِ أيضاً على الوجه المشروحِ، وقيل: مفروضاً مقدّراً في الحضَر أربَعَ ركعاتٍ وفي السفر ركعتين فلا بد أن تؤدّىٰ في كل وقتٍ حسبما قُدِّر فيه.

قال ابن عجيبة[2]: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ أي: فرضاً محدود الأوقات، لا يجوز إخراجها عن وقتها في شيء من الأحوال. قال البيضاوي: وهذا دليل على أن المراد بالذكر الصلاة، وأنها واجبة الأداء، حال المسايفة، والاضطراب في المعركة، وتعليلٌ للأمر بالإتيان بها، كيف أمكن.

الإشارة: إذا فرغتم من الصلاة الحسية، فاستغرقوا أحواكم في الصلاة القلبية، حتى تطمئن قلوبكم في الحضرة القدسية، فإذا اطمأننتم في الحضرة، فأقيموا صلاة الشهود والنظرة، وهي الصلاة الدائمة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ [المعَارج: 23]. وقال الورتجبي: إذا كنتم في حالةِ التمكين وامتلأتم من أنوار ذكره، فينبغي أن تخرجوا من أبواب الرخص، والاستراحة في سعة الروح، وترجعوا إلى مقام الصلاة، فإن آخر سيركم في ربوبيتي: أول بدايتكم في عبوديتي.

● **قال تعالى:** ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البَقَرَة: 43].

---

(1) إرشاد العقل السليم. (2) البحر المديد.

قال الخازن[1]: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعني الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها وجميع أركانها ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي أدوا الزكاة المفروضة عليكم في أموالكم.

قال ابن الجوزي[2]: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يريد: الصلوات الخمس، وهي هاهنا اسم جنس، والزكاة: مأخوذة من الزكاء، وهو النماء، والزيادة. يقال: زكا الزرع يزكو زكاء. وقال ابن الأنباري: معنى الزكاة في كلام العرب: الزيادة والنماء، فسميت زكاة، لأنها تزيد في المال الذي تخرج منه، وتوفره، وتقيه من الآفات. ويقال: هذا أزكى من ذاك، أي: أزيد فضلاً منه.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ [التوبة: 54].

قال البغوي[3]: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾، متثاقلون لأنهم لا يرجون على أدائها ثواباً، ولا يخافون على تركها عقاباً، فإن قيل: كيف [ذمَّ] الكسلَ في الصلاة ولا صلاة لهم أصلاً؟ قيل: الذم واقع على الكفر الذي يبعث على الكسل، فإن الكفر مُكسل، والإيمان منشط.

قال الشوكاني[4]: أنهم لا يصلون في حال من الأحوال إلا في حال الكسل والتثاقل؛ لأنهم لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً، فصلاتهم ليست إلا رياء للناس وتظهراً بالإسلام الذي يبطنون خلافه.

قال ابن كثير[5]: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ أي: ليس لهم قصد صحيح، ولا همة في العمل.

● **قال تعالى**: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون: 4-5].

---

(1) لباب التأويل.
(2) زاد المسير.
(3) معالم التنزيل.
(4) فتح القدير.
(5) تفسير ابن كثير.

قال القرطبي[1]: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ أي عذاب لهم. وقد تقدّم في غير موضع. ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، فروى الضحاك عن ابن عباس قال: هو المصلِّي الذي إن صلى لم يَرْج لها ثواباً، وإن تركها لم يخشَ عليها عقاباً. وعنه أيضاً: الذين يؤخرونها عن أوقاتها.

وكذا رَوى المغيرة عن إبراهيم، قال: سَاهونَ بإضاعة الوقت. وعن أبي العالية: لا يصلونها لِمَوَاقِيتِهَا، ولا يُتِمُّون ركوعها ولا سجودها. قلت: ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ﴾ [مريم: 59] حَسْبَ ما تقدّم بيانه في سورة «مريم» عليها السلام. وروي عن إبراهيم أيضاً: أنه الذي إذا سجد قام برأسه هكذا ملتفتاً. وقال قطرب: هو ألا يقرأ ولا يذكر الله.

وفي قراءة عبد الله: «الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ لَاهُون». وقال سعد بن أبي وقَّاص: «قال النبي ﷺ في قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: الآيتان 4،5] - قال - «الذينَ يؤخِّرون الصلاة عن وقتها، تهاوناً بها» وعن ابن عباس أيضاً: هم المنافقون يتركون الصلاة سِرًّا، يصلونها علانية ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَوٰةِ قَامُوا كُسَالَىٰ﴾ [النِّساء: 142]. . . الآية.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

قال الطبري[2]: يقول تعالى ذكره: إن الله وملائكته يبرّكون على النبيّ محمد ﷺ، كما: حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ يقول: يباركون على النبيّ. وقد يحتمل أن يقال: إن معنى ذلك: أن الله يرحم النبيّ، وتدعو له ملائكته ويستغفرون، وذلك أن الصلاة في كلام العرب من غير الله إنما هو دعاء. وقد بيَّنا ذلك فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده، فأغنى ذلك عن

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) جامع البيان.

إعادته. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبيّ الله محمد ﷺ ﴿عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ يقول: وحيوه تحية الإسلام. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار عن رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون، عن عنبسة، عن عثمان بن موهب، عن موسى بن طلحة، عن أبيه، قال: أتى رجل النبيّ ﷺ، فقال: سمعت الله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: 56]... الآية، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: «**قُلِ: اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كمَا صَلَّيْتَ عَلى إبْراَهِيم إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كمَا بارَكْتَ عَلى إبْراهِيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**».

قال الزمخشري(1): قرىء: «وملائكته» بالرفع، عطفاً على محل إن واسمها، وهو ظاهر على مذهب الكوفيين، ووجهه عند البصريين، أن يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ﴾ أي قولوا الصلاة على الرسول والسلام. ومعناه: الدعاء بأن يترحم عليه الله ويسلم. فإن قلت: الصلاة على رسول الله ﷺ واجبة أم مندوب إليها؟ قلت: بل واجبة، وقد اختلفوا في حال وجوبها. فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره.

● **قال تعالى**: ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾ [التوبة: 99].

قال أبو السعود(2): ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾ أي وسائلَ إليها فإنه عليه الصلاة والسلام كان يدعو للمتصدِّقين بالخير والبركة ويستغفرُ لهم ولذلك سُنّ للمُصدِّق أن يدعوَ للمتصدِّق عند أخذِ صدقتِه لكن ليس له أن يصليَ عليه كما فعله عليه الصلاة والسلام حين قال: «**اللهم صلِّ على آل أبي أوْفى**» فإن ذلك منصِبُه فله أن يتفضلَ به على من يشاء، والتعرُّضُ لوصف الإيمان بالله واليوم الآخر في الفريق الأخيرِ مع أن مساقَ الكلامِ لبيان الفرقِ بين الفريقين في شأن اتخاذِ ما ينفقانه

(1) الكشاف. (2) إرشاد العقل السليم.

حالاً ومآلاً وأن ذكرَ اتخاذِه ذريعةً إلى القربات والصلوات مغنٍ عن التصريح بذلك لكمال العنايةِ بإيمانهم وبيانِ اتصافِهم به وزيادةِ الاعتناءِ بتحقيق الفرق بين الفرقين من أول الأمرِ، وأما الفريقُ الأولُ فاتصافُهم بالكفر والنفاقِ معلومٌ من سياق النظم الكريمِ صريحاً.

قال ابن عادل[1]: ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾ فيها وجهان: أظهرهما: أنَّها نسق على «قُربات»، وهو ظاهرُ كلام الزمخشري، فإنَّه قال: «والمعنى أنَّ ما ينفقه سببٌ لحصول القربات عند اللهِ وصلوات الرسول، لأنَّهُ كان يدعو للمتصدِّقين بالخيرِ، كقوله: «**اللَّهُمَّ صلِّ على آلِ أبِي أوْفَى**».

والثاني - وجوَّزهُ ابنُ عطية ولم يذكر أبُو البقاءِ غيره -: أنها منسوقةٌ على «ما يُنفقُ»، أي: ويتَّخذ بالأعمال الصَّالحة صلوات الرسول قربة.

● **قال تعالى**: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾ [التوبة: 103].

قال الألوسي[2]: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ أي ادع لهم واستغفر، وعدى الفعل بعلى لما فيه من معنى العطف لأنه من الصلوين، وإرادة المعنى اللغوي هنا هو المتبادر، والحمل على صلاة الميت بعيد وان روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، ولذا استدل بالآية على استحباب الدعاء لمن يتصدق، واستحب الشافعي في صفته أن يقول للمتصدق آجرك الله فيما أعطيت وجعله لك طهوراً وبارك لك فيما أبقيت. وقال بعضهم: يجب على الإمام الدعاء إذا أخذ، وقيل: يجب في صدقة الفرض ويستجب في صدقة التطوع، وقيل: يجب على الإمام ويستحب للفقير والحق الاستحباب مطلقاً.

قال ابن عاشور[3]: والصلاة عليهم: الدعاء لهم. وتقدم آنفاً عند قوله تعالى: ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾ [التّوبَة: 99]. وقد كان النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية إذا

---

(1) اللباب في علوم الكتاب.
(2) روح المعاني.
(3) التحرير والتنوير.

جاءه أحد بصدقته يقول: اللهم صل على آل فلان. كما ورد في حديث عبد الله بن أبي أوفى يجمع النبي ﷺ في دعائه في هذا الشأن بين معنى الصلاة وبين لفظها فكان يُسْأل من الله تعالى أن يصلي على المتصدِق. والصلاة من الله الرحمة، ومن النبي الدعاء.

● **قال تعالى**: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ [مريم: 70].

قال الشعراوي[1]: صلياً: اصطلاء واحتراقاً في النار من صَلِيَ يصْلَى: أي دخل النار وذاق حرَّها. أما: اصطلى أي: طلب هو النار، كما في قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النَّمل: 7]. والمعنى: أننا نعرف مَنْ هو أَوْلى بدخول النار أولاً، وكأن لهم في ذلك أولويات معروفة؛ لأنهم سيتجادلون في الآخرة ويتناقشون ويتلاومون وسيدور بينهم مشهد فظيع رَهيب يفضح ما اقترفوه. فالتابع والمتبوع، والعابد والمعبود، كُلٌّ يُلقي باللائمة على الآخر، اسمعهم وهم يقولون: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: 67-68]. وفي آية أخرى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: 166]. وصدق الله العظيم حين قال: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزّخرُف: 67].

قال الشوكاني[2]: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ يقال: صلى يصلي صلياً مثل مضى الشيء يمضي مضياً، قال الجوهري: يقال صليت الرجل ناراً إذا أدخلته النار وجعلته يصلاها، فإن ألقيته إلقاءً كأنك تريد الإحراق قلت: أصليته بالألف وصليته تصلية ومنه: ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: 12] ومن خفف فهو من قولهم: صلي فلان النار بالكسر يصلى صلياً احترق، قال الله تعالى: ﴿بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾.

---

(1) تفسير الشعراوي. (2) فتح القدير.

ومعنى الآية: أن هؤلاء الذين هم أشدّ على الرحمٰن عتياً هم أولى بصليها، أو صليهم أولى بالنار.

● **قال تعالى:** ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ [النِّساء: 30].

قال الفخر الرازي[1]: قالت المعتزلة: هذه الآية دالة على القطع بوعيد أهل الصلاة. قالوا: وقوله: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ وإن كان لا يدل على التخليد إلا أن كل من قطع بوعيد الفساق قال: بتخليدهم، فيلزم من ثبوت أحدهما ثبوت الآخر، لأنه لا قائل بالفرق. والجواب عنه بالاستقصاء قد تقدم في مواضع، إلا أن الذي نقوله ههنا: ان هذا مختص بالكفار.

قال القرطبي[2]: ﴿نُصْلِيهِ﴾ معناه نُمسّه حرّها. وقد بيّنا معنى الجمع بين هذه الآي وحديث أبي سعيد الخُدْريّ في العُصاة وأهل الكبائر لمن أنفذ عليه الوعيد؛ فلا معنى لإعادة ذلك. وقرأ الأعمش والنّخَعِيّ «نَصْلِيه» بفتح النون، على أنه منقول من صَلِيَ ناراً، أي أصليته؛ وفي الخبر «شاة مَصْلِيّة». ومن ضمَّ النون منقول بالهمزة، مثل طعمت وأطعمت.

● **قال تعالى:** ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: 43].

قال الألوسي[3]: ﴿قَالُوا﴾ أي المجرمون مجيبين للسائلين ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ للصلاة الواجبة.

● **قال تعالى:** ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القِيَامَة: 31].

قال أبو السعود[4]: ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ ما يجبُ تصديقُه منِ الرسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ والقرآنِ الذي نزلَ عليهِ أو فلَا صدقَ مالَه ولا زكَّاهُ ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾ ما فُرضِ عليهِ والضميرُ فيهمَا للإنسانِ المذكورِ في قولِه تعالَى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ﴾ [القِيَامَة: 3] وفي دلالةٌ على أنَّ الكفارَ مخاطبونَ بالفروعِ في حَقِّ المؤاخذةِ.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) روح المعاني.
(4) إرشاد العقل السليم.

قال الخازن[1]: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ يعني أبا جهل لم يصدق بالقرآن، ولم يصلِّ لله تعالى.

● **قال تعالى**: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغَاشِيَة: 4].

قال ابن كثير[2]: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ أي: حارة شديدة الحر.

قال الشوكاني[3]: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ خبر آخر للمبتدأ، أي: تدخل ناراً متناهية في الحرّ، يقال: حمي النهار، وحمي التنور، أي: اشتدّ حرّهما. قال الكسائي: يقال: اشتدّ حمى النهار، وحموه بمعنى. قرأ الجمهور: «تصلى» بفتح التاء مبنياً للفاعل. وقرأ أبو عمرو، ويعقوب، وأبو بكر بضمها مبنياً للمفعول. وقرأ أبو رجاء بضم التاء، وفتح الصاد، وتشديد اللام، والضمير راجع إلى الوجوه على جميع هذه القراءات. والمراد أصحابها، كما تقدّم.

● **قال تعالى**: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ [الليل: 15].

قال الألوسي[4]: المراد به الكافر فإنه أشقى من الفاسق ويفصح بذلك وصفه بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل: 16].

قال السمين[5]: قوله: ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾: قيل: الأَشْقَىٰ والأَتْقى بمعنى الشقيّ والتقيّ ولا تفضيلَ فيهما؛ لأنَّ النارَ ليسَتْ مختصةً بالأكثرِ شقاءً، وتجنُّبها ليس مختصاً بالأكثرِ تَقْوى. وقيل: بل هما على بابِهما، وإليه ذهب الزمخشريُّ قال: «فإنْ قلتَ: كيف قال: «لا يَصْلاها إلَّا الأشقىٰ» ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [الليْل: 17] وقد عُلِمَ أنَّ كلَّ شقيّ يَصْلاها، وكلَّ تقيّ يُجَنَّبُها، لا يَخْتَصُّ بالصَّلْي أشقىٰ الأشقياءِ، ولا بالنجاةِ أتقىٰ الأتقياءِ، وإنْ زَعَمْتَ أنه نكَّر النار فأراد ناراً بعينِها مخصوصةً بالأشقىٰ، فما تصنع بقولِه ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [الليْل: 17]؟ فقد عُلِمَ أنَّ

(1) لباب التأويل.
(2) تفسير ابن كثير.
(3) فتح القدير.
(4) روح المعاني.
(5) الدر المصون.

أَفْسَقَ المسلمين يُجَنَّبُ تلك النارَ المخصوصةَ لا الأتقى منهم خاصة. قلت: الآية واردةٌ في الموازنةِ بين حالتَيْ عظيمٍ من المشركين وعظيمٍ من المؤمنين، فأُريد أَنْ يُبالَغَ في صفتَيْهما المتناقضتَيْن فقيل: الأشقَى، وجُعِل مختصًّا بالصَّلْي، كأن النارَ لم تُخْلَقْ إلَّا له. وقيل: الأتقىٰ. وجُعل مختصًّا بالنجاةِ، كأنَّ الجنةَ لم تُخْلَقْ إلَّا له. وقيل: هما أبو جهل - أو أمية بن خلف - وأبو بكر الصديق رضي الله عنه» انتهى. فآل جوابُه إلى أنَّ المرادَ بهما شخصان معيَّنان.

صك

(صَكَّ - خَبَطَ - جَلَدَ - ضَرَبَ - وَكَزَ)

■ **الصَّكُّ:** ضرب الشيء بكلتا اليدين معاً ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذّاريات: 29].

■ **الخَبْطُ:** ضرب الشيء على غير استواء ﴿الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: 275].

■ **الجَلْدُ:** ضرب الشيء بالجلد ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النّور: 4].

■ **الضَّرْبُ:** ضرب الشيء بشيء يحدث صوتاً ﴿اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ [البَقَرَة: 60].

■ **الوَكْزُ:** ضرب الشيء بالعكس (أي مؤخرة اليد) بقوة ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القَصَص: 15].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الصاد والكاف أصلٌ يدلُّ على تلاقِي شيئين بقوَّة وشِدَّة، حتَّى كأنَّ أحدَهما يضرِبُ الآخر. من ذلك قولهم: صَكَكْتُ الشيءَ صكًّا. والصَّكَك أن تَصْطَكَّ رُكبتا [الرَّجُل]. [وصَكَّ البابَ]: أغْلقه بعنفٍ وشِدَّة. ويقال: بعير مُصَكَّكٌ، إذا كان اللَّحمُ قد صُكَّ فيه صَكًّا. ورجلٌ مِصكٌّ: شديد.

(1) معجم مقاييس اللغة.

ويقال ذلك في الخَيل والحُمُر وغيرها. وأمَّا قولُهم: «جئتُهُ صَكَّةَ عُمَيٍّ» فإنَّما يُراد أنَّ الأعمى يلقى مثلَهُ فيصطكّانِ، أي يصكُّ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه. وذلك كلامٌ وضَعوه في الهاجرة وعند اشتداد الحرِّ خاصَّة.

قال الخليل(1): الصّكُّ: اصطكاك الرجلين. رجل أصك، وظليم أصكّ، من تقارب ركبتيه يصيب بعضها بعضاً، إذا عدا. ولقيته في صكّة عمي، أي: أشد الهاجرة حراً. وصكّ فلان حروجه فلان: أي: لطمه. والصَّكُّ: ضرب الشيء بالشيء شديداً.

قال الفيروزآبادي(2): صَكَّهُ: ضَرَبَهُ شديداً بعَرِيضٍ، أو عامٌّ، وصك البابَ: أغْلَقَهُ، أو أطْبَقَه. ورجُلٌ أصَكُّ ومِصَكٌّ: مُضْطَرِبُ الرُّكْبَتَيْنِ والعُرْقُوبَيْنِ، وقد صكِكْتَ يا رجُلُ، كمَلِلْتَ، صَكَكاً. والمِصَكُّ، كمجَنٍّ: القويُّ من الناسِ وغيرِهِمْ، كالأَصَكِّ، وفرسُ الأَبْرَشِ الكَلْبِيِّ، والمِغْلَاقُ. وكأَميرٍ: الضعيفُ. والصَّكُّ: الكِتابُ، جمعه: أصُكٌّ وصُكُوكٌ وصِكاكٌ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ [الذّاريَات: 29].

قال الألوسي(3): ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ قال مجاهد: ضربت بيدها على جبهتها وقالت: يا ويلتاه، وقيل: إنها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء، وقيل: إنها لطمته تعجباً وهو فعل النساء إذا تعجبن من شيء.

قال ابن عاشور(4): والصك: اللطم، وصَكّ الوجه عند التعجب عادة النساء

(1) العين.
(2) القاموس المحيط.
(3) روح المعاني.
(4) التحرير والتنوير.

أيامئذٍ، ونظيره وضع اليد على الفم في قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ [إبراهيم: 9].

قال ابن عجيبة[1]: ﴿فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا﴾ لطمته ببسط يدها، وقيل: ضربت بأطراف أصابعها جبهتها، فعل المتعجِّب.

(1) البحر المديد.

صمم

(صمم)

■ **الصمم:** فقدان حاسة السمع ﴿وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ﴾ [هُود: 24]

وبه يوصف من لا يصغي إلى الحق ولا يقبله. قال تعالى: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ [البَقَرَة: 18] وقال: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ [المَائدة: 71].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الصاد والميم أصلٌ يدلُّ على تَضَامِّ الشَّيءِ وزوالِ الخرْق والسَّمّ. من ذلك الصَّمَم في الأُذن. يقال: صَمِمْت، وأنت تَصَمُّ صَمَماً. وربَّما قالوا صُمَّ بمعنى صَمّ. ويقال: أصممتُ الرَّجُلَ، إذا وَجدته أصمَّ.

والصَّمّاء: الدَّاهية، كأنَّه من الصَّمَم. أي هو أمرٌ لا فُرجَةَ له فيه.

ومن ذلك اشتمالُ الصَّمّاء: أنْ تلتحفَ بثوبك ثم تُلقيَ الجانبَ الأيسر على الأيمن. والعرب تقول في تعظيم الأمر: «صَمِّي صَمَامِ». والأصل في ذلك قولهم: «صَمّت حصاةٌ بِدَم»، وذلك أنَّ الدِّماءَ تكثُر في الأرض عند الوغَى، حتَّى لو أُلْقِيَتْ حصاةٌ لم يُسْمَع لها وَقْع. وصِمام القارورة سمِّيَ بذلك لأنّه يسُدُّ الفُرْجَة.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

وقولهم: صَمَّم في الأمر، إذا مضى فيه راكباً رأسَه، فهو من القياس الذي ذكرناه، كأنَّه لما أراد ذلك لم يسمع عَذْلَ عاذلٍ ولا نَهْيَ ناهٍ، فكأَنّهُ أَصمُّ. واشتُقَّ منه السَّيف الصَّمصام والصَّمصامة. ومنه صَمَّم، إذا عَضَّ في الشيء فأثبت أسنانه فيه. والصَّمَّانُ: أرضٌ. وقال بعضهم: كلُّ أرضٍ إلى جنبِ رَمْلة فهي صَمَّانةٌ. وهذا صحيح؛ لأنَّ الرّمل فيه خَلَل، والصَّمَّانةُ ليست كذلك. ومن الباب: الصِّمْصِم: الرَّجلُ الغليظ، وسمِّي بذلك لما ذكرناه، كأنَّه ليست في لحمه فُرجة ولا خَرْق. وكذلك الأسد صِمَّةٌ، كأنَّه لا وصول إليه من وجه. ومن الباب الصِّمصِمة: الجماعة، سمِّيت بذلك، كأنَّها اجتمعت حتى لا خلل فيها ولا خَرْق.

قال الخليل[1]: الصَّمَمُ: ذَهابُ السَّمعِ، والاكتِنازُ في جَوْفِ القَنَا، والصَّلابةُ في الحَجَر، والشِّدَّةُ في الأمر. وفِتْنَةٌ صَمّاءُ. والصِّمَّةُ والصِّمُّ: من أسماء الأسد.

ويقال: صَمامِ صَمامِ بمعنيَيْنِ، أي تَصامُّوا في السُّكُوت، واحمِلوا في الحَمْلةِ. والتَّصميمُ: المُضِيُّ في كلِّ أمرٍ. وصَمَّمَ في عَضَّتِه إذا نَيَّبَ فلم يُرسِلْ ما عَضَّ، والصِّمامُ: رأس القارُورة، والفِعلُ صَمَمْتُها. والصَّمّانُ: أرضٌ إلى جَنْبِ رَمْلٍ عالِجٍ، وكُلُّ أرضٍ كذلك، إلى جَنْبِ رمل، صُلبةٍ الحِجارةِ، وكذلك الصَّمّانةُ. والصَّميمُ: العَظْمُ الذي هو قِوامُ العُضْوِ مِثلُ صَميمِ الوَظيف وصَميمِ الرأس ونحوهما. ومنه يقال: هو من صَميم قَومه، أي من خالِصِهم وأصلهم.

والصَّمصامَةُ: اسمٌ للسيف القاطعِ، وللأسد. ومن العَرَب من يجعَلُ اسمَه معرفة ولا يَصرِفه كقوله: تَصميمَ صَمصامةَ حينَ صَمَّما وصوتٌ مُصِمٌّ يُصِمُّ الصِّماخ. وصَميمُ الحَرِّ والشِّتاء: أَشَدُّ حَرًّ وبَرْداً.

قال الفيروزآبادي[2]: الصَّمَمُ، محرَّكةً: انْسِدادُ الأُذُنِ، وثِقَلُ السَّمْعِ، صَمَّ يَصَمُّ، بفتحهما، وصَمِمَ، بالكسر، نادِرٌ صَمًّا وصَمَماً وأَصَمَّ، وأَصَمَّهُ الله تعالى، فهو أَصَمُّجمعه: صُمٌّ وصُمَّانٌ. وتَصامَّ عن الحَديثِ: أَرَى أنه أَصَمُّ.

---

(1) العين. (2) القاموس المحيط.

وصِمامُ القارُورَةِ وصِمامَتُها وصِمَّتُها، بكَسْرِهِنَّ: سِدادُها. وصَمَّها: سَدَّها. وأصَمَّها: جَعَلَ لها صِماماً. وحَجَرٌ أصَمُّ، وصَخْرَةٌ صَمَّاءُ: صُلْبٌ مُصْمَتٌ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة: 18].

قال أبو السعود(1): ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ أخبارٌ لمبتدأ محذوفٍ هو ضمير المنافقين، أو خبر واحد بالتأويل المشهور، كما في قولهم: هذا حلوٌ حامض والصممُ آفةٌ مانعة من السماع، وأصلُه الصلابة واكتنازُ الأجزاء، ومنه الحجرُ الأصم، والقناةُ الصماء، وصَمام القارورة: سِدادُها، سمي به فقدانُ حاسة السمع لما أن سببه اكتنازُ باطن الصّماخ، وانسدادُ منافذه بحيث لا يكاد يدخله هواءٌ يحصل الصوت بتموجه، والبُكم الخُرس، والعمىٰ عدم البصر عما من شأنه أن يُبصَر، وُصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما أنهم حيث سدوا مسامعهم عن الإصاخة لما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم، وأبَوْا أن يتلقَّوْها بالقبول، ويُنطِقوا بها ألسنتهم، ولم يجتلوا ما شاهدوا من المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله ﷺ، ولم ينظروا إلى آيات التوحيد المنصوبة في الآفاق والأنفس بعين التدبر، وأصروا على ذلك بحيث لم يبقَ لهم احتمالُ الارعواء عنه، صاروا كفاقدي تلك المشاعر بالكلية، وهذا عند مُفْلقي سَحَرة البيان من باب التمثيل البليغ.

قال الخازن(2): ﴿صُمٌّ﴾ أي عن سماع الحق لأنهم لا يقبلونه وإذا لم يقبلوه فكأنهم لم يسمعوه ﴿بُكْمٌ﴾ أي خرس عن النطق بالحق فهم لا يقولونه ﴿عُمْيٌ﴾ أي

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) لباب التأويل.

لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا بصيره له كمن لا بصر له فهو أعمى، كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن سماع الحق آذانهم وأبوا أن تنطق به ألسنتهم وأن ينظروا إليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب إدراكه.

قال الفخر الرازي(1): اعلم أنه لما كان المعلوم من حالهم أنهم كانوا يسمعون وينطقون ويبصرون امتنع حمل ذلك على الحقيقة فلم يبق إلا تشبيه حالهم لشدة تمسكهم بالعناد وإعراضهم عما يطرق سمعهم من القرآن وما يظهره الرسول من الأدلة والآيات بمن هو أصم في الحقيقة فلا يسمع، وإذا لم يسمع لم يتمكن من الجواب، فلذلك جعله بمنزلة الأبكم، وإذا لم ينتفع بالأدلة ولم يبصر طريق الرشد فهو بمنزلة الأعمى.

● **قال تعالى**: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ [هُود: 24].

قال الطبري(2): يقول تعالى ذكره: مثل فريقي الكفر والإيمان كمثل الأعمى الذي لا يرى بعينه شيئاً، والأصمّ الذي لا يسمع شيئاً فكذلك فريق الكفر لا يُبصر الحقّ فيتبعه ويعمل به، لشغله بكفره بالله وغَلَبة خِذلان الله عليه، لا يسمع داعي الله إلى الرشاد فيجيبه إلى الهدى فيهتدي به، فهو مقيم في ضلالته، يتردّد في حَيرته. والسميع والبصير، فكذلك فريق الإيمان أبصر حُجج الله، وأقرّ بما دلت عليه من توحيد الله والبراءة من الآلهة والأنداد ونبوّة الأنبياء عليهم السلام، وسمع داعي الله فأجابه وعمل بطاعة الله.

قال الزمخشري(3): شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم، وفريق المؤمنين بالبصير والسميع، وهو من اللف والطباق. وفيه معنيان: أن يشبه الفريق تشبيهين

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.

اثنين، كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب، وأن يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم، أو الذي جمع بين البصر والسمع. على أن تكون الواو في ﴿وَٱلْأَصَمِّ﴾ وفي ﴿وَٱلسَّمِيعِ﴾ لعطف الصفة على الصفة.

قال الفراء[1]: ﴿كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾، لم يقل يستوون، لأن الأعمى والأصم في حيِّزٍ كأنهما واحد؛ لأنهما من وصف الكافر، والبصير والسميع في حيز كأنهما واحد، لأنهما من وصف المؤمن.

● **قال تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾** [المَائدة: 71].

قال الألوسي[2]: ﴿ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾ وهو إشارة إلى المرة الآخرة من مرتي إفسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريا ويحيى وقصدهم قتل عيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وجعل الزمخشري العمى والصمم أولاً: إشارة إلى ما صدر منهم من عبادة العجل، وثانياً: إشارة إلى ما وقع منهم من طلبهم الرؤية، وفيه أن عبادة العجل وإن كانت معصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم لكنها في عصر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا تعلق لها بما حكي عنهم بما فعلوا بالرسل الذين جاءوهم بعده عَلَيْهِ السَّلَامُ بأعصار، وكذا القول - على زعمه - في طلب الرؤية على أن طلب الرؤية كان من القوم الذين مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين توجه للمناجاة، وعبادة العجل كانت من القوم المتخلفين فلا يتحقق تأخره عنها، وحمل ﴿ثُمَّ﴾ للتراخي الرتبي دون الزماني مما لا ضرورة إليه، وقيل: إن العمى والصمم أولاً: إشارة إلى ما كان في زمن زكريا ويحيى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وثانياً: إشارة إلى ما كان في زمن نبينا ﷺ من الكفر والعصيان، وبدأ بالعمى لأنه أول ما يعرض للمعرض عن الشرائع فلا يبصر من أتى بها من عند الله تعالى ولا يلتفت إلى معجزاته، ثم لو أبصره لم يسمع كلامه فيكون عروض الصمم بعد عروض العمى، وقرىء ﴿عُمُوا۟ وَصُمُّوا۟﴾ بالضم على تقدير عماهم الله تعالى

(1) معاني القرآن.
(2) روح المعاني.

وصممهم أي رماهم وضربهم بالعمى والصمم، كما يقال: نزكته إذا ضربته بالنيزك، وركبته إذا ضربته بركبتك.

قال ابن عاشور(1): واستعير ﴿عَمُوا وَصَمُّوا﴾ للإعراض عن دلائل الرشاد من رسلهم وكتبهم لأنّ العمى والصمم يوقعان في الضلال عن الطريق وانعدام استفادة ما ينفع. فالجمع بين العمى والصمم جمع في الاستعارة بين أصناف حرمان الانتفاع بأفضلِ نافع، فإذا حصل الإعراض عن ذلك غلب الهوى على النّفوس، لأنّ الانسياق إليه في الجبلّة، فتجنّبه محتاج إلى الوازع، فإذا انعدم الوازع جاء سوء الفعل، ولذلك كان قوله: ﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾ مراداً منه معناه الكنائي أيضاً، وهو أنّهم أساءوا الأعمال وأفسدوا، فلذلك استقام أن يعطف عليه قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾. وقد تأكّد هذا المراد بقوله في تذييل الآية ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

● **قال تعالى**: ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: 73].

قال ابن عطية(2): ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ يحتمل تأويلين: أحدهما أن يكون المعنى لم يكن خرورهم بهذه الصفة بل يكون سجداً وبكياً، وهذا كما تقول لم يخرج زيد للحرب جزعاً أي إنما خرج جريئاً مقدماً. وكأن الذي يخر أصم وأعمى هو المنافق، أو الشاك، والتأويل الثاني ذهب إليه الطبري وهو أن يخروا صماً وعمياناً هي صفة للكافر وهي عبارة عن إعراضهم وجهدهم في ذلك. وقرن ذلك بقوله قعد فلان يشتمني وقام فلان يبكي وأنت لم تقصد الإخبار بقعود ولا قيام وإنما هي توطئات في الكلام والعبارة.

قال ابن كثير(3): ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ وهذه أيضاً من صفات المؤمنين ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ

(1) التحرير والتنوير.
(2) المحرر الوجيز.
(3) تفسير ابن كثير.

عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: 2]. بخلاف الكافر، فإنه إذا سمع كلام الله، لا يؤثر فيه، ولا يتغير عما كان عليه، بل يبقى مستمراً على كفره وطغيانه وجهله وضلاله؛ كما قال تعالى﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥﴾ [التوبة: 124-125]: فقوله: ﴿لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾ أي؛ بخلاف الكافر الذي إذا سمع آيات الله، فلا تؤثر فيه، فيستمر على حاله كأن لم يسمعها أصم أعمى.

قال مجاهد: قوله: ﴿لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾ قال: لم يسمعوا ولم يبصروا ولم يفقهوا شيئاً. وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : كم من رجل يقرؤها ويخر عليها أصم أعمى. وقال قتادة: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾ يقول: لم يصموا عن الحق، ولم يعموا فيه، فهم والله قوم عقلوا عن الحق، وانتفعوا بما سمعوا من كتابه.

صمت

(صَمَتَ - سَكَتَ - أَنْصَتَ)

■ **الصَّمْتُ:** ترك الكلام طويلاً احتجاجاً أو ترفعاً ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف: 193].

■ **السُّكُوتُ:** ترك الكلام الشديد والانفعال ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ [الأعراف: 154].

■ **الإِنْصَاتُ:** ترك الكلام للاستيعاب ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 204].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والميم والتاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على إبهام وإغلاق. من ذلك صَمَتَ الرّجُل، إذا سَكَتَ، وأَصْمَت أيضاً. ومنه قولهم: «**لقيتُ فلاناً ببلدة إِصْمِتَ**»، وهي القَفر التي لا أحد بها، كأنها صامتةٌ ليس بها ناطق. ويقال: «ماله صامتٌ ولا ناطق». فالصَّامت: الذّهب والفِضّة. والنَّاطق: الإبل والغنم والخيل. والصَّمُوت: الدِّرْع الليّنة التي إذا صَبَّها الرَّجُل على نفسه لم يُسمَع لها صوت.

وبابٌ مُصْمَت: قد أُبْهِمَ إغلاقه. والصامت من اللبن: الخاثر؛ وسمِّي بذلك

(1) معجم مقاييس اللغة.

لأنه إذا كان كذا فأفرغ في إناء لم يُسمع له صوت. ويقال: بِتُّ على صِمات ذاكَ، أي على قَصْدِهِ. فيمكن أن يكون شاذًّا، ويمكن أن يكون من الإِبدال، كأنّه مأخوذٌ من السَّمْت، وهي الطَّريقة.

ويقال: رمَاه بصِماتِهِ، أي بما أصمته. وأعطى الصَّبيَّ صُمْتَةً، أي ما يسكّنه.

قال الجوهري[1]: صَمَتَ يَصْمُتُ صَمْتاً وصُموتاً وصُماتاً: سَكَتَ. وأَصْمَتَ مثله. والتَّصْميتُ: التَّسكيتُ. والتَّصْميتُ أيضاً: السُّكوتُ. ورجلٌ صِمِّيتٌ، أي سِكِّيتٌ. والصُّمْتَةُ مثل السكْتَة. أبو زيد: رَمَيْتُهُ بصُماتِهِ سُكاتِهِ، أي بما صَمَتَ به وسكت. ويقال فلان على صُماتِ الأمر، إذا أَشْرَفَ على قضائه. وبات من القوم على صُماتٍ، أي بمرأىً ومسمعٍ في القرب.

وتقول: ماله صامِتٌ ولا ناطق. فالصامِتُ: الذهب والفضة. والناطق: الإبل والغنم؛ أي ليس له شيء. والصامتُ من اللبن: الخاثر. والصَّموتُ: الدِّرع التي إذا ضُبَّتْ لم يُسمع لها صوت. أبو عبيد: المُصْمَتُ الذي لا جوف له. وقد أَصْمَتُّهُ أنا. وباب مُصْمَتٌ: قد أُبهِمَ إغلاقه. والمُصْمَتُ من الخيل: البهيم، أيّ لونٍ كان لا يخالط لونَه لونٌ آخر. أبو زيد: لَقيتُهُ بِوَحْشِ إصْمِتَ، ولقيته ببلدةِ إصْمِتَ، إذا لقيتَه بمكانٍ قفر لا أنيسَ به، وهو غير مُجرىً.

قال الفيروزآبادي[2]: الصَّمْتُ والصُّموتُ والصُّماتُ: السُّكوتُ، كالإِصْماتِ والتَّصْميتِ. ورَماهُ بِصُماتِهِ، أي بما صَمَتَ منه. وأصْمَتَهُ وصَمَّتَه: أسْكَتَه، لازِمانِ مُتَعَدِّيانِ. والصُّماتُ، بالضم: سُرْعَةُ العَطَشِ. والصَّامِتُ من اللَّبَنِ: الخاثِرُ، وصمت من الإِبِلِ: عشرون، ومن المالِ: الذَّهَبُ والفِضَّةُ، والناطِقُ منه: الإِبِلُ. والصَّموتُ، بالفتح: الدِّرْعُ الثَّقيلُ، والسَّيْفُ الرَّسوبُ، والشَّهْدَةُ المُمْتَلِئَةُ التي لَيْسَتْ فيها ثُقْبَةٌ فارِغَةٌ، وفَرَسُ العَبَّاسِ بنِ مِرْداسٍ، أو خُفافِ بنِ نُدْبَةَ.

---

(1) الصحاح في اللغة. (2) القاموس المحيط.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف: 193].

قال الألوسي[1]: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ استئناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع، أي مستو عليكم في عدم الإفادة دعاؤكم لهم وسكوتكم فإنه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية، وكان الظاهر الإتيان بالفعل فيما بعد ﴿أَمْ﴾ لأن ما في حيز همزة التسوية مؤول بالمصدر، لكنه عدل عن ذلك للإيذان بأن إحداث الدعوة مقابل باستمرار الصمات، وفيه من المبالغة ما لا يخفى، وقيل: إن الاسمية بمعنى الفعلية وإنما عدل عنها لأنها رأس فاصلة وفيه أنه لو قيل تصمتون تم المراد. وقيل: إن ضمير تدعوا للنبي ﷺ والمؤمنين أو له عليه الصلاة والسلام وجمع للتعظيم، وضمير المفعولين للمشركين، والمراد بالهدى دين الحق أي إن تدعوا المشركين إلى الإسلام لا يتبعوكم أي لم يحصلوا ذلك منكم ولم يتصفوا به، وتعقب بأنه مما لا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه أصلاً على أنه لو كان كذلك لقيل عليهم مكان ﴿عَلَيْكُمْ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 6] فإن استواء الدعاء وعدمه إنما هو بالنسبة للمشركين لا بالنسبة إلى الداعين فإنهم فائزون بفضل الدعوة، ولعل رواية ذلك عن الحسن غير ثابتة، والطبرسي حاطب ليل.

قال أبو السعود[2]: ﴿أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ جملةٌ اسميةٌ في معنى الفعليةِ معطوفةٌ على الفعلية لأنها في قوة أمْ صَمَتّم. عُدل عنها للمبالغة في عدم إفادةِ الدعاءِ ببيان مساواتِه للسكوت الدائمِ المستمر، وما قيل من أن الخطابَ للمسلمين والمعنى

---

(1) روح المعاني. (2) إرشاد العقل السليم.

وإن تدعوا المشركين إلى الهدى أي الإسلامِ لا يتبعوكم الخ، مما لا يساعده سباقُ النظم الكريم وسياقُه أصلاً على أنه لو كان كذلك لقيل عليهم مكان عليكم كما في قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ فإن استواءَ الدعاءِ وعدمَه إنما هو بالنسبة إلى المشركين لا بالنسبة إلى الداعين فإنهم فائزون بفضل الدعوة.

صمد

(صَمَدَ - سَيَدَ)

■ **الصَّمَدُ:** القوي على الأمور كلها كالصخرة شديدة التمكن في الأرض يقصده الناس في الحوائج ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: 2].

■ **السَّيِّدُ:** المالك لتدبير سواد الناس كالأسرة والقبيلة ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [يوسف: 25].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والميم والدال أصلان: أحدهما القَصْد، والآخر الصَّلابة في الشَّيء. فالأوَّل: الصَّمْد: القصد. يقال: صَمَدْتُه صَمْداً. وفلان مُصَمَّدٌ، إذا كان سيِّداً يُقصَدُ إليه في الأمور. وصَمَدٌ أيضاً. والله جلَّ ثناؤه الصَّمَد؛ لأنه يَصْمِدِ إليه عبادُهُ بالدُّعاء والطَّلَب.

والأصل الآخر الصَّمْد، وهو كلُّ مكانٍ صُلْب.

قال الخليل[2]: الصَّمَدُ عن الحَسنَ: الذي أُصْنِدَتْ إليه الأمورُ، فلا يعتني فيها أحَدٌ غيرُه. وصَمَدْتُ: قَصَدْتُ. وفي العربية: الصَّمَدُ السَّيِّد في قومه، ليس فوقه أحَدٌ، ولا يُقضَى أمرٌ دونه، قال: خُذْها حُذَيْفَ فأنتَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ ويقال: هو المُصمَتُ الذي ليس بأجْوَف. والصَّمدَةُ والصُّمْدَة: صخرةٌ راسيةٌ في الأرض

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

مستوية بمَتْنٍ من الأرض، وربَّما ارتَفَعَتْ شيئاً. وصَمَدْتُ صَمْدَ كذا أي قَصَدْتُ قَصدَه واعتَمَدْتُه. والصِّماد: عِفاصُ القارورة، وصَمَدتُها صَمْداً.

قال الجوهري[1]: الصَّمْدُ: المكان المرتفع الغليظ. والمُصْمَدُ لغة في المُصْمَتِ، وهو الذي لا جَوْفَ له. والصِّمادُ: عِفاصُ القارورة. وصَمَدَهُ يَصْمُدُه صَمْداً، أي قَصَدَهُ. والصَّمَدُ السيِّدُ، لأنّه يُصْمَدُ إليه في الحوائجِ.

قال الفيروزآبادي[2]: الصَّمْدُ: القَصْدُ، والضَّرْبُ، والنَّصَبُ، وماءٌ للضِّباب، والمكانُ المُرْتَفِعُ الغليظُ، وتأثيرُ لَفْحِ الشمسِ في الوَجْهِ، وبالتحريكِ: السَّيِّدُ لِأَنَّهُ يُقْصَدُ، والدائِمُ، والرفيعُ، ومُصْمَتٌ لا جَوْفَ له، والرَّجُلُ لا يَعْطَشُ ولا يَجوعُ في الحَرْبِ، والقومُ لا حِرْفَةَ لهم، ولا شيءَ يَعيشونَ به.

وككِتابٍ: سِدادُ القارورَةِ، أو عِفاصُها، وقد صَمَدَها، كمَنَعَ، والجِلادُ، والضِّرابُ، وما يَلُفُّهُ الإنْسانُ على رأسِهِ من خِرْقَةٍ أو مِنْديلٍ دونَ العِمامَةِ. والصَّمْدَةُ: صَخْرَةٌ راسيَةٌ في الأرضِ، مُسْتَوِيَةٌ بها أو مُرْتَفِعَةٌ، والناقةُ المُتَعَيِّطَةُ التي لم تَلْقَحْ. والمُصَوْمِدُ: الغليظُ. والمُصَمَّدُ، كمُعَظَّمٍ: المقصودُ، والشيءُ الصُّلْبُ ما فيه خَوَرٌ. وناقةٌ مِصْمادٌ: باقِيَةٌ على القُرِّ والجَدْبِ، دائِمَةُ الرِّسْلِ، جمعه: مَصامِدُ ومَصاميدُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: 2].

قال أبو السعود[3]: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ مبتدأٌ وخبر والصمدُ فَعَلٌ بمَعْنَى مفعولٍ

(1) الصحاح في اللغة.
(2) القاموس المحيط.
(3) إرشاد العقل السليم.

مَنْ يُصمدُ إليهِ إذَا قَصَدَهُ أيْ هُوَ السيدُ المصمودُ إليهِ في الحوائجِ المُسْتغنى بذاتِهِ وَكُلٌّ ما عداهُ محتاجٌ إليهِ في جميعِ جهاتِهِ وقيلَ الصمدُ الدائمُ الباقِي الذي لَمْ يزلْ وَلَا يزالُ وقيلَ الذي يفعلُ مَا يشاءُ ويَحكمُ مَا يريدُ وتعريفُهُ لعلمِهِم بصمديتِهِ بخلافِ أحديَتِهِ وتكريرُ الاسمِ الجليلِ للإشعارِ بأنَّ منْ لم يتصفْ بذلكَ فهوَ بمعزلٍ منَ استحقاقِ الألوهيةِ وتعريةُ الجملةِ عنِ العاطفِ لأنَّها كالنتيجةِ للأولى بيَّنَ أولاً ألوهيَتَهُ عزَّ وجلَّ المستتبعةَ لكافةِ نعوتِ الكمالِ ثمَّ أحديتَهُ الموجبةَ تنزهَّهُ عنْ شائبةِ التعددِ والتركيبِ بوجهٍ منَ الوجوهِ وتوهمِ المشاركةِ في الحقيقةِ وخواصِّهَا ثُمَّ صمديتَهُ المقتضيةَ لاستغنائِهِ الذاتِيِّ عَمَّا سواهُ وافتقارِ جميعِ المخلوقاتِ إليهِ في وجودِهَا وبقائِهَا وسائرِ أحوالِهَا تحقيقاً للحقِّ وإرشاداً لهُم إلى سنتِهِ الواضحِ ثُمَّ صرحَ ببعضِ أحكامٍ جزئيةٍ مندرجةٍ تحتَ الأحكامِ السابقةِ.

قال القرطبي[1]: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّـمَدُ﴾ أي الذي يُصْمَد إليه في الحاجات. كذا رَوَى الضحاك عن ابن عباس، قال: الذي يُصْمَد إليه في الحاجات؛ كما قال عز وجل: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النّحل: 53]. قال أهل اللغة: الصمد: السيد الذي يُصْمد إليه في النوازل والحوائج.

وقال قوم: الصَّمَدُ: الدائم الباقي، الذي لم يزل ولا يزال. وقيل: تفسيره ما بعده ﴿لَمْ يَـلِدْ وَلَـمْ يُولَـدْ﴾. قال أُبَيُّ بنُ كَعْب: الصَّمَدُ: الذي لا يلِدُ ولا يُولَد؛ لأنه ليس شيء إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا يُورث. وقال عليّ وابن عباس أيضاً وأبو وائل شقِيق بن سلمة وسفيان: الصَّمَد: هو السيد الذي قد انتهى سُودَدُه في أنواع الشرف والسُّودَد.

وقال أبو هريرة: إنه المستغنِي عن كل أحد، والمحتاج إليه كل أحد. وقال السدّيّ: إنه: المقصود في الرغائب، والمستعان به في المصائب. وقال الحسين

(1) الجامع لأحكام القرآن.

ابن الفضل: إنه الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. وقال مقاتل: إنه: الكامل الذي لا عيب فيه.

ورَوى الترمذي عن أُبيّ بن كعب: أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انْسُبْ لنا ربك؛ فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: 1،2]. والصَّمَد: الذي لم يلد ولم يُولَد؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وأن الله تعالى لا يموت ولا يورث.

صمع

(صَمَعَ - بَيَع - صَلَوَات - مَسْجِد)

■ **الصَّوْمَعَةُ:** دار العبادة لليهود.

■ **البَيْعَةُ:** دار العبادة للنصارى.

■ **الصَّلَوَاتُ:** دار العبادة للصابئة.

■ **المَسَاجِدُ:** دار العبادة للمسلمين ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحَجّ: 40].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والميم والعين أصلٌ واحدٌ، يدلُّ على لطافةٍ في الشّيء وتضامٍّ. قال الخليلُ وغيره: كلُّ منضمٍّ فهو متصمِّع. قال: ومن ذلك اشتقاق الصَّومعة. ومن ذلك الصَّمع في الأُذنَين. يقال: هو أصمعُ، إذا كان أَلصَق الأذنين. ويقال: قلبٌ أصمع، أي لطيف ذكيّ. ويقال للبُهْمَى إذا ارتفعت ولم تتفَقأ: صَمْعاء. وذلك أنَّها [إذا] كانت كذا كانت منْضَمَّةً لطيفة. وإذا تلطَّخ الشَّيء بالشيء فتجمَّعَ كريش السَّهم فهو متصمِّع. والكلاب صُمْعُ الكعوب، أي صغارُها ولِطافُها.

قال الجوهري[2]: يقال: هو أَصْمَعُ القلب، إذا كان متيقِّظاً ذكيًّا.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) الصحاح في اللغة.

والأَصْمَعانِ القلبُ الذكيُّ والرأيُ العازمُ. والأصْمَعُ الصغيرُ الأذنِ، والأنثى صَمْعاءُ. والصَّمْعاءُ البُهْمى إذا ارتفعت قبل أن تَتَفَقَّأَ. ويقال: خرج السهم مُتَصَمِّعاً، إذا ابْتَلَّتْ قُذَذُهُ من الدم وغيره فانضمَّتْ. ويقال: الكلابُ صُمْعُ الكعوب، أي صغار الكعوب. وأتانا بثريدة مُصَمَّعَةٍ، إذا دُقِّقَتْ وحُدِّدَ رأسُها. وصَوْمَعَةُ النصارى: فَوْعَلَةٌ من هذا، لأنّها دقيقة الرأس.

قال الفيروزآبادي[1]: الأصْمَعُ: الصَّغيرُ الأُذُنِ، والسَّيْفُ القاطِعُ، والمُتَرَقِّي أشْرَفَ المَواضِعِ، والسادِرُ، والكَعْبُ اللطيفُ المُسْتَوي، والنَّبْتُ خَرَجَ له ثَمَرٌ ولم يَنْفَتِقْ، والريشُ القَشِيبُ اللطيفُ، أو أفْضَلُ الريشِ، ج: صُمْعانٌ، بالضّم. والأصْمَعُ: القَلْبُ الذَّكيُّ المُتَيَقِّظُ، والأصمَعانِ: هُوَ، والرأيُ الحازِمُ، وعبدُ الملِكِ بنُ قُرَيْبِ بنِ عبد الملِكِ ابنِ عليِّ بنِ أصْمَعَ، أبو سَعيدٍ الأَصْمَعِيُّ، ويُكْنَى أبا القُنْدَيْنِ أيضاً.

والصَّمْعاءُ: الصغيرةُ الأُذُنِ، والأُذُنُ الصغيرَةُ اللطيفَةُ المُنْضَمَّةُ إلى الرأسِ، والسالِفَةُ، والمُدَمْلَكُ المُدَقَّقُ من النَّباتِ، أو البُهْمَى إذا ارْتَفَعَتْ قبلَ أن تَتفَقَّأَ، أو كُلُّ بُرْعومَةٍ مُجْتَمِعَةٍ لم تَنْفَتِحْ بعدُ، جمعه: صُمْعٌ. ويقالُ للكلابِ: صُمْعُ الكُعوبِ، أي صِغَارُها.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ﴾ [الحج: 40].

قال ابن عاشور[2]: والصوامع: جمع صومعة بوزن فَوْعلة، وهي بناء مستطيل

(1) القاموس المحيط. (2) التحرير والتنوير.

مرتفع يصعُد إليه بدرج وبأعلاه بيت، كان الرهبان يتّخذونه للعبادة ليكونوا بعداء عن مشاغلة الناس إياهم، وكانوا يوقدون به مصابيح للإعانة على السهر للعبادة ولإضاءة الطريق للمارين. من أجل ذلك سُمّيت الصومعة المنارة.

والبِيَع: جمع بيعة - بكسر الباء وسكون التحتية - مكان عبادة النصارى ولا يعرف أصل اشتقاقها، ولعلها معرّبة عن لغة أخرى.

قال الشعراوي[1]: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ﴾ صوامع جمع صومعة، وهي مكان خاصٌّ للعبادة عند النصارى، وعندهم مُتعبَّد عام يدخله الجميع هو الكنائس، أما الصَّومعة فهي مكان خاص لينفرد فيه صاحبه وينقطع للعبادة، ولا تكون الصَّوْمعة في حضر، إنما تكون في الجبال والأودية، بعيداً عن العمران لينقطع فيها الراهب عن حركة حياة الناس، وهي التي يسمونها الأديرة وتوجد في الأماكن البعيدة. وقد حرم الإسلام الرهبانية بهذا المعنى؛ لأنها رهبانية ما شرّعها الله، كما قال سبحانه: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: 27].

قال القرطبي[2]: ﴿صَوَٰمِعُ﴾ جمع صَوْمعة، وزنها فَوْعلة، وهي بناء مرتفعٌ حديدُ الأعلى؛ يقال: صمّع الثريدة، أي رفع رأسها وحدّده. وكانت قبل الإسلام مختصة برهبان النصارى وبعبّاد الصابئين - قاله قتادة - ثم استعمل في مئذنة المسلمين. والبِيَع جمع بِيعة، وهي كنيسة النصارى.

(1) تفسير الشعراوي.

(2) الجامع لأحكام القرآن.

صنع

(صَنَعَ - وَضَنَ - خَلَق)

■ **الصُّنْعُ:** إجادة الفعل مطلقاً ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ﴾ [النَّمل: 88].

■ **الوَضَنُ:** إجادة النسيج خاصة ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ﴾ [الواقِعَة: 15].

■ **الخَلْقُ:** إجادة الشيء إبداعاً من غير أصل ولا احتذاء ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾ [النّحل: 4].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والنون والعين أصلٌ صحيح واحد، وهو عملُ الشيء صُنْعاً. وامرأة صَنَاعٌ ورجلٌ صَنَعٌ، إذا كانا حاذقَين فيما يصنعانه.

والصَّنِيعة: ما اصطنعتَه مِنْ خير. والتصنُّع حُسن السَّمْت. وفرسٌ صَنِيعٌ: صَنَعَه أهلُه بحُسْن القِيام عليه. والمَصانع: ما يُصنَعُ من بئرٍ وغيْرِها للسَّقي. ومن الباب: المُصانَعة، وهي كالرِّشْوة. وممّا شذَّ عن هذا الأصل الصِّنْع، يقال إِنَّه السَّفُّود.

قال الجوهري[2]: الصُّنْعُ بالضم: مصدر قولك صَنَعَ إليه معروفاً. وصَنَعَ به صَنيعاً قبيحاً، أي فعل. والصِّناعَةُ: حرفةُ الصانِع، وعمله الصَّنْعَةُ. وصَنْعَةُ الفرسِ أيضاً: حُسْنُ القيام عليه. تقول منه: صَنَعْتُ فرسي صَنْعاً وصَنْعَةً، فهو فرسٌ صَنيعٌ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) الصحاح في اللغة.

وسيفٌ صَنيعٌ، أي مَجْلُوٌّ.

وامرأةٌ صَناعُ اليدين، أي حاذقةٌ ماهرةٌ بعمل اليدين. وامرأتان صَناعانِ.

ونسوةٌ صُنُعٌ. ورجلٌ صَنيعُ اليدينِ وصَنيعُ اليدينِ أيضاً بكسر الصاد، أي صانِعٌ حاذقٌ. وكذلك رجلٌ صَنَعُ اليدين، بالتحريك.

واصْطَنَعْتُ عند فلانٍ صَنيعَةً. واصْطَنَعْتُ فلاناً لنفسي، وهو صَنيعَتي، إذا اصْطَنَعْتَهُ وخَرَّجْتَهُ. والتَّصَنُّعُ تكلّف حُسْنِ السَمتِ. وتَصَنَّعَتِ المرأة، إذا صَنَعَتْ نفسَها. والمُصانَعَةُ: الرُّشْوَةُ. وفي المثل: مَنْ صانَعَ بالمال لم يحتشم من طلب الحاجة. والمَصْنَعَةُ كالحوض يُجْمَعُ فيه ماء المطر، وكذلك المَصْنُعَةُ بضم النون. والمَصانِعُ: الحصونُ.

قال الفيروزآبادي(1): صَنَعَ إليه مَعْروفاً، كمنَع، صُنعاً، بالضم، وصَنَعَ به صَنيعاً قبيحاً: فَعَلَهُ، وصنع الشيءَ صَنْعاً بالفتح والضم: عَمِلَهُ، وما أحسَنَ صُنْعَ اللهِ، بالضم، وصَنيعَ اللهِ عندَكَ. والصِّناعةُ، ككتابةٍ: حِرْفَةُ الصانِعِ، وعَمَلُه: الصَّنْعَةُ. وصَنْعَةُ الفرسِ: حُسْنُ القِيامِ عليه، صَنَعْتُ فَرَسِي صَنْعاً وصَنْعَةً. والصَّنِيعُ: ذلك الفرسُ، والسيفُ الصَّقِيلُ المُجَرَّبُ، والسَّهْمُ كذلك، وفرسُ باعِثِ بنِ حُوَيْصٍ الطائِيِّ، والطعامُ، والإِحْسَانُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ [هُود: 16].

قال الألوسي(2): ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ أي في الآخرة كما هو الظاهر، فالجار متعلق – بحبط – و﴿مَا﴾ تحتمل المصدرية والموصولية أي ظهر في الآخرة

(1) القاموس المحيط.
(2) روح المعاني.

حبوط صنعهم، أو الذي صنعوه من الأعمال التي كانت تؤدي إلى الثواب الأخروي لو كانت معمولة للآخرة، ويجوز أن يعود الضمير إلى الدنيا فيكون الجار متعلقاً بصنعوا - و﴿مَا﴾ على حالها، والمراد بحبوط الأعمال عدم مجازاتهم عليها لفقد الاعتداد بها لعدم الإخلاص الذي هو شرط ذلك، وقيل: لجزائهم عليها في الدنيا.

قال ابن عاشور[1]: والحَبْط: البطلان أي الانعدام. والمراد بـ ﴿مَا صَنَعُواْ﴾ ما عملوا، ومن الإحسان من الدنيا كإطعام العُفاة ونحوه من مواساة بعضهم بعضاً، ولذلك عبر هنا بـ ﴿صَنَعُواْ﴾ لأنّ الإحسان يسمى صنيعة. وضمير ﴿فِيهَا﴾ يجوز أن يعود إلى ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ [هود: 15]. المتحدث عنها فيتعلّق المجرور بفعل ﴿صَنَعُواْ﴾. ويجوز أن يعود إلى ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ فيتعلق المجرور بفعل (بطل)، أي انعدم أثره. ومعنى الكلام تنبيه على أن حظهم من النعمة هو ما يحصل لهم في الدنيا وأن رحمة الله بهم لا تعدو ذلك. وقد «قال النبي ﷺ لعمر لما ذكر له فارس والروم وما هم فيه من المتعة: «**أولئك عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا**».

● **قال تعالى**: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هُود: 37].

قال الطنطاوي[2]: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ معطوف على قوله.. ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ [هُود: 36] والفلك: ما عظم من السفن، ويستعمل هذا اللفظ للواحد والجمع، والمراد به هنا سفينة واحدة عظيمة قام بصنعها نوح عليه السلام. والباء في قوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ للملابسة، والجار والمجرور في موضع الحال من ضمير اصنع.

أي: واصنع الفلك يا نوح، حالة كونك بمرأى منا، وتحت رعايتنا وتوجيهنا وإرشادنا عن طريق وحينا.

قال ابن عجيبة[3]: ثم أمره بصنع السفينة، فقال: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾؛

---

(1) التحرير والتنوير.
(2) الوسيط في تفسير القرآن.
(3) البحر المديد.

بحفظنا ورعايتنا، أو بمرأى منا ومسمع غير محتاج إلى آلة حفظ وحرس، ﴿وَوَحۡيِنَا﴾ إليك، كيف تصنعها، رُوي أنه لما جهل صنعها أوحى الله إليه: أن اصنعها على مثال جُؤجؤ الطائر.

وروي أيضاً: انها كانت مربعة الشكل، طويلة في السماء، ضيقة الأعلى، وأن المراد منها إنما كان الحفظ، لا سرعة المشي، والأول أرجح: أعني: على صورة ظهر الطائر. قال في الأساس: عملت سفينة نوح عليه السلام من ساج، وهو خشب أسود، رزان، لا تكاد الأرض تبليه، من الهند. هـ. وفي رواية أخرى: صنعها نوح عليه السلام، وجبريل يصف له، فكان أسفلها كأسفل السفن وأعلاها كالسقف، وداخلها كالبيت، ولها أبواب في جوانبها.

● **قال تعالى: ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾** [هُود: 38].

قال الخازن(1): ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ يعني كما أمره الله سبحانه وتعالى قال أهل السير لما أمر الله سبحانه وتعالى نوحاً بعمل السفينة أقبل على عملها ولها عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ القار وكل ما يحتاج إليه في عمل الفلك وجعل قومه يمرون وهو في عمله فيسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجاراً بعد النبوة وأعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم ولد.

قال الشوكاني(2): ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ أي: وطفق يصنع الفلك، أو وأخذ يصنع الفلك. وقيل: هو حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة.

● **قال تعالى: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾** [طه: 39].

قال الفخر الرازي(3): ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ قال القفال: لترى على عيني أي على وفق إرادتي، ومجاز هذا أن من صنع لإنسان شيئاً وهو حاضر ينظر إليه صنعه

---

(1) لباب التأويل.
(2) فتح القدير.
(3) التفسير الكبير.

له كما يحب ولا يمكنه أن يفعل ما يخالف غرضه فكذا هٰهنا وفي كيفية المجاز قولان: الأول: المراد من العين العلم أن ترى على علم مني ولما كان العالم بالشيء يحرسه عن الآفات كما أن الناظر إليه يحرسه عن الآفات أطلق لفظ العين على العلم لاشتباههما من هذا الوجه. الثاني: المراد من العين الحراسة وذلك لأن الناظر إلى الشيء يحرسه عما يؤذيه فالعين كأنها سبب الحراسة فأطلق اسم السبب على المسبب مجازاً وهو كقوله تعالى:

﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: 46] ويقال: عين الله عليك إذا دعا لك بالحفظ والحياطة.

قال القرطبي[1]: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ قال ابن عباس: يريد إن ذلك بعيني حيث جُعلت في التابوت، وحيث ألقي التابوت في البحر، وحيث التقطك جواري امرأة فرعون؛ فأردن أن يفتحن التابوت لينظرن ما فيه، فقالت منهن واحدة: لا تفتحْنه حتى تأتين به سيدتكنّ فهو أحظى لكنّ عندها، وأجدر بألا تتهمكنّ بأنكنّ وجدتن فيه شيئاً فأخذتموه لأنفسكنّ. وكانت امرأة فرعون لا تشرب من الماء إلا ما استقينه أولئك الجواري. فذهبن بالتابوت إليها مغلَقاً، فلما فتحته رأت صبياً لم يُرَ مثله قطّ؛ وألقى عليها محبته فأخذته فدخلت به على فرعون، فقالت له: ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ﴾ [القَصَص: 9] قال لها فرعون: أمّا لك فَنَعم، وأما لي فلا. فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «**لو أن فرعون قال نعم هو قرة عين لي ولك لآمن وصدّق**» فقالت: هَبْه لي ولا تقتله؛ فوهبه لها. وقيل: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ أي تُربَّى وتُغذى على مرأى مني؛ قاله قتادة. قال النحاس: وذلك معروف في اللغة؛ يقال: صنعت الفرس وأصنعته إذا أحسنتَ القيام عليه. والمعنى «ولِتصنع على عينِي» فعلت ذلك.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه: 41].

(1) الجامع لأحكام القرآن.

قال ابن كثير[1]: يقول تعالى مخاطباً لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنه لبث مقيماً في أهل مدين فاراً من فرعون وملئه، يرعى على صهره حتى انتهت المدة وانقضى الأجل، ثم جاء موافقاً لقدر الله وإرادته من غير ميعاد، والأمر كله لله تبارك وتعالى، وهو المسير عباده وخلقه فيما يشاء، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 40] قال مجاهد: أي: على موعد. وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ قال: على قدر الرسالة والنبوة. وقوله: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ أي: اصطفيتك واجتبيتك رسولاً لنفسي، أي: كما أريد وأشاء. وقال البخاري عند تفسيرها: حدثنا الصلت بن محمد، حدثنا مهدي بن ميمون، حدثنا محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**التقى آدم وموسى، فقال موسى: أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة، فقال آدم: وأنت الذي اصطفاك الله برسالته واصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة؟ قال: نعم، قال: فوجدته مكتوباً عليّ قبل أن يخلقني؟ قال: نعم، فحج آدم موسى**» أخرجاه.

قال البيضاويّ[2]: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه.

● **قال تعالى**: ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟﴾ [طه: 69].

قال البغوي[3]: ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ﴾، يعني العصا، ﴿تَلْقَفْ﴾، تلتقم، وتبتلع، ﴿مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ﴾، قرأ ابن عامر «تلقفُ» برفع الفاء هاهنا، وقرأ الآخرون بالجزم على جواب الأمر، ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟﴾، إن الذي صنعوا.

قال ابن عادل[4]: («صَنَعُوا» هٰهنا: اختلقوا وزَوّرُوا) والعرب تقول في الكذب: هو كلام مصنوع. قوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ﴾ العامة على رفع «كَيْد»

(1) تفسير ابن كثير.
(2) أنوار التنزيل.
(3) معالم التنزيل.
(4) اللباب في علوم الكتاب.

على أنه خبر «إنَّ» و«مَا» موصولة، و«صَنَعُوا» صلتها، والعائد محذوف، والموصول هو الاسم، والتقدير: إنَّ الذي صنعوه كَيْدُ سَاحِرٍ.

● **قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العَنكبوت: 45].**

قال الألوسي[1]: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ من الخير والطاعة فيجازيكم بذلك أحسن المجازاة، وقال أبو حيان: ﴿يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ من الخير والشر فيجازيكم بحسبه ففيه وعد ووعيد وحث على المراقبة.

قال الشعراوي[2]: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ هذه الكلمة نأخذها على أنها بشارة للمؤمن، ونذارة للكافر، كما تقول للتلاميذ يوم الامتحان: سينجح المجتهد منكم، فهي بشارة للمجتهد، وإنذار للمهمِل، فالجملة واحدة، والإنسان هو الذي يضع نفسه في أيهما يشاء.

● **قال تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ [الشُّعَرَاء: 129].**

قال ابن عجيبة[3]: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾، مآخذ الماء، أو قصوراً مشيدة، أو حصوناً، وهو جمع مصنع، والمصنع: كل ماصنع وأتقن في بنيانه.

قال الشوكاني[4]: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ المصانع: هي الأبنية التي يتخذها الناس منازل. قال أبو عبيدة: كل بناء مصنعة منه، وبه قال الكلبي وغيره، وقيل: هي الحصون المشيدة، قاله مجاهد، وغيره، وقال الزجاج: إنها مصانع الماء التي تجعل تحت الأرض واحدتها: مصنعة ومصنع، ومنه قول لبيد:

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع   وتبقى الجبال بعدنا والمصانع

وليس في هذا البيت ما يدلّ صريحاً على ما قاله الزجاج، ولكنه قال الجوهري: المصنعة بضم النون: الحوض يجمع فيه ماء المطر، والمصانع: الحصون. وقال عبد الرزاق: المصانع عندنا بلغة اليمن القصور العالية.

---

(1) روح المعاني.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) البحر المديد.
(4) فتح القدير.

● **قال تعالى:** ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المَائدة: 63].

قال القرطبي[1]: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ كما وبّخ من يسارع في الإثم بقوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [المَائدة: 62] ودلت الآية على أن تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر؛ فالآية توبيخ للعلماء في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد مضى القول في هذا المعنى في «البقرة» و«آل عمران».

وروى سفيان بن عيينة قال: حدّثني سفيان بن سعيد «عن مِسعر قال بلغني أن مَلَكاً أُمِر أن يخسف بقرية فقال: يا رب فيها فلان العابد فأوحى الله تعالى إليه: «أَنْ به فأبدأ فإنه لم يَتَمَعَّر وجهه فيّ ساعة قط» وفي صحيح الترمذي: «**إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده**» وسيأتي. والصنع بمعنى العمل إلا أنه يقتضي الجودة؛ يقال: سيف صنيع إذا جُوِّد عمله.

قال الفخر الرازي[2]: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ والصنع أقوى من العمل لأن العمل إنما يسمى صناعة إذا صار مستقراً راسخاً متمكناً، فجعل جرم العاملين ذنباً غير راسخ، وذنب التاركين للنهي عن المنكر ذنباً راسخاً، والأمر في الحقيقة كذلك لأن المعصية مرض الروح، وعلاجه العلم بالله وبصفاته وبأحكامه، فإذا حصل هذا العلم وما زالت المعصية كان مثل المرض الذي شرب صاحبه الدواء فما زال، فكما أن هناك يحصل العلم بأن المرض صعب شديد لا يكاد يزول، فكذلك العالم إذا أقدم على المعصية دلّ على أن مرض القلب في غاية القوة والشدة، وعن ابن عباس: هي أشد آية في القرآن، وعن الضحاك: ما في القرآن آية أخوف عندي منها، والله أعلم.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) التفسير الكبير.

صنم

(صَنَم - تِمثَال - نَصب - وَثَن)

■ **الصَّنَمُ:** جثة متخذة من خشب أو حجر أو نحاس وله صورة فتعبد ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35].

■ **الوَثَنُ:** حجارة غير مصورة تعبد ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ [العَنكبوت: 25].

■ **التِّمْثَالُ:** الشيء المصور من حجر للزينة ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾ [سَبَإ: 13].

■ **النّصَبُ:** حجارة تنصب فتعبد.

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والنون والميم كلمةٌ واحدةٌ لا فرعَ لها، وهي الصَّنَم. وكان شيئاً يُتَّخَذُ من خشبٍ أو فضّة أو نُحاسٍ فيُعبَد.

قال الفيروزآبادي[2]: الصَّنَمُ، محرَّكةً: خُبْثُ الرائِحَةِ، وقُوَّةُ العَبْدِ.

وهو صَنِمٌ، ككَتِفٍ، والوَثَنُ يُعْبَدُ، مُعَرَّبُ شَمَنْ، وبهاءٍ: قَصَبَةُ الريشِ كُلُّها، والداهِيَةُ، لُغَةٌ في الصَّلَمَةِ. والصَّنَمانُ: ة بِدِمَشْقَ. وصَنَّمَ تَصْنيماً: صَوَّتَ، وصنم النُوقَ: غَزَّرَها، ونوقٌ صَنِماتٌ، بكسرِ النونِ. وبَنُو صُنامَةَ، كثُمامَةٍ: من

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) القاموس المحيط.

الأشْعَرينَ. وصُنْمٌ، بالضم: . وإقليمُ الأصْنامِ: بالأنْدَلُسِ. وبَنو صُنَيْمٍ، كزُبَيْرٍ: بَطْنٌ.

قال الراغب[1]: الصنم: جثة متخذة من فضة، أو نحاس، أو خشب، كانوا يعبدونها متقربين به إلى الله تعالى، وجمعه: أصنام. قال الله تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ [الأنعام: 74]، ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: 57]، قال بعض الحكماء: كل ما عبد من دون الله، بل كل ما يشغل عن الله تعالى يقال له: صنم، وعلى هذا الوجه قال إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35]، فمعلوم أن إبراهيم مع تحققه بمعرفة الله تعالى، واطلاعه على حكمته لم يكن ممن يخاف أن يعود إلى عبادة تلك الجثث التي كانوا يعبدونها، فكأنه قال: اجنبني عن الاشتغال بما يصرفني عنك.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ [الأنعام: 74].

قال أبو السعود[2]: ﴿أَتَتَّخِذُ﴾ متعدٍّ إلى مفعولين هما ﴿أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ أي أتجعلُها لنفسك آلهةً على توجيه الإنكار إلى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية، وإنما إيرادُ صيغةِ الجمع باعتبار الوقوعِ، وقرىء أأَزْراً بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنةٍ وراءٍ منونةٍ منصوبةٍ وهو اسمُ صنم، ومعناه أتعبدُ أَزْراً ثم قيل: أتتخِذُ أصناماً آلهة؟ تثبيتاً لذلك وتقريراً، وهو داخل تحت الإنكار لكونه بيناً له، وقيل: الأزرُ القوة، والمعنى ألأَجْلِ القوة والمظاهَرَةِ تتخذ أصناماً آلهة؟ إنكاراً لتعزُّزِه بها على طريقة قوله تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ [النساء: 139].

---

(1) مفردات الراغب.
(2) إرشاد العقل السليم.

قال الخازن[1]: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ معناه: اذكر لقومك يا محمد قول إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة تعبدها من دون الله الذي خلقك ورزقك. والأصنام: جمع صنم وهو التمثال الذي يتخذ من خشب أو حجارة أو حديد أو ذهب أو فضة على صورة الإنسان وهو الوثن أيضاً.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35].

قال القرطبي[2]: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ أي ٱجعلني جانباً عن عبادتها، وأراد بقوله: «بنيّ» بنيه من صُلْبه وكانوا ثمانية، فما عبد أحد منهم صنماً. وقيل: هو دعاء لمن أراد الله أن يدعو له. وقرأ الْجَحْدَريّ وعيسى «وَأَجْنِبْنِي» بقطع الألف والمعنى واحد؛ يقال: جَنَبْتُ ذلك الأمر؛ وأجنبته وجَنَّبته إياه فتجانبه وٱجتنبه أي تركه. وكان إبراهيم التَّيْميّ يقول في قصصه: من يأمن البلاء بعد الخليل حين يقول ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ كما عبدها أبي وقومي.

قال الفخر الرازي[3]: احتج أصحابنا بقوله: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ على أن الكفر والإيمان من الله تعالى، وتقرير الدليل أن إبراهيم عليه السلام طلب من الله أن يجنبه ويجنب أولاده من الكفر فدل ذلك على أن التبعيد من الكفر والتقريب من الإيمان ليس إلا من الله تعالى، وقول المعتزلة إنه محمول على الألطاف فاسد، لأنه عدول عن الظاهر، ولأنا قد ذكرنا وجوهاً كثيرة في إفساد هذا التأويل.

● **قال تعالى**: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء: 57].

قال الألوسي[4]: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ أي لأجتهدن في كسرها،

---

(1) لباب التأويل.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) التفسير الكبير.
(4) روح المعاني.

وأصل الكيد الاحتيال في إيجاد ما يضر مع إظهار خلافه وهو يستلزم الاجتهاد فتجوز به عنه، وفيه إيذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل ليحتاطوا في الحفظ فيكون الظفر بالمطلوب أتم في التبكيت، وكان هذا منه عليه السلام عزماً على الإرشاد إلى ضلالهم بنوع آخر، ولا يأباه ما روي عن قتادة أنه قال: نرى أنه عليه السلام قال ذلك من حيث لا يسمعون وقيل سمعه رجل واحد منهم، وقيل: قوم من ضعفتهم ممن كان يسير في آخر الناس يوم خرجوا إلى العيد وكانت الأصنام سبعين: وقيل اثنين وسبعين.

قال ابن عاشور(1): انتقل إبراهيم عليه السلام من تغيير المنكر بالقول إلى تغييره باليد معلناً عزمه على ذلك بقوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ مؤكداً عزمه بالقسم، فالواو عاطفة جملة القسم على جملة الخبر التي قبلها.

والتاء تختص بقسم على أمر متعجب منه وتختص باسم الجلالة. وقد تقدم عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: 85].

وسمى تكسيره الأصنام كَيْداً على طريق الاستعارة أو المشاكلة التقديرية لاعتقاد المخاطبين أنهم يزعمون أن الأصنام تدفع عن أنفسها فلا يستطيع أن يمسها بسوء إلا على سبيل الكيد.

قال الشعراوي(2): بعد ما حدث منهم من لجج وجدال بالباطل أقسم إبراهيم عليه السلام ﴿وَتَاللَّهِ﴾ والتاء هنا للقسم ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ [الأنبياء: 57] وهل الأصنام تُكَاد؟ أم أن المراد: لأكيدنكم في أصنامكم؟ فالأصنام كمخلوق من مخلوقات الله تُسبِّح لله، وتشكر إبراهيم على هذا العمل.

إذن: فتحطيم الأصنام ليس كَيْداً للأصنام، بل لعُبَّادها الذين يعتقدون فيها أنها تضرُّ وتنفع، وكأن إبراهيم عليه السلام يقيم لهؤلاء الدليل على بطلان عبادة

(1) التحرير والتنوير. (2) تفسير الشعراوي.

الأصنام، الدليل العملي الذي لا يُدْفَع وكأن إبراهيم يقول بلسان الحال: حين أُكسِّر الأصنام إنْ كنتُ على باطل فليمنعُوني وليردّوا الفأْسَ من يدي، وإنْ كنتُ على حق تركوني وما أفعل.

صنو

(صِنْو - شَبَه - مِثْل)

■ **الصِّنْوُ:** فرع الشجرة أو النخلة يخرج من أصلها ليكبر فيكون مثلها تماماً ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [الرّعد: 4].

■ **الشَّبَهُ:** اتفاق أمرين في الكيفية ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ﴾ [البَقَرَة: 25].

■ **المِثْلُ:** اتفاق أمرين في شيء ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ [الأحقاف: 10].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والنون والحرف المعتلّ أصلٌ صحيح يدلُّ على تقارُب بين شيئين، قرابةً أو مسافةً. من ذلك الصِّنو: الشَّقيق. وعمُّ الرّجل صِنوُ أبيه. وقال الخليل، يقال: فلانٌ صِنْوُ فلانٍ، إذا كان أخاه وشقيقَه لأمِّه وأبيه. والأصل في ذلك النَّخلتانِ تخرجان من أصلٍ واحدٍ، فكلُّ واحدة منهما على حيالها صِنوٌ، والجمع صِنوانٌ. قال الله تعالى: ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [الرّعد: 4]. قال أبو زيد: رِكيَّتانِ صِنْوانِ، وهما المتقاربتان حتى لا يكونَ بينهما من تقارُبهما حَوْض. ومما شذَّ عن هذا الأصل الصِّنو: مثل الرّدْهَة تُحفَر في الأرض، وتصغيره، صُنَيٌّ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: فلانٌ صِنْوُ فُلانٍ أي أخُوه لأَبَوَيهِ وشَقيقُه. وعَمُّ الرجلِ: صِنوُ أبيهِ. والصِّنْوُ من النَّخْل: نَخْلتانِ أو ثلاثٌ أو أكثَرُ أصلُهُنَّ واحد، كلُّ واحدةٍ على حِيالها صِنْوٌ، وجمعُه صِنْوانٌ، والتثنية صِنوانِ، ويقال لغير النَّخْل.

قال الجوهري[2]: إذا خرج نخلتان أو ثلاثٌ من أصل واحد فكلٌّ واحدة منهنّ صِنْوٌ والاثنتان صِنْوانِ، والجمع صِنْوانٌ برفع النون. وفي الحديث: «**عَمُّ الرجل صِنْوُ أبيه**». أبو زيد: رَكِيَّتانِ صِنْوانِ، إذا تقاربتا أو نبعتا من عين واحدة. والصُّنَيُّ: حِسيٌ صغيرٌ لا يَرِدُهُ أحد ولا يُؤبَه له، وهو تصغير صِنْوٍ. ويقال: هو شَقٌّ من الجبل. الفراء: أخذت الشيء بِصِنايَتِهِ، إذا أخذتَه كلَّه.

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [الرّعد: 4].

قال الألوسي[3]: ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ فاصلة أو يطول الفصل بين المتعاطفين، وصنوان جمع صنو وهو الفرع الذي يجمعه وآخر أصل واحد وأصله المثل، ومنه قيل للعم صنو، وكثر الصاد في الجمع كالمفرد هو اللغة المشهورة وبها قرأ الجمهور، ولغة تميم وقيس ﴿صُنْوَانٌ﴾ بالضم كذئب وذؤبان وبذلك قرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما والسلمي وابن مصرف، ونقله الجعبري في «شرح الشاطبية» عن حفص. وقرأ الحسن وقتادة بالفتح، وهو على ذلك اسم جمع كالسعدان لا جمع تكسير لأنه ليس من أبنيته.

قال الشعراوي[4]: ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [الرّعد: 4]. يتطلب مِنَّا أن نعرف ما

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) روح المعاني.
(4) تفسير الشعراوي.

الصنوان؟ ونجد الرسول ﷺ يقول: «**العم صِنْو أبيك**» أي: أن الصِّنْو هو المِثْل. وبهذا يكون معنى الصِّنْوان هو المِثْلان. ونرى ذلك واضحاً في النخيل؛ فنرى أحياناً أصلاً واحداً تخرج منه نخلتان؛ أو ثلاث نخلات؛ وأحياناً يخرج من الأصل الواحد أربع أو خمس نخلات.

ويُطلق لقب «الصنوان» على الأصل الواحد الذي يتفرع إلى نخلتين أو أكثر؛ فكلمة «صنوان» تصلح للمثنى وللجمع، ولكنها في حالة المثنى تُعامل في الإعراب كالمثنى؛ فيقال «أثمرتْ صنوان» و«رأيت صنوين» أما في حالة الجمع فيقال «رأيت صنواناً» و«مررْتُ بصنوان». والمفرد طبعاً هو «صِنْو».

قال القرطبي[1]: ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ بالرفع. ٱبن كثير وأبو عمرو وحفص عطفاً على الجنات؛ أي على تقدير: وفي الأرض زرع ونخيل. وخفضها الباقون نَسَقاً على الأعناب؛ فيكون الزرع والنخيل من الجَنّات؛ ويجوز أن يكون معطوفاً على «كُلّ» حسب ما تقدّم في «وجنّات». وقرأ مجاهد والسُّلَميّ وغيرهما «صُنْوَانٌ» بضم الصاد، الباقون بالكسر؛ وهما لغتان؛ وهما جمع صِنْوٍ، وهي النَّخَلات والنَّخلتان، يجمعهن أصلٌ واحد، وتتشعب منه رؤوس فتصير نخيلاً؛ نظيرها قِنْوان، واحدها قِنو: وروى أبو إسحاق عن البَرَاء قال: الصِّنْوان المجتمع، وغير الصِّنْوان المتفرق؛ النحاس: وكذلك هو في اللغة؛ يقال للنخلة إذا كانت فيها نخلة أخرى أو أكثر صِنْوان.

(1) الجامع لأحكام القرآن.

صهر

(صَهَرَ - سَحَقَ - بَادَ - هَلَكَ - بَطَشَ - مَسَحَ)

■ **الصَّهْرُ:** بالفتح إذابة الشحم والحديد ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحج: 20].

■ **والصِّهْرُ:** القريب من جهة النكاح أو هو زوج البنت ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: 54].

■ **السَّحْقُ:** تفتيت الشيء، وتأتي بمعنى البعد ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: 11].

■ **البَيَادُ:** التفرق والفناء في البيداء ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الكهف: 35].

■ **الإهْلاكُ:** فعل به ما يزيل روحه حيث لا عقب له ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾ [النجم: 50-51].

■ **البَطْشُ:** قهر العدو بصولة تذهب القدرة على الحركة ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 130].

■ **المَسْحُ:** إزالة أثر الشيء باليد ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: 33].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والهاء والراء أصلان: أحدهما يدلُّ على قُربَى، والآخر على إذابة شيء. فالأوّل الصِّهْر، وهو الخَتَن. قال الخليل: لا يقال لأهلِ

(1) معجم مقاييس اللغة.

بيت الرجل إلَّا أَخْتَانٌ، ولا لأهل بيت المرأة إلَّا أصهار. ومن العرب من يجعلهم أصهاراً كلَّهُم. قال ابن الأعرابيّ: الإصهار: التَّحَرُّم بجِوارٍ أو نَسَب أو تَزَوُّج.

والأصل الآخر: إذابة الشَّيء. يقال: صَهَرْتُ الشَّحمةَ. والصُّهارة: ما ذاب منها. واصطهرتُ الشَّحمة.

يقال: صَهَرْتَه الشَّمْسُ، كأنّها أذابته. يقال ذلك للحِرباء إذا تلألأ ظَهْرُه من شدّة الحرّ. ويقال إنّهم يقولون: لأَصْهَرنَّه بيمينٍ مُرَّة. كأنه قال: لأُذِيبَنَّه.

قال الجوهري(1): الأَصْهارُ: أهل بيت المرأة، عن الخليل قال: ومن العرب من يجعل الصِّهْرَ منا لأَحْماءِ والأُخْتانِ جميعاً. يقال: صاهرتُ إليهم، إذا تزوَّجْت فيهم. وأَصْهَرْتُ بهم، إذا اتَّصلتَ بهم وتَحَرَّمْتَ بجِوارٍ أو نسبٍ أو تَزَوُّجٍ، عن ابن الأعرابي.

وصَهَرْتُ الشيء فانْصَهَرَ، أي أذبته فذاب، فهو صَهِيرٌ.

وقولهم: لأَصْهَرَنَّكَ بيمينٍ مُرَّةٍ، كأنَّه يريد الإذابة.

وقد اصْهارَّ الحِرْباءُ: تلألأ ظهرهُ من شدَّة الحَرِّ. ويقال ما بالبعير صُهارَةٌ، أي طِرْقٌ. والصِّهِريُّ لغة في الصِّهْريجِ، وهو كالحوض.

قال الفيروزآبادي(2): الصِّهْرُ، بالكسر: القَرابَةُ، وحُرْمَةُ الخُتُونَةِجمعه: أَصْهَارٌ وصُهَراءُ، والقَبْرُ، وزَوْجُ بِنْتِ الرجلِ، وزَوْجُ أُخْتِهِ، والأَخْتانُ أَصْهارٌ أيضاً. وقد صاهَرَهُمْ،وصهر فيهم،وأَصْهَرَ بهم، وصهر إليهم: صارَ فيهم صِهْراً. وصَهَرَتْهُ الشمسُ، كمنَعَ: صَحَرَتْهُ،وصهر رأسَه: دَهَنَه بالصُّهارَةِ،وصهر الشيءَ: أذابَه فانْصَهَرَ، فهو صَهِيرٌ. والصَّهْرُ، بالفتح: الحارُّ، والإِذابَةُ،كالاصْطهارِ، صَهَرَ، كمنع، وبالضم: جمعُ صَهُورٍ، لشاوِي اللَّحْمِ، ومُذِيبِ الشَّحْمِ. والصُّهارَةُ، ككُناسَةٍ: ما أُذِيبَ، وكلُّ قِطْعَةٍ من الشَّحْمِ والنِّقْيِ والمُخِّ.

(1) الصحاح في اللغة.

(2) القاموس المحيط.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفُرقان: 54].

قال الألوسي[1]: ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ أي قسمه قسمين ذوي نسب أي ذكوراً ينسب إليهم وذوات صهر أي إناثاً يصاهر بهن فهو كقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القِيَامَة: 39].

قال ابن عاشور[2]: ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ عائد إلى البشر، أي فجعل البشر الذي خلقه من الماء نسباً وصهراً، أي قَسَّم الله البشر قسمين: نسبٍ، وصهرٍ. فالواو للتقسيم بمعنى (أو) والواو أجود من (أو) في التقسيم. و﴿نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ مصدران سمي بهما صنفان من القرابة على تقدير: ذا نسب وصهر وشاع ذلك في الكلام. والنسب لا يخلو من أُبوّة وبُنوّة وأُخُوة لأولئك وبنوةٍ لتلك الأُخوة.

● **قال تعالى:** ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحَجّ: 20].

قال الفخر الرازي[3]: يصهر به ما في بطونهم والجلود، الحميم الماء الحار، قال ابن عباس رضي الله عنهما لو سقطت منه قطرة على جبال الدنيا لأذابتها، (يصهر) أي يذاب أي إذا صب الحميم على رؤوسهم كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر فيذيب أمعاءهم وأحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو أبلغ من قوله: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محَمَّد: 15].

قال القرطبي[4]: ﴿يُصْهَرُ﴾ يذاب. ﴿بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾ والصَّهر إذابة الشحم. والصُّهارة ما ذاب منه؛ يقال: صَهَرْت الشيء فانصهر؛ أي أذبته فذاب، فهو صهير. قال ابن أحمر يصف فرخ قَطاة:

(1) روح المعاني.
(2) التحرير والتنوير.
(3) التفسير الكبير.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

تَرْوِي لَقًى أُلْقِيَ في صَفْصفٍ   تَصْهره الشمسُ فما يَنْصَهِرْ

أي تذيبه الشمس فيصبر على ذلك.

قال الطبري[1]: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ يقول: يذاب بالحميم الذي يصبّ من فوق رؤسهم ما في بطونهم من الشحوم، وتشوى جلودهم منه فتتساقط. والصهر: هو الإذابة، يقال منه: صهرت الألية بالنار: إذا أذبتها أصهرها صهراً.

(1) جامع البيان.

صوب

(صَوَاب - حَقّ - صَدْق)

■ **الصَّوَابُ:** ما كان محموداً من جهة الشر أو العقل ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: 38].

■ **الحَقُّ:** المطابق والموافق ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [يونس: 5].

■ **الصِّدْقُ:** تمام الفعل أو الوصف ظاهراً وباطناً ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: 23].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1] : الصاد والواو والباء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على نزولِ شيءٍ واستقرارِهِ قَرَارَه. من ذلك الصَّوَابُ في القول والفعل، كأنَّه أمرٌ نازلٌ مستقِرٌّ قرارَه. وهو خلاف الخطأ. ومنه الصَّوْب، وهو نزول المطر. والنازل صَوبٌ أيضاً. والدّليلُ على صحّة هذا القياس تسميتُهم للصَّواب صَوْباً.

ويقال الصَّيِّب السّحاب ذو الصَّوْب. قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: 19]. النُّزول. : تَنَزَّلَ من جوِّ السَّماءِ يَصوبُ

ويقال للأمر إذا استقرَّ قرارَه على الكلام الجارِي مَجْرى الأمثال: «قد صابت بِقُرّ».

(1) معجم مقاييس اللغة.

والتَّصويب: حَدَب في حَدور، لا يكون إلّا كذا. فأمّا الصُّيَّابة فالخِيار من كلِّ شيء، كأنَّه من الصَّوب، وهو خالصُ ماءِ السَّحاب، فكأنَّها مُشْتقّةٌ من ذلك.

قال الخليل[1]: الصَّوْبُ: المَطَرُ. والصَّيِّبُ: سحابٌ ذو صَوْبٍ. وقال الله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إلى قوله: ﴿وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: 19]. وصابَ الغَيث بمكان كذا. والصُّيّابُ: الخِيارُ من كلِّ شيءٍ، قال رؤبة: بَيْتُكَ من كِندةَ في الصُّيّابِ وصابَ السهمُ نحو الرَّميّة يُصوبُ صَيْبُوبةً إذا قَصَدَ، وسَهْمٌ صائبٌ أي قاصد، قال: بَرمْيٍ ما تَصُوبُ به السِّهامُ الصَّوابُ: نَقيض الخَطأ. والتَّصَوُّبُ: حَدَبٌ في حُدُور. وتقول: صَوَّبْتُ الإناءَ ورأسَ الخَشَبةِ ونحوَه تصويباً إذا خَفَضتُه. وكُرِهَ تصويب الرأس في الصلاة. والعرب تقول للسائر في فلاة تُقَطعُ بالحَدْس إذا زاغَ عن القَصْد: أَقِمْ صَوْبَكَ أي قَصْدَكَ. وفلان مُستقيمُ الصَّوْب إذا لم يَزِغ عن قصده يميناً وشِمالاً في مسيره. والصُّيّاب والصُّيّابة: أصلُ كلِّ قوم.

والصّابُ: عُصارةُ شجرةٍ مُرَّةٍ، ويقال: هو عُصارة الصَّبِر، قال: قَطَعَ الغَيْظَ بصابٍ ومَقِرْ.

قال ابن السكيت[2]: وأهل الفَلْج يسمُّون الجَرينَ: الصُّوبة، وهو موضع التَّمْرِ. وتقول: دخلت على فلانٍ فإذا الدنانيرُ صُوبة بين يديه، أي مَهيلَةٌ.

والمصيبة: واحدة المصائب. والمَصوبة بضم الصاد مثل المصيبة. وقومٌ صُيَّاب، أي خيار.

قال الفيروزآبادي[3]: الصَّوْبُ: الانْصِبابُ، كالانْصِيابِ، والصَّيِّبُ، كالصَّيُّوبِ، وضِدُّ الخَطأ، كالصَّوابِ، والقَصْدُ، كالإِصابَةِ، والمَجيءُ من عَلٍ، كالتَّصَوُّبِ، وأبو قَبيلةٍ، والإراقَةُ، ومَجيءُ السَّماءِ بالمَطَرِ. والإِصابَةُ: خِلافُ الإِصْعادِ، والإِتْيانُ بالصَّوابِ، وإرادَتُهُ، والوِجْدانُ، والاحْتياجُ، والتَّفْجيعُ كالمُصابَةِ.

---

(1) العين.
(2) إصلاح المنطق.
(3) القاموس المحيط.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: 19].

قال ابن عجيبة[1]: قلت: (أو) للتنويع، أو بمعنى الواو، و(الصيب): المطر، فَيْعِلٌ، من صاب المطر إذا نزل، وهو على حذف مضاف، أي: أو كذي صيب، وأصله: صيوب، كسيد، قلبت الواو ياء وأدغمت، ولا يوجد هذا إلا في المعتل كميت وهين وضيق وطيب.

و(الرعد): الصوت الذي يخرج من السحاب، و(البرق): النور الذي يخرج منه. قال ابن عزيز: رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ ينشىءُ السَّحَابَ فَتنطِقُ أحْسَنَ النطْق، وتَضْحَكُ أحسَنُ الضحك، فنطقها الرعدُ، وضَحِكُها البَرْقُ**» وقال ابن عباس: «الرعدُ مَلَكٌ يسوقُ السَّحابَ، والبرقُ سَوْطٌ مِنْ نُورٍ يَزْجُرُ بهِ السَّحَاب». هـ. والصواعق: قطعة من نار تسقط من المخراق الذي بيد سائق السحاب، وقيل: تسقط من نار بين السماء والأرض، والله تعالى أعلم.

قال ابن عادل[2]: اعلم أنّ هذا مثل ثانٍ للمنافقين، وكيفية المشابهة من وجوه:

أحدها: أنه إذا حصل السحاب والرعد والبرق، واجتمع مع ظلمة السّحاب ظلمة الليل، وظلمة المَطَرِ عند ورود الصواعق عليهم يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصَّوَاعق حَذَرَ الموت، وأن البرق يكاد يخطف أبصارهم، فإذا أضاء لهم مَشَوْا فيه، وإذا ذهب بَقَوا في ظلمة عظيمة، فوقفوا متحيّرين؛ لأنّ من أصابه البرق في هذه الظلمات الثلاث ثم ذَهَبَ عنه تشتدّ حيرته، وتعظم الظُّلمة في عينيه أكثر

---

(1) البحر المديد.
(2) اللباب في علوم الكتاب.

من الذي لم يزل في الظلمة، فشبّه المنافقين في حيرتهم وجهلهم بالدِّين بهؤلاء الذين وصفهم، إذا كانوا لا يرون طريقاً، ولا يهتدون.

وثانيها: أن المَطَرَ وإن كان نافعاً إلّا أنه لما وجد في هذه الصُّورة مع هذه الأحوال الضَّارة صار النفع به زائلاً، فكذا إظهار الإيمان نافعٌ للمنافقين لو وافقه الباطن، فإذا فقد منه الإخلاص، وحصل معه النفاق كان ضرراً في الدِّينِ.

وثالثها: أن من هذا حاله، فقد بلغ النهاية في الحَيْرَةِ لاجتماع أنواع الظلمات، وحصول أنواع المَخَافَةِ، فحصلت في المنافقين نهاية الحَيْرَةِ في الدين، ونهاية الخوف في الدنيا؛ لأنّ المنافق يتصور في كل وقت أنه لو حصل الوقوف على باطنه لقتل، فلا يزال الخَوْفُ في قلبه مع النفاق.

ورابعها: المراد من الصَّيِّب هو الإيمان والقرآن، والظلمات والرعد والبرق هي الأشياء الشَّاقة على المنافقين من التكاليف كالصَّلاة والصوم وترك الرِّيَاسات، والجهاد مع الآباء والأمّهات، وترك الأديان القديمة، والانقياد لمحمد - عليه الصَّلاة والسَّلام - مع شدّة استنكافهم عن الانقياد، فكأنّ الإنسان يبالغ في الاحتراز عن المَطَرِ الصَّيِّب الذي [هو] أشَدُّ الأشياء نفعاً بسبب هذه الأُمُور المُقَارنة، كذلك هؤلاء. والمراد من قوله: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ [البقرة: 20] أنّه متى حصل لهم شيء من المَنَافع، وهي عصمة أموالهم ودمائهم، وحصول الغنائم، فإنهم يرغبون في الدِّين.

● **قال تعالى:** ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ [آل عمران: 165].

قال الألوسي[1]: ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾. كلام مبتدأ مسوق لإبطال بعض ما نشأ من الظنون الفاسدة إثر إبطال بعض آخر، والمراد بالمصيبة ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم - وبمثليها - ما أصاب

(1) روح المعاني.

المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم وأسر سبعين، وجعل ذلك مثلين بجعل الأسر كالقتل أو لأنهم كانوا قادرين على القتل وكان مرضي الله تعالى فعدمه كان من عندهم فتركه مع القدرة لا ينافي الإصابة.

وقيل: المراد بالمثلين المثلان في الهزيمة لا في عدد القتلى وذلك لأن المسلمين هزموا الكفار يوم بدر وهزموهم أيضاً يوم أحد أول الأمر، وعليه يكون المراد بالمصيبة هزيمة الكفار للمسلمين بعد أن فارقوا المركز.

قال ابن عاشور[1]: عُطف الاستفهام الإنكاري التعجيبي على ما تقدّم، فإنّ قولهم: ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ﴾ ممَّا ينكر وَيَتَعجَّب السامع من صدوره منهم بعد ما عَلِموا ما أتَوا من أسباب المصيبة، إذ لا ينبغي أن يخفى على ذي فطْنَةٍ، وقد جاء موقع هذا الاستفهام بعد ما تكرّر: من تسجيل تبعة الهزيمة عليهم بما ارتكبوا من عصيان أمر الرسول، ومن العجلة إلى الغنيمة، وبعد أن أمرهم بالرضا بما وقع، وَذكَّرَهم النصر الواقع يوم بدر، عطف على ذلك هنا إنكارُ تعجّبهم من إصابة الهزيمة إيّاهم.

(ولَمَّا) اسم زمان مضمّن معنى الشرط فيدلّ على وجود جوابه لوُجود شرطه، وهو ملازم الإضافة إلى جملة شرطه، فالمعنى: قلتم لمَّا أصابتكم مصيبة: أنَّى هذا،.

وجملة ﴿مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم﴾ صفة «لمصيبة»، ومعنى أصبتم غَلبتم العدوّ ونلتم منه مِثْلَيْ ما أصابكم به، يقال: أصاب إذا غلب، وأصيب إذا غُلِب، والمراد بمثليها المساويان في الجنس أو القيمة باعتبار جهة المماثلة أي: أنَّكم قد نلتم مثلي ما أصابكم، والمماثلة هنا مماثلة في القدر والقيمة، لا في الجنس، فإنّ رزايا الحرب أجناس: قَتل، وأسر، وغَنيمة، وأسلاب، فالمسلمون أصابهم يوم أحُد القتل: إذا قُتِل منهم سبعون، وكانوا قد قَتَلوا من المشركين يومَ بدر سبعين،

(1) التحرير والتنوير.

فهذا أحد المثلين، ثم إنّهم أصابوا من المشركين أسرى يوم بدر فذلك مثل آخر في المقدار إذ الأسير كالقتيل، أو أريد أنّهم يومَ أُحُد أصابوا قتلَى إلّا أنّ عددهم أقلّ فهو مثل في الجنس لا في المقدار والقيمة.

● **قال تعالى:** ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ [آل عمران: 166].

قال الخازن[1]: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ﴾ يعني من القتل والجراح والهزيمة ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ يعني جمع المؤمنين وجمع المشركين وذلك بأحد يوم أحد ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ يعني فبعلمه وقضائه وقدره وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين بما حصل لهم يوم أحد من القتل والهزيمة ولا تقع التسلية إلا إذا علموا أن ذلك كان واقعاً بقضاء الله وقدره فحينئذٍ يرضون بما قضى الله عليهم.

قال البغوي[2]: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾، بأحد من القتل والجرح والهزيمة، ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾، أي: بقضائه وقدره.

قال الشوكاني[3]: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ يوم أحد، أي: ما أصابكم يوم أحد من القتل، والجرح، والهزيمة ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ فبعلمه، وقيل: بقضائه، وقدره، وقيل: بتخليته بينكم، وبينهم، والفاء دخلت في جواب الموصول لكونه يشبه الشرط، كما قال سيبويه. وقوله: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ عطف على قوله: ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ عطف سبب على سبب.

● **قال تعالى:** ﴿فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [النساء: 62].

قال الطبري[4]: يعني بذلك جلّ ثناؤه: فكيف بهؤلاء الذين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وهم يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من

(1) لباب التأويل.
(2) معالم التنزيل.
(3) فتح القدير.
(4) جامع البيان.

قبلك ﴿إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ﴾ يعني: إذا نزلت بهم نقمة من الله، ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ يعني: بذنوبهم التي سلفت منهم.

قال ابن كثير(1): ﴿فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي: فكيف بهم إذا ساقتهم المقادير إليك في مصائب تطرقهم بسبب ذنوبهم، واحتاجوا إليك في ذلك؟.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النِّساء: 73].

قال القرطبي(2): ﴿وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي غنيمة وفتح.

قال الثعالبي(3): ﴿وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، أي: ظَفِرْتم وغَنِمْتم، نَدِمَ المنافقُ.

قال السيوطي(4): ﴿وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يعني فتحاً وغنيمة وسعة في الرزق.

● **قال تعالى**: ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ﴾ [التوبة: 50].

قال مقاتل(5): ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ﴾، يعني الغنيمة في غزاتك يوم بدر تسوءهم، ﴿وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ﴾ بلاء من العدو يوم أُحُد، وهزيمة وشدة.

قال القشيري(6): هكذا صفة الحسود، يتصاعد أنينُ قلبه عند شهود الحسنى، ولا يَسُرُّ قلبَه غيرُ حلولِ البلوى، ولا دواءَ لجروح الحسود؛ فإنه لا يرضى بغير زوال النعمة. وإنَ اللهَ تعالى عَجَّلَ عقوبةَ الحاسد، وذلك: حزنُ قلبِه بسلامة محسوده؛ فالنعمة للمحسود نقد والوحشة للحاسد نقد.

---

(1) تفسير ابن كثير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) الجواهر الحسان.
(4) الدر المنثور.
(5) تفسير مقاتل.
(6) لطائف الإشارات.

قال ابن عجيبة[1]: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾؛ كنصر أو غنيمة في بعض غزواتك، ﴿تَسُؤْهُمْ﴾؛ لفرط حسدهم وبغضهم، ﴿وَإِن تُصِبْكَ﴾ في بعضها ﴿مُصِيبَةٌ﴾؛ ككسر أو شدةٍ كيوم أحد.

● **قال تعالى**: ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾ [النور: 43].

قال أبو السعود[2]: ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾ أي بما ينزله من البَرَد ﴿مَّن يَشَآءُ﴾ أنْ يصيبَه به فينالُه من ضرر في نفسه وماله ﴿وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾ أنْ يصرفَه عنه فينجُو من غائلتِه.

قال الخازن[3]: ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾ أي البرد ﴿مَن يَشَآءُ﴾ فيهلكه وأمواله ﴿وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾ أي فلا يضره.

قال القرطبي[4]: ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾ فتكون إصابته نقمة، وصرفه نعمة. وقد مضى في «البقرة»، و«الرعد» أن من قال حين يسمع الرعد: سبحان من يسبّح الرعد بحمده والملائكة من خِيفته ثلاثاً عُوفي مما يكون في ذلك الرعد.

---

(1) البحر المديد.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) لباب التأويل.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

صوت

(صَوْت - نُطْق - كَلَام)

■ **الصَّوْتُ:** الهواء المنضغط عن قرع جسمين أو عن تنفس من مخلوق حي ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 19].

■ **النُّطْقُ:** الصوت المقطع يظهره اللسان وتعيه الأذن ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ [الصَّافات: 92].

■ **الكَلَامُ:** ما يدرك بحاسة السمع من حركة اللسان ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الكهف: 5].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والواو والتاء أصلٌ صحيح، وهو الصَّوت، وهو جنسٌ لكلِّ ما وَقَرَ في أُذنِ السَّامعِ. يقال: هذا صوتُ زَيد. ورجل صيِّت، إذا كان شديدَ الصَّوت؛ وصائتٌ إذا صاحَ. فأمَّا قولهم: [دُعيَ] فانصات، فهو من ذلك أيضاً، كأنه صُوِّتَ به فانفَعل من الصَّوت، وذلك إذا أجاب. والصِّيت: الذِّكر الحسَن في النَّاس. يقال ذهب صِيتُهُ.

قال الجوهري[2]: الصوْتُ معروف. والصائِتُ: الصائحُ. وقد صات الشيء يَصوتُ صَوْتاً؛ وكذلك صَوَّتَ تَصويتاً. ورجل صَيِّتٌ، أي شديد الصوت. وكذلك

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) الصحاح في اللغة.

رجلٌ صاتٌ وحِمار صاتٌ. والصيتُ: الذِّكْرُ الجميل الذي ينتشر في الناس، دون القبيح. يقال: ذهب صيتُهُ في الناس، وأصله من الواو. وقولهم دعى فانْصاتَ، أي أجاب وأقبل، وهو انْفَعَلَ من الصَوْتِ. والمُنْصاتُ القويمُ القامة. وقد انْصاتَ الرجل إذا اسْتَوَتْ قامته بعد الانحناء، كأنه اقْتَبَلَ شبابُه.

قال ابن منظور(1): صاتَ يَصُوتَ ويَصاتُ صَوتاً، وأَصاتَ، وصَوَّتَ به: كلُّه نادَى. ويقال: صَوَّتَ يُصَوِّتُ تصْويتاً، فهو مُصَوِّتٌ، وذلك إذا صَوَّت بإنسانٍ فدعاه. ويقال: صاتَ يَصُوتُ صَوتاً، فهو صائت، معناه صائح. قال ابن السكيت: الصوتُ صوتُ الإِنسان وغيره. والصائتُ: الصائح. قال ابن بُزُرْجَ: أَصاتَ الرجلُ بالرجل إذا شَهَّره بأمر لا يَشْتَهيه. وانْصاتَ الزمانُ به انْصِياتاً إذا اشْتَهر. وفي الحديث: «**فَصْلُ ما بين الحلال والحرام الصَّوتُ والدُّفُّ**»؛ يريد إعلانَ النكاح.

وذَهابَ الصَّوتِ، والذِّكرَ به في الناس؛ يقال: له صَوتٌ وصِيتٌ أَي ذِكْرٌ. والدُّفُّ: الذي يُطَّبَلُ به، ويُفتح ويضم. وفي الحديث: (أَنهم كانوا يكرهون الصَّوتَ عند القتال)؛ هو أَن يُناديَ بعضُهم بعضاً، أَو يفعل أَحدُهم فِعْلاً له أَثر، فيَصِيحَ ويُعَرِّفَ بنفسه على طريق الفَخْر والعُجْب. وفي الحديث: (كان العباس رجلاً صَيِّتاً) أَي شديدَ الصوت، عاليه؛ يقال: هو طيِّتٌ وصائِتٌ، كمَيِّتٍ ومائِتٍ، وأَصله الواو، وبناؤُه فَيْعِلٌ، فقلب وأُدغم؛ ورجل صَيِّتٌ وصاتٌ؛ وحمارٌ صاتٌ: شديدُ الصَّوتِ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108].

---

(1) اللسان.

قال الألوسي[1]: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ أي خفيت لمهابته تعالى وشدة هول المطلع، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: سكنت والخشوع مجاز في ذلك، وقيل: لا مجاز والكلام على حذف مضاف أي أصحاب الأصوات وليس بذاك ﴿فَلَا تَسْمَعُ﴾ خطاب لكل من يصح منه السمع ﴿إِلَّا هَمْسًا﴾ أي صوتاً خفياً خافتاً كما قال أبو عبيدة. وذكر أنه يقال للأسد الهموس لخفاء وطئه فالمعنى سكنت أصواتهم وانقطعت كلماتهم فلم يسمع منهم إلا خفق أقدامهم ونقلها إلى المحشر.

قال أبو السعود[2]: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: 108] أي خضعت لهيبته ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ أي صوتاً خفياً ومنه الهميسُ لصوت أخفافِ الإبل، وقد فُسر الهمْسُ بخفق أقدامِهم ونقلِها إلى المحشر.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 19].

قال القرطبي[3]: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ أي أنقص منه؛ أي لا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما تحتاج إليه؛ فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلّف يؤذي. والمراد بذلك كله التواضع؛ وقد قال عمر لمؤذّن تكلّف رفع الأذان بأكثر من طاقته: لقد خشيت أن ينشق مُرَيْطَاؤك! والمؤذّن هو أبو محذورة سَمُرة بن مِعْيَر. والمُرَيْطاء: ما بين السرة إلى العانة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ أي أقبحها وأوحشها؛ ومنه أتانا بوجه منكر.

في الآية دليل على تعريف قبح رفع الصوت في المخاطبة والمُلاحاة بقبح أصوات الحمير؛ لأنها عالية.

وهذه الآية أدب من الله تعالى بترك الصياح في وجوه الناس تهاوناً بهم، أو

(1) روح المعاني.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

بترك الصياح جملة؛ وكانت العرب تَفْخَر بجهارة الصوت الجَهِير وغير ذلك، فمن كان منهم أشد صوتاً كان أعز، ومن كان أخفض كان أذل،

قال الشوكاني[1]: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ أي انقص منه، واخفضه ولا تتكلف رفعه، فإن الجهر بأكثر من الحاجة يؤذي السامع، وجملة ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ تعليل للأمر بالغضّ من الصوت، أي أوحشها، وأقبحها. قال قتادة: أقبح الأصوات صوت الحمير؛ أوّله زفير وآخره شهيق. قال المبرد: تأويله: إن الجهر بالصوت ليس بمحمود، وإنه داخل في باب الصوت المنكر. واللام في ﴿لَصَوْتُ﴾ للتأكيد، ووحد الصوت مع كونه مضافاً إلى الجمع لأنه مصدر، وهو يدلّ على الكثرة، وهو مصدر صات يصوت صوتاً فهو صائت.

● **قال تعالى**: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [**الحُجرَات: 2**].

قال الزمخشري[2]: إعادة النداء عليهم: استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد، وتطرية الإنصات لكل حكم نازل، وتحريك منهم لئلا يفترقوا ويغفلوا عن تأملهم وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله ﷺ من الأدب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم.

وذلك لأنّ في إعظام صاحب الشرع إعظام ما ورد به، ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه أن يألو عملاً بما يحدوه عليه. وارتداعاً عما يصده عنه، وانتهاء إلى كل خير، والمراد بقوله: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ أنه إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحدّ الذي يبلغه بصوت، وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عالياً لكلامكم، وجهره باهراً لجهركم؛ حتى تكون مزيته عليكم لائحة، وسابقته واضحة، وامتيازه عن جمهوركم كشية الأبلق غير خاف، لا أن تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم. وبقوله: ولا تجهروا له

(1) فتح القدير. (2) الكشاف.

بالقول: إنكم إذا كلمتموه وهو صامت فإياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت، بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم، وأن تتعمدوا في مخاطبته القول اللبين المقرّب من الهمس الذي يضادّ الجهر، كما تكون مخاطبة المهيب المعظم.

قال ابن كثير[1]: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ هذا أدب ثان أدب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ فوق صوته، وقد روي أنها نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وقال البخاري: حدثنا بسرة بن صفوان اللخمي، حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة، قال: كاد الخيران أن يهلكا: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس رضي الله عنه أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: 2] قال ابن الزبير رضي الله عنهما: فما كان عمر رضي الله عنه يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني: أبا بكر رضي الله عنه.

---

(1) تفسير ابن كثير.

صوح

(صَوَحَ - صَرَخَ)

■ **الصَّيْحَةُ:** رفع الصوت المخيف ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [يس: 29].

■ **الصُّرَاخُ:** رفع الصوت من شدة الألم والبكاء ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فاطر: 37].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والواو والحاء أُصَيْلٌ يدلُّ على انتشارٍ في شيء بعد يُبْس. من ذلك تصوَّحَ البقلُ، وذلك إذا هاجَ وانتشرَ بعد هَيجه. وصوَّحتْه الرِّيح، إذا أيبسَتْه وشقَّقته ونثَرتْه.

ومن الباب أنَّهم يسمُّون عَرَق الخيل الصُّوَاح. فإن كان صحيحاً فلا يكون إلَّا إذا يَبِس، ويُسمُّونه اليبيس يبيس الماء.

ثم يقال تصوَّح الشعَر، إذا تشقَّقَ وتناثر. ومما يجوز أن يُحمَل على هذا القياس الصُّوح: حائط الوادي، وله صُوحانِ. وإنّما سُمِّيَ صُوحاً لأنَّه طينٌ يتناثر حتّى يصير ذلك كالحائط.

قال الجوهري[2]: التَّصَوُّحُ: التَّشَقُّق في الشِّعَرِ وغيره. أبو عمرو: تَصوَّحَ البَقْلُ، إذا يَبِس أَعْلاهُ وفيه نُدُوَّةٌ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

وصَوَّحَتْهُ الريحُ: أيْبَسَتْهُ. والصُّوحُ بالضم: حائط الوادي، وله صوحانِ، وَوَجْهُ الجبل القَائمُ، تراه كأنَّه حائط. والصُّواحُ: الجِصُّ. والصُّواحُ: أيضاً عَرَقُ الخَيْلِ.

وصُحْتُ الشيءَ فانْصاحَ، أي شَقَقْتُهُ فانشَقّ. قال أبو عبيدة: إذا انشَقَّ الثَوْبُ من قِبَلِ نفسه قيل: قد انْصاحَ. وانصاحَ القَمَرُ، أي استنارَ.

قال الفيروزآبادي[1]: الصَّوْحُ، بالفتح والضم: حائِطُ الوادي، وأسْفَلُ الجَبَلِ، أو وَجْهُهُ القائِمُ كأَنَّهُ حائِطٌ. والتَّصَوُّحُ: التَّشَقُّقُ،كالانْصِياحِ، وتناثُرُ الشَّعَرِ،كالتَّصَيُّحِ، وأنْ يَيْبَسَ البَقْلُ من أعْلاهُ. والتَّصْويحُ: التَّجفيفُ. والصُّواحُ، كغُرابٍ: الجِصُّ، وعَرَقُ الخَيْلِ، وما غَلَبَ عليه الماءُ من اللَّبَنِ، والرِّخْوَةُ من الأرضِ، وطَلْعُ النَّخْلِ. والصاحَةُ: أرضٌ لا تُنْبِتُ شيئاً أبداً، وكالرُّمَّانَةِ: ما تَشَقَّقَ من الشَّعَرِ وتَناثَرَ. وانْصاحَ القَمَرُ: اسْتَنارَ. والمُنْصاحُ: الفائِضُ الجاري على الأرضِ. وصاحاتُ: جبالٌ بالسَّراةِ.

المعنى المشترك لكلمة (صيح)

وقد وردت كلمة (صيحة) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: صيحة يعني: جبريل جاء بالعذاب ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هُود: 67].

الوجه الثاني: الصيحة يعني: النفخة الأولى من إسرافيل ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [ص: 15].

الوجه الثالث: الصيحة يعني: النفخة الثانية من إسرافيل ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: 53].

---

(1) القاموس المحيط.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر: 73].

قال الفخر الرازي[1]: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ أي صيحة جبريل عليه السلام قال أهل المعاني: ليس في الآية دلالة على أن تلك الصيحة صيحة جبريل عليه السلام فإن ثبت ذلك بدليل قوي قيل به، وإلا فليس في الآية دلالة إلا على أنه جاءتهم صيحة عظيمة مهلكة وقوله: ﴿مُشْرِقِينَ﴾ يقال شرق الشارق يشرق شروقاً لكل ما طلع من جانب الشرق، ومنه قولهم ما ذر شارق أي طلع طالع فقوله: ﴿مُشْرِقِينَ﴾ أي داخلين في الشروق يقال أشرق الرجل إذا دخل في الشروق، وهو بزوغ الشمس.

واعلم أن الآية تدل على أنه تعالى عذبهم بثلاثة أنواع من العذاب: أحدها: الصيحة الهائلة المنكرة. وثانيها: أنه جعل عاليها سافلها. وثالثها: أنه أمطر عليهم حجارة من سجيل، وكل هذه الأحوال قد مر تفسيرها في سورة هود.

قال القرطبي[2]: قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ نصب على الحال، أي وقت شروق الشمس. يقال: أشرقت الشمس أي أضاءت، وشرَقت إذا طلعت. وقيل: هما لغتان بمعنًى. وأشرق القوم أي دخلوا في وقت شروق الشمس. مثل أصبحوا وأمسوْا، وهو المراد في الآية. وقيل: أراد شروق الفجر. وقيل: أوّل العذاب كان عند الصبح وامتدّ إلى شروق الشمس، فكان تمام الهلاك عند ذلك. والله أعلم. و«الصيحة» العذاب. وتقدّم ذكر «سِجِّيل».

قال البيضاويّ[3]: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ يعني صيحة هائلة مهلكة. وقيل صيحة جبريل عليه السلام. ﴿مُشْرِقِينَ﴾ داخلين في وقت شروق الشمس.

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) أنوار التنزيل.

● **قال تعالى:** ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس: 29].

قال أبو السعود(1): ﴿إِن كَانَتْ﴾ أي ما كانتْ الأخذةُ أو العقوبةُ ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ صاحَ بها جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقُرىء إلَّا صيحةٌ بالرَّفعِ على أنَّ كانَ تامَّةٌ. وقُرىء إلا زَقيةً واحدةً من زَقَا الطَّائرُ إذا صاحَ.

قال البغوي(2): ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾، وقرأ أبو جعفر: صيحةٌ واحدة، بالرفع، جعل الكون بمعنى الوقوع.

قال الشوكاني(3): ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ أي: إن كانت العقوبة، أو النقمة، أو الأخذة إلّا صيحة واحدة صاح بها جبريل، فأهلكهم. قال المفسرون: أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة، ثم صاح بهم صيحة، فإذا هم ميتون لا يسمع لهم حسّ كالنار إذا طفئت.

● **قال تعالى:** ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: 42].

قال الألوسي(4): ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ﴾ وهي النفخة الثانية. و﴿يَوْمَ﴾ بدل من﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ إلخ، والعامل فيهما ما دل عليه ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ كما تقدم، وجوز أن يكون ظرفاً لما دل عليه ﴿ذَٰلِكَ﴾ و﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ [ق: 41] غير معمول له بل لغيره على ما مر، وأن يكون ظرفاً لينادي، وقوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ في موضع الحال من ﴿ٱلصَّيْحَةَ﴾ أي يسمعونها ملتبسة بالحق الذي هو البعث، وجوز أن يكون ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بمعنى اليقين والكلام نظير صاح بيقين أي وجد منه الصياح يقيناً لا كالصدى وغيره فكأنه قيل: الصيحة المحققة، وجوز أن يكون الجار متعلقاً بيسمعون على أن المعنى يسمعون بيقين، وأن يكون الباء للقسم و﴿ٱلْحَقُّ﴾ [يُوسُف: 51] هو الله تعالى أي يسمعون الصيحة أقسم بالله وهو كما ترى.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) معالم التنزيل.
(3) فتح القدير.
(4) روح المعاني.

قال الطبري[1]: ﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ يقول تعالى ذكره: يوم يسمع الخلائق صيحة البعث من القبور بالحقّ، يعني بالأمر بالإجابة لله إلى موقف الحساب.

قال ابن كثير[2]: ﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ يعني: النفخة في الصور التي تأتي بالحق الذي كان أكثرهم فيه يمترون.

(1) جامع البيان. (2) تفسير ابن كثير.

صيد

(صَيَد - خَطَف - قَبس - قَبَض)

■ **الصَّيْدُ:** تناول ما يظفر به مما كان ممتنعاً ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ﴾ [المَائدة: 96].

■ **الخَطْفُ:** التناول بالسرعة الفائقة ما ليس له ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصَّافات: 10].

■ **الاقْتِبَاسُ:** تناول سريع مع الشعلة ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحَديد: 13].

■ **القَبْضُ:** التناول بأطراف الأصابع ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه: 96].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والياء والدال أصلٌ صحيح يدلُّ على معنىً واحد، وهو ركوبُ الشَّيء رأسَه ومُضِيُّه غيرَ ملتفتٍ ولا مائل. من ذلك الصَّيَدُ، وهو أن يكون الإنسانُ ناظراً أمامَه. قال أهلُ اللُّغة: الأَصْيَد: المَلِك، وجمعه الصِّيد. قالوا: وسمِّيَ بذلك لقلَّة التفاتِه. ومن الناس مَنْ يكونُ أصيَدَ خِلقةً. واشتقاق الصَّيْد من هذا، وذلك أنَّه يمرُّ مرًّا لا يعرِّج، فإذا أُخِذَ قيل قد صِيد. فاشتُقَّ ذلك من اسمه. كما يقال: رأَسْت الرّجُلَ، إذا ضَربتَ رأسَه؛ وبطَنْتُهُ، إذا ضربتَ بطنَه.

(1) معجم مقاييس اللغة.

كذلك إذا وَقَعْتَ بالصَّيد فأخذتَه قلتَ صِدتُه. وممّا يدلُّ على صِحّة هذا القياس قولُ ابن السّكّيت إن الصَّيْدانةَ من النِّساء: السيِّئة الخُلُق. وسمِّيت بذلك لقلّة التفاتِها. ومن الباب: الصَّيدانة: الغُول.

قال الجوهري[1]: صادَهُ يَصيدُهُ ويَصادُهُ صَيْداً، أي اصطاده والصَّيْدُ أيضاً: المَصيدُ. وخَرَجَ فلانٌ يَتَصَيَّدُ. والمِصْيَدُ والمِصْيَدَةُ: ما يُصادُ به. وكَلْبٌ صَيودٌ، وكلابٌ صُيُدٌ وصيدٌ أيضاً. والصَّيَدُن بالتحريك: مصدر الأَصْيَدِ، وهو الذي يرفع رأسه كِبْراً. ومنه قيل لِلمَلِكِ أَصْيَدُ. ويقال إنما قيل للملك أصيد لأنه لا يتلفت يميناً ولا شمالاً وكذلك الذي لا يستطيع الالتفات من داء تقول منه صيد: بكسر الياء إنَّما صَحَّتِ الياء فيه لصحَّتها في أصله لتدلَّ عليه وهو اصْيَدَّ بالتشديد. والصادُ: الصُفْرُ والنُحاسُ.

والصادِيُّ منسوبٌ إليه. والصَّيْدانُ بالفتح: بِرامُ الحِجارة. قال أبو ذؤيْب: وسودٍ من الصِّيْدانِ فيها مَذانِبٌ - نُضَارٌ إذا لم نَسْتَفِدْها نُعارُها وأما الحجارة التي تعمل منها القدورُ فهي الصَّيْداءُ. والصَّيداءُ الأرضُ الغليظةُ. قال ابن السكيت: الصَّيْدانَةُ: الغولُ. قال: والصَّيْدانَةُ من النساء: السيِّئةُ الخُلْقُ الكثيرةُ الكلامِ.

قال الفيروزآبادي[2]: صادَه يَصيدُه ويَصادُه: اصْطادَه، وخَرَجَ يَتَصَيَّدُ. والصَّيْدُ: المَصيدُ، أو ما كان مُمْتَنِعاً ولا مالِكَ له، وجبلٌ عالٍ باليَمنِ، ومنه: نَقيلُ صَيْدٍ. والصَّيْدانُ: النُّحاسُ، والذَّهَبُ، وبِرامُ الحِجارةِ. والصَّيْدانَةُ: الغُولُ، والسَّيِّئَةُ الخُلُقِ، والكثيرةُ الكَلامِ. والصَّيْداءُ: الأرضُ الغليظةُ، و د بساحِلِ الشامِ، وآخَرُ بِحَوْرانَ، ولغةٌ في «صَدْآءَ»: اسمُ رَكِيَّةٍ، وامرأةٌ شَبَّبَ بها ذُو الرُّمَّةِ، وأحْجارٌ تُعْمَلُ منها القُدورُ. وبنُو الصَّيْداءِ: بَطْنٌ من أسَدٍ. والمِصْيَدُ والمِصْيَدَةُ، بكسرهما، والمصيدَةُ، كمعيشةٍ: ما يُصادُ به. وصِدْتُ فلاناً صَيْداً: إذا صِدْتَهُ له، وإذا جَعَلْتَه أصْيَدَ، أي: مائلَ العُنُقِ.

(1) الصحاح في اللغة. (2) القاموس المحيط.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: 1].

قال الفخر الرازي(1): ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ وفيه مسائل:

المسألة الأولى: أنه تعالى لما أحل بهيمة الأنعام ذكر الفرق بين صيدها وغير صيدها، فعرفنا أن ما كان منها صيداً، فإنه حلال في الإحلال دون الإحرام، وما لم يكن صيداً فإنه حلال في الحالين جميعاً والله أعلم.

المسألة الثانية: قوله ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ أي محرمون أي داخلون في الإحرام بالحج والعمرة أو أحدهما، يقال: أحرم بالحج والعمرة فهو محرم وحرم، كما يقال: أجنب فهو مجنب وجنب، ويستوي فيه الواحد والجمع، يقال قوم حرم كما يقال قوم جنب. قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟﴾ [المَائدة: 6].

واعلم أنا إذا قلنا: أحرم الرجل فله معنيان: الأول: هذا، والثاني: أنه دخل الحرم فقوله ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ يشتمل على الوجهين، فيحرم الصيد على من كان في الحرم كما يحرم على من كان محرماً بالحج أو العمرة، وهو قول الفقهاء.

المسألة الثالثة: اعلم أن ظاهر الآية يقتضي أن الصيد حرام على المحرم، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾ فإن (إذا) للشرط، والمعلق بكلمة الشرط على الشيء عدم عند عدم ذلك الشيء، إلا أنه تعالى بيّن في آية أخرى أن المحرم على المحرم إنما هو صيد البر لا صيد البحر، قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المَائدة: 96] فصارت هذه الآية بياناً لتلك الآيات المطلقة.

المسألة الرابعة: انتصب ﴿غَيْرَ﴾ على الحال من قوله ﴿أُحِلَّتْ لَكُم﴾ [المَائدة:

(1) التفسير الكبير.

1] كما تقول: أحل لكم الطعام غير معتدين فيه. قال الفرّاء: هو مثل قولك: أحل لك الشيء لا مفرطاً فيه ولا متعدياً، والمعنى أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا أن تحلوا الصيد في حال الإحرام فإنه لا يحل لكم ذلك إذا كنتم محرمين.

قال القرطبي[1]: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾ أي ما كان صيداً فهو حلال في الإحلال دون الإحرام، وما لم يكن صيداً فهو حلال في الحالين. وٱختلف النّحاة في «إلّا مَا يُتْلَى» هل هو ٱستثناء أو لا؟ فقال البصريون: هو ٱستثناء من ﴿بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [المائدة: 1] و﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾ استثناء آخر أيضاً منه؛ فالاستثناءان جميعاً من قوله: «بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ» وهي المستثنى منها؛ التقدير: إلّا ما يُتْلَى عليكم إلَّا الصّيدَ وأنتم مُحرِمون؛ بخلاف قوله: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [الحجر: 58]. ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ [الحجر: 59] على ما يأتي. وقيل: هو مستثنى مما يليه من الاستثناء؛ فيصير بمنزلة قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ ولو كان كذلك لوجب إباحة الصّيد في الإحرام؛ لأنه مستثنى من المحظور إذ كان قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ مستثنى من الإباحة؛ وهذا وجه ساقط؛ فإذاً معناه أحِلّت لكم بهيمة الأنعام غير محلِّي الصيد وأنتم حُرُمٌ إلَّا ما يُتلى عليكم سِوَى الصّيد. ويجوز أن يكون معناه أيضاً أوفوا بالعقود غير مُحلِّي الصّيد وأُحلّت لكم بهيمة الأنعام إلّا ما يُتلى عليكم. وأجاز الفرّاء أن يكون ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ في موضع رفع على البدل على أن يعطف بإلَّا كما يعطف بلا؛ ولا يجيزه البصريون إلا في النكرة أو ما قاربها من أسماء الأجناس نحو جاء القوم إلّا زيدٌ. والنصب عنده بأنّ «غَيْرَ مُحِلّى الصّيْدِ» نصب على الحال مما في «أَوْفُوا»؛ قال الأخفش: يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود غيرَ مُحلّى الصّيد. وقال غيره: حال من الكاف والميم في «لَكُمْ» والتقدير: أُحلّت لكم بهيمة الأنعام غير محلّى الصّيد. ثم قيل: يجوز أن يرجع الإحلال إلى الناس، أي لا تُحِلوا الصّيد في حال الإحرام، ويجوز أن يرجع إلى الله تعالى أي أحللت لكم البهيمة إلا ما كان صيداً في وقت

(1) الجامع لأحكام القرآن.

الإحرام؛ كما تقول: أحللت لك كذا غير مبيح لك يوم الجمعة. فإذا قلت يرجع إلى الناس فالمعنى: غير مُحلّين الصيد، فحذفت النّون تخفيفاً.

● **قال تعالى:** ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ۚ﴾ [المَائدة: 2].

قال الطبري[1]: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ۚ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ۚ﴾ الصيد الذي نهيتكم أن تُحلوه وأنتم حرُمُ، يقول: فلا حرج عليكم في اصطياده واصطادوا إن شئتم حينئذ، لأن المعنى الذي من أَجله كنت حرّمته عليكم في حال إحرامكم قد زال.

عن مجاهد: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ۚ﴾ قال: إذا حلّ، فإن شاء صاد، وإن شاء لم يصطد.

قال أبو السعود[2]: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ۚ﴾ تصريح بما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌۗ﴾ من انتهاء حرمة الصيد بانتفاء موجِبِها، والأمر للإباحة بعد الحظر كأنه قيل: إذا حَلَلْتم فلا جُناح عليكم في الاصطياد، وقرىء أَحْللتم، وهو لغة في حلَّ، وقُرىء بكسر الفاء بإلقاءِ حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جداً.

● **قال تعالى:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ﴾ [المائدة: 95].

قال الألوسي[3]: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ﴾ والتصريح بالنهي مع كونه معلوماً لا سيما من قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌۗ﴾ [المَائدة: 1] لتأكيد الحرمة وترتيب ما يعقبه عليه. واللام في ﴿ٱلصَّيْدِ﴾ [المَائدة: 94] للعهد حسبما سلف، وإطلاقه على غير المأكول شائع، وإلى التعميم ذهبت الإمامية، وأنشدوا لعلي كرم الله تعالى وجهه:

صيد الملوك ثعالب وأرانب ... وإذا ركبت فصيدي الأبطال

---

(1) جامع البيان.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) روح المعاني.

وخصه الشافعية بالمأكول قالوا: لأنه الغالب فيه عرفاً، وأيد ذلك بما رواه الشيخان «**خمس يقتلن في الحل والحرم: الحدأة والغراب والعقرب والفأرة والكلب العقور**» وفي رواية لمسلم «والحية» بدل العقرب، وسيأتي إن شاء الله تعالى تتمة البحث. والحرم جمع حرام كردح جمع رداح والحرام والمحرم بمعنى والمراد به من أحرم بحج أو عمرة وإن كان في الحل وفي حكمه من كان في الحرم وإن كان حلالاً، وقيل: المراد به من كان في الحرم وإن لم يكن محرماً بنسك وفي حكمه المحرم وإن كان في الحل. وقال أبو علي الجبائي: الآية تدل على تحريم قتل الصيد على المحرم بنسك أينما كان وعلى من في الحرم كيفما كان معا، وقال علي بن عيسى: لا تدل إلا على تحريم ذلك على الأول خاصة، ولعل الحق مع علي لا مع أبيه. وذكر القتل دون الذبح ونحوه للإيذان بأن الصيد وإن ذبح في حكم الميتة، وإلى ذلك ذهب الإمام الأعظم وأحمد ومالك رضي الله تعالى عنهم، وهو القول الجديد للشافعي رضي الله تعالى عنه، وفي القديم لا يكون في حكم الميتة ويحل أكله للغير ويحرم على المحرم.

قال القاسمي(1): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ﴾. أي: محرمون بحجٍّ أو عمرة.

قال المهايميّ: لأن قتله تجبّر. والمحرم في غاية التذلّل. انتهى.

وذكر القتل، دون الذبح والذكاة، للتعميم. أو للإيذان بكونه في حكم الميتة. و(الصيد) ما يصاد مأكولاً أو غيره. ولا يستثني إلا ما ثبت في (الصحيحين) عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «**خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور**» وفي رواية: (الحية) بدل (العقرب).

● **قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾** [المَائدة: 96].

(1) محاسن التأويل.

قال الماوردي(1): ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ يعني صيد الماء سواء كان من بحر أو نهر أو عين أو بئر فصيده حلال للمحرم والحلال في الحرم والحل.

قال الشوكاني(2): ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ الخطاب لكل مسلم أو للمحرمين خاصة، وصيد البحر ما يصاد فيه؛ والمراد بالبحر هنا كل ماء يوجد فيه صيد بحريّ وإن كان نهراً أو غديراً.

(1) النكت والعيون.

(2) فتح القدير.

صور

(صَوَر - صَنَو - شَبَه - مِثْل)

■ **الصُّورَةُ:** ما ينتقش به الأعيان ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 6].

■ **الصِّنْوُ:** فرع الشجرة أو النخلة يخرج من أصلها ليكبر فيكون مثلها تماماً ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [الرّعد: 4].

■ **الشَّبَهُ:** اتفاق أمرين في الكيفية ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾ [البَقَرَة: 25].

■ **المِثْلُ:** اتفاق أمرين في كل شيء ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ [الأحقاف: 10].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والواو والراء كلماتٌ كثيرةٌ متباينة الأصول. وليس هذا الباب ببابِ قياسٍ ولا اشتقاق. وقد مضى فيما كتبناه مثله. ومما ينقاس منه قولُهم: صوِرَ يَصْوَر، إذا مال. وصُرْت الشَّيءَ أُصُورُهُ، وأَصَرْتُه، إذا أَمَلته إليك. ويجيء قياسُه تَصَوَّر، لِمَا ضُرِب، كأنَّه مال وسَقط. فهذا هو المنقاس، وسِوى ذلك فكلُّ كلمةٍ منفردةٌ بنفسها. من ذلك الصُّورة صُورة كلِّ مخلوق، والجمع صُوَر، وهي هيئةُ خِلْقته. والله تعالى البارئ المُصَوِّر. ويقال رجلٌ صَيِّرٌ إذا كان

(1) معجم مقاييس اللغة.

جميل الصورة. ومن ذلك الصَّور: جماعةُ النَّخْل، وهو الحائش. ولا واحدَ للصَّوْر من لفظه. ومن ذلك الصِّوار، وهو القَطيع من البقر، والجمع صِيران.

ومن ذلك الصِّوار، صُوار المِسْك، وقال قوم: هو ريحُهُ، وقال قوم: هو وعاؤه.

ومن ذلك قولهم: أَجِدُ في رأسي صَوْرة، أي حِكَّة. ومن ذلك شيءٌ حكاه الخليل، قال: عصفور صَوَّار، وهو الذي إذا دُعِيَ أجابَ. وهذا لا أحسبه عربيًّا، ويمكن إنْ صحّ أن يكون من الباب الذي ذكرناه أوّلاً؛ لأنه يميل إلى داعِيه. فأمَّا شَعَر النّاصية من الفَرَس فإنه يسمى صَوْراً. وهذا يمكن أن يكون على معنى التشبيه بصَوْر النَّخل، وقد ذُكِرَ. قال: ويقال: الصَّارَةُ: أرض ذات شَجَر.

قال الخليل(1): الصَّوَرُ: المَيَلُ، يقال: فلانٌ يصُورُ عُنُقَه إلى كذا أي مالَ بعُنُقه ووَجْهِهِ نحوَه، والنعت أصْوَرُ، وعُصفورٌ صَوّارٌ: وهو الذي يُجيب الدّاعي.

وقوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: 260] أي فشقِّقْهُنَّ اليك، قال: فقال له الرحمن: صَرْها فإنّها تأتيك طوعاً عند دعوتك الشَّفْع. ويقال: صُرْهُنَّ أي ضُمَّهُنَّ، ويقال: قطِّعْهُنّ، قال أميّة: فشَتَّى فصُرْهُنَّ ثم ادعهن يأتِينَ زهراً بِدارَ القَطا. وصَوَّرتُ صُورةً، وتجمع على صُوَرٍ، وصُورٌ لغة فيه، بمعنى صَوَّر، وهي لغةٌ. والصَّوْرُ: النَّخلُ الصِّغارُ، ولم أسمع منه واحداً. وفي حديث ابن عمر أنه دَخَلَ صَوْرَ نخْلٍ. والصُّوارُ والصِّوارُ: القَطيع من بَقَر الوَحْش، العدَدُ أَصوِرة ويُجمَع على صِيران. وأَصْوِرُة المِسْكِ: نافِقاته، وسَمِعْتُ من يقول في الواحد صِوار وصِيار.

قال الفيروزآبادي(2): الصُّورَةُ، بالضم: الشَّكْلُ جمعه: صُوَرٌ وصِوَرٌ، كعِنَب، وصُوْرٌ. والصَّيِّرُ، كالكَيِّسِ: الحَسَنُها، وقد صَوَّرَه فَتَصَوَّر، وتُسْتَعْمَلُ الصُّورَةُ بمعنى النَّوْعِ والصِّفَةِ، وبالفتح: شِبْهُ الحِكَّةِ فيْ الرأسِ، حتى يَشْتَهِيَ أن

(1) العين.
(2) القاموس المحيط.

يُفَلِّى. وصارَ: صَوَّتَ، وعُصْفورٌ صَوَّارٌ، وصور الشيءَ صَوْراً: أمالَهُ أوهَدَّهُ، كأَصارَه فانْصارَ. وَصَوِرَ، كَفَرِحَ: مَاَل، وهو أصْوَرُ. وصارَ وجْهَهُ يَصُورُهُ ويَصيرُهُ: أقْبَلَ به، وصور الشيءَ: قَطَعَه وفَصَّلَه.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 6].

قال القرطبي[1]: فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ﴾ أخبر تعالى: عن تصويره للبشر في أرحام الأُمهات. وأصل الرحِم من الرّحْمة، لأنها مما يُتَراحَم به. واْشتقاق الصُّورَة من صاره إلى كذا إذا أماله؛ فالصورة مائلة إلى شَبَهٍ وهَيْئة. وهذه الآية تعظيم لله تعالى، وفي ضمنها الرد على نصارى نَجْران، وأنّ عيسى من المَصوَّرين، وذلك مما لا ينكره عاقل.

الثانية: قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ يعني من حُسْن وقُبْح وسواد وبَيَاض وطُول وقِصَر وسَلامة وعاهة، إلى غير ذلك من الشقاء والسعادة.

وذُكر عن إبراهيم بن أدْهم أنّ القرّاء اْجتمعوا إليه ليسمعوا ما عنده من الأحاديث، فقال لهم: إني مشغول عنكم بأربعة أشياء، فلا أتفرّغ لرواية الحديث. فقيل له: وما ذاك الشغل؟ قال: أحدها أنِّي أتفكر في يوم المِيثاق حيث قال: «هؤلاء في الجنة ولا أُبَالي وهؤلاء في النار ولا أُبَالي» فلا أدري من أي الفريقين كنتُ في ذلك الوقت. والثاني حيث صُوِّرتُ في الرَّحِم فقال الملك الذي

(1) الجامع لأحكام القرآن.

هو موكلّ على الأرحام: «يا ربِّ شَقِيٌّ هو أم سعيد» فلا أدري كيف كان الجواب في ذلك الوقت. والثالث حين يقبِضُ ملكُ الموت روحي فيقول: «ياربِّ مع الكفر أم مع الإيمان» فلا أدري كيف يخرج الجواب. والرابع حيث يقول: ﴿وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: 59] فلا أدري في أيِّ الفريقين أكونُ. ثم قال تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا خالق ولا مصوّر سواه؛ وذلك دليل على وحدانيته، فكيف يكون عيسى إلهاً مُصوِّراً وهو مُصوَّرٌ. ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغالب. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ ذو الحكمة أو المُحْكِم، وهذا أخص بما ذكر من التصوير.

قال الطبري[1]: يعني بذلك جلّ ثناؤه: الله الذي يصوّركم فيجعلكم صورا أشباحا في أرحام أمهاتكم كيف شاء وأحبّ، فيجعل هذا ذكراً وهذا أنثى، وهذا أسود وهذا أحمر. يعرّف عباده بذلك أن جميع من اشتملت عليه أرحام النساء ممن صوّره وخلقه كيف شاء، وأن عيسى ابن مريم ممن صوّره في رحم أمه وخلقه فيها كيف شاء وأحبّ، وأنه لو كان إلٰهاً لـم يكن ممن اشتملت عليه رحم أمه، لأن خلّاق ما في الأرحام لا تكون الأرحام عليه مشتملة، وإنما تشتمل على المخلوقين. كما: حدثني ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ قد كان عيسى ممن صُوِّر في الأرحام، لا يدفعون ذلك، ولا ينكرونه، كما صور غيره من بني آدم، فكيف يكون إلهاً وقد كان بذلك المنزل؟

● **قال تعالى**: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: 11].

قال أبو السعود[2]: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ تذكيرٌ لنعمة عظيمةٍ فائضةٍ على آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ساريةٍ إلى ذريته موجبةٍ لشكرهم كافةً، وتأخيرُه عن تذكير ما وقع قبله من نعمة التمكينِ إما لأنها فائضةٌ على المخاطَبين بالذات وهذه بالواسطة، وإما للإيذان بأن كلا منهما نعمةٌ مستقلةٌ مستوجِبةٌ للشكر على حيالها، فإن رعايةَ

(1) جامع البيان. (2) إرشاد العقل السليم.

الترتيبِ الوقوعيِّ ربما تؤدِّي إلى توهّم عدِّ الكلِّ نعمةً واحدةً كما ذكر في قصة آدمَ. وتصديرُ الجملتين بالقسم وحرفِ التحقيقِ لإظهار كمالِ العناية بمضمونها، وإنما نُسب الخلقُ والتصويرُ إلى المخاطَبين مع أن المرادَ بهما خلقُ آدم عليه السلام وتصويرُه حتماً توفيةً لمقام الامتنانِ حقَّه وتأكيداً لوجوب الشكر عليهم بالرمز إلى أن لهم حظاً من خلقه عليه السلام وتصويرِه لما أنهما ليسا من الخصائص المقصورة عليه عليه السلام كسجود الملائكةِ له عليه السلام بل من الأمور الساريةِ إلى ذريته جميعاً إذ الكلُّ مخلوقٌ في ضمن خلقِه على نمطه ومصنوعٌ على شاكلته فكأنهم الذي تعلق به خلقُه وتصويرُه، أي خلقنا أباكم آدمَ طيناً غيرَ مُصوَّرٍ ثم صوَّرناه أبدعَ تصويرٍ وأحسنَ تقويمٍ سارَ إليكم جميعاً

قال ابن عجيبة[1]: يقول الحقّ جلّ جلاله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي: خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصور، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ أي: صوّرنا خلقة أبيكم آدم. نزَّل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره؛ لأنه المادة الأصلية، أي: ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بأن خلقنا أباكم آدم، ثم صورناه.

● **قال تعالى**: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ [النمل: 87].

قال الألوسي[2]: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ إما معطوف على ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ﴾ [النمل: 83] منصوب بناصبه، أو منصوب بمضمر معطوف على ذلك الناصب، والصور - على ما في «التذكرة» - قرن من نور، وذكر البخاري عن مجاهد أنه كالبوق. وأخرج الترمذي «عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: **قرن ينفخ فيه**»، والمشهور أن صاحب الصور هو إسرافيل عليه السلام. وذكر القرطبي أن الأمم مجمعة على ذلك وهو مخلوق اليوم، فقد أخرج الترمذي وحسنه عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: **«كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ؟!**

(1) البحر المديد. (2) روح المعاني.

فكأن ذلك ثقل على أصحاب رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام لهم قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل» وروي أيضاً عن أبي هريرة مرفوعاً «**ما أطرق صاحب الصور مذ وكل به مستعداً بحذاء العرش مخافة أن يؤمر بالصيحة قبل أن يرتد طرفه كأن عينيه كوكبان دريان**» وجاء عن أبي هريرة من حديث مرفوع «**إن عظم دائرة فيه كعرض السمٰوات والأرض**» وهذا مما يؤمن به وتفوض كيفيته إلى علام الغيوب.

وقيل: إن الصور بسكون الواو بمعنى الصور بضم الصاد وفتح الواو جمع صورة - وعليه أبو عبيدة - والكلام في الوجهين على حقيقته، وقيل: في الكلام استعارة تمثيلية شبه هيئة انبعاث الموتى من القبور إلى المحشر إذا نودوا بالقيام بهيئة قيام جيش نفخ لهم في المزمار المعروف وسيرهم إلى محل عين لهم، والأول قول الأكثرين - وعليه المعول - لأن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزُّمَر: 68] ظاهر في أن الصور ليس جمع صورة وإلا لقال سبحانه: فيها بدل فيه، وارتكاب التأويل بجعل الكلام من باب التمثيل ظاهر في إنكار أن يكون هناك صور حقيقة، وهو خلاف ما نطقت به الأحاديث الصحاح، وقد قال أبو الهيثم على ما نقل عنه القرطبي في «تفسيره»: من أنكر أن يكون الصور قرناً فهو كمن أنكر العرش والصراط والميزان وطلب لها تأويلات، وهذا النفخ قيل: المراد به النفخة الثانية، وإليه ذهب صاحب «الغنيان»، واختاره العلامة أبو السعود وقال: الذي يستدعيه سياق النظم الكريم وسباقه ذلك.

قال ابن عادل(1): ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ هذه العلامة الثانية لقيام القيامة، والصور: قرن ينفخ فيه إسرافيل، فإذا سمع الناس ذلك الصوت يصيحون ثم يموتون، وهذا قول الأكثرين. وقال الحسن: الصور هو الصوَر، وأول بعضهم كلامه أن الأرواح تجتمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الأرواح إلى الأجساد، فتحيا الأجساد. قوله: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قال: «فَفَزِعَ» بلفظ

---

(1) اللباب في علوم الكتاب.

الماضي ولم يقل فيفزع لتحققه وثبوته وأنه كائن لا محالة، لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل، كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: 1]. والمعنى: يلقى عليهم الفزع إلى أن يموتوا، قيل: ينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين.

● **قال تعالى**: ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ [غافر: 64].

قال القرطبي[1]: ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ أي خلقكم في أحسن صورة. وقرأ أبو رزين والأشهب العقيلي «صِوَرَكُمْ» بكسر الصاد؛ قال الجوهري: والصِّور بكسر الصاد لغة في الصُّوَر جمع صورة، وينشد هذا البيت على هذه اللغة يصف الجواري:

أشبَهْنَ مِن بَقَرِ الْخَلْصَاءِ أعْيُنَها وهُنَّ أحْسَنُ مِن صِيرانِها صِوراً

(والصِّيران جمع صُوَار وهو القطيع من البقر والصِوار أيضاً وعاء المسك) وقد جمعهما الشاعر بقوله:

إذ لَاحَ الصِّوارُ ذكَرتُ لَيْلَى وأذْكُرَها إذا نَفَح الصِّوَارُ

والصِّيار لغة فيه.

قال الفخر الرازي[2]: القسم الأول: فأنواع كثيرة والمذكور منها في هذه الآية أنواع ثلاثة أولها: حدوث صورته وهو المراد من قوله: ﴿وَصَوَّرَكُمۡ﴾ وثانيها: حسن صورته وهو المراد من قوله: ﴿فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾، وثالثها: أنه رزقه من الطيبات وهو المراد من قوله: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ وقد أطنبنا في تفسير هذه الأشياء في هذا الكتاب مراراً لا سيما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: 70].

● **قال تعالى**: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 8].

(1) الجامع لأحكام القرآن. (2) التفسير الكبير.

قال أبو السعود[1]: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ أي ركبكَ في أيِّ صورةٍ شاءَهَا من الصور المختلفةِ ومَا مزيدةٌ وشاءَ صفةٌ لصورةٍ أي ركبكَ في أيِّ صورةٍ شاءَها واختارَها لكَ من الصورِ العجيبةِ الحسنةِ كقولِه تعالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التِّين: 4]. .

قال ابن الجوزي[2]: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ قال الزجاج: يجوز أن تكون «ما» زائدة. ويجوز أن تكون بمعنى الشرط والجزاء، فيكون المعنى: في أي صورة ما شاء أن يركِّبك فيها ركبك. وفي معنى الآية أربعة أقوال. أحدها: في أي صورة من صور القرابات ركَّبك، وهو معنى قول مجاهد. والثاني: في أي صورة، من حسن، أو قبح، أو طول، أو قصر، أو ذَكَر، أو أنثى، وهو معنى قول الفراء. والثالث: إن شاء أن يركِّبك في غير صورة الإنسان ركبك، قاله مقاتل. وقال عكرمة: إن شاء في صورة قرد، وإن شاء في صورة خنزير.

والرابع: إن شاء في صورة إنسان بأفعال الخير. وإن شاء في صورة حمار بالبلادة والبله، وإن شاء في صورة كلب بالبخل، أو خنزير بالشره، ذكره الثعلبي.

---

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) زاد المسير.

صير

(صَيَرَ - رَجَع - انْتَهى)

■ **المَصِيرُ:** خاتمة الحدث ونتيجته ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المَائدة: 18].

■ **المَرْجِعُ:** الجهة التي تعاودها عند الحاجة ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [المَائدة: 48].

■ **المُنْتَهى:** ما ليس للحدث خطوة أخرى بعده ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النّجم: 42].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الصاد والياء والراء أصلٌ صحيح، وهو المآلُ والمرجِع. من ذلك: صار يصير صَيْراً وصَيرورة. ويقال: أنا على صِيرِ أمرٍ، أي إشرافٍ من قضائه، وذلك هو الذي يُصار إليه.

والصِّير كالحظائر يُتخذ للبقر، والواحدة صيرة، وسمِّيت بذلك لأنَّها تصير إليه. وصَيُّور الأمرِ: آخِره، وسمِّيَ بذلك لأنّه يُصار إليه. ويقال: لا رأْيَ لفلانٍ ولا صَيُّورَ، أي لا شيء يَصِيرُ إليه من حزمٍ ولا غيرِهِ. وتصَّيرَ فلانٌ أباه: إذا نَزَعَ إليه في الشَّبه.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

وسمِّي كذا كأنه صار إلى أبيه. ومما شذَّ عن الباب الصِّير، وهو الشَّق. وفي الحديث: «**مَنْ نَظَرَ في صِيرِ بابٍ بغير إذْنٍ فعينُهُ هَدَر**». فأمَّا الصِّير، وهو شيءٌ يقال له الصِّحْناة، فلا أحسبه عربيًّا، ولا أحسب العربَ عرفَتْهُ. وقد ذكرهُ أهلُ اللُّغة، ولا معنى له.

قال الجوهري(1): صارَ الشيء كذا، يَصيرُ صَيْراً وصَيْرورَةً. وصِرْتُ إلى فلان مَصيراً، كقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: 28]، وهو شاذٌّ، والقياس مَصارٌ مثل مَعاشٌ. وصَيَّرْتُهُ أنا كذا، أي جعلته. وصارَهُ يَصيرُهُ: لغة في يَصورُهُ، أي قَطَعَه، وكذلك إذا أماله. وصَيُّورُ الأمرِ: آخِرُهُ وما يؤول إليه.

وقولهم: ما له صَيُّورٌ، أي رأيٌ وعقلٌ. وتَصَيَّرَ فلانٌ أباه، إذا نزع إليه في الشبه. وصيرُ الأمرِ، الكسر: مَصيرُهُ وعاقِبَتُهُ. يقال: فلان على صِيرِ أَمْرٍ، إذا كان على إشرافٍ من قَضائه.

والصيرُ أيضاً: الصِّحْناةُ. والصيرُ أيضاً: شَقُّ الباب. والصيرَةُ حظيرة الغنم، وجمعها صِيَرٌ.

قال الفيروزآبادي(2): صارَ الأمرُ إلى كذا صَيْراً ومَصِيراً وصَيْرُورَةً وصَيَّرَه إليه وأصارَه. والمَصِيرُ: الموضعُ تَصيرُ إليه المِياهُ. والصِّيْرُ، بالكسر: الماءُ يُحْضَرُ، وصارَهُ الناسُ: حَضَرُوهُ، ومُنْتَهَى الأمرِ وعاقِبَتُه، ويفتحُ، كالصَّيُّورِ والصَّيُّورَةِ، والناحيةُ من الأمرِ، وطَرَفُهُ، وشَقُّ البابِ، والصَّحْنَاةُ أو شِبْهُها، والسُّمَيْكاتُ المَمْلوحَةُ يُعْمَلُ منها الصَّحْناةُ، وأُسْقُفُّ اليَهُودِ، وجبلٌ بأَجَأَ ببلادِ طَيِّئٍ بين سِيرافَ وعُمانَ، وع بنَجْدٍ، وبهاءٍ: حَظيرَةٌ للغَنَمِ والبَقَرِ، كالصِّيارَةِ جمعه: صِيرٌ وصِيَرٌ، وجُبَيْلٌ بِعَدَنِ أبْيَنَ، ودارٌ من فَهْمٍ بالجَوْفِ. ويومُ صِيرَةَ، بالكسر: من أيامِهِم.

---

(1) الصحاح في اللغة. (2) القاموس المحيط.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البَقَرَة: 260].**

قال الفخر الرازي[1]: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ ففيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ حمزة ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ بكسر الصاد، والباقون بضم الصاد، أما الضم ففيه قولان الأول: أن من صرت الشيء أصوره إذا أملته إليه ورجل أصور أي مائل العنق، ويقال: صار فلان إلى كذا إذا قال به ومال إليه، وعلى هذا التفسير يحصل في الكلام محذوف، كأنه قيل: أملهن إليك وقطعهن، ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ، فحذف الجملة التي هي قطعهن لدلالة الكلام عليه كقوله ﴿أَنِ اَضْرِب بِّعَصَاكَ اَلْبَحْرَ فَانفَلَقَ﴾ [الشُّعَرَاء: 63] على معنى: فضرب فانفلق لأن قوله ﴿ثُمَّ اَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ يدل على التقطيع.

فإن قيل: ما الفائدة في أمره بضمها إلى نفسه بعد أن يأخذها؟.

قلنا: الفائدة أن يتأمل فيها ويعرف أشكالها وهيآتها لئلا تلتبس عليه بعد الإحياء، ولا يتوهم أنها غير تلك.

والقول الثاني: وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ معناه قطعهن، يقال: صار الشيء يصوره صوراً، إذ قطعه، قال رؤبة يصف خصماً ألد: صرناه بالحكم، أي قطعناه، وعلى هذا القول لا يحتاج إلى الإضمار، وأما قراءة حمزة بكسر الصاد، فقد فسّر هذه الكلمة أيضاً تارة بالإمالة، وأخرى بالتقطيع، أما الإمالة فقال الفرّاء: هذه لغة هذيل وسليم: صاره يصيره إذا أماته، وقال الأخفش وغيره ﴿فَصِرْهُنَّ﴾ بكسر الصاد: قطعهن. يقال: صاره يصيره إذا قطعه، قال الفرّاء: أظن أن ذلك مقلوب من صرى يصري إذا

(1) التفسير الكبير.

قطع، فقدمت ياؤها، كما قالوا: عثا وعاث، قال المبرّد: وهذا لا يصح، لأن كل واحد من هذين اللفظين أصل في نفسه مستقل بذاته، فلا يجوز جعل أحدهما فرعاً عن الآخر.

● **قال تعالى:** ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الشورى: 15].

قال الشعراوي[1]: ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ المرجع والمآب.

قال ابن عاشور[2]: والتعريف في ﴿ٱلۡمَصِيرُ﴾ للاستغراق، أي مصير النّاس كلّهم، فبذلك كانت الجملة تذييلاً بما فيها من العموم، أي مصيرنا ومصيركم ومصير الخلق كلهم.

قال القرطبي[3]: ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ أي فهو يحكم بيننا إذا صرنا إليه، ويجازي كُلًّا بما كان عليه. وقيل: إن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة، وقد سألا رسول الله ﷺ أن يرجع عن دعوته ودينه إلى دين قريش، على أن يعطيه الوليد نصف ماله ويزوّجه شيبةُ بأبنته.

قال الطبري[4]: ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ يقول: وإليه المعاد والمرجع بعد مماتنا.

(1) تفسير الشعراوي.
(2) التحرير والتنوير.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) جامع البيان.

صوع

(صُوَاع - كَأس - إبْرِيق - كُوب - سَاقِيَة)

- **الصُّوَاعُ:** إناء يشرب به ويكال به ويقال له الصاع ويذكر ويؤنث﴿قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ﴾ [يُوسُف: 72].
- **الكَأْسُ:** الإناء يشرب بما فيه من الشراب ﴿كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ [الإنسَان: 17].
- **الإِبْرِيقُ:** ما يملأ من الشراب ليصب منه في الكأس ﴿وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ﴾ [الواقِعَة: 18].
- **الكُوبُ:** ما يشرب به كل أنواع الشراب ﴿بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ﴾ [الواقِعَة: 18].
- **السَّاقِيَةُ:** كل إناء يشرب به من صواع وكأس وكوب ونحو ذلك ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ﴾ [يُوسُف: 70].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والواو والعين أصلٌ صحيح، وله بابان: أحدهما يدلُّ على تفرُّقٍ وتصدُّع، والآخر إناء. فالأوَّل قولُهم: تصوَّعُوا، إذا تفرَّقوا. قال ذو الرُّمَّة: ويقال: تصوّع شَعَره، إذا تشقق. كذا قال الخليل. وقال أيضاً: تصوَّعَ

(1) معجم مقاييس اللغة.

النَّبْت: هاج. ويقال: انصاع القوم سِراعاً: مَرُّوا. فأمَّا الإناء فالصَّاع والصُّوَاع، وهو إناءٌ يشرب به. وقد يكون مكيالٌ من المكاييل صاعاً، وهو من ذات الواو، وسمِّيَ صاعاً لأنَّه يدور بالمَكِيل. ويقال: إنَّ الكَمِيَّ يَصُوع بأقرانه صَوْعاً، إذا أتاهم من نَواحيهم. والرَّجلَ يَصُوع الإبل. ومن الباب: الصَّاع، وهو بطنٌ من الأرض، في قوله: ومنه صاعُ جؤجُؤِ النَّعامة، وهو موضعُ صَدْرِها إذا وضعَتْهُ بالأرض.

قال الجوهري[1]: صُعْتُ الشيءَ فانْصَاعَ، أي فرَّقته فتفرّق ومنه قولهم: يَصوعُ الكَمِيُّ أقرانَه، إذا أتاهم من نواحيهم. والرجلُ يَصوعُ الإبلَ، والتيسُ يَصوعُ المعزَ. وانْصاعَ، أي انفتل راجعاً ومرّ مسرعاً. والتَّصَوُّعُ: التفرّق.

وتَصَوَّعُ النباتُ: لغةٌ في تَصَوَّحَ إذا هاج. وتَصَنَّعَ مثله. والصاعُ المطمئنُّ من الأرض.

والصاعُ: الذي يُكالُ به، وهو أربعة أمدادٍ، والجمع أَصْوُعٌ، وإن شئتَ أبدلتَ من الواو المضمومة همزةً. والصُّواعُ: لغةٌ في الصاعِ، ويقال هو إناءٌ يُشْرَبُ فيه.

قال الفيروزآبادي[2]: الصاعُ والصُّواعُ، بالكسر وبالضم، والصَّوْعُ، ويضمُّ: الذي يُكالُ به، وتَدُورُ عليه أحكامُ المُسْلمينَ، وقُرِئَ بِهِنَّ، أو الصاعُ غيرُ الصِّواعِ، (ويُؤَنَّثُ، وهو) أربعةُ أمْدادٍ، كلُّ مُدٍّ رِطْلٌ وثُلُثٌ، والرِّطْلُ في: م ك ك، قال الداوُودِيُّ: مِعْيارُه الذي لا يَخْتَلِفُ: أربعُ حَفَناتٍ بكَفَّي الرَّجُلِ الذي ليس بعَظيمِ الكَفَّيْنِ ولا صَغيرِهِما، إذْ ليس كُلُّ مَكانٍ يوجَدُ فيه صاعُ النبي ﷺ. انْتَهى. وجَرَّبْت ذلك فَوَجَدْتُه صحيحاً، ج: أصْوُعٌ وأصْؤُعٌ وأصْواعٌ وصُوعٌ، بالضم، وصِيعانٌ، أو هذا جَمْعُ صُواعٍ: وهو الجامُ يُشْرَبُ فيه. والصاعُ: المُطْمَئِنُّ من الأرضِ، كالصاعَةِ، والصَّوْلَجانُ، وموضِعٌ يُكْنَسُ ثم يُلْعَبُ فيه، ومَوْضِعُ صَدْرِ النَّعامِ إذا وضَعَتْهُ بالأرض.

---

(1) الصحاح في اللغة. (2) القاموس المحيط.

والصاعَةُ: الموضِعُ تُهَيِّئُه المرأةُ لِنَدْفِ القُطْنِ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ﴾ [يُوسُف: 72].

قال الزمخشري[1]: وقرأ أبو عبد الرحمٰن السلمي: «تفقدون» من أفقدته إذا وجدته فقيداً. وقرىء: «صواع»، «وصاع»، «وصوع»، «وصُوع» بفتح الصاد وضمها، والعين معجمة وغير معجمة.

قال الفخر الرازي[2]: قال بعضهم جمع صواع صيعان، كغراب وغربان، وجمع صاع أصواع، كباب وأبواب. وقال آخرون: لا فرق بين الصاع والصواع، والدليل عليه قراءة أبي هريرة: ﴿قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ﴾ وقال بعضهم: الصواع اسم، والسقاية وصف، كقولهم: كوز وسقاء، فالكوز اسم والسقاء وصف.

قال أبو السعود[3]: ﴿قَالُواْ﴾ فى جوابهم ﴿نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ﴾ ولم يقولوا سرقتموه أو سرق وقرئ صاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها وبإهمال العين وإعجامها من الصياغة ثم قالوا تربية لما تلقوه من قبلهم وإراءة لاعتقاد أنه إنما بقى فى رحلهم اتفاقاً.

(1) الكشاف.
(2) التفسير الكبير.
(3) إرشاد العقل السليم.

صوف

(صُوف - شَعْر - عِهْن - وَبَر)

- **الصُّوفُ:** ما ينبت على جلد الضأن ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا﴾ [النحل: 80].
- **الشَّعْرُ:** ما ينبت على جلد الإنسان والماعز وغير ذلك ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ﴾ [النّحل: 80].
- **العِهْنُ:** الصوف المصبوغ ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: 5].
- **الوَبَرُ:** ما ينبت على جلد الإبل ﴿أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَاثًا﴾ [النّحل: 80].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والواو والفاء أصلٌ واحد صحيح، وهو الصُّوف المعروف. والباب كله يَرجِع إليه. يقال: كبش أَصْوَفُ وصَوِفٌ وصائفٌ وصَافٌ، كلُّ هذا أن يكونَ كثيرَ الصُّوف. ويقولون: أخذ بصُوفَةِ قَفاه، إذا أَخَذَ بالشَّعَر السائِل في نُقْرته. وصُوفةُ قومٌ كانوا في الجاهليّة، كَانوا يَخْدُمون الكعبة، ويُجيزون الحاجَّ. وحُكي عن أبي عُبيدةَ أنّهم أفناء القبائل تجمَّعُوا فتشبَّكُوا كما يتشبَّك الصُّوف.

فأمَّا قولهم: صاف عن الشَّرِّ، إذا عَدَل، فهو من باب الإبدال، يقال: صَابَ إذا مال.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: الصُّوفُ للضَّأْن وشِبْهِهِ، وكَبْشٌ صافٌ ونَعجةٌ صافةٌ، وكبشٌ صُوفانيٌّ ونَعجة صوفانيّةٌ. وزغبات القَفَا تُسَمَّى صوفةَ القفا. ويقال لواحدة الصوف صوفة وتُصَغَّر صُوَيفةٌ. والصُّوفانةُ: بَقْلةٌ زَغْباءُ قصيرة. وصوفةُ اسمُ حَيٍّ من تَميم، وآل صوفان الذين كانوا يُجيزون الحُجّاج من عَرَفات، يقُول أحدُهم فيقول: أجيزي صوفة، فاذا أجازَتْ قالَ: أجيزي خِنْدِفُ، فاذا أجازَتْ أُذِنَ للناس في الإفاضة.

قال الراغب[2]: قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾، وأخذ بصوفة قفاه، أي: بشعره النابت، وكبش صاف، وأصوف، وصائف: كثير الصوف. والصوفة (الصوفة: أبو حي من مضر، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج، أي: يفيضون بهم). قوم كانوا يخدمون الكعبة، فقيل: سموا بذلك لأنهم تشبكوا بها كتشبك الصوف بما نبت عليه، والصوفان: نبت أزغب. والصوفي قيل: منسوب إلى لبسه الصوف، وقيل: منسوب إلى الصوفة الذين كانوا يخدمون الكعبة لاشتغالهم بالعبادة، وقيل: منسوب إلى الصوفان الذي هو نبت، لاقتصادهم واقتصارهم في الطعم على ما يجري مجرى الصوفان في قلة الغناء في الغذاء.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ﴾ [النحل: 80].

قال البغوي[3]: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ﴾، يعني أصواف الضأن، وأوبار الإبل، وأشعار المعز، والكنايات راجعة إلى الأنعام، ﴿أَثَٰثًا﴾، قال ابن

(1) العين.
(2) مفردات الراغب.
(3) معالم التنزيل.

عباس: مالاً. قال مجاهد: متاعاً. قال القتيبي: «الأثاث»: المال أجمع، من الإبل والغنم والعبيد والمتاع. وقال غيره: هو متاع البيت من الفرش والأكسية. ﴿وَمَتَٰعًا﴾، بلاغاً ينتفعون بها، ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني الموت. وقيل: إلى حين تبلى.

قال الخازن[1]: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ﴾ الكناية عائدة إلى الأنعام، يعني ومن أصواف الضأن، وأوبار الإبل وأشعار المعز ﴿أَثَٰثًا﴾ يعني تتخذون أثاثاً. الأثاث. متاع البيت الكبير، وأصله من أث إذا كثر وتكاثف، وقيل للمال أثاث إذا كثر. قال ابن عباس: أثاثاً يعني مالاً: وقال مجاهد: متاعاً. وقال القتيبي: الأثاث المال أجمع من الإبل والغنم والعبيد والمتاع.

وقال غيره الأثاث هو متاع البيت من الفرش والأكسية ونحو ذلك ﴿وَمَتَٰعًا﴾ يعني وبلاغاً وهو ما يتمتعون به ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني إلى حين يبلى ذلك الأثاث، وقيل: إلى حين الموت. فإن قلت: أي فرق بين الأثاث والمتاع حتى ذكره بواو العطف، والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق؟. قلت: الأثاث ما كثر من آلات البيت وحوائجه وغير ذلك فيدخل فيه جميع أصناف المال، والمتاع ما ينتفع به في البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظتين، والله أعلم.

---

(1) لباب التأويل.

صيف

(صَيَف)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والياء والفاء أصلان: أحدهما يدلُّ على زمانٍ، والآخر يدلُّ على مَيْلٍ وعُدول. فالأوَّل الصَّيف، وهو الزَّمانُ بعد الرَّبيع الآخِر. ويقال للمطر الذي يأتي فيه: الصَّيِّف. وهذا يومٌ صائف، وليلةٌ صائفة. وعاملته مُصايفةً، أي زمانَ الصَّيف، كما يقال مُشَاهَرَة. والصَّيفيُّون أولاد الرَّجُل بعد كِبَرِهِ. وَوَلَدُ فلانٍ صيفيُّون.

وأمَّا الآخَر فصاف عن الشيء، إذا عَدَلَ عنه. [وَصَافَ السَّهْمُ عن الهدفِ] يَصِيفُ صَيْفاً، إذا مال.

قال الخليل[2]: الصَّيفُ: رُبْعٌ من أرباع السَّنَةِ، وعند العامّةِ نِصفُ السنة.

والصَّيف: المطر الذي يَجيء بعد الربيع، قال جرير: وجادَكِ من دارٍ ربيعٌ وصَيِّفُ والصَّيِّفُ من المطر والأزمنة والنَّبات: وما يكون في الرُّبْع الذي يتلو الربيعَ من السنة، وهو الصَّيْفيُّ. ويومٌ صائفٌ وليلةٌ صائفةٌ. وصافَ القوم في مَصيفهم إذا أقامُوا في مكان صَيْفَتهم. وغَزوةٌ صائفةٌ: أَنهم كانوا يخرُجُون صيفاً ويرجِعونَ شِتاءً. والصَّيفوفةُ: مَيْل السَّهْم عن الرَّمِيَّة، وصافَ يَصيفُ، قال أبو زبيد: فمُصيفٌ أو صافَ غيرَ بعيد.

قال الجوهري[3]: الصَّيْفُ: واحد فصول السنة، وهو بعد الربيع الأول،

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

وقيل: القيظ. يقال: صَيْفٌ صائِفٌ، وهو توكيد له كما يقال: ليلٌ لائِلٌ، وهَمَجٌ هامِجٌ. والصَّيْفُ أيضاً: المطرُ الذي يجيء في الصيف.

والمَصيفُ المعوجُّ من مجاري الماء، وأصله من صافَ أي عدل، كالمضيق من صاقَ. ويومٌ صائِفٌ، أي حارٌّ. وليلةٌ صائِفةٌ. وربَّما قالوا يومٌ صافٌ بمعنى صائِفٍ، كما قالوا يومٌ راحٌ ويومٌ طانٌ. وعاملت الرجل مُصايَفَةً، أي أيّامَ الصيف، مثل المشاهرة والمياومة والمعاومة. وصائِفةُ القوم: مِيرتهم في الصيف. والصائِفَةُ غزوةُ الرومِ، لأنَّهم يُغْزَوْنَ صَيْفاً؛ لمكان البرد والثلج. وصافَ بالمكان، أي أقام به الصيفَ. واصْطافَ مثله. والموضعُ مَصيفٌ ومُصْطافٌ. وصِفْنا، أي أصابنا مطر الصيف. وصيفَتِ الأرض فهي مَصيفَةٌ ومَصْيوفَةٌ، إذا أصابها مطر الصيف. وأصافَ الله عنِّي شرّ فلانٍ، أي صرفه وعدل به. وصَيَّفَني هذا الشيء، أي كفاني لِصَيْفتي.

يقال: أصابتنا صَيِّفَةٌ غزيرةٌ، بتشديد الياء. وتَصَيَّفَ من الصَّيف، كما تقول: تَشَتَّى من الشتاء. وصافَ السهم عن الهَدَف يَصيفُ صَيْفاً وصَيْفوفَةً، أي عدل. وأَصافَ الرجل، أي وُلِد له على الكِبَرِ، وولده صَيْفيٌّ. وأَصافَ القومُ، أي دخلوا في الصيف.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ [قريش: 2].

قال أبو السعود(1): ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ بدلٌ منَ الأولِ، ورحلةَ مفعولٌ لإيلافِهم وإفرادُهَا معَ أنَّ المرادَ رِحْلَتي الشتاءِ والصيفِ لأمنِ الإلباسِ،

(1) إرشاد العقل السليم.

وَفي إطلاقِ الإيلافِ عنِ المفعولِ أولاً وإبدالُ هَذا منْهُ تفخيمٌ لأمرِهِ وتذكيرُ لعظيمِ النعمةِ فيهِ. وَقُرِىءَ ليألفَ قريشٌ إلَفهُمْ رحلةَ الشتاءِ والصيفِ.

قال القرطبي[1]: ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ «رِحلَةَ» نصب بالمصدر؛ أي ارتحالهم رِحلة، أو بوقوع «إيلافهم» عليه، أو على الظرف. ولو جعلتها في محل الرفع، على معنى هما رِحلة الشتاء والصيف؛ لجاز. والأوّل أولى. والرحلة الارتحال. وكانت إحدى الرحلتين إلى اليمن في الشتاء، لأنها بلاد حامية، والرحلة الأخرى في الصيف إلى الشام، لأنها بلاد باردة. وعن ابن عباس أيضاً قال: كانوا يَشْتون بمكة لدِفئها، ويَصِيفون بالطائف لهوائها. وهذه من أجلّ النعم أن يكون للقوم ناحية حَرّ تدفع عنهم برد الشتاء، وناحية بردٍ تدفع عنهم حر الصيف؛ فذكرهم الله تعالى هذه النعمة.

(1) الجامع لأحكام القرآن.

صام

(صَامَ - أَمْسَك - طَوَى - وَصل - حَصَر)

شرح المعاني:

1 - **صام**: كل امتناع عن شيء محدد لمدة محددة يُسمّى صوماً. كأن تُلزم نفسك بعدم الكلام لفترة معينة، فهذا صوم كما في قوله تعالى في قصة مريم: ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: 26]. فبشرط الصوم أن يكون لمدة محددة. قال تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ﴾ [البقرة: 185] شهر واحد مدة محددة ولذا لم يقل تعالى في الآية كتب عليكم الإمساك.

2 - **أمسك**: الامتناع العام وهو غير محدد كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: 100] وهذا الامتناع المطلق لا تُعرف حدوده ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍۗ﴾ [البقرة: 229].

3 - **الطو وطوى**: هو الجوع المتعمّد بأن يتعمّد الإنسان عدم الأكل عدة وجبات ثم يجمعها في النهاية والطوّ هو الجوع المتعمّد كما يُفعل الآن في السجون عند الإضراب عن الطعام.

4 - **الحَصُر**: الحصور هو الذي يمنع بَوله أو منيّه بقُدرة أي له القدرة على أن يحبِس بوله أو منيّه، يقال: هو حصور وليس محصوراً كما نستخدمها في لغتنا.

والفرق بين إمساك البول والمنيّ أن البول قانون بشري أما أن تحصر المنيّ فهذا مدح وليس ذمًّا، فسيدنا يحيى عليه السلام وصفه الله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: 39] فهو قادر على الجماع ومع هذا لم يقرب النساء وعزف عنهن بقوة رغم قدرته واشتهائه لذلك. وأعجب من بعض الكتب التي يذكرون فيها أن كون يحيى عليه السلام حصوراً كأن به عاهة وهي من أشد العاهات أن يحرم الله تعالى أحد أنبيائه من نعمة النساء، والله تعالى لا يرسل الأنبياء بهم عاهة. لكن يحيى عليه السلام لشدة جماله ولشدة عشق النساء له ذهب ضحية ذلك وكانت المرأة التي عشقته سبباً في قتله فعزف عليه السلام عن النساء رغم قدرته واشتهائه لهنّ وهذا من باب التقرّب إلى الله تعالى ومن باب التحنّث الذي هو عبادة عند بعض الناس. روى الإمام مالك عن النبي ﷺ: «**ما من نبيّ إلا وقد أخطأ أو همّ بخطيئة غير يحيى ابن زكريا**».

ومع فارق التشبيه فإن العرب في الجاهلية كان منهم من يعفّ نفسه عن الزنا والخمر وكان يسمونه عفيفاً أو عفّاناً كما سُمي أبو عثمان ابن عفّان وكان اسمه الأصلي حبيب، لكنه كان من المعدودين الذين عصموا أنفسهم من الزنا والخمر من باب المروءة واحترام النفس.

علينا أن نتحدث عن شهر رمضان الذي هو أعظم أيام المسلمين وهو من أبرز الأدوات التي حقق الله تعالى به إراداته العظيمة لهذه الأمة:

الإرادة الأولى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ وهذا من حيث طبيعة الأداء أو بالصلاة أو الزكاة. فالمطلوب أن تصلي قليلاً وتزكي قليلاً ولم يكلّفنا الله تعالى بالأداء الشّاقّ حتى أنه في السفر رخّص الفِطر والقصر في الصلاة.

والإرادة الثانية: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 28]

أمرنا تعالى بصلاة ركعتين في الصبح، وأربع في الظهر، وأربعة في العصر، وثلاثة في المغرب وأربعة في العشاء، والصوم شهر واحد في السنة والحج مرة واحدة في العمر فالتكاليف خفيفة وقلة التكاليف من طبعة هذا الدين.

الإرادة الثالثة: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: 26-27] التخفيف والبيان مضى وبقيت التوبة والله تعالى قرّر بإرادة صارمة والله فعّال لما يريد أن يتوب عليكم من ذنوبكم. وهناك فرق بين قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ فعندما تدخل أن على الفعل معناها إدخال إرادة أما اللام عندما تدخل على الفعل فهي تعني أنه قد فعل. كما في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [التوبة: 32] هيّأوا الأسباب أما قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ [الصف: 8] قد فعلوا.

وقوله تعالى في القرآن الكريم (ليهديكم، ليتوب عليكم) تعني أن الله تعالى فعل بأسباب عدة منها:

أنه تعالى جعل هذا الدين عبادة في كل جزئية من حياة المسلم. فهناك عبادات لسانية مثل الذكر، وعبادات مادية كالصدقة، وعبادات جسدية كالصوم والحج والصلاة حتى الشوكة يشاكها المسلم يكفّر الله تعالى بها من ذنوبه. جعل الله تعالى أسباب التوبة لا حصر لها وصدق الرسول ﷺ: «**لا يدخل النار إلا شقي**» دمعة من خشية الله أو همّ أو غمّ أو مرض أو حزن أو غيبة أحد لك كلها يكفّر الله بها الذنوب. في الحديث القدسي: «**من أخذت حبيبتيه فحمِدني خيّرته من أي أبواب الجنة شاء**» ونحن بعبادة جميلة رائعة كالصوم الذي هو أعظم العبادات وأمتعها يغفر الله تعالى لها: **(تعس عبداً أدرك رمضان ولم يغفر له)**.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الصاد والواو والميم أصلٌ يدلُّ على إمساكٍ وركودٍ في مكان. من ذلك صَوم الصَّائم، هو إمساكُهُ عن مَطعَمه ومَشربه وسائرِ ما مُنِعَهُ. ويكون الإمساك عن الكلام صوماً، قالوا في قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم: 26]، إنَّه الإمساكُ عن الكلامِ والصَّمتُ. وأمَّا الرُّكود فيقال للقائم صائم.

والصَّوم: رُكود الرِّيح.

والصَّوم استواء الشَّمس انتصافَ النَّهار، كأنَّها ركدت عند تدويمها. وكذا يقال صامَ النَّهارُ. قال امرؤ القيس: ومَصَامُ الفَرَسِ: موقِفه، وكذلك مَصَامَتُه.

قال الخليل[2]: الصَّوْمُ: تَرْكُ الأكلِ وتَرْكُ الكلام، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾، أي صَمتاً وقُرِىءَ به. ورجالٌ صُيَّامٌ، ولغة تميم صُيَّم، والصَّوْمُ قيامٌ بلا عَمَل. وصامَ الفَرَسُ على آريِّه: إذا لم يعتَلِف. وصامَتِ الرِّيحُ إذا رَكَدَت. وصامَتِ الشمسُ: استَوَتْ في مُنْتَصَف النَّهار. ومصامُ الفَرَس: موقِفُه. والصَّومُ عُرَّة النَّعام، يقال: مَزَقَ النَّعامُ بصومه.

وبَكرةٌ صائمةٌ إذا قامَت فلم تَدُر، وقال الراجز: شَرُّ الدِّلاءِ الوَلغةُ المُلازِمَهْ والبَكَراتُ شَرُّهُنَّ الصائمهْ ويقال: رجل صَومٌ ورجلانِ صَوْمٌ وامرأةٌ صوْمٌ، ولا يُثَنَّى ولا يُجمَع لأنّه نعت بالمصدر، وتلخيصه: رجل ذو صَومٍ وامرأة ذات صَومٍ. ورجلٌ صَوّامٌ قَوّامٌ إذا كان يصومُ النهارَ ويقومُ الليْلَ.

ورجالٌ ونِساءٌ صُوَّمٌ وصُيَّم، وصُوّام وصُيّام، كل ذلك يقال والصّومُ: شجرٌ في لغة هُذيل.

قال الفيروزآبادي[3]: صامَ صَوْماً وصِياماً واصْطامَ: أمْسَكَ عن الطَّعامِ

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) القاموس المحيط.

والشَّرابِ والكَلامِ والنكاحِ والسَّيْرِ، وهو صائِمٌ وصَوْمانُ وصَوْمٌ جمعه: صُوَّامٌ وصُيَّامٌ وصُوَّمٌ وصُيَّمٌ وصِيَّمٌ وصِيامٌ وصَيامَى. وصامَ مَنِيَّتَهُ: ذاقَها، وصام النَّعامُ: رَمَى بِذَرْقِه، وهو صَوْمُه، وصام الرجُلُ: تَظَلَّلَ بالصَّوْمِ، لشجرةٍ كريهةِ المَنْظَرِ، وصام النهارُ: قامَ قائِمُ الظَّهيرَةِ. والصَّوْمُ: الصَّمْتُ، ورُكودُ الريحِ، ورَمَضانُ، والبيعَةُ. والصائِمُ: للواحِدِ والجميعِ. وأرضٌ صَوامٌ، كسحابٍ: يابِسَةٌ لا ماءَ بها. ومَصامُ الفَرَسِ ومَصامَتُه: مَوْقِفُه.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ [مريم: 26].

قال القرطبي[1]: ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ﴾ هذا جواب الشرط وفيه إضمار؛ أي فسألكِ عن ولدِك ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا﴾ أي صَمْتاً؛ قاله ابن عباس وأنس ابن مالك. وفي قراءة أبيّ بن كعب «إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْماً صَمْتاً». وروي عن أنس. وعنه أيضاً «وصمتاً» بواو، واختلاف اللفظين يدل على أن الحرف ذكر تفسيراً لا قرآناً؛ فإذا أتت معه واو فممكن أن يكون غير الصوم. والذي تتابعت به الأخبار عن أهل الحديث ورواة اللغة أن الصوم هو الصمت؛ لأن الصوم إمساك والصمت إمساك عن الكلام. وقيل: هو الصوم المعروف، وكان يلزمهم الصمت يوم الصوم إلا بالإشارة. وعلى هذا تخرج قراءة أنس «وصمتاً» بواو، وأن الصمت كان عندهم في الصوم ملتزماً بالنذر، كما أن من نذر منا المشي إلى البيت اقتضى ذلك الإحرام بالحج أو العمرة. ومعنى هذه الآية أن الله تعالى أمرها على لسان

(1) الجامع لأحكام القرآن.

جبريل عليه السلام - أو ابنها على الخلاف المتقدم - بأن تمسك عن مخاطبة البشر، وتحيل على ابنها في ذلك ليرتفع عنها خجلها، وتتبين الآيةُ فيقوم عذرها. وظاهر الآية أنها أبيح لها أن تقول هذه الألفاظ التي في الآية، وهو قول الجمهور.

قال الفخر الرازي[1]: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ فقال قوم: إنها ما تكلمت معهم بذلك لأنها كانت مأمورة بأن تأتي بهذا النذر عند رؤيتها فإذا أتت بهذا النذر فلو تكلمت معهم بعد ذلك لوقعت في المناقضة ولكنها أمسكت وأومأت برأسها، وقال آخرون: إنها ما نذرت في الحال بل صبرت حتى أتاها القوم فذكرت لهم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ وهذه الصيغة وإن كانت عامة إلا أنها صارت بالقرينة مخصوصة في حق هذا الكلام.

(1) التفسير الكبير.

صيص

(صَيَصَ - حَصَن - أَوَى - خَزَن - عَصَم - لَاذَ - التَّحَدَ)

- **الصَّيَصُ:** ما يتحصن به ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ [الأحزاب: 26].
- **الحِصْنُ:** سياج منيع يحيط بالمدينة يمنع اقتحامها من العدو ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: 2].
- **المَأْوَى:** المكان الآمن من كل ما تكره ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: 14-15].
- **المَخْزَنُ:** المكان الذي تحفظ فيه به الشيء الثمين ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 55].
- **العَاصِمُ:** الأماكن الرئيسية التي تعصم أهلها من الغزو ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: 43].
- **المَلَاذُ:** من تحتمي به لقوته فتقف خلفه ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ﴾ [النور: 63].
- **المُلْتَحَدُ:** مكان خفي إلى جانبك تستتر به عند الخوف ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: 27].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال الجوهري[1]: قال الأموي: الصيصُ: الحَشَفُ من التمر. والصيصُ والصيصاءُ: لغةٌ في الشيصِ والشيصاءِ. والصيصاءُ أيضاً: حَبُّ الحنظلِ الذي ليس في جوفه لُبٌّ. والصيصَةُ شوكةُ الحائك التي يُسوِّي بها السَّداةَ واللُّحمةَ.

ومنه صَيصِيَةُ الديك التي في رجليه. وصَياصي البقَرِ: قرونها. وربما كانت تركَّب في الرماح مكانَ الأسِنَّة. والصَّياصي: الحصونُ.

قال الفيروزآبادي[2]: الصِّيصُ، بالكسر: الشِّيصُ، كالصِّيصاءِ، وهي حَبُّ الحَنْظَلِ الذي ما فيه لُبٌّ. وقد صاصَتِ النَّخْلَةُ وصَيَّصَتْ وأصاصَتْ. والصِّيصَةُ، بالكسر: شَوْكَةُ الحائِكِ يُسَوِّي بها السَّدَى واللُّحْمَةَ، وشَوْكَةُ الدِّيكِ، وقَرْنُ البَقَرِ والظِّبَاءِ، والحِصْنُ، وكُلُّ ما امْتُنِعَ به جمعه: صَياصٍ، والراعي الحَسَنُ القِيامِ على مالِهِ، والوَدُّ يُقْلَعُ به التَّمْرُ.

قال ابن منظور[3]: أَصَاصَت النَّخْلة إِصَاصةً وصَيَّصَت تَصْيِيصاً إِذا صارت شِيصاً، قال: وهذا من الصِّيصِ لا من الصِّيصَاء، يقال: من الصِّيصَاء صَأْصَت صِيصَاءً. والصِّيصُ في لغة بلحرث بن كعب: الحَشَف من التمر. والصِّيصُ والصِّيصَاءُ: لُغةٌ في الشِّيصِ والشِّيصَاء. والصِّيصَاءُ حبُّ الحنظل الذي ليس في جوفه لُبٌّ؛ وأَنشد أَبو نصر لذي الرمة: وكائنْ تَخَطّتْ ناقَتِي من مَفازةٍ إِليك، ومن أَحْواض ماءٍ مُسَدَّمِ بأَرْجائه القِرْدان هَزْلى، كأَنها نوادِرُ صِيصَاء الهَبِيدِ المحَطَّمِ وصفَ ماءً بعِيد العهدِ بورُود الإِبل عليه فقِرْدانُه هَزْلى؛ قال ابن بري: ويروى بأَعْقارِه القردان، وهو جمع عُقْرٍ، وهو مقام الشاربة عند الحوض.

والصَّياصي: الحُصونُ. وكلُّ شيء امْتُنِع به وتُحُصِّنَ به، فهو صِيصةٌ، ومنه

---

(1) الصحاح في اللغة.
(2) القاموس المحيط.
(3) اللسان.

قيل للحصون: الصِّياصِي؛ قيل: شبَّه الرماحَ التي تُشْرَع في الفتنة وما يشبهها من سائر السلاح بقرون بقر مجتمعة؛ ومنه حديث أَبي هريرة: أَصحابُ الدجال شَوارِبُهم كالصَّياصي، يعني أَنهم أَطالُوها وفَتَلُوها حتى صارت كأَنها قرونُ بَقَرٍ. والصِّيصَة أَيضاً: الوَتِدُ الذي يقْلَع به التَّمْر، والصِّنّارةُ التي يُغْزَل بها ويُنْسَج.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ [الأحزاب: 26].

قال ابن عجيبة[1]: ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾؛ من حصونهم. والصيصة: ما يتحصّن به. قال الهروي: وكل ما يتحصّن به فهو صيصة، ويقال لقرون البقر والظبي: صَيَاصي؛ لأنها تتحصن بها، وفي وصف أصحاب الدجال: «شواربهم كالصياصي»، لطولها، وفتلها، فصارت كالقرون.

قال أبو السعود[2]: ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ من حصُونِهم، جمعُ صِيصِيَة وهي ما يُتحصَّن به، ولذلكَ يقالُ لقرنِ الثَّورِ والظَّبي وشوكةِ الدِّيكِ.

قال الماوردي[3]: ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ من حصونهم قال الشاعر:

فأصبحت النسوان عقرى وأصبحت نساء تميم يبتدرْن الصياصيا.

وسميت بذلك لامتناعهم بها، ومنه سميت قرون البقر صياصي لامتناعها بها، وسميت شوكة الديك التي في ساقه صيصية.

(1) البحر المديد.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) النكت والعيون.

ضبح

(ضَبَحَ - لَهَثَ)

■ **الضَّبْحُ:** صوت الفرس إذا ركض ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: 1].

■ **اللَّهْثُ:** صوت الكلب إذا عطش ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: 176].

* * *

النصوص اللغوية

قال ابن فارس[1]: الضاد والباء والحاء أصلانِ صحيحان: أحدهما صوتٌ، والآخَرُ تغيُّرُ لون من فعلِ نار. فالأَوَّل قولُهم: ضَبَحَ الثّعلبُ يَضْبَح ضَبْحاً.

وصَوْتُهُ الضُّبَاح، وهو ضابح.

فأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات 1]. فيقال: هو صوتُ أنفاسها، وهذا أقيَسُ، ويقال: بل هو عَدْوٌ فوق التَّقْريب. وهو في الأصل ضَبَع، وذلك أنْ يَمُدّ ضَبْعَيْهِ، حتى لا يجدَ مَزِيداً. وإن كان كذا فهو من الإبدال. وأمَّا الأصل الثاني فالضَّبْح: إحراقُ أعالي العُود بالنار. والضِّبْح الرَّماد. والحجارة المضبوحة

(1) معجم مقاييس اللغة.

هي قَدَّاحة النّار، التي كأنها محترقة. قال: ويقال: الانضباح تغيُّرُ اللون إلى السواد.

قال الجوهري[1]: ضَبَحَتِ الخيل ضَبْحاً، مثل ضَبَعَتْ، وهو السَّيْرُ. وقال غيره: تَضْبَحُ تَنْحَمُ، وهو صوت أنفاسها إذا عدوْن.

والضَّبْحُ أيضاً: الرَّماد. وضبَحَتْهُ النارُ: غيَّرتْهُ ولم تبالغ فيه.

وانْضَبَحَ لونه، أي تغيَّر إلى السواد قليلاً. والضُّباحُ: صوت الثعلب.

والمضْبُوحَةُ: حجارة القدَّاحة، التي كأنها محترقة.

قال الفيروزآبادي[2]: ضَبَحَ الخَيْلُ، كمَنَعَ، ضَبْحاً وضُباحاً: أَسْمَعَتْ من أفْواهِها صَوْتاً ليس بِصَهيلٍ ولا حَمْحَمَةٍ، أو عَدَتْ دونَ التَّقْريبِ، وضبح النارُ الشيءَ: غَيَّرَتْهُ، ولم تُبالِغْ فانْضَبَحَ. والضِّبْحُ، بالكسر: الرَّمادُ.

وكغُرابٍ: صَوْتُ الثَّعْلَبِ. والمَضْبوحَةُ: حِجارَةُ القَدَّاحَةِ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: 1].

قال الألوسي[3]: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ﴾ قسم بخيل الغزاة في سبيل الله تعالى التي تعدو - أي تجري بسرعة - نحو العدو وأصل العاديات العادوات بالواو فقلبت ياء لانكسار ما قبلها. وقوله تعالى: ﴿ضَبْحًا﴾ مصدر منصوب بفعله المحذوف أي تضبح أو يضبحن ضبحاً، والجملة في موضع الحال وضبحها صوت أنفاسها عند عدوها. وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس الخيل إذا عدت قالت: أح

(1) الصحاح في اللغة.
(2) القاموس المحيط.
(3) روح المعاني.

أح فذلك ضبحها. وأخرج ابن جرير عن علي كرم الله تعالى وجهه: الضبح من الخيل الحمحمة ومن الإبل التنفس. وفي «البحر» «تصويت جهير عند العدو الشديد ليس بصهيل ولا رغاء ولا نباح بل هو غير الصوت المعتاد من صوت الحيوان الذي ينسب هو إليه» وعن ابن عباس ليس يضبح من الحيوان غير الخيل والكلاب ولا يصح عنه فإن العرب استعملت الضبح في الإبل والأسود من الحيات والبوم والأرنب والثعلب وربما تسنده إلى القوس، أنشد أبو حنيفة في صفتها:

حَنَّانة من نَشَمٍ أو تألب تَضْبَحُ في الكَفِّ ضُبَاحَ الثعلبِ

وذكر بعضهم أن أصله للثعلب فاستعير للخيل كما في قول عنترة:

والخيل تكدح حين تضـ ـبح في حياض الموت ضبحا

وأنه من ضبحته النار غيرت لونه ولم تبالغ فيه ويقال: انضبح لونه تغير إلى السواد قليلاً، وقال أبو عبيدة: الضبح وكذا الضبع بمعنى العدو الشديد وعليه قيل إنه مفعول مطلق للعاديات وليس هناك فعل مقدر وجوز على تفسيره بما تقدم أن يكون نصباً على المصدرية به أيضاً لكن باعتبار أن العدو مستلزم للضبح فهو في قوة فعل الضبح ويجوز أن يكون نصباً على الحال مؤولاً باسم الفاعل بناءً على أن الأصل فيها أن تكون غير جامدة أي والعاديات ضابحات.

قال ابن عاشور(1): أقسم الله بـــ ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ جمع العادية، وهو اسم فاعل من العَدْو وهو السيْر السريع يطلق على سير الخيل والإبل خاصة. وقد يوصف به سير الإنسان وأحسب أنه على التشبيه بالخيل ومنه عَدَّاؤُو العرب، وهم أربعة: السُّلَيْك بن السُّلَكَة، والشَّنْفَرى، وتَأَبَّطَ شَرّاً، وعَمْرو بن أمية الضَّمْري. يضرب بهم المثل في العَدْو. وتأنيث هذا الوصف هنا لأنه من صفات ما لا يعقل. والضَّبح: اضطراب النفَس المتردد في الحنجرة دون أن يخرج من الفم وهو من

(1) التحرير والتنوير.

أصوات الخيل والسباع. وعن عطاء: سمعت ابن عباس يصف الضبح أحْ أحْ. وعن ابن عباس ليس شيء من الدواب يضبح غير الفرس والكلْب والثعلب، وهذا قول أهل اللغة واقتصر عليه في «القاموس». روى ابن جرير بسنده إلى ابن عباس قال: «بينما أنا جالس في الحِجْر جاءني رجل فسألني عن ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم ويُورون نارهم، فانفتل عني فذهب إلى علي بن أبي طالب وهو تحت سِقاية زمزم فسأله عنها، فقال: سألتَ عنها أحداً قبلي؟ قال: نعم، سألتُ ابن عباس فقال: الخيلُ تغزو في سبيل الله، قال: اذهب فادعُه لي، فلما وقفتُ عند رأسه. قال: تُفتي الناس بما لا علم لك به واللهِ لَكانتْ أول غزوة في الإِسلام لبدر وما كان معَنا إلا فَرسَان فرسٌ للزبير وفرس للمِقداد فكيف تكون العادياتِ ضَبحا، إنما العاديات ضَبحا الإبل من عَرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى (يعني بذلك أن السورة مكية قبل ابتداء الغزو الذي أوله غزوة بدر) قال ابن عباس: فنزعت عن قولي ورجعت إلى الذي قال علي».

وليس في قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تصريح بأنها مكية ولا مدنية وبمثل ما قال علي قَال ابن مسعود وإبراهيمُ ومجاهد وعُبيد بن عمير.

ضحك

(ضَحِكَ - بَسَمَ)

■ **الضَّحِكُ:** انبساط الوجه وتكشر الأسنان مع صوت ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ [هود: 71].

ويكون ذلك لواحد من ثلاثة:

للسرور: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [النجم: 43].

للتعجب: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ [هود: 71].

للسخرية: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: 110].

■ **الابْتِسَامُ:** بداية الشروع في الضحك لظهور الأسنان بدون صوت ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾.

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية

قال ابن فارس[1]: الضاد والحاء والكاف قريبٌ من الباب الذي قبله، وهو دليل الانكشاف والبروز. من ذلك الضَّحِك ضَحِك الإنسان. ويقال أيضاً: الضَّحْك، والأوّل أفصح. والضَّاحكة: كل سنٍّ تبدو من مُقَدَّم الأسنان والأضراس عند الضَّحِك. قال ابنُ الأعرابيّ: الضَّاحِك من السَّحاب مثلُ

(1) معجم مقاييس اللغة.

العارض، إلَّا أنَّه إذا بَرَقَ يقال فيه ضَحِك. والضَّحُوك الطَّريق الواضح. ويقال: أَضْحَكْتَ حوضَك، إذا ملأتَه حتى يفيض. قال ابن دُريد: الضَّاحك حجرٌ شديد البَرِيقِ يبدو في الجَبَل، أيَّ لونٍ كان. ويقال في باب الضَّحِك: الأُضحوكة ما يُضحِك منه. ورجلٌ ضُحْكة: يُضْحَك منه. وضُحَكَة يكثر الضَّحَك. فأمَّا الضَّحْك فيقال إنَّه العَسل.

ويقال هو البَلَح، قال الشَّيبانيُّ: الطَّلْعُ هو الكافور والضَّحْكُ جميعاً حين ينفتق.

قال الجوهري(1): ضَحِكَ يَضْحَكُ ضَحْكاً وضِحْكاً وضِحِكاً وضَحِكاً. أربع لغات. والضَّحكةُ المرَّة الواحدة.

وضَحِكَتْ به ومنه بمعنًى. وتَضاحَكَ الرجلُ واسْتَضْحَكَ بمعنًى. وأضْحَكَهُ الله.

ورجلٌ ضَحَكَةٌ، أي كثير الضَّحِكِ. وضُحْكَةٌ بالتسكين: يُضْحَكُ منه.

والأُضحوكَةُ: ما يُضْحَكُ منه. وامرأةٌ مِضحاك: كثيرةُ الضحِك.

قال الفيروزآبادي(2): ضَحِكَ، كعَلِمَ، وناسٌ يقولونَ: ضِحِكْتُ، بكسرِ الضادِ، ضَحْكاً، بالفتحِ وبالكسرِ، وبكسرتينِ، وككَتِفٍ، وتَضَحَّكَ وتَضاحَكَ،

فهو ضاحِكٌ وضَحَّاكٌ وضَحوكٌ ومِضْحاكٌ وضُحَكَةٌ، كهُمَزَةٍ وكحُزُقَّةٍ: كثيرُ الضَّحِكِ. وضُحْكَةٌ، بالضم: يُضْحَكُ منه. والضَّحَّاكُ، كشَدَّادٍ وهُمَزَةٍ: ذَمٌّ. والضُّحْكَةُ: أذَمُّ. وأضْحَكْتُه، وهُمْ يَتضاحَكونَ. والضاحِكَةُ: كلُّ سِنٍّ تَبْدو عندَ الضَّحِكِ، أو الأرْبَعُ التي بين الأنْيابِ والأَضْراسِ. والأُضْحوكَةُ: ما يُضْحَكُ منه. وضَحِكَتِ الأرْنَبُ، كفرِحَ: حاضَتْ، قيلَ: ومنه: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا﴾.

وضحك الرجُلُ: عَجِبَ، أو فَزِعَ، وضحك السَّحابُ: بَرَقَ، وضحك القِرْدُ: صَوَّتَ.

---

(1) الصحاح في اللغة. (2) القاموس المحيط.

المعنى المشترك لكلمة (ض ح ك)

وقد وردت كلمة (ضحك) في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

الوجه الأول: الضحك بمعنى: الحيض ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ [هود: 71].

الوجه الثاني: الضحك بمعنى: التعجب ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا﴾ [النمل: 19].

الوجه الثالث: الضحك بمعنى: الاستهزاء ﴿أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ۝٦٠﴾ [النجم: 59-60].

الوجه الرابع: الضحك بمعنى: الإعجاب ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ۝٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ۝٣٩﴾ [عبس: 38-39].

الوجه الخامس: الضحك بعينه ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾ [النجم: 43]. . أي أضحك أهل الجنة.

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [التوبة: 82].

قال الطبري(1): يقول تعالى ذكره: فرح هؤلاء المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله، فليضحكوا فرحين قليلاً في هذه الدنيا الفانية بمقعدهم خلاف رسول الله ولهوهم عن طاعة ربهم، فإنهم سيبكون طويلاً في جهنم مكان ضحكهم القليل

(1) جامع البيان.

في الدنيا ﴿جَزَآءَۢ﴾ يقول: ثواباً منالهم على معصيتهم بتركهم النفر إذ استنفروا إلى عدوّهم وقعودهم في منازلهم خلاف رسول الله. ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ يقول: بِما كانوا يجترحون من الذنوب.

وقيل: ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا﴾ ليضحكوا قليلاً في الدنيا، ﴿وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا﴾ في الآخرة في نار جهنم، ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾.

قال القرطبي[1]: فيه مسألتان:

الأولىٰ - قوله تعالىٰ: ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا﴾ أمرٌ، معناه معنىٰ التهديد وليس أمراً بالضحك. والأصل أن تكون اللام مكسورة فحذفت الكسرة لثقلها. قال الحسن: ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا﴾ في الدُّنْيَا «وَلْيَبْكُوا كَثِيراً» في جهنم. وقيل: هو أمر بمعنىٰ الخبر. أي إنهم سيضحكون قليلاً ويبكون كثيراً. ﴿جَزَآءَۢ﴾ مفعول من أجله؛ أي للجزاء.

الثانية - من الناس من كان لا يضحك اهتماماً بنفسه وفساد حاله في اعتقاده من شدّة الخوف، وإن كان عبداً صالحاً. قال ﷺ: «**والله لو تعلمون ما أعلم لضحِكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله تعالىٰ لوددت أني كنت شجرة تُعْضَد**» خرجه الترمذيّ. وكان الحسن البصريّ رضي الله عنه ممن قد غلب عليه الحزن فكان لا يضحك. وكان ابن سِيرِين يضحك ويحتجّ على الحسن ويقول: الله أضحك وأبكىٰ. وكان الصحابة يضحكون؛ إلا أن الإكثار منه وملازمته حتى يغلب على صاحبه مذموم منهيّ عنه، وهو من فعل السفهاء والبطالة. وفي الخبر: «**أن كثرته تميت القلب**» وأما البكاء من خوف الله وعذابه وشدّة عقابه فمحمود؛ قال عليه السلام: «**ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سُفُناً أجريت فيها لجرت**» خرّجه ابن المبارك من حديث أنس، وابن ماجه أيضاً.

(1) الجامع لأحكام القرآن.

● **قال تعالى:** ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: 19].

قال الفخر الرازي[1]: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ يعني تبسم شارعاً في الضحك (وآخذاً فيه)، بمعنى أنه قد تجاوز حد التبسم إلى الضحك، وإنما ضحك لأمرين: أحدهما: إعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده (وشفقتهم) وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى، وذلك قولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 9] والثاني: سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحداً من سماعه لكلام النملة وإحاطته بمعناه.

قال أبو السعود[2]: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ تعجباً من حذرها واهتدائِها إلى تدبير مصالحِها ومصالح بني نوعِها وسروراً بشهرة حالِه وحالِ جنودِه في بابِ التَّقوى و الشَّفقةِ فيما بين أصنافِ المخلوقاتِ التي هي أبعدُها من إدراك أمثالِ هذه الأمورِ وابتهاجاً بما خصَّه الله تعالى به من إدراك همسِها وفهم مُرادِها. رُوي أنَّها أحسَّتْ بصوتِ الجنودِ ولا تعلمُ أنَّهم في الهواءِ فأمرَ سليمانُ عليه السلام الريحَ فوقفتْ لئلَّا يذعَرنَ حتَّى دخلن مساكنهنَّ.

● **قال تعالى:** ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: 110].

قال الألوسي[3]: ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ وذلك غاية الاستهزاء، وقيل: التعليل على معنى إنما خسأناكم كالكلب ولم نحتفلكم إذ دعوتم لأنكم استهزأتم غاية الاستهزاء بأوليائي حين دعوا واستمر ذلك منكم حتى نسيتم ذكري بالكلية ولم تخافوا عقابي فهذا جزاؤكم، وقيل: خلاصة معنى الآية أنه كان فريق من عبادي يدعون فتشاغلتم بهم ساخرين واستمر تشاغلكم باستهزائهم إلى أن جركم ذلك إلى ترك ذكري في أوليائي فلم تخافوني في الاستهزاء بهم، ثم قيل: وهذا

---

(1) التفسير الكبير.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) روح المعاني.

التذنيب لازم ليصح قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ [المؤمنون: 109] إلخ تعليلاً ويرتبط الكلام ويتلاءم مع قوله سبحانه: ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ ولو لم يرد به ذلك يكون إنساء الذكر كالأجنبي في هذا المقام، وفيه تسخط عظيم لفعلهم ذلك ودلالة على اختصاص بالغ لأولئك العباد المسخور منهم كما نبه عليه أولاً في قوله تعالى: ﴿مِّنْ عِبَادِى﴾ [المؤمنون: 109] وختمه بقوله سبحانه: ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون: 111] وزاد في خسئهم بإعزاز أضدادهم.

قال الشعراوي[1]: ويا ليت الأمر توقّف عند هذا الحد من السخرية، إنما تعداه إلى أن يضحكوا من أهل الإيمان، ويُضحِكوا أهلهم ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ وفي الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ﴾ [المطففين: 31] وسخرية أهل الباطل من أهل الحق موجودة في كل زمان، وحتى الآن نرى مَنْ يسخرون من أهل الاستقامة والدين والورع ويتندَّرون بهم.

● **قال تعالى**: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ [الزخرف: 47].

قال الطنطاوي[2]: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ أي: فحين جاء موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه بآياتنا الدالة على قدرتنا سارعوا إلى الضحك والسخرية بها، بدون تأمل أو تدبر، شأن المغرورين الجهلاء.

فقوله تعالى: ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ جواب (لما) والتعبير يشير إلى مسارعتهم إلى السخرية والاستخفاف بالآيات التي جاء بها موسى عليه السلام، مع أن هذه الآيات كانت تقتضي منهم التدبر والتفكر لو كانوا يعقلون.

قال القشيري[3]: قوله جلّ ذكره: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزخرف: 46-47].

---

(1) تفسير الشعراوي.
(2) الوسيط في تفسير القرآن.
(3) لطائف الإشارات.

كرَّر قصةَ موسَى غيرَ مرةٍ في القرآن، وأعادَها هنا مجملةً؛ أرسلناه بدلائلنا، أرسلناه بحجةٍ ظاهرةٍ قاهرةٍ، أرسلناه بالمعجزات إلى فرعون وقومه من القبط، فقوبل بالهزء والضحك والتكذيب. ومع أنَّ اللهَ سبحانه لم يُجْرِ عليه من البيِّنات شيئاً إلا كان أوضحَ مما قبله إلا أنهم لم يقابلوه إلا بجفاءٍ أَوْحَشَ مما قبله. فلمَّا عضَّهم الأمرُ قالوا: يا أيها الساحرُ، ادْعُ لنا ربَّك ليكشف عنَّا البليَّةَ لنؤمِنَ بك، فدعا موسى... فكشف اللهُ عنهم، فعادوا إلى كفرهم، ونقضوا عَهْدَهُم.

● **قال تعالى:** ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النجم: 59-60]

قال البغوي[1]: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ [النجم: 59]، يعني القرآن، ﴿تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ﴾، يعني: استهزاءً.

قال الفخر الرازي[2]: قيل: من القرآن، ويحتمل أن يقال: هذا إشارة إلى حديث: ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾ [النجم: 57] فإنهم كانوا يتعجبون من حشر الأجساد وجمع العظام بعد الفساد.

وقوله تعالى: ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ يحتمل أن يكون المعنى وتضحكون من هذا الحديث، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ [الزخرف: 47]. في حق موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانوا هم أيضاً يضحكون من حديث النبي والقرآن، ويحتمل أن يكون إنكاراً على مطلق الضحك مع سماع حديث القيامة، أي أتضحكون وقد سمعتم أن القيامة قربت، فكان حقاً أن لا تضحكوا حينئذ.

قال ابن كثير[3]: ﴿تَعْجَبُونَ﴾ من أن يكون صحيحاً ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ منه استهزاء وسخرية.

---

(1) معالم التنزيل.
(2) التفسير الكبير.
(3) تفسير ابن كثير.

ضحى

(ضَحى - شُـــرُوق - غُرُوب - زَوَال)

■ **الضُّحَى:** ارتفاع الشمس ما بين الشروق إلى الاستواء ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى: 1-2].

■ **الشُّرُوقُ:** أول طلوع الشمس ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ [مريم: 16].

■ **الغُرُوبُ:** اختفاء الشمس من الأفق ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الكهف: 86].

■ **الزَّوَالُ:** بداية ميلان الشمس عن خط الاستواء باتجاه الغروب ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ﴾ [إبراهيم: 44].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الضاد والحاء والحرف المعتل أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلُّ على بُروز الشيء. فالضَّحَاء: امتداد النَّهار، وذلك هو الوقت البارز المنكشف. ثمَّ يقال للطعام الذي يُؤكل في ذلك الوقت: ضَحاء. قال: ويقال ضحِي الرَّجلُ يَضْحَى، إذا تعرَّضَ للشَّمْس، وضَحَى مثلُهُ. ويقال: اضْحَ يا زيد، أي ابرُزْ للشَّمْس. والضَّحِيَّة معروفة، وهي الأُضْحِيَّة. قال الأصمعي: فيها أربع لغات: أُضْحِيَّة وإضْحيَّة، والجمع أضَاحِيّ؛ وضَحِيَّة، والجمع ضحايا؛ وأَضْحاةٌ، وجمعها أُضْحىً. قال الفرّاءُ: الأَضْحَى مؤنّثة وقد تذكّر، يُذهَب بها إلى اليوم.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

وإنما سُمِّيت بذلك لأنَّ الذّبيحة في ذلك اليوم لا تكون إلّا في وقت إشراق الشَّمس. ويقال: ليلَةٌ إضحيَانةٌ وضَحْيَاءُ، أي مضيئةٌ لا غيمَ فيها. ويقال: هم يتضحَّوْنَ، أي يتغدَّوْن. والغَداء: الضَّحاء. ومن ذلك حديث سلمة بن الأكوع: «**بينا نحن مع رسول الله ﷺ نتضَحَّى**»، يريد نتغدَّى. وضاحية كلِّ بلدةٍ: ناحيتُها البارزة. يقال: هم ينزلون الضَّوَاحيَ.

ويقال: فعل ذلك ضاحيةً، إذا فعله ظاهراً بيّناً. ويقال للسَّماوات كلِّها الضَّواحي.

قال الجوهري[1]: ضَحْوَةُ النهار بعد طلوع الشمس، ثم بعده الضُّحا، وهي حين تشرق الشمس، مقصورة تؤنّث وتذكّر. والضَّحاءُ أيضاً: الغَدَاء، وإنّما سمِّي بذلك لأنه يؤكل في الضَّحاء.

تقول منه: هم يَتَضَحَّونَ: أي يتغدَّون. وليلةٌ ضَحْياءُ: مضيئةٌ لا غيمَ فيها. وكذلك ليلةٌ إضْحِيانَةٌ بالكسر. والأضحَى من الخيل: الأشهب، والأنثى: ضَحْياء. وضاحِيَةُ كلِّ شيء: ناحيتُه البارزة. ويقال: هم ينزلون الضَّواحِيَ. ومكانٌ ضاحٍ، أي بارز. ويقال: فعل ذلك الأمر ضاحِيَةً، أي علانيةً. والضَّواحي: السمٰوات.

قال الأصمعي: ويستحبّ من الفرس أن يَضْحا عِجانُهُ، أي يظهر. قال أبو زيد: ضَحا الطريق يَضْحو ضَحْواً، إذا بدا لك وظهر.

وضَحيتُ بالكسر ضَحًى: عرقت. وضَحيتُ أيضاً للشمس ضَحاءً ممدودٌ، إذا برزْتَ لها. وضَحَيْتُ بالفتح مثله. والمستقبل أضْحى في اللغتين جميعاً. وتقول: أَضْحى فلانٌ يفعل كذا، كما تقول: ظلّ يفعل كذا. وضَحَّى فلانٌ غنمَه: أي رعاها بالضُّحا. ويقال أيضاً: ضَحَّى بشاةٍ من الأُضْحِيَّةِ، وهي شاة تذبح يوم الأضحى. **قال الأصمعي**: وفيها أربع لغات إضْحِيَّةٌ وأُضْحِيَّةٌ والجمع أضاحِيُّ،

(1) الصحاح في اللغة.

وضَحِيَّةٌ والجمع ضحايا، وأَضْحاةٌ والجمع أضْحًى. وبها سمّي يوم الأضْحى. وضَحَّيْتُ عن الشيء: رفقت به. وضَحِّ رويداً، أي لا تعجَلْ.

المعنى المشترك لكلمة (ض ح ى)

وقد وردت كلمة (ضحى) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: الضحى بمعنى: النهار ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف: 98].

الوجه الثاني: الضحى: إذا ترجل النهار أو ساعة منه ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى: 1-2].

الوجه الثالث: الضحى بمعنى: حر الشمس ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: 1].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: 59].

قال ابن عاشور[1]: ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ تعيين للمكان، وقوله: ﴿ضُحًى﴾ تقييد لمطلق الوقت. والضحى: وقت ابتداء حرارة الشمس بعد طلوعها.

ويوم الزينة كان يوم عيد عظيم عند القبط، وهو يوم كسر الخليج أو الخِلجان، وهي المنافذ والترع المجعولة على النيل لإرسال الزائد من مياهه إلى الأرضين البعيدة عن مجراه للسقي، فتنطلق المياه في جميع النواحي التي يمكن وصولها إليها ويزرعون عليها.

(1) التحرير والتنوير.

وزيادة المياه في النيل هو توقيت السنة القبطيّة، وذلك هو أول يوم من شهر (توت) القبطي، وهو (أيلول) بحسب التاريخ الإسكندري، وذلك قبل حلول الشمس في برج الميزان بثمانية عشر يوماً، أي قبل فصل الخريف بثمانية عشر يوماً، فهو يوافق اليوم الخامس عشر من شهر تشرين (سبتمبر). وأول أيام شهر (توت) هو يوم النيروز عند الفرس، وذلك مبني على حساب انتهاء زيادة النيل لا على حساب بروج الشمس.

واختار موسى هذا الوقت وهذا المكان لأنه يعلم أن سيكون الفلَجُ له، فأحبّ أن يكون ذلك في وقت أكثرَ مشاهِداً وأوضح رؤيةً.

قال الشعراوي(1): ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ أي: ضاحين، ويوم الزينة يمكن أن يكون في الصباح الباكر، أو في آخر النهار، لكن موسى متمكّن واثق من الفوز، يريد أن يتم هذا اللقاء في وضح النهار، حتى يشهده الجميع.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: 118-119].

قال ابن عجيبة(2): قال تعالى له: ﴿إِنَّ لَكَ﴾ يا آدم ﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ من فقد اللباس، ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ﴾: لا تعطش ﴿فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾؛ تبرزُ للشمس فيؤذيك حرها، إذ ليس في الجنة شمس ولا زمهرير والعدول عن التصريح له بما في الجنة من فنون النعم من المآكل والمشارب، والتمتع بأصناف الملابس البهية والمساكن المرضية - مع أن فيها من الترغيب في البقاء فيها ما لا يخفى - إلى ما ذكر من نفي نقائضها، التي هي الجوع والعطش والعري والضحو؛ لتنفير تلك الأمور المنكرة؛ ليبالغ في التحامي عن السبب المؤدي إليها، على أن الترغيب قد حصل له بما أباح له من التمتع بجميع ما فيها، سوى ما استثنى من الشجرة،

(1) تفسير الشعراوي. (2) البحر المديد.

حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: 35]، وقد طوي ذكرها هنا؛ اكتفاءً بما في موضع آخر، واقتصر هناك على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب، ونفي الجوع وما بعده عن أهل الجنة لأنهم لا يُعْوزون طعامًا ولا شرابًا ولا كِنًّا، بل كلما تمتعوا بشيء مما ذكر، أتبعهم بأمثاله أو أفضل منه، من غير أن ينتهوا إلى حد الضرورة.

قال مقاتل[1]: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا﴾ يعني لا تعطش في الجنة ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ يقول: لا يصيبك حر الشمس، فيؤذيك فتفرق.

● **قال تعالى**: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: 29].

قال القرطبي[2]: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أي جعله مظلماً؛ غَطِشَ الليلُ وأغطشُه الله؛ كقولك: ظَلِم الليلُ وأظلمه الله. ويقال أيضاً: أغطشَ الليلُ بنفسه، وأغطشه الله؛ كما يقال: أظلَم الليلُ، وأظلمه الله. والغَطَش والغَبَش: الظلمة. ورجل أغطَش: أي أعمى، أو شبيه به، وقد غَطِش، والمرأة غَطْشاء؛ ويقال: ليلة غَطْشاء، وليلٌ أغطش، وفلاة غَطْشَى لا يُهْتَدَى لها؛ قال الأعشى:

ويَهْماءَ بالليلِ غطشَى الفَلا ... ةِ يؤنسني صوتُ فَيادِها

وقال الأعشى أيضاً:

عَقَرْتُ لهمْ مَوْهِناً ناقتِي ... وغامِرُهُمْ مدلهِمٌّ غَطِشْ

يعني بغامرهم ليلهم، لأنه غمرهم بسواده. وأضاف الليل إلى السماء لأن الليل يكون بغروب الشمس، والشمس مضاف إلى السماء؛ ويقال: نجوم الليل، لأن ظهورها بالليل. ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ أي أبرز نهارَها وضوءها وشمسها. وأضاف الضُّحا إلى السماء كما أضاف إليها الليل؛ لأن فيها سبب الظلام والضياء وهو غروب الشمس وطلوعها.

---

(1) تفسير مقاتل.

(2) الجامع لأحكام القرآن.

قال البيضاويّ[1]: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه منقول من غطش الليل إذا أظلم، وإنما أضافه إليها لأنه يحدث بحركتها. ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ وأبرز ضوء شمسها. كقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: 1] يريد النهار.

● **قال تعالى**: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: 46].

قال الفخر الرازي[2]: وتفسير هذه الآية قد مضى ذكره في قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: 35] والمعنى أن ما أنكروه سيرونه حتى كأنهم أبداً فيه وكأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار ثم مضت (فَإِنْ قِيلَ) قوله: ﴿أَوْ ضُحَاهَا﴾ معناه ضحى العشية وهذا غير معقول لأنه ليس للعشية ضحى: (قُلْنَا) الجواب عنه من وجوه أحدها: قال عطاء عن ابن عباس: الهاء والألف صلة للكلام يريد لم يلبثوا إلا عشية أو ضحى وثانيها: قال الفراء والزجاج: المراد بإضافة الضحى إلى العشية إضافتها إلى يوم العشية كأنه قيل: إلا عشية أو ضحى يومها، والعرب تقول: آتيك العشية أو غداتها على ما ذكرنا وثالثها: أن النحويين قالوا يكفي في حسن الإضافة أدنى سبب، فالضحى المتقدم على عشية يصح أن يقال: إنه ضحى تلك العشية، وزمان المحنة قد يعبر عنه بالعشية وزمان الراحة قد يعبر عنه بالضحى، فالذين يحضرون في موقف القيامة يعبرون عن زمان محنتهم بالعشية وعن زمان راحتهم بضحى تلك العشية فيقولون: كأن عمرنا في الدنيا ما كان إلا هاتين الساعتين، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال الطبري[3]: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ يقول جلّ ثناؤه: كأن هؤلاء المكذّبين بالساعة، يوم يرون أن الساعة قد قامت، من عظيم هولها، لم يلبثوا في الدنيا إلا عشية يوم، أو ضحا تلك العشية والعرب تقول: آتيك العشية أو غدَاتَها، وآتيك الغداةَ أو عشيتها، فيجعلون معنى الغداة، بمعنى أوّل النهار،

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) التفسير الكبير.
(3) جامع البيان.

والعشية: آخر النهار، فكذلك قوله: ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ إنما معناها إلا آخر يوم أو أوّله، وينشد هذا البيت:

نَحْنُ صَبَحْنا عامِراً فِي دَارِها عَشِيَّةَ الهِلالِ أَوْ سِرَارِها

يعني: عشية الهلال، أو عشية سرار العشية. حدثنا بشر، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: 1].

قال أبو حيان(1): ولما تقدّم القسم ببعض المواضع الشريفة وما بعدها، أقسم هنا بشيء من العالم العلوي والعالم والسفلي، وبما هو آلة التفكر في ذلك، وهو النفس. وكان آخر ما قبلها مختتماً بشيء من أحوال الكفار في الآخرة، فاختتم هذه بشيء من أحوالهم في الدنيا، وفي ذلك بمآلهم في الآخرة إلى النار، وفي الدنيا إلى الهلاك المستأصل. وتقدم الكلام على ضحى في سورة طه عند قوله: ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: 59] وقال مجاهد: هو ارتفاع الضوء وكماله. وقال مقاتل: حرها لقوله ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: 119] وقال قتادة: هو النهار كله، وهذا ليس بجيد، لأنه قد أقسم بالنهار. والمعروف في اللغة أن الضحى هو بعيد طلوع الشمس قليلاً، فإذا زاد فهو الضحاء، بالمد وفتح الضاد إلى الزوال، وقول مقاتل تفسير باللازم. وما نقل عن المبرد من أن الضحى مشتق من الضح، وهو نور الشمس، والألف مقلوبة من الحاء الثانية؛ وكذلك الواو في ضحوة مقلوبة عن الحاء الثانية، لعله مختلق عليه، لأن المبرد أجل من أن يذهب إلى هذا، وهاتان مادتان مختلفتان لا تشتق إحداهما من الأخرى.

قال الثعالبي(2): أَقْسَمَ اللهُ تعالى بالشمسِ: إما على التنبيهِ منها على الاعتبارِ

(1) البحر المحيط. (2) الجواهر الحسان.

المؤَدِّي إلى معرفةِ اللهِ تعالى، وإما على تقديرِ ورَبِّ الشمسِ، والضُّحَى - بالضم والقصرِ -: ارتفاعُ ضوء الشمسِ وإشراقُه، قاله مجاهد وقال مقاتل: ﴿ضُحَىٰهَا﴾ حَرُّها كقوله في طه: ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: 119] والضَّحَاءُ - بفتح الضادِ والمَدِّ -: ما فَوْقَ ذلك إلى الزَّوالِ، والقَمَرُ يَتلو الشمسَ من أول الشّهرِ إلى نصفِه في الغروبِ تغربُ هي ثم يغربُ هو، ويتلُوها في النصفِ الآخر بنحو آخرَ وهو أن تغربَ هي فيطلعُ هو.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى: 1-2].

قال الشوكاني[1]: والمراد بالضحى هنا: النهار كله، لقوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ فلما قابل الضحى بالليل دلّ على أن المراد به النهار كله لا بعضه. وهو في الأصل اسم لوقت ارتفاع الشمس، كما تقدّم في قوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: 1]. والظاهر أن المراد به الضحى من غير تعيين. وقال قتادة، ومقاتل، وجعفر الصادق: إن المراد به الضحى الذي كلم الله فيه موسى، والمراد بقوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ ليلة المعراج. وقيل: المراد بالضحى هو الساعة التي خرّ فيها السحرة سجداً، كما في قوله: ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: 59]. وقيل: المقسم به مضاف مقدّر، كما تقدّم في نظائره، أي: وربّ الضحى. وقيل تقديره: وضحاوة الضحى، ولا وجه لهذا، فللّه سبحانه أن يقسم بما شاء من خلقه. وقيل: الضحى نور الجنة، والليل ظلمة النار. وقيل: الضحى نور قلوب العارفين، والليل سواد قلوب الكافرين. ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أي: سكن، كذا قال قتادة، ومجاهد، وابن زيد، وعكرمة، وغيرهم: يقال: ليلة ساجية، أي: ساكنة، ويقال للعين إذا سكن طرفها ساجية، يقال: سجا الشيء يسجو سجواً: إذا سكن. قال عطاء: سجا إذا غطي بالظلمة. وروى ثعلب عن ابن الأعرابي: سجا امتدّ ظلامه. **وقال الأصمعي**: سجو الليل تغطيته النهار، مثل ما يسجى الرجل بالثوب. وقال

(1) فتح القدير.

الحسن: غشي بظلامه. وقال سعيد بن جبير: أقبل. وقال مجاهد: أيضاً استوى، والأوّل أولى، وعليه جمهور المفسرين وأهل اللغة.

قال الألوسي[1]: تقدم الكلام فيه. والمراد به هنا وقت ارتفاع الشمس الذي يلي وقت بروزها للناظرين دون ضوئها وارتفاعها لأنه أنسب بما بعد، وتخصيصه بالإقسام به لأنه شباب النهار وقوله فيه قوة غير قريبة من ضدها ولذا عد شرفاً يومياً للشمس وسعداً ولأنه على ما قالوا الساعة التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام وأُلقي فيه السحرة سجداً لقوله تعالى: ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ ففيه مناسبة للمقسم عليه وهو أنه تعالى لم يترك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه إلطافه تعالى وتكليمه سبحانه. وقيل المراد به النهار كما في قوله تعالى: ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾ [الأعراف: 98] واعترض بالفرق فإنه وقع هناك في مقابلة البيات وهو مطلق الليل وهنا في مقابلة الليل مقيداً معنى باشتداد ظلمته فالمناسب أن يراد به وقت ارتفاعه وقوة إضاءته وأجيب بمنع دلالة القيد على الاشتداد وستسمع إن شاء الله تعالى ما في ذلك وأياً ما كان فالظاهر أن المراد الجنس أي وجنس الضحى.

---

(1) روح المعاني.

ضد

(ضِدّ - خَصْم - جَدَلْ - نَزَع)

■ **الضِّدُّ:** كلّ شيءٍ ضادَّ شيئاً ليغلبَه ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: 82].

■ **الخِصَامُ:** المفاوضة لإثبات حق متنازع عليه ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [ص: 22].

■ **الجِدَالُ:** مفاوضة على سبيل المغالية لإثبات الحق ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: 54].

■ **النِّزَاعُ:** المجاذبة القائمة على إنكار ما يقول الآخر ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: 59].

❋ ❋ ❋

شرح المعاني:

1 - **الضد**: كلمة ضد كأن نقول: ضد فلان أي لم يكن ضده أو لم يكن عدوه بل كان صديقاً له فانقلب حتى صار ضده حينئذٍ ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: 67] وسوف نرى يوم القيامة أن كثيراً من الذين كانوا في الدنيا متوافقين بعضهم ينقلب على بعض انقلاباً كاملاً. وفي كتاب الله عز وجل صور كثيرة لهذا الانقلاب يوم القيامة.

فالضد إذن عدواً كان موافقاً حميماً ثم انقلب عليك لأمر ما فصار ضداً.

2 - **الخصم**: عدو أساسه تبادل التهمة فيما بينكما للتمسك بالرأي.

اثنان بينهما خلاف على شيء سواء كان مادياً أو فكرياً أو معنوياً وكلٌ منهما متمسك برأيه ويسوق الأدلة لنفسه والتهم لصاحبه تسمى هذه خصومة ﴿وَهَلْ أَتَنٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ [ص: 21-23].

إذن هناك قضية واثنان متخاصمان عليها وكل واحد يتهم الآخر ويسوق الأدلة على رأيه تسمى هذه خصومة.

3 - **اللدود**: خصم لا أمل مطلقاً في إصلاحه. هناك خصومات من المستحيل أن تنتهي إلى يوم القيامة كهذه الآية ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: 97]. قوم لا يمكن أن يؤمنوا بك ولا أن يصافوك، ناهيك أن يكونوا أتباعاً وهذه من عجائب هذا الكون، أقدار لا تفهم سرّها كما قال تعالى في كتابه العزيز أن جميع أهل الديانات سوف يحاربون الإسلام والمسلمين بشكل غير موضوعي ولا أمل في أن يتغير ذلك كما قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: 120]، ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: 2].

وهذا هو الذي وقع منذ أن جاء الإسلام وسوف يبقى ليوم القيامة ولا أمل في تغييره بأي حال ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: 186] رغم أن الديانة الوحيدة التي تؤمن بجميع الديانات السماوية إيماناً عميقاً وقوياً وحساساً هو الإسلام وجميع الديانات التي في القرآن أرضيّها وسماويها تتآلف مع اليهود والنصارى والبوذيين والوثنيين والملحدين إلا مع المسلم؛ هذا المسلم الموحد الذي يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين أحد من رسله فلا يوجد فرق شعرة بين محمد وموسى ومحمد وعيسى عليهم السلام ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ

﴿وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 84].

وفي آخر كلمة قالها النبي ﷺ قبل أن يموت: «**أوصيكم بذمة محمد خيراً**» وهم اليهود والنصارى فهؤلاء أمانة عندي، ذمتي فأوصيكم بهم خيراً والأحكام الفقهية في هذا الدين تحذر من أن يمس المسلم يهودياً أو مسيحياً بأي كلمة، بأي أداة «**لعن الله من آذى ذمياً**».

وليس للمسلم حماية في أرض الإسلام كالحماية التي أوجبها الله تعالى لليهود والنصارى ولغير المسلمين عموماً في ديار الإسلام ومع هذا كله هذا العداء الذي لا أمل في زواله وكلما تمكنت قبضتهم من المسلمين أشبعوهم قتلاً وذلاً وإبادةً وأذى. فهذا هو القدر الذي لا تفهمه فلماذا المسلمون وحدهم؟ هكذا أراد الله عز وجل حتى تتبع ملتهم. هذا هو العدو الألد ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: 97] لا أمل في أن يهادنوكم يوماً رغم هذا أمر الله سبحانه وتعالى بإنذارهم لكي يقيم عليهم الحجة مثل فرعون ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [النازعات: 17].

والله يعلم أنه لن يؤمن ولكن ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: 165].

فعليك أن تعمل حسابك أن الأمر على هذا الحال، ومع هذه الوصايا للمسلمين بحسن الرعاية وبالإيمان بموسى وعيسى، وبإكرام اليهود والنصارى وأهل الكتاب، بل إن الله تبارك وتعالى نقل لكم كثيراً من أحكام أهل الكتاب وأن القرآن ما هو إلا مكمل للتوراة والإنجيل وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: 44] لكن لا أمل رغم كل هذا لكي يكون وعد الله حقّاً ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: 122].

4 - **العدو**: من العد، والعد تجاوز الحد، التجاوز ومنافاة الالتئام، كل شيء تتجاوزه فقد عدوت عنه إذا كان في المشي فهو عَدْوٌ ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ

يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 108] إذا كان في القلب فهو عداوة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [المائدة: 91]، في القلب، إذا تجاوزت الحق فهو اعتداء ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 194] هناك حق لك عندي لكن تجاوزته كالاعتداء في الدعاء ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190] في الدعاء والدعاء طبعاً مشروع فلك الحق أن تدعو الله لكن أن تصرخ في الدعاء هذا فيه اعتداء على الله. فأنت لك بعض الحق ولكنك تجاوزته يسمى اعتداء، وإذا لم يكن لك فهذا يسمى العدوان - يا لها من دقة من لغة دقيقة - ولا عدوان إلا على الظالمين ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: 2] وكل شيء نحن مأمورون بالعفو عنه إلا العدوان.

والعدوان يعني احتلال، استعمار، هجوم، انتهاك أعراض، سرقة أموال، قطاع طرق، فهذه الجرائم الرهيبة سواء كانت جرائم دولية كما يجري على المسلمين في كل مكان أو جرائم في ديار المسلمين من قطع طريق إلى انتهاك الأعراض إلى ما شاكل ذلك هذا الذي لا ينبغي أن يُعفا عنه.

فماذا تقول لمن يعفو عن محتل بلاده أو محتل بيته أو منتهك عرضه إلا أنه جبان وخسيس، فالعفو في مثل هذه الحالات يرتب انحطاطاً إنسانياً بإجماع البشرية كلها فأنت تبذل نفسك في الدفاع عن مالك «**من مات دون ماله فهو شهيد ومن مات دون عرضه فهو شهيد**» وكذلك من مات دون وطنه ونفسه هذه التي يدافع عنها الإنسان وهذا هو الغضب المقدس.

إذن هذا هو الفرق بين هذه الكلمات التي هي كلمات المواجهة بين اثنين والمواجهة بين بني آدم قدر وقانون لا فكاك منه ولا سلام في هذه الأرض إلا يوم القيامة ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: 46].

فرب العالمين من ساعة أن ندخل الجنة يقول: حققت لكم فيها أمرين السلام

والأمن وهما أمران لم يكونا متاحين لكم في الدنيا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82]. أعظم النعم يوم القيامة أنك أنت آمن ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 62] وأنك خالد وأنك تُلقّى بالسلام الملائكة ورب العالمين وبعضكم بعض ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: 23-24] السلام الحقيقي فلا خوف عليكم بعد اليوم ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38] هذه هي المنظومة، طبعاً قلنا أن كل هؤلاء العدو أو الخصم لهم صفات:

عدو عنيد، وعدو عصي، وعدو مشاكس، المشاكس الذي لا أخلاق له فأنت قد يكون لك خصم وهذا الخصم عنده دين يردعه، عنده أخلاق، عنده أصل، من أصل طيب، العرف الاجتماعي، احترامه لنفسه لكونه متعلماً أو كونه من العائلة الفلانية يستحي، عنده دين، يخاف من الله فهناك روادع تردعه فهو منضبط بضوابط أخلاقية أو قانونية أو من أصل من عشيرة أو من تربية أو من ثقافة، هذا خصم لكن له قيم فإذا تجرد هذا الإنسان الذي هو خصمك من كل قيمة فهو حيوان كاسر فليس لديه دين ولا أخلاق ولا أصل ولا مروءة ولا خوف من الله وليس لديه عرف ولا ثقافة ولا أي شيء، ولو التفت بك كوبرا أرحم عليك من هذا الخصم وهذا يسمى المتشاكس ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ [الزمر: 29].

5 - **العنيد**: هو الذي لا يلين بالحجة فتريه الحجة وتقول له هذه آية ولكنه لا يقبل ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ [المدثر: 16] إعجاباً برأيه فهو معتز برأيه بجاهلية وحمق وغباء. والفرق بين العنيد والعنود: أن العنيد الذي يعدِل عن الطريق الحق فهو يعاند الشرع والأديان والمذاهب، والعنود بالأشياء المادية الحسية.

هكذا هي هذه المنظومة التي جاءت في كتاب الله العزيز وهكذا ترى أن الله سبحانه وتعالى وظفها توظيفاً بليغاً لا يفعله إلا رب العالمين. يقول المولى عز وجل: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: 166-167] وعندما يخاطب رب العالمين الملائكة:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: 40-41]، ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ [إبراهيم: 21] هؤلاء كلهم ضد كان صديقاً موالياً حميماً ثم أصبح عدواً فهذا هو الضد ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الشعراء: 97-99].

أي كيف قمنا بعبادتكم واتبعناكم كما لو كنتم أرباباً؟!.

النصوص اللغوية:

قال الخليل(1): الضِّدُّ كلّ شيءٍ ضادَّ شيئاً ليغلبَه، والسَّواد ضدُّ البياض والموتُ ضِدُّ الحياة، تقول: هذا ضِدُّه وضَديدُه، واللّيل ضِدُّ النهار، اذا جاءَ هذا ذَهَبَ ذاكَ، ويجمع على الأضداد. قال اللهُ عَزّ وجلَّ: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾.

قال الجوهري(2): الضِّدُّ: الضِّدُّ: واحد الأضْدادِ، والضَّديدُ مثله. وقد يكون الضِّدُّ جماعةً. قال تعالى: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: 82] وقد ضادَّه القوم، وهما مُتَضادَّانِ. ويقال: لا ضِدَّ له ولا ضَديدَ له، أي لا نظير له ولا كُفءَ له. والضَّدُّ بالفتح: المَلْءُ. يقال: ضَدَّ القِربةَ يَضُدُّها، أي ملأها. وأضدَّ الرجلُ: غَضِبَ.

قال الليث(3): الضِّدُّ كُلُّ شيءٍ ضادَّ شيئاً ليغلبه، والسّوادُ ضِدّ البياض، والموتُ ضِدُّ الحياة، والليل ضِدُّ النهار إذا جاء هذا ذهب ذلك. قال ابن سيده:

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) اللسان، الليث، معاني القرآن.

ضدُّ الشيءِ وضدَيدُه وضَديدَتُه خلافُه؛ الأَخيرة عن ثعلب؛ وضِدُّه أَيضاً مِثْلُه؛ عنه وحْدَه، والجمع أَضداد. ولقد ضادَّه وهما متضادّانِ، وقد يكون الضِّدُّ جماعةً، والقوم على ضِدٍّ واحِدٍ إذا اجتمعوا عليه في الخصومة. وفي التنزيل: ويكونون عليهم ضدًّا؛ قال الفراء: يكونون عليهم عَوْناً؛ قال أَبو منصور: يعني الأَنامَ التي عَبَدَها الكُفَّار تكون أَعْواناً على عابِديها يوم القيامة. وروي عن عِكْرمة: يكونون عليهم أَعداء، وقال الأَخفش في قوله، عز وجل: ويكون عليهم ضدًّا؛ قال: الضِّدّ يكون واحداً وجماعة مثل الرَّصَدِ والأَرْصاد، والرَّصَدُ يكون للجماعة؛ وقال الفراء: معناه في التفسير ويكونون عليهم عَوْناً فلذلك وَحَّدَ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: 82].

قال الألوسي(1): ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ على الأول على ما قيل تكون الآلهة التي كانوا يرجون أن تكون لهم عزاً ضداً للعز أي ذلاً وهواناً أو أعواناً عليهم كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وهو أظهر من التفسير السابق، وكونهم أعواناً عليهم لأنهم يلعنونهم، وقيل: لأن عبادتهم كانت سبباً للعذاب. وتعقب بأن هذا لم يحدث يوم القيامة وظاهر الآية الحدوث ذلك اليوم والأمر فيه هين، وقيل: لأنهم يكونون آلة لعذابهم حيث يجعلون وقود النار وحصب جهنم وهذا لا يتسنى إلا على تقدير أن يراد بالآلهة الأصنام، وإطلاق الضد على العون لما أن عون الرجل يضاد عدوه وينافيه بإعانته له عليه، وعلى الثاني يكون الكفرة على الآلهة أي أعداء لها من قولهم: الناس عليكم أي أعداؤكم، ومنه «اللهم كن لنا

(1) روح المعاني.

ولا تكن علينا» ضداً أي منافين ما كانوا عليه كافرين بها بعدما كانوا يعبدونها فعليهم على ما قيل خبر يكون، و﴿ضِدًّا﴾ حال مؤكدة والعداوة مرادة مما قبله، وقيل: إنها مرادة منه وهو الخبر و﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ في موضع الحال، وقد فسره بأعداء الضحاك وهو على ما نقل عن الأخفش كالعدو يستعمل مفرداً وجمعاً. وبذلك قال صاحب «القاموس» وجعل ما هنا جمعاً، وأنكر بعضهم كونه مما يطلق على الواحد والجمع، وقال: هو للواحد فقط وإنما وحد هنا لوحدة المعنى الذي يدور عليه مضادتهم فإنهم بذلك كالشيء الواحد كما في قوله ﷺ فيما رواه النسائي «وهم يد على من سواهم»، وقال صاحب «الفرائد»: إنما وحد لأنه ذكر في مقابلة قوله تعالى: ﴿عِزّٗا﴾ [مريم: 81].

قال ابن عاشور[1]: والضد: اسم مصدر، وهو خلاف الشيء في الماهية أو المعاملة. ومن الثاني تسمية العدو ضدّاً. ولكونه في معنى المصدر لزم في حال الوصف به حالة واحدة بحيث لا يطابق موصوفه.

قال الشعراوي[2]: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾ أي: في حين اتخذها الكفار آلهة من دون الله وطلبوا العزة في عبادتها تنقلب عليهم، وتكون ضِدًّا لهم وخَصْماً.

والضد: هو العدو المخالف لك، والذي يحاول أنْ ينكِّل بك.

إذن: ما ظنَّه الكفار عِزًّا ومَنَعة صار عليهم ضِدًّا وعداوة.

(1) التحرير والتنوير. (2) تفسير الشعراوي.

ضرب

(ضَرب - خَبط - جَلد - صَكّ - وَكز)

■ **الضَّرْبُ:** ضرب الشيء بشيء يحدث صوتاً ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ [الأعراف: 160].

■ **الخَبْطُ:** ضرب الشيء على غير استواء ﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: 275].

■ **الجَلْدُ:** ضرب الشيء بالجلد ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: 4].

■ **الصَّكُّ:** ضرب الشيء بكلتا اليدين معاً ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: 29].

■ **الوَكْزُ:** ضرب الشيء بعكس اليد (أي مؤخرة اليد) بقوة ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: 15].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الضاد والراء والباء أصلٌ واحدٌ، ثم يُستعار ويحمل عليه. من ذلك ضَرَبت ضرباً، إذا أوقعت بغيرك ضرباً. ويستعار منه ويشبَّه به الضَّرب في الأرض تجارةً وغيرها من السَّفر. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النساء: 101].

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

ويقولونَ إن الإسراع إلى السَّير أيضاً ضرب.

والطَّير الضَّوارِب: الطَّوالِب للرِّزق. ويقال رجلٌ مِضْربٌ: شديد الضَّرْب. ومن الباب: الضَّرْب: الصِّيغة. يقال: هذا من ضَرْب فلان، أي صيغته؛ لأنَّه إذا صاغَ شيئاً فقد ضربه. والضَّريب المِثْل، كأنَّهما ضُرِبَا ضَرْباً واحداً وصِيغا صياغةً واحدة. والضَّرِيب الصَّقِيع: كأن السماء ضربت به الأرض.

ويقال للذي أصابه الضريب: مضروب.

والضَّريب من اللبن: ما خُلِطَ مَحْضه بحقينه، كأنَّ أحدَهما قد ضُرِبَ على الآخر. والضَّرِيب: الشَّهْد، كأنَّ النَّحل ضربه. ويقال للسجِيَّة والطبيعة الضريبة، كأنَّ الإنسان قد ضُرِبَ عليها ضرباً وصيغ صِيغة. ومَضْرَب السّيف ومَضْرِبه: المكان الذي يُضرَب به منه. ويقال للصِّنْف من الشيء، الضَّرْب، كأنه ضُرب على مثالِ ما سواه من ذلك الشيء. والضّريبة: ما يُضرَب على الإنسان من جزيةٍ وغيرها. والقِياس واحد، كأنَّه قد ضُرِبَ به ضَرْبَاً. ثم يتّسعون فيقولون: ضَرَبَ فلانٌ على يدِ فلان، إذا حَجَرَ عليه، كأنَّه أرادَ بَسْطَ يدَه فضرب الضاربُ على يده فقبض يدَه. ومن الباب ضِراب الفَحل النّاقة. ويقال أضْرَبْت النّاقةَ: أنْزَيت عليها الفحل.

وأضرب فلان عن الأمر، إذا كفَّ، وهو من الكفّ، كأنَّه أراد التبسُّط فيه ثم أضرب، أي أوقع بنفسه ضرباً فكفها عما أرادت. فأمَّا الذي يُحكى عن أبي زيد، أنَّ العرب تقول: أَضْرَبَ الرَّجُل في بيته: أقامَ، فقياسُهُ قياس الكلمة التي قبلها. ومن الباب الضَّرَب: العَسَلُ الغليظة، كأنَّها ضَرِبت ضَرْبَاً، كما يقال نَفَضت الشيء نَفْضَاً، والمنفوض نَفَض. ويقال للموكَّل بالقِداح: الضَّرِيب. وسمِّيَ ضَريباً لأنَّهُ مع الذي يضربُها، فسمِّي ضريباً كالقعيد والجليس. ومما استُعير في هذا الباب قولهم للرَّجُل الخفيف الجسم: ضَرْب، شُبِّه في خفّته بالضَّرْبة التي يضربُها الإنسان.

والضَّارب: المتَّسَع في الوادي، كأنَّهُ نَهْجٌ يَضْرِبُ في الوادِي ضَرْباً.

قال الفيروزآبادي[1]: ضَرَبَه يَضْرِبُهُ، وضَرَّبَهُ، وهو ضارِبٌ وضَريبٌ وضَروبٌ وضَرِبٌ ومِضْرَبٌ: كثيرهُ، ومَضْرُوبٌ وضَريبٌ. والمِضْرَبُ والمِضْرابُ: ما ضُرِبَ به. وضَرُبَتْ يَدُهُ، ككَرُم: جادَ ضَرْبُها. وضَرَبَتِ الطَّيْرُ تَضْرِبُ: ذَهَبَتْ تَبْتَغِي الرِّزْقَ، وضرب على يَدَيْهِ: أمْسَكَ، وضرب في الأرضِ ضَرْباً وضَرَباناً: خَرَجَ تاجِراً أو غازِياً، أو أسْرَعَ، أو ذَهَبَ، وضرب بنَفْسِه الأرضَ: أقامَ، كأضْرَبَ، ضِدٌّ، وضرب الفَحْلُ ضِراباً: نَكَحَ، وضرب النَّاقَةُ: شَالَتْ بِذَنَبِها، فَضَرَبَتْ فَرْجَهَا، فَمَشَتْ، وهي ضَارِبٌ وضاربَةٌ، وضرب الشيءَ بالشيءِ: خَلَطَهُ، كَضَرَّبَهُ، وضرب في الماءِ: سَبَحَ، ولَدَغَ، وتَحَرَّكَ، وطالَ، وأعرَضَ، وأشار، وضرب الدَّهْرُ بَيْنَنا: بَعَّدَ، وضرب بِذَقَنِهِ الأرضَ: جَبُنَ وخافَ، وضرب الزَّمانُ: مَضَى. والضَّرْبُ: المِثْلُ، والرَّجُلُ الماضي النَّدْبُ، والخَفيفُ اللَّحْمِ، والصِّنْفُ من الشيءِ، كالضَّريبِ والمَضْروبِ، والمَطَرُ الخَفيفُ، والعَسَلُ الأَبْيَضُ، وبالتَّحْرِيكِ أشْهَرُ، وضرب من بَيْتِ الشِّعْرِ: آخِرُهُ.

المعنى المشترك لكلمة (ض ر ب)

وقد وردت كلمة (ضرب) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: الضرب بمعنى: السير ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ [النساء: 101].

الوجه الثاني: الضرب يعني: باليدين ﴿وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: 12].

الوجه الثالث: الضرب: الوصف ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ [النحل: 75].

الوجه الرابع: الضرب يعني: البيان ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: 45].

---

(1) القاموس المحيط.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [آل عمران: 112].

قال الألوسي[1]: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ أي ذلة هدر النفس والمال والأهل، وقيل: ذلة التمسك بالباطل وإعطاء الجزية، قال الحسن: أذلهم الله تعالى فلا منعة لهم وجعلهم تحت أقدام المسلمين وهذا من ضرب الخيام والقباب كما قاله أبو مسلم، قيل: ففيه استعارة مكنية تخييلية، وقد يشبه إحاطة الذلة واشتمالها عليهم بذلك على وجه الاستعارة التبعية، وقيل: هو من قولهم: ضرب فلان الضريبة على عبده أي ألزمها إياه فالمعنى ألزموا الذلة وثبتت فيهم فلا خلاص لهم منها.

قال ابن عاشور[2]: ومعنى ضرب الذلّة اتّصالها بهم وإحاطتها، ففيه استعارة مكنية وتبعية شبّهت الذلّة، وهي أمر معقول، بقية أو خيمة شملتهم وشبّه اتّصالها وثباتها بضرب القبة وشَدّ أطنابها.

قال الشعراوي[3]: الضرب معناه الإلزام والقسر على الفعل. وعندما يقول الحق: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ أي لزمتهم الذلة لا يستطيعون الانفكاك عنها أبداً، كما لا يستطيع المعدن المضروب نقداً أن ينفك عن القالب الذي صك عليه، وكأن الذلة قبة ضربت عليهم.

● **قال تعالى**: ﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران: 156].

قال أبو السعود[4]: ﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرِها، وإيثارُ إذا المفيدةِ لمعنى الاستقبالِ على إذا المفيدةِ لمعنى المُضيِّ لحكاية

---

(1) روح المعاني.
(2) التحرير والتنوير.
(3) تفسير الشعراوي.
(4) إرشاد العقل السليم.

الحالِ الماضيةِ إذِ المرادُ بها الزمانُ المستمرُّ المنتظمُ للحال الذي عليه يدور أمرُ استحضارِ الصورة. قال الزجاج: إذا هٰهنا تنوبُ عما مضىٰ من الزمان وما يُستقبل يعني أنها لمجرد الوقتِ أو يُقصد بها الاستمرارُ، وظرفيتُها لقولهم إنما هي باعتبار ما وقع فيها بل التحقيقُ أنها ظرفٌ له لا لقولهم، كأنه قيل: قالوا لأجل ما أصاب إخوانَهم حين ضربوا الخ،

قال ابن عجيبة[1]: ﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سافروا للتجارة أو غيرها فماتوا.

● **قال تعالى**: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: 273].

قال الخازن[2]: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش والكسب، وهم أهل الصفة الذين تقدم ذكرهم وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله، وقيل هم قوم أصابتهم جراحات في الجهاد مع رسول الله ﷺ فصاروا زمنى حصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله.

قال الماوردي[3]: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيه قولان: أحدهما: يعني تصرفاً.

والثاني: يعني تجارة.

● **قال تعالى**: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ﴾ [البقرة: 73].

قال القرطبي[4]: قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ﴾ قيل: باللسان لأنه آلة الكلام. وقيل: بعَجْب الذَّنَب؛ إذ فيه يُرّكب خَلْق الإنسان. وقيل: بالفخذ. وقيل: بعظم من عظامها؛ والمقطوع به عضو من أعضائها؛ فلما ضُرِب به حَيِيَ وأخبر بقاتله ثم عاد ميتاً كما كان.

---

(1) البحر المديد.
(2) لباب التأويل.
(3) النكت والعيون.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

قال الفخر الرازي[1]: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ ففيه مسائل:

المسألة الأولى: المروي عن ابن عباس أن صاحب بقرة بني إسرائيل طلبها أربعين سنة حتى وجدها، ثم ذبحت إلا أن هذه الرواية على خلاف ظاهر القرآن لأن الفاء في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ للتعقيب، وذلك يدل على أن قوله: ﴿اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ حصل عقيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: 67].

المسألة الثانية: الهاء في قوله تعالى: ﴿اضْرِبُوهُ﴾ ضمير وهو إما أن يرجع إلى النفس وحينئذ يكون التذكير على تأويل الشخص والإنسان وإما إلى القتيل وهو الذي دل عليه قوله: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: 33].

المسألة الثالثة: يجوز أن يكون الله تعالى إنما أمر بذبح البقرة، لأنه تعلق بذبحها مصلحة لا تحصل إلا بذبحها ويجوز أن يكون الحال فيها وفي غيرها على السوية والأقرب هو الأول، لأنه لو قام غيرها مقامها لما وجبت على التعيين، بل على التخير بينها وبين غيرها

المسألة الرابعة: اختلفوا في أن ذلك البعض الذي ضربوا القتيل به ما هو؟ والأقرب أنهم كانوا مخيرين في أبعاض البقرة لأنهم أمروا بضرب القتيل ببعض البقرة وأي بعض من أبعاض البقرة ضربوا القتيل به، فإنهم كانوا ممتثلين لمقتضى قوله: ﴿اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ والإتيان بالمأمور به يدل على الخروج عن العهدة على ما ثبت في أصول الفقه، وذلك يقتضي التخيير. واختلفوا في البعض الذي ضرب به القتيل فقيل: لسانها وقيل: فخذها اليمنى وقيل: ذنبها وقيل: العظم الذي يلى الغضروف وهو أصل الآذان، وقيل: البضعة بين الكتفين، ولا شك أن القرآن لا يدل عليه فإن ورد خبر صحيح قبل وإلا وجب السكوت عنه.

(1) التفسير الكبير.

● قال تعالى: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: 12].

قال الطبري(1): القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾. يقول تعالى ذكره: سأرعب قلوب الذين كفروا بي أيها المؤمنون منكم، وأملؤها فَرَقاً حتى ينهزموا عنكم، فاضربوا فوق الأعناق.

وأما قوله: ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ فإن معناه: واضربوا أيها المؤمنون من عدوّكم كلّ طرف ومفصل من أطراف أيديهم وأرجلهم. والبنان: جمع بنانة، وهي أطراف أصابع اليدين والرجلين.

قال الزمخشري(2): والمعنى: أني معينكم على التثبيت فثبتوهم. وقوله: ﴿سَأُلْقِي... فَاضْرِبُوا﴾ يجوز أن يكون تفسيراً لقوله: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا﴾ ولا معونة أعظم من إلقاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم. واجتماعهما غاية النصرة. ويجوز أن يكون غير تفسير، وأن يراد بالتثبيت أن يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال، وأن يظهروا ما يتيقنون به أنهم ممدّون بالملائكة. وقيل: كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي فيقول: إني سمعت المشركين يقولون: والله لئن حملوا علينا لننكشفنّ، ويمشي بين الصفين فيقول: أبشروا، فإن الله ناصركم لأنكم تعبدونه. وهؤلاء لا يعبدونه. وقرىء «الرعب» بالتثقيل ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أراد أعالي الأعناق التي هي المذابح، لأنها مفاصل، فكان إيقاع الضرب فيها حزًّا وتطييراً للرؤوس. وقيل: أراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق، يعني ضرب الهام. قال:

وَأَضْرِبُ هَامَةَ الْبَطَلِ الْمُشِيحِ غَشَّيْتُهُ ... وَهْوَ فِي جَأْوَاءَ بَاسِلَةْ
عَضْباً أَصَابَ سَوَاءَ الرَّأْسِ فَانْفَلَقَا

(1) جامع البيان. (2) الكشاف.

والبنان: الأصابع، يريد الأطراف. والمعنى: فاضربوا المقاتل والشوي، لأن الضرب إما واقع على مقتل أو غير مقتل، فأمرهم بأن يجمعوا عليهم النوعين معاً.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿سَأُلْقِي﴾ إلى قوله: ﴿كُلَّ بَنَانٍ﴾ عقيب قوله: ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به، كأنه قال: قولوا لهم قولي: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ أو كأنهم قالوا: كيف نثبتهم؟ فقيل: قولوا لهم قولي: ﴿سَأُلْقِي﴾ فالضاربون على هذا هم المؤمنون.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النساء: 101].

قال ابن عطية[1]: ﴿ضَرَبْتُمْ﴾ معناه: سافرتم. فأهل الظاهر يرون القصر في كل سفر يخرج عن الحاضرة، وهي من حيث تؤتى الجمعة، وهذا قول ضعيف، واختلف العلماء في حد المسافة التي تقصر فيها الصلاة، فقال مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وابن راهويه: تقتصر الصلاة في أربعة برد، وذلك ثمانية وأربعون ميلاً. وحجتهم أحاديث رويت في ذلك عن ابن عمر وابن عباس، وقال الحسن والزهري: تقصر الصلاة في مسيرة يومين ولم يذكرا أميالاً، وروي هذا القول عن مالك، وروي عنه أيضاً: تقصر الصلاة في يوم وليلة وهذه الأقوال الثلاثة تتقارب في المعنى، وروي عن ابن عباس وابن عمر: أن الصلاة تقصر في مسيرة اليوم التام، وقصر ابن عمر في ثلاثين ميلاً، وعن مالك في العتبية فيمن خرج إلى ضيعته على مسيرة خمسة وأربعين ميلاً، قال: يقصر، وعن ابن القاسم في العتبية: أن قصر في ستة وثلاثين فلا إعادة عليه، وقال يحيى بن عمر: يعيد أبداً، وقال ابن عبد الحكم: في الوقت، وقال ابن مسعود وسفيان والثوري وأبو حنيفة ومحمد بن الحسن: من سافر مسيرة ثلاث قصر. قال أبو حنيفة: ثلاثة أيام ولياليها سير الإبل

(1) المحرر الوجيز.

ومشي الأقدام، وروي عن أنس بن مالك: أنه قصر في خمسة عشر ميلاً، قال الأوزاعي: عامة العلماء في القصر في مسيرة اليوم التام، وبه نأخذ.

قال البيضاويّ[1]: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ سافرتم. ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه، ويؤيده أن عليه الصلاة والسلام أتم في السفر «وأن عائشة رضي الله تعالى عنها اعتمرت مع رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله قصرت وأتممت، وصمت وأفطرت. فقال: **أحسنت يا عائشة**». وأوجبه أبو حنيفة لقول عمر رضي الله تعالى عنه: «صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ﷺ، ولقول عائشة رضي الله تعالى عنها أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فأقرت في السفر وزيدت في الحضر». فظاهرهما يخالف الآية الكريمة فإن صحا فالأول مؤول بأنه كالتام في الصحة والإجزاء، والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة إلى تأويل الآية. بأنهم ألفوا الأربع فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن ركعتي السفر قصر ونقصان، فسمي الإتيان بهما قصراً على ظنهم. ونفي الجناح فيه لتطيب به نفوسهم، وأقل سفر تقصر فيه أربعة برد عندنا وستة عند أبي حنيفة.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ **[الكهف: 32]**.

قال ابن عجيبة[2]: يقول الحقّ جلّ جلاله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم﴾ أي: للفريقين؛ فريق المؤمنين والكافرين المتقدمين، ﴿مَّثَلًا﴾؛ من حيث عصيان الكافر، مع تقلبه في النعيم، وطاعة المؤمن، مع مكابدته مَشَاقَّ الفقر، وما كان مآلهما، لا من حيث ما ذكر من أن للكافر في الآخرة كذا وللمؤمن كذا، أي: واضرب لهم حالي ﴿رَّجُلَيْنِ﴾ مقدرين أو محققين، هما أخوان من بني إسرائيل، أو شريكان: كافر،

(1) أنوار التنزيل. (2) البحر المديد.

واسمه قُطروس، ومؤمن، اسمه يهوذا، اقتسما ثمانية آلاف دينار، أو ورثَاها من أبيهما، فاشترى الكافر بنصيبه ضياعًا وعقارًا، وصرف المؤمن نصيبه إلى وجوه البر. رُوِيَ: أن الكافر اشترى أرضًا بألف دينار، فقال صاحبه المؤمن: اللهم إن فلانًا اشترى أرضًا بألف، وإني أشتري منك أرضًا في الجنة بألف، فتصدق بألف دينار، ثم إن صاحبه بنى دارًا بألف دينار، فقال المؤمن: اللهم إن صاحبي بنى دارًا بألف، وإني أشتري منك دارًا في الجنة بألف، فتصدق بألف دينار، ثم إن صاحبه تزوج امرأة بألف دينار، فقال: اللهم، إن فلانًا تزوج بألف دينار، وإني أخطب منك من نساء الجنة بألف، فتصدق بألف دينار، ثم إن صاحبه اشترى خادمًا ومتاعًا بألف دينار، فقال: اللهم إن فلاناً اشترى خادماً ومتاعاً بألف، وإني أشتري منك خادماً ومتاعاً من الجنة بألف، فتصدق بألف دينار، ثم أصابته حاجة، فقال: لعل صاحبي يُناولني معروفه، فأتاه، فقال: ما فعل مالك؟ فأخبره قصته، فقال: أو إنك لمن المصدقين بهذا؟ والله لا أعطيك شيئًا، فلما تُوفيا آل أمرهما إلى ما ذكر الله في سورة الصافات بقوله: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الصافات: 51-52] الآية.

- **قال تعالى:** ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ [الزمر: 29].

قال الألوسي[1]: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ إيراد لمثل من الأمثال القرآنية بعد بيان أن الحكمة في ضربها هو التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى، والمراد بضرب المثل هٰهنا تطبيق حالة عجيبة بأخرى مثلها وجعلها مثلها.

والمعنى ضرب الله تعالى مثلاً للمشرك حسبما يقول إليه مذهبه من ادعاء كل من معبوديه عبوديته عبداً يتشارك فيه جماعة متشاجرون لشكاسة أخلاقهم وسوء طبائعهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المتباينة في تحيره وتوزع قلبه.

---

(1) روح المعاني.

قال الشعراوي[1]: هذا مَثَل ضربه الله لبيان قضية التوحيد، ويوضح من خلاله الفرق بين عبد لسيد واحد، وعبد لعدة أسياد، وهذه صورة مكوَّنة من عدة عناصر، فالرجل مملوك لشركاء، وليْتهم متفقون على شيء، إنما متشاكسون مختلفون، كل منهم يأمر بشيء، فإنْ أرضى هذا أغضب ذاك، وإنْ أطاع سيداً عصى الآخر.

إذن: كيف يبدد نفسه؟ وكيف له أن يستريح فهو دائماً في حيرة من أمره؟ أما الآخر، فعبدٌ لسيد واحد، أمره واحد، وهو مرتبط بسيده، قاصرٌ خدمته عليه.

● **قال تعالى**: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: 11].

قال ابن عاشور[2]: والضرب: هنا بمعنى الوضع، كما يقال: ضرب عليه حجاباً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [البقرة: 61].

والضرب على الآذان كناية عن الإنامة لأن النوم الثقيل يستلزم عدم السمع، لأن السمع السليم لا يحجبه إلا النوم، بخلاف البصر الصحيح فقد يحجب بتغميض الأجفان.

وهذه الكناية من خصائص القرآن لم تكن معروفة قبل هذه الآية وهي من الإعجاز.

قال السمين[3]: ﴿فَضَرَبْنَا﴾: مفعولُه محذوفٌ، أي: ضَرَبْنا الحجابَ المانعَ. و﴿عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ استعارةٌ للزومِ النوم. ونصَّ على الآذان لأنَّ بالضرب عليها خصوصاً يَحْصُلُ النومُ.

● **قال تعالى**: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: 4].

---

(1) تفسير الشعراوي.
(2) التحرير والتنوير.
(3) الدر المصون.

قال القرطبي[1]: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ لما ميّز بين الفريقين أمر بجهاد الكفار. قال ابن عباس: الكفار المشركون عبدة الأوثان. وقيل: كل من خالف دين الإسلام من مشرك أو كتابي إذا لم يكن صاحب عهد ولا ذِمّة؛ ذكره الماوردي. وٱختاره ابن العربي وقال: وهو الصحيح لعموم الآية فيه؛ «فَضَرْبَ الرِّقَابِ» مصدر. قال الزجاج: أي فٱضربوا الرقاب ضرباً. وخص الرقاب بالذكر لأن القتل أكثر ما يكون بها. وقيل: نصب على الإغراء. قال أبو عبيدة: هو كقولك يا نفس صبراً. وقيل: التقدير ٱقصدوا ضرب الرقاب. وقال: «فَضَرْبَ الرِّقَابِ» ولم يقل فٱقتلوهم؛ لأن في العبارة بضرب الرقاب من الغِلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل؛ لما فيه من تصوير القتل بأشنع صوره؛ وهو حز العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعُلوّه وأوْجَهُ أعضائه.

● **قال تعالى**: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [محمد: 27].

قال الشوكاني[2]: أي: ضاربين وجوههم وضاربين أدبارهم، وفي الكلام تخويف وتشديد، والمعنى: أنه إذا تأخر عنهم العذاب، فسيكون حالهم هذا، وهو تصوير لتوفيهم على أقبح حال وأشنعه. وقيل: ذلك. عند القتال نصرة من الملائكة لرسول الله، وقيل: ذلك يوم القيامة، والأوّل أولى.

● **قال تعالى**: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات: 93].

قال الزمخشري[3]: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾ فأقبل عليهم مستخفياً، كأنه قال: فضربهم ﴿ضَرْبًۢا﴾ لأن راغ عليهم بمعنى ضربهم. أو فراغ عليهم يضربهم ضرباً. أو فراغ عليهم ضرباً بمعنى ضارباً. وقرىء: «صفقاً» و«سفقاً»، ومعناهما: الضرب.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) فتح القدير.
(3) الكشاف.

ومعنى ضرباً ﴿بِٱلۡيَمِينِ﴾ ضرباً شديداً قوياً؛ لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدّهما. وقيل: بالقوّة والمتانة، وقيل: بسبب الحلف، وهو قوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء: 57].

● **قال تعالى:** ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف: 57-58].

قال الألوسي(1): ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا﴾ [الزخرف: 57] إلخ بيان لعناد قريش بالباطل والرد عليهم، فقد روي أن عبد الله بن الزبعرى قبل إسلامه قال للنبي ﷺ وقد سمعه يقول: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: 98] أليست النصارى يعبدون المسيح وأنت تقول كان نبياً وعبداً من عباد الله تعالى صالحاً فإن كان في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه، ففرح قريش وضحكوا وارتفعت أصواتهم وذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾ فالمعنى ولما ضرب ابن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلاً وحاجك بعبادة النصارى إياه إذا قومك من ذلك ولأجله يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحاً وجذلاً، والحجة لما كانت تسير مسير الأمثال شهرة قيل لها مثل أو المثل بمعنى المثال أي جعله مقياساً وشاهداً على إبطال قوله عليه الصلاة والسلام: إن آلهتهم من حصب جهنم، وجعل عيسى عليه السلام نفسه مثلاً من باب «الحج عرفة». وقرأ أبو جعفر والأعرج والنخعي وأبو رجاء وابن وثاب وابن عامر ونافع والكسائي ﴿يَصُدُّونَ﴾ بضم الصاد من الصدود، وروي ذلك عن علي كرم الله تعالى وجهه، وأنكر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هذه القراءة وهو قبل بلوغه تواترها، والمعنى عليها إذا قومك من أجل ذلك يعرضون عن الحق بالجدل بحجة داحضة واهية، وقيل:

(1) روح المعاني.

المراد يثبتون على ما كانوا عليه من الإعراض. وقال الكسائي والفراء: يصدون بالكسر ويصدون بالضم لغتان بمعنى واحد مثل و﴿يَعۡرِشُونَ﴾ [الأعراف: 137] ومعناهما يضجون، وجوز أن يكون يعرضون.

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ تمهيداً لما بنوا عليه من الباطل المموه مما يغتر به السفهاء ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ﴾ أي ظاهر عندك أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ خير من آلهتنا فحيث كان هو في النار فلا بأس بكونها وأيانا فيها، وحقق الكوفيون الهمزتين همزة الاستفهام والهمزة الأصلية؛ وسهل باقي السبعة الثانية بين بين، وقرأ ورش في رواية أبي الأزهر بهمزة واحدة على مثال الخبر، والظاهر أنه على حذف همزة الاستفهام. وقوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ إبطال لباطلهم إجمالاً اكتفاءً بما فصل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ﴾ [الأنبياء: 101] وتنبيهاً على أنه مما لا يذهب على ذي مسكة بطلانه فكيف على غيره ولكن العناد يعمي ويصم أي ما ضربوا لك ذلك إلا لأجل الجدال والخصام لا لطلب الحق فإنه في غاية البطلان بل هم قوم لد شداد الخصومة مجبولون على المحك أي سؤال الخلق واللجاج، فجدلاً منتصب على أنه مفعول لأجله، وقيل: هو مصدر في موضع الحال أي مجادلين، وقرأ ابن مقسم ﴿جِدَالًا﴾ بكسر الجيم وألف بعد الدال.

ضرر

(ضَرر - أَذى - سُوء - بَلاء)

■ **الضَّرَرُ:** الشَّرُّ المادي في النفس أو المال ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: 84]. . وهو شدة مرض طال.

■ **الأَذى:** باللسان مما يؤدي إلى الإزعاج النفسي ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة: 61]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: 222] من حيث تأثيره النفسي.

■ **السُّوءُ:** الهمّ الدائم من الخوف ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [النحل: 27].

■ **البَلاء:** الضرر الدائم كالعمى والسجن الطويل والفقر ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصافات: 106].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الضاد والراء ثلاثةُ أصول: الأوّل خلاف النَّفْع، والثاني: اجتماعُ الشَّيء، والثالث القوّة. فالأوَّل الضَّرّ: ضدُّ النَّفْع. ويقال: ضَرَّه يضُرُّه ضَرًّا. ثمَّ يحمل على هذا كلُّ ما جانَسَه أو قارَبَه. فالضُّرُّ: الهُزال.

والضِّرّ: تزوُّج المرأة على ضَرَّة. يقال: نكحَتْ فلانةُ على ضِرّ، أي على

(1) معجم مقاييس اللغة.

امرأةٍ كانت قَبْلَها. وقال الأصمعيّ: تزوّجَت المرأةُ على ضُرٍّ وضِرّ. قال: والإِضرار مثلُه، وهو رجلٌ مُضِرٌّ. والضَّرَّة: اسمٌ مشتقٌّ من الضَّرِّ، كأنَّها تضرُّ الأخرى كما تضرُّها تلك. واضطُرَّ فلانٌ إلى كذا، من الضرورة.

ويقولون في الشِّعر «الضَّارُورة».

والضَّرِير: المُضَارَّة. وأكثر ما يُستعمَل في الغَيْرة؛ يقال: ما أشدَّ ضريره عليها. وشُبِّه الحَجَرانِ للرَّحَى بالضَّرَّتينِ فقيل لهما: الضَّرَّتانِ. والضَّرِير: الذي به ضَرَرٌ من ذَهاب عَيْنِه. أو ضَنَى جِسْمِه. وأمّا الأصلُ الثاني فَضَرَّة الضَّرع: لَحْمتُه. قال أبو عُبيد: الضَّرَّة: التي لا تخلو من اللَّبن. وسمِّيت بذلك لاجتماعِها. وضَرَّةُ الإبهام: اللحم المجتمع تحتَها. ومن الباب: المُضِرّ: الذي له ضَرَّةٌ من مال، وهو من صِفَة المال الكثير.

وأمّا الثالث فالضرير: قُوَّة النّفْس. ويقال: فلانٌ ذو ضرير على الشيء، إذا كان ذا صبرٍ عليه ومقاساة، في قول جرير: ويقال للفرس: أضرَّ على فأس اللِّجامِ، إذا أَزَم عليه.

قال الخليل(1): الضَّرُّ والضُّرُّ لغتانِ، فإذا جَمَعْتَ بين الضَرِّ والنَّفْعِ فتَحْتَ الضّادَ، وإذا أفرَدْتَ الضُرَّ ضَمَمْتَ الضاد إذا لم تجعله مصدراً، كقولك: ضَرَرْتُ ضُرًّا، هكذا يستعمله العَرَبُ.

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ [يونس: 12]. والضَّرَرُ: النُّقصان يدخُلُ في الشيء، تقول: دَخَلَ عليه ضَرَرٌ في ماله. ورجلٌ ضَريرٌ: بيِّنُ الضَّرارة، وقَومٌ أضِرّاء: ذاهبو البَصَر. ورجلٌ ضَريرٌ وامرأةٌ ضَريرةٌ: أضَرَّه المَرَضُ، والضريرُ: المريضُ، والمرأةُ بالهاء. والضَريرُ: اسمٌ للمُضارّةِ أكثر ما يستعمل في الغَيْرة، يقال: ما أشَدَّ ضريرَه عليها، قال رؤبة يصف حمار وحشٍ:
حتى إذا ما لانَ من ضريره، والضَّرورةُ: اسم لمصدر الاضطرار، تقول: حَمَلتْني

---

(1) العين.

الضَّرورة على كذا، وقد اضطُرَّ فلان إلى كذا وكذا، بناؤه: افْتُعِلَ فجُعِلتَ التاءُ طاءً، لأنّ التّاءَ لم يَحْسُن لفظها مع الضّاد. والضَرَّتانِ: امرأتانِ لرجلٍ واحد، وتُجمَعُ على ضَرائِرَ. وفلانٌ مُضِرٌ: أي ذو ضَرائر. والمُضِرُّ: الرجل الذي عليه ضَرَّةٌ من مال. والمُضِرُّ: الداني، يقال: مَرَّ فلانٌ فأضَرَّني إِضراراً أي دَنَا منّي دُنُوًّا شديداً. والضَّرَرُ: الزَّمانةُ، ومنه قوله تعالى: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: 95]. وأضَرَّ الطريقُ بالقَوْمِ: ضاقَ بهم ودَنا منهم. وضِرَّةُ الإِبْهام: لَحْمةٌ تحتها. وضِرَّة الضَّرْعِ: لَحْمُها، والضَّرْعُ يُذَكَّرُ ويُؤَنَّثُ. والضَّرَّتانِ: الأَلْيَتَانِ من جانِبَي المَقْعَد، وهما شَحْمتان تَهَدَّلانِ من جانِبَيهما.

قال الفيروزآبادي[1]: الضَّرُّ، ويضمُّ: ضِدُّ النَّفْعِ، أو بالفتح: مَصْدَرٌ، وبالضم: اسمٌ، ضَرَّهُ وضر به وأضَرَّهُ وضارَّهُ مُضارَّةً وضِراراً. والضَّارُورَاءُ: القَحْطُ، والشِّدَّةُ، والضَّرَرُ، وسُوءُ الحالِ،كالضَّرِّ والتَّضِرَّةِ والتَّضُرَّةِ، والنُّقْصانُ يَدْخُلُ في الشيءِ. والضَّرَّاءُ: الزَّمانَةُ، والشِّدَّةُ، والنَّقْصُ في الأَموالِ والأَنْفُسِ،كالضُّرَّةِ والضَّرارَةِ. والضَّريرُ: الذاهِبُ البَصَرِ جمعه: أضِرَّاءُ، والمريضُ المَهْزُولُ، وهي: بهاءٍ، وكُلُّ ما خالَطَه ضَرٌّ، كالمَضْرُورِ، والغَيرَةُ، والمُضارَّةُ، وحَرْفُ الوادِي، والنَّفْسُ، وبَقِيَّةُ الجِسْمِ، والصَّبْرُ، والصَّبُورُ. والاضْطِرارُ: الاحتياجُ إلى الشيءِ. واضْطَرَّهُ إليهِ: أحْوَجَه وألْجَأَهُ، فاضْطُرَّ، بضم الطاءِ، والاسمُ: الضُّرَّةُ. والضَّرورَةُ: الحاجةُ،كالضَّارُورَةِ والضَّارورِ والضَّارُوراءِ. والضَّرَرُ: الضِّيقُ، والضَّيِّقُ، وشَفَا الكَهْفِ.

المعنى المشترك لكلمة (ض ر ر)

وقد وردت كلمة (ضرر) في القرآن الكريم على سبعة أوجه:

الوجه الأول: الضر والضراء يعني: البلاء والشدة ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [البقرة: 177].

(1) القاموس المحيط.

الوجه الثاني: الضر: قحط المطر ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [الأنعام: 42].. يعني قحط المطر

الوجه الثالث: الضر يعني: الأهوال ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: 67].

الوجه الرابع: الضر يعني: المرض ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ﴾ [يونس: 12].

الوجه الخامس: الضر يعني: النقص ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ﴾ [النساء: 113].

الوجه السادس: الضر يعني: الجوع ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ [يوسف: 88].

الوجه السابع: الضر بعينه (أي الأذى) ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الشعراء: 72-73].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: 83].

قال القرطبي(1): قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ أي واذكر أيوب إذ نادى ربه. ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ أي نالني في بدني ضرّ وفي مالي وأهلي. قال ابن عباس: سمي أيوب لأنه آب إلى الله تعالى في كل حال. وروي أن أيوب عليه السلام كان رجلاً من الروم ذا مال عظيم، وكان براً تقياً رحيماً بالمساكين، يكفل الأيتام والأرامل، ويكرم الضيف، ويبلغ ابن السبيل، شاكراً لأنعم الله تعالى، وأنه دخل مع قومه على جبار عظيم فخاطبوه في أمر، فجعل أيوب يلين له في القول من أجل زرع كان له فامتحنه الله بذهاب ماله وأهله، وبالضر في جسمه حتى تناثر لحمه وتدوّد جسمه، حتى أخرجه أهل قريته إلى خارج القرية، وكانت امرأته تخدمه. قال

(1) الجامع لأحكام القرآن.

الحسن: مكث بذلك تسع سنين وستة أشهر. فلما أراد الله أن يفرّج عنه قال الله تعالى له: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: 42] فيه شفاؤك، وقد وهبت لك أهلك ومالك وولدك ومثلهم معهم.

قال الزمخشري[1]: أي: ناداه بأني مسني الضر. وقرىء: «إني» بالكسر على إضمار القول أو لتضمن النداء معناه والضر - بالفتح -: الضرر في كل شيء، وبالضم: الضرر في النفس من مرض وهزال، فرق بين البناءين لافتراق المعنيين. ألطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب.

كان أيوب ﷺ رومياً من ولد إسحاق بن يعقوب عليهما السلام، وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله: كان له سبعة بنين وسبع بنات، وله أصناف البهائم، وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد، لكل عبد امرأة وولد ونخيل، فابتلاه الله بذهاب ولده - انهدم عليهم البيت فهلكوا - وبذهاب ماله، وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة. وعن قتادة: ثلاث عشرة سنة. وعن مقاتل: سبعاً وسبعة أشهر وسبع ساعات، وقالت له امرأته يوماً: لو دعوت الله، فقال لها: كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة، فقال: أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه أحيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم. وروي: أن امرأته ولدت بعدُ ستة وعشرين ابناً أي: لرحمتنا العابدين وأنا نذكرهم بالإحسان لا ننساهم أو رحمة منا لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين، ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما أثيب في الدنيا والآخرة.

● **قال تعالى:** ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: 84].

قال الفخر الرازي[2]: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ فإنه يدل على أنه دعا ربه، لكن هذا الدعاء قد يجوز أن يكون واقعاً منه على سبيل التعريض، كما يقال: إن رأيت أو

---

(1) الكشاف. (2) التفسير الكبير.

أردت أو أحببت فافعل كذا. ويجوز أن يكون على سبيل التصريح وإن كان الأليق بالأدب وبدلالة الآية هو الأول، ثم إنه سبحانه بين أن كشف ما به من ضر وذلك يقتضي إعادته إلى ما كان في بدنه وأحواله، وبين الله تعالى أنه آتاه أهله ويدخل فيه من ينسب إليه من زوجة وولد وغيرهما ثم فيه قولان: أحدهما: وهو قول ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومقاتل والكلبي وكعب رضي الله عنهم أن الله تعالى أحيا له أهله يعني أولاده بأعيانهم. والثاني: روى الليث رضي الله عنه، قال: أرسل مجاهد إلى عكرمة وسأله عن الآية فقال: قيل له إن أهلك لك في الآخرة فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا، وإن شئت كانوا لك في الآخرة وآتيناك مثلهم في الدنيا. فقال: يكونون لي في الآخرة وأوتي مثلهم في الدنيا. والقول الأول أولى لأن قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾ [الأنبياء: 84] يدل بظاهره على أنه تعالى أعادهم في الدنيا وأعطاه معهم مثلهم أيضاً.

قال الخازن(1): قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ والشكوى إنما تكون إلى الخلق لا إلى الخالق بدليل قول يعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: 86] وقال سفيان بن عيينة: «من أظهر الشكوى إلى الناس وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك جزعاً كما» روي أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ دخل على النبي ﷺ في مرضه فقال كيف تجدك؟ قال: «أجدني مغموماً وأجدني مكروباً» و«قال لعائشة حين قالت: وارأساه بل أنا وارأساه».

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ أي أجبنا دعاءه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ وذلك أنه قال له ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص: 42] فركض برجله فنبعت عين ماء فأمره أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فأمره أن يضرب برجله الأرض مرة أخرى ففعل، فنبع عين ماء بارد، فأمره أن يشرب منها، فشرب، فذهب كل داء كان بباطنه فصار كأصح ما كان ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾

(1) لباب التأويل.

[الأنبياء: 84] قال ابن مسعود وابن عباس وأكثر المفسرين: رد الله إليه أهله وأولاده بأعيانهم وأحياهم الله وأعطاه مثلهم معهم، وهو ظاهر القرآن، وعن ابن عباس رواية أخرى أن الله رد إلى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكراً.

● **قال تعالى:** ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ﴾ [يونس: 12].

قال أبو السعود[1]: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ﴾ أي أصابه جنسُ الضرِّ من مرض وفقرٍ وغيرِهما من الشدائد إصابةً يسيرة ﴿دَعَانَا﴾ لكشفه وإزالتِه ﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ حالٌ من فاعل دعا بشهادة ما عُطف عليه من الحالين واللام بمعنى على، أي دعانا كائناً على جنبه أي مضطجعاً ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ أي في جميع الأحوالِ مما ذُكر وما لم يذكر، وتخصيصُ المعدوداتِ بالذكر لعدم خلوِّ الإنسانِ عنها عادةً أو دعانا في جميع أحوالِ مرضِه على أنه المرادُ بالضر خاصة مُضجَعاً عاجزاً عن القعود وقاعداً غيرَ قادرٍ على النهوض وقائماً لا يستطيع الحَراك ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ﴾ الذي مسه غِبَّ ما دعانا حسبما ينبىء عنه الفاء ﴿مَرَّ﴾ أي مضىٰ واستمرَّ على طريقته التي كان ينتحيها قبل مساسِ الضرِّ ونسيَ حالةَ الجَهْدِ والبلاءِ، أو مر عن موقف الضراعةِ والابتهالِ ونأى بجانبه ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ﴾ أي كأنه لم يدعُنا.

قال مقاتل[2]: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا﴾، يعني المرض بلاء أو شدة، نزلت في أبي حذيفة، اسمه هاشم بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾، يعني لمضجعه في مرضه.

● **قال تعالى:** ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ [آل عمران: 111].

قال الألوسي[3]: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ استثناء متصل لأن الأذى بمعنى الضرر اليسير كما يشهد به مواقع الاستعمال فكأنه قيل: لن يضروكم ضرراً مّا إلا

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) تفسير مقاتل.
(3) روح المعاني.

ضرراً يسيراً، وقيل: إنه منقطع لأن الأذى ليس بضرر وفيه نظر. والآية كما قال مقاتل: نزلت لما عمد رؤساء اليهود مثل كعب وأبي رافع وأبي ياسر وكنانة وابن صوريا إلى مؤمنيهم كعبد الله بن سلام وأصحابه، وآذوهم لإسلامهم وكان إيذاءاً قولياً على ما يفهمه كلام قتادة وغيره، وكان ذلك الافتراء على الله تعالى كما قاله الحسن.

قال الشعراوي(1): لكن الحق سبحانه يطمئن هذه الأقلية من إضرار الأكثرية بهم فيقول: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾. أي يا أيتها الأقلية التي آمنت من أهل الكتاب - مثل عبد الله بن سلام الذي أسلَم وترك اليهودية - إياكم أن تظنوا أن الأكثرية الفاسقة قادرة على إنزال العذاب بكم؛ فالحق - سبحانه - يعلن أن محاولة الأكثرية لإنزال الضرر بالأقلية التي آمنت منهم لن يتجاوز الأذى.

فقول الحق: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ يعني أنهم لن يستطيعوا أن ينالوا منكم أبداً اللّهم إلا الاستهزاء أو الغمز واللمز، أو إشارة بحركة تؤذي شعور المؤمن، أو تمجد الكفر، وتعظمه أو بنطق كلمة عهر أو فجر لا يوافق عليها الدين، هذا أقصى ما يستطيعه أهل الفسق، وهم لا يملكون الضرر لأهل الإيمان.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 102].

قال الفخر الرازي(2): ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ﴾ فإنه يدل على ما ذكرناه لأنه أطلق الضرر، ولم يقصره على التفريق بين المرء وزوجه، فدل ذلك على أنه تعالى إنما ذكره لأنه من أعلى مراتبه. أما قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ فاعلم أن الإذن حقيقة في الأمر والله لا يأمر بالسحر ولأنه تعالى أراد عيبهم

(1) تفسير الشعراوي.
(2) التفسير الكبير.

وذمهم، ولو كان قد أمرهم به لما جاز أن يذمهم عليه فلا بد من التأويل وفيه وجوه، أحدها: قال الحسن: المراد منه التخلية، يعني السحر إذا سحر إنساناً فإن شاء الله منعه منه وإن شاء خلى بينه وبين ضرر السحر، وثانيها: قال الأصم: المراد إلا بعلم الله وإنما سمي الأذان أذاناً لأنه إعلام للناس بوقت الصلاة وسمي الأذان إذناً لأن بالحاسة القائمة به يدرك الأذن، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ﴾ [التوبة: 3] أي إعلام، وقوله: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 279] معناه: فاعلموا وقوله: ﴿ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنبياء: 109] يعني أعلمتكم، وثالثها: أن الضرر الحاصل عند فعل السحر إنما يحصل بخلق الله وإيجاده وإبداعه وما كان كذلك فإنه يصح أن يضاف إلى إذن الله تعالى كما قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: 40]. ورابعها: أن يكون المراد بالإذن الأمر وهذا الوجه لا يليق إلا بأن يفسر التفريق بين المرء وزوجه بأن يصير كافراً والكفر يقتضي التفريق، فإن هذا حكم شرعي، وذلك لا يكون إلا بأمر الله تعالى.

أما قوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ﴾ [البقرة: 102] ففيه مسائل:

المسألة الأولى: إنما ذكر لفظ الشراء على سبيل الاستعارة لوجوه، أحدها: أنهم لما نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وأقبلوا على التمسك بما تتلوا الشياطين فكأنهم قد اشتروا ذلك السحر بكتاب الله، وثانيها؛ أن الملكين إنما قصدا بتعليم السحر الاحتراز عنه ليصل بذلك الاحتراز إلى منافع الآخرة فلما استعمل السحر فكأنه اشترى بمنافع الآخرة منافع الدنيا. وثالثها: أنه لما استعمل السحر علمنا أنه إنما تحمل المشقة ليتمكن من ذلك الاستعمال فكأنه اشترى بالمحن التي تحملها قدرته على ذلك الاستعمال.

المسألة الثانية: قال الأكثرون: «الخلاق» النصيب، قال القفال: يشبه أن يكون أصل الكلمة من الخلق ومعناه التقدير ومنه خلق الأديم، ومنه يقال: قدر

للرجل كذا درهماً رزقاً على عمل كذا. وقال آخرون: الخلاق الخلاص ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

يدعون بالويل فيها لاخلاق لهم إلا سرابيل قطران وأغلال

بقي في الآية سؤال: وهو أنه كيف أثبت لهم العلم أولاً في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ ثم نفاه عنهم في قوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ والجواب من وجوه، أحدها: أن الذين علموا غير الذين لم يعلموا، فالذين علموا هم الذين علموا السحر ودعوا الناس إلى تعلمه وهم الذين قال الله في حقهم: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 101] وأما الجهال الذين يرغبون في تعلم السحر فهم الذين لا يعلمون، وهذا جواب الأخفش وقطرب. وثانيها: لو سلمنا كون القوم واحداً ولكنهم علموا شيئاً وجهلوا شيئاً آخر، علموا أنهم ليس لهم في الآخرة خلاق ولكنهم جهلوا مقدار ما فاتهم من منافع الآخرة، وما حصل لهم من مضارها وعقوباتها. وثالثها: لو سلمنا أن القوم واحد والمعلوم واحد ولكنهم لم ينتفعوا بعلمهم بل أعرضوا عنه فصار ذلك العلم كالعدم كما سمى الله تعالى الكفار: ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: 97] إذ لم ينتفعوا بهذه الحواس. ويقال للرجل في شيء يفعله لكنه لا يضعه موضعه: صنعت ولم تصنع.

● **قال تعالى:** ﴿يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ﴾ **[الحج: 12-13].**

قال أبو السعود(1): ﴿يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ﴾ استئنافٌ مبيِّنٌ لعِظم الخُسرانِ أي يعبد مُتجاوزاً عبادةَ الله تعالى ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ إذا لم يعبدْهُ ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُ﴾ إنْ عبدَهُ أي جماداً ليسَ من شأنِه النَّفعُ كما يُلوِّحُ به تكريرُ كلمةِ ما ﴿ذَٰلِكَ﴾ الدُّعاءُ ﴿هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ عن الحقِّ والهُدى مستعارٌ من ضلالِ مَن أبعدَ في التِّيهِ ضالّاً

(1) إرشاد العقل السليم.

عن الطَّريقِ ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ استئنافٌ مسوق لبيانِ مآلِ دُعائِه المذكورِ وتقريرِ كونِه ضلالاً بعيداً مع إزاحةِ ما عسى يُتوهَّم من نفيِ الضَّررِ عن معبودِه بطريقِ المباشرةِ نفيه عنه بطريق التَّسبيبِ أيضاً فالدُّعاءُ بمعنى القول واللَّامُ داخلةٌ على الجملة الواقعةِ مقولاً له ومَن مبتدأٌ وضرُّه مبتدأٌ ثانٍ خبرُه أقربُ والجملة صلة للمبتدأ الأوَّلِ وقوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ [الحج: 13] جوابٌ لقسم مقدَّرٍ هو جوابه خبرٌ للمبتدأ الأولِ، وإيثارُ مَن على مَا مع كون معبودِه جماداً وإيرادُ صيغة التَّفضيل مع خلوِّه عن النَّفع بالمرَّةِ للمبالغة في تقبيح حاله والإمعانِ في ذمِّه أي يقول ذلك الكافرُ يوم القيامةِ بدعاء وصُراخٍ حين يرى تضرُّرَه بمعبوده ودخولَه النَّارَ بسببه ولا يرى منه أثرَ النَّفعِ أصلاً لمن ضرُّه أقربُ من نفعِه، والله لبئسَ النَّاصرُ هو ولبئسَ الصَّاحبُ هو فكيف بما هو ضررٌ محضٌ عارٍ عن النَّفعِ بالكلِّيةِ، ويجوزُ أن يكون يدعُو الثَّاني إعادةً للأولِ لا تأكيداً له فقط بل وتمهيداً لما بعده من بيانِ سوءِ حالِ معبودِه إثرَ بيانِ سوءِ حال عبادتِه بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ كأنَّه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادتِه لما لا يضرُّه ولا ينفعُه يدعو ذلك ثم قيلَ لمَن ضُرُّه أقربُ من نفعِه: والله لبئسَ المَوْلى ولبئس العَشيرُ، فكلمة مَن وصيغةُ التَّفضيلِ للتهكُّم به وقيل: اللَّامُ زائدةٌ ومَنْ مفعول يدعُو، ويؤيِّدُه القراءةُ بغير لام أي يعبد من ضره أقربُ من نفعه وإيراد كلمةِ مَن وصيغة التَّفضيلِ تهكُّمٌ به أيضاً والجملة القسميةُ مستأنفة.

● قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾ [هود: 10]

قال الألوسي(1): ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ﴾ كصحة وأمن وجدة ﴿بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ﴾ كسقم وخوف وعدم، وفي إسناد الإذاقة إليه تعالى دون المس إشعار بأن إذاقة النعمة مقصودة بالذات دون مس الضر بل هو مقصود بالعرض، ومن هنا قال بعضهم: إنه ينبغي أن تجعل من في قوله سبحانه: ﴿مِنْهُ﴾ [هود: 9] للتعليل أي

(1) روح المعاني.

نزعناها من أجل شؤمه وسوء صنيعه وقبح فعله ليكون منا، و﴿مِنۡهُ﴾ مشيراً إلى هذا المعنى ومنطبقاً عليه كما قال سبحانه: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء: 79] ولا يخفى أن تفسير ﴿مِنۡهُ﴾ بذلك خلاف الظاهر المتبادر ولا ضرورة تدعو إليه، وإنما لم يؤت ببيان تحول النعمة إلى الشدة وبيان العكس على طرز واحد بل خولف التعبير فيهما حيث بدىء في الأول بإعطاء النعمة وإيصال الرحمة ولم يبدأ في الثاني بإيصال الضر على نمطه تنبيهاً على سبق الرحمة على الغضب واعتناءً بشأنها. وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن على ما قيل بلذتهما وكونهما مما يرغب فيه وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونها في أدنى ما يطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها من اللطف ما لا يخفى، ولعله يقوي عظم شأن الرحمة. وذكر البعض أن في لفظ الإذاقة والمس - بناءاً على أن الذوق ما يختبر به الطعوم، والمس أول الوصول - تنبيهاً على أن ما يجد الإنسان في الدنيا من المنح والمحن نموذج لما يجده في الآخرة، وأنه يقع في الكفران والبطر بأدنى شيء.

قال الشعراوي[1]: وهنا نجد الضراء هي الموجودة، والنعماء هي التي تطرأ، عكس الحالة الأولى، حيث كانت الرحمة - من خير ويسر - هي الموجودة. فالنزع في الأولى طرأ على رحمة موجودة، والنعماء طرأت على ضرَّاء موجودة.

وهناك فرق بين نعماء ونعمة، وضراء وضر؛ فالضر هو الشيء الذي يؤلم النفس، والنعمة هي الشيء الذي تتنعم به النفس.

لكن التنعُّم والألم قد يكونان في النفس، ولا ينضح أي منهما على الإنسان، فإن نضح على الإنسان أثر النعمة يقال فيها «نعماء»، وإن نضح عليه أثر من الضر يقال: «ضراء». وهنا يقول الحق سبحانه: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ﴾. ولا يفطن من يقول ذلك إلى المُذْهِب الذي أذهبَ

(1) تفسير الشعراوي.

السيئات؛ لأن السيئة لا تذهب وحدها. ولو كان القائل مؤمناً لقال: رفع الله عني السيئات.

لكنه غير مؤمن؛ ولذلك يغرق في فرح كاذب وفخر لا أساس له.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [الفرقان: 3].

قال ابن عاشور(1): واعلم أن ﴿ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ هنا جرى مجرى المثل لقصد الإحاطة بالأحوال، فكأنه قيل: لا يملكون التصرف بحال من الأحوال. وهذا نظير أن يقال: شرقاً وغرباً، وليلاً ونهاراً. وبذلك يندفع ما يشكل في بادىء الرأي من وجه نفي قدرتهم على إضرار أنفسهم بأنه لا تتعلق إرادة أحد بضر نفسه، وبذلك أيضاً لا يتطلب وجه لتقديم الضر على النفع، لأن المقام يقتضي التسوية في تقديم أحد الأمرين، فالمتكلم مخير في ذلك والمخالفة بين الآيات في تقديم أحد الأمرين مجرد تفنّن.

والمجرور في ﴿لِأَنفُسِهِمْ﴾ متعلق بـ ﴿يَمْلِكُونَ﴾. والضَّر - بفتح الضاد - مصدر ضرَّه، إذا أصابه بمكروه. وقد تقدم نظيره في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: 49].

قال ابن عجيبة(2): ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي: لا يستطيعون لأنفسهم دفع ضر عنها، ولا جلب نفع لها. وهذا بيان لغاية عجزهم وضعفهم؛ فإن بعض المخلوقين ربما يملك دفع ضر وجلب نفع في الجملة، وهؤلاء لا يقدرون على شيء البتة، فكيف يملكون نفع مَنْ عبدَهم، أو ضرر من لم يعبدهم؟!

● **قال تعالى:** ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟﴾ [البقرة: 231].

قال الطبري(3): ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟﴾ يقول: ولا تراجعوهنّ إن

---

(1) التحرير والتنوير.
(2) البحر المديد.
(3) جامع البيان.

راجعتموهنّ في عددهنّ مضارة لهنّ لتطوّلوا عليهنّ مدة انقضاء عددهنّ، أو لتأخذوا منهنّ بعض ما آتيتموهنّ بطلبهنّ الخلع منكم لمضارّتكم إياهنّ بإمساككم إياهنّ، ومراجعتكموهنّ ضراراً واعتداء.

عن مسروق: ﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ قال: يطلقها حتى إذا كادت تنقضي راجعها، ثم يطلقها، فيدعها، حتى إذا كادت تنقضي عدتها راجعها، ولا يريد إمساكها، فذلك الذي يضارّ ويتخذ آيات الله هزواً.

قال الزمخشري[1]: ﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها، ثم يراجعها لا عن حاجة، ولكن ليطوّل العدة عليها، فهو الإمساك ضراراً ﴿لِّتَعۡتَدُوا۟ۚ﴾ لتظلموهنّ. وقيل: لتلجئوهن إلى الافتداء.

● **قال تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ﴾** [البقرة: 233].

قال القرطبي[2]: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ﴾ المعنى: لا تأبى الأُمّ أن ترضعه إضراراً بأبيه أو تطلب أكثر من أجر مثلها، ولا يحل للأب أن يمنع الأُم من ذلك مع رغبتها في الإرضاع؛ هذا قول جمهور المفسرين. أي لا ينزع الولد منها إذا رضيت بالإرضاع وأَلِفَها الصبيُّ.

قال الشوكاني[3]: ﴿لَا تُضَآرَّ﴾ أي: لا تضارر الأب بسبب الولد بأن تطلب منه ما لا يقدر عليه من الرزق، والكسوة، أو بأن تفرط في حفظ الولد، والقيام بما يحتاج إليه، ولا تضارر من زوجها بأن يقصر عليها في شيء مما يجب عليه، أو ينتزع ولدها منها بلا سبب.

● **قال تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ﴾** [البقرة: 282].

قال أبو السعود[4]: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ﴾ نهيٌ عن المضارة محتمل

---

(1) الكشاف.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) فتح القدير.
(4) إرشاد العقل السليم.

للبناءين كما ينبيء عنه قراءةُ من قرأ ولا يضارِرْ بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الإجابة والتغييرِ والتحريفِ في الكتابة والشهادة، أو نهيُ الطالب عن الضرار بهما بأن يُعْجِلَهما عن مَهمّتهما أو يكلفَهما الخروجَ عما حُدّ لهما، أو لا يعطيَ الكاتبَ جُعلَه وقرىء بالرفع على أنه نفي في معنى النهي.

قال العزّ بن عبد السلام[1]: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ﴾ بأن يكتب ما لم يُمل عليه، ولا يشهد الشاهد بما لم يُستشهد، أو يمنع الكاتب أن يكتب والشاهد أن يشهد، أو يدعيان وهما مشغولان.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّۚ﴾ [الطلاق: 6].

قال الألوسي[2]: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ ولا تستعملوا معهن الضرار في السكنى ﴿لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّۚ﴾ فتلجئوهن إلى الخروج بشغل المكان أو بإسكان من لا يردن السكنى معه ونحو ذلك.

قال ابن عاشور[3]: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّۚ﴾. أتبع الأمر بإسكان المطلقات بنهي عن الإضرار بهن في شيء مدة العدة من ضيق محلّ أو تقتير في الإنفاق أو مراجعة يعقبها تطليق لتطويل العدة عليهن قصداً للكناية والتشفي كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ﴾ [البقرة: 231]. أو للإلجاء إلى افتدائها من مراجعته بخلع. والضارة: الإضرار القوي فكأن المبالغة راجعة إلى النهي لا إلى المنهي عنه، أي هو نهي شديد كالمبالغة في قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: 46] في أنها مبالغة في النفي ومثله كثير في القرآن. والمراد بالتضييق: التضييق المجازي وهو الحرج والأذى. واللام في ﴿لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّۚ﴾ لتعليل الإضرار وهو قيد جرى على غالب ما يعرض للمطلقين من مقاصد أهل الجاهلية، كما تقرر في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ﴾ [البقرة: 231] وإلا فإن الإضرار بالمطلقات منهي عنه وإن لم يكن لقصد التضييق عليهن.

---

(1) التفسير العظيم.

(2) روح المعاني.

(3) التحرير والتنوير.

● **قال تعالى:** ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: 126].

قال الشعراوي[1]: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾.. ومعنى أضطره أنه لا اختيار له في الآخرة، فكأن الإنسان له اختيار في الحياة الدنيا، يأخذ هذا ويترك هذا ولكن في الآخرة ليس له اختيار. . فلا يستطيع وهو من أهل النار - مثلاً - أن يختار الجنة، بل إن أعضاءه المسخرة لخدمته في الحياة الدنيا والتي يأمرها بالمعصية فتفعل، فهو في الآخرة لا ولاية له عليها.. وهذا معنى قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: 24]. أي أن الجوارح - التي كانت تطيع الكافر في المعاصي في الدنيا - لا تطيعه يوم القيامة؛ فاللسان الذي كان ينطق كلمة الكفر - والعياذ بالله - يأتي يوم القيامة يشهد على صاحبه..

والقدم التي كانت تمشي إلى أماكن الخمر واللهو والفسوق تشهد على صاحبها، واليد التي كانت تقتل وتسرق تشهد على صاحبها. وقوله: «**أضطره**» معناها أن الإنسان يفقد اختياره في الآخرة، ثم ينتهي إلى النار وإلى العذاب الشديد مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 126].. أي أن الله سبحانه وتعالى يحذر الكافرين بأن لهم النار والعذاب في الآخرة؛ ليس على اختيار منهم ولكن وهم مقهورون.

● **قال تعالى:** ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: 3].

قال الفخر الرازي[2]: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وهذا من تمام ما تقدم ذكره في المطاعم التي حرمها الله تعالى، يعني أنها وإن كانت محرمة إلا أنها تحل في حالة الاضطرار، ومن قوله ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ إلى

(1) تفسير الشعراوي. (2) التفسير الكبير.

هٰهنا اعتراض وقع في البين، والغرض منه تأكيد ما ذكر من معنى التحريم، فإن تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام الذي هو الدين المرضي عند الله تعالى، ومعنى اضطر أصيب بالضر الذي لا يمكنه الامتناع معه من الميتة، والمخمصة المجاعة. قال أهل اللغة: الخمص والمخمصة خلو البطن من الطعام عند الجوع، وأصله من الخمص الذي هو ضمور البطن. يقال: رجل خميص وخمصان وامرأة خميصة وخمصانة والجمع خمائص وخمصانات، وقوله ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ أي غير متعمد، وأصله في اللغة من الجنف الذي هو الميل، قال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ [البقرة: 182] أي ميلاً، فقوله غير ﴿مُتَجَانِفٍ﴾ أي غير مائل وغير منحرف، ويجوز أن ينتصب ﴿غَيْرَ﴾ بمحذوف مقدر على معنى فتناول غير متجانف، ويجوز أن ينصب بقوله: ﴿اَضْطُرَّ﴾ ويكون المقدر متأخراً على معنى: فمن اضطر غير متجانف لاثم فتناول فإن الله غفور رحيم، ومعنى الإثم هٰهنا في قول أهل العراق أن يأكل فوق الشبع تلذذاً، وفي قول أهل الحجاز أن يكون عاصياً بسفره، وقد استقصينا الكلام في هذه المسألة في تفسير سورة البقرة في قوله: ﴿فَمَنِ اَضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: 173] وقوله ﴿فَإِنَّ اَللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يعني يغفر لهم أكل المحرم عندما اضطر إلى أكله، ورحيم بعباده حيث أحل لهم ذلك المحرم عند احتياجهم إلى أكله.

ضرع

(ضَرِع - دَعَا - بَهَلَ - غَوَثَ)

■ **التَّضَرُّعُ:** عندما تطلب العفو عن إساءة بالغة ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ [الأنعام: 43].

■ **الدُّعَاءُ:** طلب الحوائج من الله عز وجل ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ﴾ [غافر: 60].

■ **الابْتِهَالُ:** الاجتهاد والمبالغة في الدعاء من ظلم ظالم ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: 61].

■ **الاسْتِغَاثَةُ:** عندما تكون في خطر محدق ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ﴾ [الأحقاف: 17].

❋ ❋ ❋

ضريع

(ضَرِيع - زَقُّوم - غِسْلِين)

■ **الضَّرِيعُ:** نبات أحمر منتن الرائحة يرمي به البحر ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: 6].

■ **الزَّقُّومُ:** طعام كريه يحرق الأمعاء ويزيد نسبة الجوع ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: 43-46].

■ **الغِسْلِينُ:** طعام يطبخ بغُسالة أبدان الكفار في النار ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: 36].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الضاد والراء والعين أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على لينٍ في الشَّيء. من ذلك: ضَرَعَ الرجل ضَراعةً، إذا ذلَّ. ورجلٌ ضَرَعٌ: ضعيف.

ومن الباب: ضَرْعَ الشّاة وغيرِهِ، سمِّيَ بذلك لما فيه من لِين. ويقال: أضْرَعَت النّاقة، إذا نَزَلَ لبنُها عند قرب النَّتاج. فأمَّا المضارعة فهي التشابُه بين الشيئين. قال بعض أهلِ العلم: اشتقاق ذلك من الضَّرْع، كأنهما ارتضعا من ضَرعٍ واحد. وشاةٌ ضَرِيعٌ: كبيرة الضَّرْع، وضريعةٌ أيضاً. ويقال لناحِل الجسمِ: ضارع.

(1) معجم مقاييس اللغة.

وقال رسول الله ﷺ في ابني جعفر: «**مالي أراهما ضارعَين؟**». ومما شذَّ عن هذا الباب: الضَّريع، وهو نبتٌ.

وممكنٌ أن يُحمَل على الباب فيقال ذلك لضَعْفِهِ، إذا كان لا يُسمِنُ ولا يُغنِي من جوع.

قال الجوهري(1): الضَّرْعُ لكل ذات خفٍّ أو ظِلْفٍ. وأضْرَعَتِ الشاة، أي نزل لبنُها قُبَيل النتاج. وشاةٌ ضَريعٌ وضَريعةٌ، أي عظيمة الضَّرْع. والضَّريع يبيسُ الشِّبْرِقِ، وهو نبت.

وضَرَعَ الرجلُ ضَراعةً، أي خضع وذلَّ.

وأضْرعَهُ غيره. وفي المثل: الحُمَّى أضْرَعَتْني لَكَ.

والضَّرَعُ، بالتحريك: الضعيف. وإنَّ فلاناً لضارِعُ الجسم، أي نحيفٌ ضعيفٌ.

وتَضَرَّعَ إلى الله، أي ابتهل. قال الفراء: جاء فلان يتَضَرَّعُ ويَتَعَرَّضُ بمعنًى، إذا جاء يطلب إليك حاجةً. وتضْريعُ الشمس: دُنُوُّها للمغيب.

ويقال أيضاً: ضَرَعَتِ القِدْرُ: أي حان أن تُدْرِكَ. والمُضارعَةُ: المشابهةُ.

قال الفيروزآبادي(2): الضَّرْعُ: لِلظِّلْفِ والخُفِّ، أو للشَّاءِ والبَقَرِ ونَحْوِهِما، وأمَّا للناقَةِ: فَخِلْفٌ،جمعه: ضُرُوعٌ. وشاةٌ وامْرَأةٌ ضَرْعاءُ وضَريعٌ وضَريعَةٌ: عَظِيمَتُهُ. والضُّرُوعُ، بالضمِّ: عِنَبٌ أبْيَضُ كِبارُ الحَبِّ. والضَّريعُ، كأميرٍ: الشِّبْرِقُ، أو يَبيسُهُ، أو نَباتٌ رَطْبُهُ يُسَمَّى شِبْرِقاً، ويابِسُهُ ضَريعاً، لا تَقْرَبُه دابَّةٌ لخُبْثِهِ، وضرع: السُّلَّاءُ، والعَوْسَجُ الرَّطْبُ، أو نَباتٌ في الماءِ الآجِنِ، له عُروقٌ لا تَصِلُ إلى الأرضِ، أو شيءٌ في جَهَنَّمَ، أَمَرُّ من الصَّبِرِ، وأنْتَنُ من الجيفَةِ، وأحَرُّ من النارِ، ونَباتٌ مُنْتِنٌ يَرْمي به البَحْرُ، ويَبيسُ كلِّ شجرةٍ، والخَمْرُ أو رَقِيقُها، والجِلْدَةُ على العَظْمِ تَحْتَ اللحمِ. وضَرَعَ إليه، ويُثَلَّثُ، ضَرَعاً، محركةً، وضَرَاعَةً:

---

(1) الصحاح في اللغة. (2) القاموس المحيط.

خَضَعَ، وذَلَّ، واسْتَكَانَ، أو كفرحَ ومَنَعَ: تَذَلَّلَ، فهو ضارِعٌ وضَرِعٌ، ككتِفٍ، وضَرُوعٌ وضَرَعَةٌ، محركةً.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: 94].

قال الألوسي[1]: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ أي كي يتضرعوا ويخضعوا ويتوبوا من ذنوبهم وينقادوا لأمر الله تعالى.

قال الشوكاني[2]: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ أي لكي يتضرعوا ويتذللوا، فيدعوا ما هم عليه من الاستكبار وتكذيب الأنبياء.

● **قال تعالى:** ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأنعام: 63].

قال الفخر الرازي[3]: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ فبين تعالى أنه إذا شهدت الفطرة السليمة والخلقة الأصلية في هذه الحالة بأنه لا ملجأ إلا إلى الله، ولا تعويل إلا على فضل الله، وجب أن يبقى هذا الإخلاص عند كل الأحوال والأوقات، لكنه ليس كذلك، فإن الإنسان بعد الفوز بالسلامة والنجاة.

قال الخازن[4]: ﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ يعني فإذا اشتد بكم الأمر تخلصون له الدعاء تضرعاً منكم إليه واستكانة. جهراً وخفية: يعني سراً وحالاً.

● **قال تعالى:** ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: 6].

قال الفخر الرازي[5]: واختلفوا في أن الضريع. ما هو على وجوه أحدها:

(1) روح المعاني.
(2) فتح القدير.
(3) التفسير الكبير.
(4) لباب التأويل.
(5) التفسير الكبير.

قال الحسن: لا أدري ما الضريع ولم أسمع فيه من الصحابة شيئاً وثانيها: روى عن الحسن أيضاً أنه قال: الضريع بمعنى المضرع كالأليم والسميع والبديع بمعنى المؤلم والمسمع والمبدع، ومعناه إلا من طعام يحملهم على أن يضرعوا ويذلوا عند تناوله لما فيه من الخشونة والمرارة والحرار وثالثها: أن الضريع ما يبس من الشبرق، وهو جنس من الشوك ترعاه الإبل ما دام رطباً، فإذا يبس تحامته وهو سم قاتل، قال أبو ذويب:

رعى الشبرق الريان حتى إذا ذوى وعاد ضريعاً عاد عنه النحائص

جمع نحوص وهي الحائل من الإبل، وهذا قول أكثر المفسرين وأكثر أهل اللغة ورابعها: قال الخليل في كتابه: ويقال للجلدة التي على العظم تحت اللحم هي الضريع، فكأنه تعالى وصفه بالقلة، فلا جرم لا يسمن ولا يغني من جوع وخامسها: قال أبو الجوزاء: الضريع السلا، ويقرب منه ما روي عن سعيد بن جبير أنه شجرة ذات شوك، ثم قال أبو الجوزاء: وكيف يسمن من كان يأكل الشوك! وفي الخبر الضريع شيء يكون في النار شبيه الشوك أمر من الصبر، وأنتن من الجيفة وأشد حراً من النار، قال القفال: والمقصد من ذكر هذا الشراب وهذا الطعام، بيان نهاية ذلهم وذلك لأن القوم لما أقاموا في تلك السلاسل والأغلال تلك المدة الطويلة عطاشاً جياعاً، ثم ألقوا في النار فرأوا فيها ماء وشيئاً من النبات، فأحب أولئك القوم تسكين ما بهم من العطش والجوع فوجدوا الماء حميماً لا يروي بل يشوي، ووجدوا النبات مما لا يشبع ولا يغني من جوع، فأيسوا وانقطعت أطماعهم في إزالة ما بهم من الجوع والعطش، كما قال: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ﴾ [الكهف: 29] وبين أن هذه الحالة لا تزول ولا تنقطع، نعوذ بالله منها وهٰهنا سؤالات:

السؤال الأول: قال تعالى في سورة الحاقة: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة: 35-36] وقال هٰهنا: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ والضريع غير الغسلين والجواب: من وجهين الأول: أن النار دركات فمن أهل

النار من طعامه الزقوم، ومنهم من طعامه الغسلين، ومنهم من طعامه الضريع، ومنهم من شرابه الحميم، ومنهم من شرابه الصديد، لكل باب منهم جزء مقسوم الثاني: يحتمل أن يكون الغسلين من الضريع ويكون ذلك كقوله: مالي طعام إلا من الشاه، ثم يقول: مالي طعام إلا من اللبن، ولا تناقض لأن اللبن من الشاة.

السؤال الثاني: كيف يوجد النبت في النار؟ الجواب: من وجهين: الأول: ليس المراد أن الضريع نبت في النار يأكلونه، ولكنه ضرب مثله، أي إنهم يقتاتون بما لا يشبعهم أو يعذبون بالجوع كما يعذب من قوته الضريع الثاني: لم لا يجوز أن يقال: إن النبت يوجد في النار؟ فإنه لما لم يستبعد بقاء بدن الإنسان مع كونه لحماً ودماً في النار أبد الآباد، فكذا هٰهنا وكذا القول في سلاسل النار وأغلالها وعقاربها وحياتها.

قال أبو السعود[1]: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ بـيـانٌ لطعامِهم إثرَ بـيـانِ شرابِهم، والضريعُ يبـيسُ الشبرقِ وهو شوكٌ ترعاهُ الإبلُ ما دامَ رطباً وإذا يبسَ تحامتْهُ وهو سمٌّ قاتلٌ، وقيلَ: هي شجرةٌ ناريةٌ تشبهُ الضريعَ وقال ابنُ كيسانٍ: هو طعامٌ يُصرعونَ عندَهُ ويذلُّونَ ويتضرعونَ إلى الله تعالى طلباً للخلاصِ منه فسمِّيَ بذلكَ وهذا طعامٌ لبعضِ أهلِ النارِ، والزقومُ والغسلينُ لآخرينَ.

---

(1) إرشاد العقل السليم.

ضعف

(ضَعْف - عَيِي - عَجْز - عَجف - فَشَل - وَهن - وَهى)

■ **الضَّعْفُ:** - بالفتح: انعدام القوة في البدن ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم: 54].

■ **العَيِيُّ:** ضعف في الحركة والكلام من شدة التعب ﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ [الأحقاف: 33].

■ **العَجْزُ:** التأخر الكبير في إنجاز العمل ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾ [المائدة: 31].

■ **العَجَفُ:** رقة البدن مع الهزال الشديد ﴿سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ﴾ [يوسف: 43].

■ **الفَشَلُ:** ضعف مع جبن وعدم خبرة ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟﴾ [الأنفال: 46].

■ **الوَهَنُ:** ضعف الشيء بفعل طول قِدَمِهِ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ [مريم: 4].

■ **الوَهى:** ضعف من استرخاء الرباط أو التراخي الشديد ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: 16].

* * *

شرح المعاني:

هذه الآفة التي استعاذ منها رسول الله ﷺ لها مترادفات في كتاب الله عز وجل

يظن أنها متوحدة المعنى وواحدة في المقصود ولكن هذا ليس من شأن الكتاب العزيز فما من كلمتين تتشابهان مطلقاً.

1 - **العجز**: ضده القدرة ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ﴾ [المائدة: 31].

باختصار دقيق جداً عدم القدرة على تحقيق الإرادة مطلقاً فعندما نقول فلان عاجز، فلان ضعيف، فلان واهن، فلان واهي، تظن أنها واحدة وليس كذلك. فالعجز أنك لا تستطيع أن تحقق القدرة مطلقاً. ﴿لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾ [الرعد: 31].

رب العالمين يعلن قدرته على أنه لو أراد لهدى الناس جميعاً، إعلان القدرة يسمى مشيئة لكن الله ما فعل، ما شاء الله أن يهدي الناس جميعاً ولو شاء لفعل. إذن المشيئة إعلان القدرة أني أنا أستطيع أن أفعل الشيء الفلاني سواء كان فعلته أو لم أفعله ولذلك قال: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ﴾ [الرعد: 39].

فالمشيئة تتغير يشاء الله ثم لا يشاء لكنه قادر في الحالتين. الإرادة تطبيق القدرة فعلياً ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: 107]، ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: 117] هذا الفرق.

فإذا كنت لا تستطيع، ليس لك القدرة على تحقيق وتطبيق إرادتك بشكل مطلق فأنت عاجز.

والعجز ضد القدرة والضعف ضد القوة، أنا لدي قوة لكنها ضعيفة لا تقوى على إتمام الإرادة. ونرى هذا في نص الآية ففي البداية قال: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ [الأنفال: 65].

هكذا أراد الله رب العالمين ثم قال: ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ [الأنفال: 66]، ففي البداية إذا التقى المسلمون بغيرهم، إذا كان واحدٌ أمام عشرين عليه أن يصبر لأنه هو كفء للعشرين ولكن في قوله:

﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ أي أن هناك نقصاً نسبياً بالقوة وليس بالقدرة. حينئذٍ جعلها واحداً أمام اثنين ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾.

فهذا الفرق بين فلان عاجز وفلان ضعيف.

فلان عاجز مطلقاً ليس له أي قدرة، أما الضعف فهناك ضعف في القوة نسبي هذا هو الفرق.

2 - **الوهن**: قلنا العجز ضد القدرة، الضعف ضد القوة، الوهن ضد الصلابة فهنالك شخص صلب، شخص مقاتل، مهما انكشف عنه الناس ومهما تخلى عنه الأقران كما قال النبي ﷺ: «**من الذين يضحك الله لهم يوم القيامة رجلٌ انسحب أقرانه وانكشفوا لشدة ضغط العدو وبقي وحده صبر لله، فيقول الله عز وجل للملأ الأعلى: انظروا إلى عبدي صبر لي بنفسه ولو شاء لهرب**».

فليس عليه شيء فالضغط شديد إذن هذه صلابة. وعكس الصلابة الوهن والله عز وجل امتدح بعض السرايا الإسلامية فقال: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146] وعندنا في اللغة الشيء لا يعطف على نفسه. إذن الضعف غير الوهن ولو كان الضعف هو نفسه الوهن ما عطف الله أحدهما على الآخر. فالوهن ضد الصلابة ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾ [النساء: 104].

طبعاً ضعف الوهن بعد قوة، كأن تكون أنت مقاتل فالمطلوب أن تكون في مستوى عالٍ من القوة وإذا بها نقصت يقال وهن ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان: 14] بعد أن كانت هذه الأم قوية بهذا الحمل أثقلت الحامل وأصبحت في غاية التعب ثم هذا الطفل يأخذ أسنانه من أسنانها وعظامه من عظامها وكل شيء فيه يأخذه من أمه فبعد أن كانت قوية صارت واهنة، فالوهن إذن ضد الصلابة.

3 - **الوهي**: ضد الشدة ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: 16].

الوهي ضد الشدة والوهن ضد الصلابة فالحبل ليس صلباً لكنه لين وشديد لا

ينقطع وهذا الثوب ليس صلباً ولكنه شديد لا ينشق بسهولة فإذا مر عليه الزمن وأصبح يتمزق بسهولة يسمى واهياً. فالوهيُ ضد الشدة كما أن الوهن ضد الصلابة ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ﴾ بعد هذا التماسك العظيم تتساقط قطعاً قطعاً.

4 - **الفتور**: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء: 20].

رب العالمين يمتدح الملائكة بهذا أنهم لا يفترون لحظة واحدة ليس غير، والفترة بين فعلين ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المائدة: 19].

المدة التي بين رسول ورسول تسمى فترة. هذه الفترة نوع من الفتور فليس هناك نشاط سماوي بإرسال الرسل وإنزال الوحي. فالفتور ضد الحِدّة كأن يقوم شخص بعمله في منتهى الحدة فإذا به يفتر كما في الحديث: «**لكل عمل شرة ولكل شرة فترة**» فكل عمل يكون في البداية فيه نشاط يسمى شرة وكل شرة لا بد أن تكون بعدها فترة، فهذه الفترة كما نصحنا النبي ﷺ أن تكون إلى خير لا تكون إلى إدبار. فالبنية ضعفت فأصبح لديك فترة. ونرى الدقة في الفرق بين الكسل والفتور فالفتور لضعف في البنية وتعب، أما الكسل فتعب في الهمة هِمّتك ضعفت. فالضعف إذا كان في البنية يسمى فتوراً وإذا كان الضعف في الهمة يسمى كسلاً.

5 - **التثاقل**: إذا كان الضعف بسبب كراهية الفعل يسمى تثاقلاً ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [التوبة: 38].

كراهية الذهاب لأن لديكم شيئاً أهم من بساتين وأراضٍ فيقول المولى عز وجل: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾.

ونلاحظ الدقة بين هذه المنظومة ككل منظومة من الكلمات القرآنية، كل كلمة منها ترسم زاوية من الصورة لا ترسمها الكلمة الأخرى. هذه هي اللغة المعجزة على وجه الأرض وهي بالإجماع وبلا منازع سيدة لغات الأرض ولو أن أهلها في هذا الزمان عقوها كثيراً؛ نظراً لأنهم أمة مغلوبة والأمة الغالبة تنفض حضارتها

ولغتها على الأمم المغلوبة وهذا الذي يجري اليوم وهذا منطق التاريخ ولا ينبغي أن تغضب هكذا هي دورة الزمن.

هكذا هي لغة القرآن الكريم التي علينا أن نعرف أين وجه الإعجاز فيها؟.

فرب العالمين خاطب به العرب في عصر النبي ﷺ وفي عصر النبي ﷺ نضجت اللغة العربية حتى صارت قمة في النضج ثم بدأت تتقهقر، بدأت تبنى وتبنى منذ نشأتها إلى أن جاء النبي ﷺ وقد اكتمل نضجها فأصبح العرب أمة ما من أمة تحسن استعمال حرفها كهذه الأمة. فهؤلاء رب العالمين قال لهم:

﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: 23] ولكن لا شيء فهذا الإعجاز لمن يعرف اللغة يقول هذا كلام لا يفعله إلا رب العالمين.

نتكلم عن الضعف من خلال آيتين، والكلام في الضعف في القرآن الكريم كلام طويل عن ضعف الجيوش وضعف الأمة وضعف الإنسان وضعف الهمم. فالضعف في القرآن فلسفة ولهذا رب العالمين سبحانه وتعالى تكلم عن الضعيف والقوي بأن الضعيف هو من كان على خلاف الحق والقوي من كان على الحق فأنت مع الحق حتى لو قطعت رأسك فأنت القوي ودعك من قوة المال وقوة الحكم فهذا كله زائل والباقي والخالد والنظيف والكريم هو أن تكون مع الحق «**المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف**». وكما قال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: «الضعيف منكم عندي قوي حتى آخذ الحق له والقوي منكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه» إذن مدار هذه الأمة على الحق فنظرية الحق في هذا الدين عظيمة وما من أمة صادقة في أنها تعرف الحق وتطبقه مثل هذه الأمة.

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الضاد والعين والفاء أصلانِ متباينانِ، يدلُّ أحدُهما على خلاف القُوَّة، ويدلُّ الآخر على أن يزاد الشَّيءُ مِثلَه. فالأوَّل: الضَّعف والضُّعف، وهو خلاف القُوَّة. يقال: ضَعُفَ يضعُف، ورجلٌ ضعيف وقوم ضُعفاءُ وضِعافٌ. وأمَّا الأصل الآخَر فقال الخليل: أضعفت الشَّيءَ إضعافاً، وضعَّفتُهُ تضعيفاً، وضاعَفتُهُ مُضاعَفة، وهو أن يُزادَ على أصل الشَّيء فيُجعلَ مثلين أو أكثر. قال غيره: المضعوف الشَّيء المضاعَف. قال أبو عمرو: المضعوف من أضعفْتُ الشَّيء. وذكر أبو عبيدٍ ذلك في باب أفعلتُهُ فهو مفعول. والمضاعَفَة: الدِّرع نُسِجَتْ حَلْقَتينِ.

قال الجوهري[2]: الضَّعْفُ والضُّعْفُ: خلاف القوَّة. وقد ضَعُفَ فهو ضعيفٌ، وأضْعَفَهُ غيره. وقومٌ ضِعافٌ وضُعَفاءُ وضَعَفَةٌ. واسْتَضْعَفَهُ، أي عدَّه ضَعيفاً. وذكر الخليل أن التَّضْعيفَ أن يزاد على أصل الشيء فيُجْعَلَ مِثْلين أو أكثر. وكذلك الإضعافُ والمُضاعَفَةُ. يقال ضَعَّفْتُ الشيءَ وأضْعَفْتُهُ وضاعَفْتُهُ، بمعنًى. وضِعْفُ الشيء: مثله. وضِعْفاهُ مثلاه. وأضْعافُهُ: أمثاله. وقوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ [الإسراء: 75] أي ضِعْفَ العذاب حيًّا وميّتاً. يقول: أضْعَفْنا لك العذابَ في الدنيا والآخرة. وقولهم: وقَّع فلان في أضْعافِ كتابه، يراد به توقيعه في أثناء السطور أو الحاشية. وأُضْعِفَ القومُ، أي ضوعِفَ لهم. وأضْعَفْتُ الشيءَ فهو مضعوفٌ على غير قياس.

وأضْعَفَ الرجلُ: ضَعُفَتْ دابته، يقال: هو ضَعيفٌ مُضْعِفٌ. فالضَّعيفُ في بدنه، والمُضْعِفُ في دابته. وضَعَّفَهُ السير، أي أضْعَفَهُ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

والتَّضْعيفُ أيضاً: أن تنسبه إلى الضَّعْفِ. والمُضاعفَةُ الدرعُ التي نُسِجَتْ حَلْقَتينِ.

قال الفيروزآبادي[1]: الضَّعْفُ، ويُضَمُّ، ويُحَرَّكُ: ضِدُّ القُوَّةِ. ضَعُفَ، ككَرُمَ وَنَصَرَ، ضَعْفاً ضُعْفاً وضَعَافَةً وضَعَافِيَةً، فهو ضعيفٌ وضَعوفٌ وضَعْفانُ، جمعه: ضِعافٌ وضُعَفاءُ وضَعَفَةٌ وضَعْفَى وضَعافَى، أو الضَّعْفُ: في الرَّأْيِ، وبالضم: في البَدَنِ. وهي ضعيفةٌ وضَعوفٌ. وقولهُ تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم: 54]، أي: من مَنِيٍّ، و﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 28]، أي: يَسْتَمِيلُهُ هَواهُ. وضِعْفُ الشيءِ، بالكسرِ: مِثْلُه. وضِعْفاهُ: مِثْلاهُ، أو الضِعْفُ: المِثْلُ إلى ما زادَ، ويقالُ: لَكَ ضِعْفُهُ: يُريدونَ مِثْلَيْهِ وثلاثةَ أمْثالِهِ، لأنه زيادةٌ غيرُ مَحْصورةٍ. وقولُ اللهِ تعالى: ﴿يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: 30]، أي: ثلاثةَ أعْذِبةٍ. ومَجَازُ يُضاعَفُ، أي: يُجْعَلُ إلى الشيءِ شَيْئانِ، حتى يَصيرَ ثلاثةً. وأضْعافُ الكِتابِ، أي: أثْناءُ سُطورِه وحَواشيهِ، وضعف من الجَسَدِ: أعْضاؤُه أو عِظامُه، الواحدةُ: ضِعْفٌ، بالكسر. وضَعَفَهُم، كمَنَعَ: كَثَرَهُم، فصارَ له ولأصحابِهِ الضِّعْفُ عليهم. والضَّعَفُ، محرَّكةً: الثِّيابُ المُضَعَّفَةُ. والضعيفُ: الأعْمَى، حِمْيَرِيَّةٌ، قيل: ومنه ﴿لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ [هود: 91].

المعنى المشترك لكلمة (ض ع ف)

وقد وردت كلمة (ضعف) في القرآن الكريم على عشرة أوجه:

الوجه الأول: الضعيف يعني: العاجز عن الحيلة ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ [البقرة: 266].

الوجه الثاني: الضعيف: من لا يصبر عن التزويج ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 28].

(1) القاموس المحيط.

الوجه الثالث: الضعيف يعني: الضرير ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ [هود: 91].

الوجه الرابع: الضعفاء يعني: الزمنى ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: 91].

الوجه الخامس: الضعيف يعني: المقهور ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ [القصص: 4].

الوجه السادس: الضعفاء يعني: السفلة ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ [سبأ: 33].

الوجه السابع: الضعف يعني: النطفة ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم: 54].

الوجه الثامن: الضعف يعني: الخذلان ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76].

الوجه التاسع: الضعف يعني: العذاب ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ [الإسراء: 75].

الوجه العاشر: المضاعفة ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: 30].. أي أقساطاً كثيرة.

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى:** ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا﴾ [البقرة: 282].

قال أبو السعود[1]: ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ صرَّح بذلك في موضع

(1) إرشاد العقل السليم.

الإضمار لزيادة الكشفِ والبيان لا لأن الأمرَ والنهيَ لغيره ﴿سَفِيهًا﴾ ناقصَ العقلِ مبذّراً مجازفاً ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ صبياً أو شيخاً مختلاً.

قال البغوي[1]: ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا﴾ أي جاهلاً بالإملاء، قاله مجاهد، وقال الضحاك والسدي: طفلاً صغيراً، وقال الشافعي رحمه الله، السفيه: المبذر المفسد لماله أو في دينه. قوله: ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ أي شيخاً كبيراً وقيل هو ضعيف العقل لِعَتَهٍ أو جنون.

● **قال تعالى**: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: 73].

قال القرطبي[2]: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ قيل؛ الطالب الآلهةُ والمطلوب الذباب. وقيل بالعكس. وقيل: الطالب عابدُ الصنم والمطلوبُ الصنم؛ فالطالب يطلب إلى هذا الصنم بالتقرّب إليه، والصنم المطلوب إليه. وقد قيل: «وإنْ يَسْلُبْهم الذّبابُ شيئاً» راجع إلى ألمه في قرص أبدانهم حتى يسلبهم الصبر لهم والوقار معها. وخصّ الذباب لأربعة أمور تخصه: لمهانته وضعفه ولاستقذاره وكثرته؛ فإذا كان هذا الذي هو أضعف الحيوان وأحقره لا يقدر من عبدوه من دون الله عز وجل على خلق مثله ودفع أذيّته فكيف يجوز أن يكونوا آلهة معبودين وأرباباً مطاعين. وهذا من أقوى حجة وأوضح برهان.

قال الفخر الرازي[3]: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ ففيه قولان: أحدهما: المراد منه الصنم والذباب فالصنم كالطالب من حيث إنه لو طلب أن يخلقه ويستنقذ منه ما استلبه لعجز عنه والذباب بمنزلة المطلوب الثاني: أن الطالب من عبد الصنم، والمطلوب نفس الصنم أو عبادتها، وهذا أقرب لأن كون الصنم طالباً ليس حقيقة بل هو على سبيل التقدير، أما هٰهنا فعلى سبيل التحقيق لكن المجاز فيه حاصل لأن الوثن لا يصح أن يكون ضعيفاً، لأن الضعف لا يجوز إلا

(1) معالم التنزيل.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) التفسير الكبير.

على من يصح أن يقوى، وهٰهنا وجه ثالث وهو أن يكون معنى قوله: ﴿ضَعُفَ﴾ لا من حيث القوة ولكن لظهور قبح هذا المذهب، كما يقال للمرء عند المناظرة: ما أضعف هذا المذهب وما أضعف هذا الوجه.

● **قال تعالى**: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ﴾ [الأنفال: 66].

قال ابن كثير(1): ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ﴾ فلا ينبغي لمائة أن يفروا من مائتين، وروى البخاري عن علي بن عبد الله عن سفيان به نحوه، وقال محمد بن إسحاق: حدثني ابن أبي نجيح، عن عطاء عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية، ثقلت على المسلمين، وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين، ومائة ألفاً، فخفف الله عنهم، فنسخها بالآية الأخرى، فقال: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ﴾ الآية، فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم، لم يسغ لهم أن يفروا من عدوهم، وإذا كانوا دون ذلك، لم يجب عليهم قتالهم، وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم.

قال الزمخشري(2): وضعفاً: جمع ضعيف. وقرىء الفعل المسند إلى المائة بالتاء والياء في الموضعين، والمراد بالضعف: الضعف في البدن. وقيل: في البصيرة والاستقامة في الدين، وكانوا متفاوتين في ذلك فإن قلت: لم كرّر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لأكثر منها مرّتين قبل التخفيف وبعده؟ قلت: للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت؛ لأن الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف، وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والألف الألفين.

● **قال تعالى**: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ [النساء: 75].

---

(1) تفسير ابن كثير.

(2) الكشاف.

قال الألوسي[1]: ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ إما عطف على الاسم الجليل أي في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الأسر وصونهم عن العدو - وهو المروي عن ابن شهاب - واستبعد بأن تخليصهم سبيل الله تعالى لا سبيلهم، وفيه أنه وإن كان سبيل الله عز اسمه له نوع اختصاص بهم فلا مانع من إضافته إليهم؛ واحتمال أن يراد بالمقاتلة في سبيلهم - المقاتلة في فتح طريق مكة إلى المدينة ودفع سد المشركين إياه ليتهيأ خروج المستضعفين - مستضعف جداً، وإما عطف على (سبيل) بحذف مضاف، وإليه ذهب المبرد أي وفي خلاص المستضعفين، ويجوز نصبه بتقدير أعني أو أخص فإن سبيل الله تعالى يعم أبواب الخير وتخليص المستضعفين من أيدي المشركين من أعظمها وأخصها، ومعنى المستضعفين الذين طلب المشركون ضعفهم وذلهم أو الضعفاء منهم والسين للمبالغة.

﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لمنع المشركين لهم من الخروج، أو ضعفهم عن الهجرة، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كنت أنا وأمي من المستضعفين، وقد ذكر أن منهم سلمة بن هشام، والوليد بن الوليد وأبا جندل بن سهيل، وإنما ذكر الولدان تكميلاً للاستعطاف والتنبيه على تناهي ظلم المشركين، والإيذان بإجابة الدعاء الآتي واقتراب زمان الخلاص وفي ذلك مبالغة في الحث على القتال. ومن هنا يعلم أن الآية لا تصلح دليلاً على صحة إسلام الصبي بناءاً على أنه لولا ذلك لما وجب تخليصهم على أن في انحصار وجوب التخليص في المسلم نظراً لأن صبي المسلم يتوقع إسلامه فلا يبعد وجوب تخليصه لينال مرتبة السعداء، وقيل: المراد - بالولدان العبيد والإماء وهو على الأول: جمع وليد ووليدة بمعنى صبي وصبية وقيل: إنه جمع ولد كورل وورلال، وعلى الثاني: كذلك أيضاً إلا أن الوليد والوليدة بمعنى العبد والجارية. وفي «الصحاح»: الوليد الصبي والعبد والجمع

(1) روح المعاني.

ولدان، والوليدة الصبية والأمة والجمع ولائد، فالتعبير - بالولدان - على طريق التغليب ليشمل الذكور والإناث. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في محل جر على أنه صفة للمستضعفين، أو لما في حيز البيان، وجوز أن يكون نصباً بإضمار فعل أي أعني أو أخص الذين.

● **قال تعالى**: ﴿قَالُوٓاْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النساء: 97].

قال الشعراوي[1]: ﴿قَالُوٓاْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾، وبالله عندما يحكي لنا الله هذه الصورة التي تحدث يوم القيامة فهل سيكون عندنا وقت للاستفادة منها؟. طبعاً لا؛ لأنه لن يكون لنا قدرة الاستدراك لنصحح الخطأ. والحق حين يقص علينا هذا المشهد فذلك من لطفه بنا، وتنبيه لكل منا: احذروا أن يأتي موقف ويحدث فيه ما أوضحته لكم ولن يستطيع أحد أن يستدرك الحياة ليصنع العمل الطيب.

قال ابن عاشور[2]: والمستضعف: المعدود ضعيفاً فلا يعبأ بما يصنع به فليس هو في عزّة تُمَكِّنه من إظهار إسلامه، فلذلك يضطّر إلى كتمان إسلامه. والأرض هي مكة. أرادوا: كنّا مكرهين على الكفر ما أقمنا في مكة، وهذا جواب صادق إذ لا مطمع في الكذب في عالم الحقيقة وقد حسبوا ذلك عذراً يبيح البقاء على الشرك، أو يبيح التخلّف عن الهجرة، على اختلاف التفسيرين، فلذلك ردّ الملائكة عليهم بقولهم: ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ [النساء: 97]، أي تخرجوا من الأرض التي تستضعفون فيها، فبذلك تظهرون الإيمان، أو فقد اتّسعت الأرض فلا تعدمون أرضاً تستطيعون الإقامة فيها.

● **قال تعالى**: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾ [الروم: 54].

---

(1) تفسير الشعراوي. (2) التحرير والتنوير.

قال الألوسي[1]: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ مبتدأ وخبر أي ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف أساس أمركم كقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 28] فمن ابتدائية، وفي الضعف استعارة مكنية حيث شبه بالأساس والمادة وفي إدخال من عليه تخييل، ويجوز أن يراد من الضعف الضعيف بإطلاق المصدر على الوصف مبالغة أو بتأويله به أو يراد من ذي ضعف والمراد بذلك النطفة أي الله تعالى الذي ابتدأ خلقكم من أصل ضعيف وهو النطفة كقوله تعالى: ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: 8] وهذا التفسير وإن كان مأثوراً عن قتادة إلا أن الأول أولى وأنسب بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ وذلك عند بلوغكم الحلم أو تعلق الروح بأبدانكم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ إذا أخذ منكم السن والمراد بالضعف هنا ابتداؤه ولذا أخر الشيب عنه أو الأعم فقوله سبحانه: ﴿وَشَيْبَةً﴾ للبيان أو للجمع بين تغيير قواهم وظواهرهم.

قال ابن عجيبة[2]: يقول الحق جل جلاله: ﴿ٱللَّهُ﴾ الذي يستحق أن يعبد وحده هو ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ أي: ابتدأكم ضُعفاء، وجعل الضعف أساس أمركم، أو: خلقكم من أصل ضعيف، وهو النطفة؛ كقوله: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: 20]، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾، يعني: حال الشباب إلى بلوغ الأشد، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾، يعني: حال الشيخوخة والهرم. وقد ورد في الشيب ما يسلي عن روعة هجومه فمن ذلك قوله ﷺ: «**من شاب شيبة الإسلام؛ كانت له نوراً يوم القيامة**»، ولما رأى إبراهيم عليه السلام الشيب في لحيته قال: يارب، ما هذا؟ قال: هذا وقار. وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: «**يا داود، إني لأنظر الشيخ الكبير، مساءً وصباحاً، فأقول له: عبدي، كَبِرَ سِنُّكَ، ورق جلدك، ووهن عظمك، وحان قدومك عليّ، فاستحي مني، فإني أستحيي أن أُعذب شَيْبَةً بالنار**».

(1) روح المعاني. (2) البحر المديد.

● **قال تعالى**: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ [الأحزاب: 30].

قال أبو السعود(1): ﴿ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ أي يعذبنَّ ضعفي عذابِ غيرهنَّ أي مثليهِ لأنَّ الذنبَ منهنَّ أقبحُ فإنَّ زيادةَ قُبحه تابعةٌ لزيادةِ فضلِ المذنبِ والنِّعمةِ عليهِ ولذلك جُعل حدُّ الحرِّ ضعفَ حدِّ الرَّقيقِ وعُوتب الأنبياءُ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ بما لا يُعاتب به الأممُ. وقُرىء يُضعَّف على البناءِ للمفعولِ ويُضاعف ونُضعِّف بنونِ العظمةِ على البناءِ للفاعلِ ونَصبِ العذابِ ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ لا يمنعُه من التَّضعيفِ كونُهنَّ نساءَ النبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بل يدعُوه إليهِ لمراعاةِ حقِّهِ.

قال الخازن(2): ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ﴾ أي مثلين وسبب تضعيف العقوبة، لهن لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرة على الأمة وذلك لأن نسبة النبي ﷺ إلى غيره من الرجال كنسبة الحرة إلى الأمة ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ أي عذابها.

● **قال تعالى**: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ [سبأ: 37].

قال القرطبي(3): ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ يعني قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: 160] فالضعف الزيادة، أي لهم جزاء التضعيف، وهو من باب إضافة المصدر إلى المفعول. وقيل: لهم جزاء الأضعاف، فالضعف في معنى الجمع، وإضافة الضعف إلى الجزاء كإضافة الشيء إلى نفسه، نحو: حق اليقين، وصلاة الأولى. أي لهم الجزاء المضعّف، للواحد عشرة إلى ما يريد الله من الزيادة. وبهذه الآية استدلّ من فضّل الغنى على الفقر. وقال محمد بن كعب: إن المؤمن إذا كان غنيًّا تقيًّا آتاه الله أجره مرتين بهذه الآية.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) لباب التأويل.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

قال البغوي[1]: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾، أي: يضاعف الله لهم حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة عشرة إلى سبعمائة قرأ يعقوب: «جزاء» منصوباً منوناً «الضعف» رفع، تقديره: فأولئك لهم الضعف جزاء.

● **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 130].

قال الشعراوي[2]: والربا زيادة في المال، فهل يؤكل؟ نعم؛ لأن كل المسائل المالية من أجل اللقمة التي تأكلها، هذا هو الأصل. والرسول ﷺ يقول: «**من أصبح منكم آمناً في سِرْبِهِ مُعَافىً في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا**».

ونعرف أنه عندما يكون الواحد منا في منطقة ليس فيها رغيف خبز، فلن تنفعه ملكية جبل من الذهب. ﴿لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [آل عمران: 130] وقوله سبحانه: «**أضعافاً**» و«**مضاعفة**» هو كلام اقتصادي على أحدث نظام، فالأضعاف هي: الشيء الزائد بحيث إذا قارنته بالأصل صار الأصل ضعيفاً، فعندما يكون أصل المال مائة - على سبيل المثال - وسيؤخذ عليها عشرون بالمائة كفائدة فيصبح المجموع مائة وعشرين. إذن فالمائة والعشرون تجعل المائة ضعيفة، هذا هو معنى أضعاف.

فماذا عن معنى «مضاعفة»؟ إننا سنجد أن المائة والعشرين ستصبح رأس مال جديداً، وعندما تمر سنة ستأخذ فائدة على المائة وعلى العشرين أيضاً، إذن فالأضعاف ضوعفت أيضاً، وهذا ما يسمى بالربح المركب، وهل معنى هذا أننا نأكله بغير أضعاف مضاعفة؟! لا؛ لأن الواقع في عهد رسول الله ﷺ كان هكذا.

وقد يقول لك واحد: أنا أفهم القرآن وأن المنهي هو الأضعاف المضاعفة،

---

(1) معالم التنزيل. (2) تفسير الشعراوي.

فإذا لم تكن أضعافاً مضاعفة فهل يصح أن تأخذ ربحاً بسيطاً يتمثل في نسبة فائدة على أصل المال فقط؟ ولكن مثل هذا القائل نرده إلى قول الله: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 279].

إن هذا القول الحكيم يوضح أن التوبة تقتضي أن يعود الإنسان إلى حدود رأس ماله ولا يشوب ذلك ربح بسيط أو مركب. وعندما نجد كلمة «أضعافاً مضاعفة» فهي قد جاءت فقط لبيان الواقع الذي كان سائداً في أيامها.

ضغث

(ضَغَثَ)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الضاد والغين والثاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على التباسِ الشَّيءِ بعضه ببعض. يقال للحالم: أَضْغَثْتَ الرُّؤيا. والأضغاث: الأحلام الملتبِسة. والضِّغْث قُبضة [من] قُضْبان أو حشيش، قال الخليل: أصلٌ واحدٌ. ويقال: ناقة ضَغوثٌ، إِذا شَكَكْتَ في سِمَنِها فلمستَ أَبِها طِرْقٌ. والضَّغْثُ كالمَرْس.

قال الجوهري[2]: الضِّغْثُ: قبضةُ حشيشٍ مختلطة الرَّطْبِ باليابس. وأضغاثُ الأحلام: الرؤيا التي لا يصحُّ تأويلها لاختلاطها. وضَغَثَ الحديثَ: خلطه. والضاغث: الذي يختبئ في الخَمَرِ يُفْزِعُ الصبيانَ بصوتٍ يردِّده في حلقه. وضَغَثَ السنامَ: عَرَكَهُ، . وناقةٌ ضَغوثٌ، مثل ضَبوثٍ، وهي التي يُشَكُّ في سِمَنِها فَتُضْغَثُ أَبِها طِرْقٌ أم لا.

قال الفيروزآبادي[3]: ضَغَثَ الحديثَ، كمَنَعَ: خَلَطَه، وضغث السَّنامَ: عركَه، وضغث الوَرَلُ: صَوَّتَ، وضغث الثوبَ: غَسَلَه ولم يُنْقِهِ. وناقةٌ ضَغوثٌ: ضبوثٌ. والضِّغْثُ، بالكسر: قُبْضَةُ حَشيشٍ مُخْتَلِطَةُ الرَّطْبِ باليابِس. واضْطَغَثَهُ: احْتَطَبَهُ. و﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ [يوسف: 44]: رُؤْيَا لا يَصِحُّ تأويلها لاختلاطِها. والتَّضْغيثُ: ما بَلَّ الأرضَ والنَّباتَ من المَطَرِ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) القاموس المحيط.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٍۖ﴾ [يوسف: 44].

قال ابن عاشور[1]: والأضغاث: جمع ضغث - بكسر الضاد المعجمة - وهو: ما جمع في حُزمة واحدة من أخلاط النبات وأعواد الشجر، وإضافته إلى الأحلام على تقدير اللام، أي أضغاث للأحلام.

قال الشعراوي[2]: وهكذا أعلن الملأ أن رؤيا الملك ليست سوى أخلاط أحلام بلا معنى.

«والضِّغْث» هو حِزْمة من الحشائش مختلفة الأجناس؛ فكأن رُؤْيا الملك لا تأويلَ لها عندهم؛ لأنهم ليسوا من أهل التمييز في التأويل.

وهذا صِدْق من البطانة في ألَّا يخبر أحدهم بشيء، إلا إذا كان على علم به؛ ولا يضير أحدهم أن يعلن جهله بأمر ما لا يعلمه.

والذي يعلن جهله بأمر لسائله - ويكون قد علمه - يجعله يسأل غيره، أما إن أجاب بجواب؛ فربما جعله يَثْبُتُ على هذا الجواب.

ولذلك قال العلماء ليفسحوا مجال الصِّدْق في الفُتْيا: «**مَنْ قال لا أدري فقد أفتى**»؛ لأنه حين يقول «**لا أدري**»؛ سيضطرك إلى أن تسأل غيره.

● **قال تعالى:** ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا﴾ [ص: 44].

قال الفخر الرازي[3]: ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا﴾ فهو معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك. واعلم أن هذا الكلام يدل

---

(1) التحرير والتنوير.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) التفسير الكبير.

على تقدم يمين منه، وفي الخبر أنه حلف على أهله، ثم اختلفوا في السبب الذي لأجله حلف عليها، ويبعد ما قيل إنها رغبته في طاعة الشيطان، ويبعد أيضاً ما روي أنها قطعت الذوائب عن رأسها لأن المضطر إلى الطعام يباح له ذلك بل الأقرب أنها خالفته في بعض المهمات، وذلك أنها ذهبت في بعض المهمات فأبطأت فحلف في مرضه ليضربنها مائة إذا برىء، ولما كانت حسنة الخدمة له لا جرم حلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها، وهذه الرخصة باقية، وعن النبي ﷺ أنه أتى بمجذم خبث بأمة فقال: «**خذوا عثكالاً فيه مائة شمراخ فاضربوه به ضربة**».

قال أبو السعود[1]: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ معطوفٌ على اركُض أو على وهبنَا بتقديرِ قُلنا أي وقُلنا خذْ بيدِك الخ والأوَّلُ أقربُ لفظاً وهذا أنسبُ معنى فإنَّ الحاجةَ إلى هذا الأمرِ لا تمسُّ إلا بعد الصِّحةِ، فإنَّ امرأتَه رحمةَ بنتَ افرايمَ بنِ يوسفَ وقيل: ليَا بنتُ يعقوبَ وقيل: ماصرُ بنتُ ميْشا بن يُوسفَ عليه السلام ذهبتْ لحاجةٍ فأبطأتُ فحلفَ إنْ برىءَ ليضربنَّها مائةً ضربة فأمرَه الله تعالى بأخذِ الضِّغثِ، والضِّغثُ الحزمةُ الصَّغيرةُ من الحشيشِ ونحوِه. وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قبضةٌ من الشَّجرِ. وقال ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾ [ص: 44] أي بذلك الضِّغثِ.

---

(1) إرشاد العقل السليم.

ضغن

(ضَغَنَ - بَغَضَ - كَرِهَ - مَقَتَ - قَلَا - نَفَر - اشْمَأَزَّ)

■ **الضَّغَنُ:** الكره المستحكم الدائم وليس طارئاً ﴿أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ﴾ [محمد: 29].

■ **البُغْضُ:** نفار النفس عن إكرام أو اقتناء الشيء الذي تبغضه وليس عن ذاته ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [المائدة: 64].

■ **الكُرْهُ:** نفار النفس من ذات الشيء ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ﴾ [البقرة: 216].

■ **المَقْتُ:** نفار النفس مع الاحتقار أو التقزز من فعل معين ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 22].

■ **القَلَى:** الكره مع الهجر ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: 3].

■ **النُّفُورُ:** الكره المفاجئ السريع ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: 42].

■ **الاشْمِئْزَازُ:** نفور النفس ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الزمر: 45].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الضاد والغين والنون أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تغطية شيءٍ

(1) معجم مقاييس اللغة.

في ميل واعوِجاج، ولا يدلُّ على خَير. من ذلك الضِّغْن والضَّغْن: الحِقْد. وفرسٌ ضاغن، إذا كان لا يُعطِي ما عندهُ من الجري إلّا بالضَّرب. ويقال: ضَغِنَ صَدرُ فلانٍ ضِغْنَاً وضَغَناً. وقناةٌ ضَغِنةٌ: عَوجاء. ويقولون: ناقةٌ ذات ضِغْن، عند نزاعها إلى وطَنِها. فأمَّا الخليل فقال: يقال للنَّحُوص إذا وَحِمَتْ فاستعصَتْ على الجأْب: إنَّها لَذَاتُ شَغْبٍ وضِغْن. ويقال: ضَغَنَ فلانٌ إلى الدُّنيا: ركَنَ ومالَ. وضِغْنِي إلى فلانٍ، أي ميلي إليه. والذي دلَّ على ما ذكرناهُ من تغطية الشيء قولُهم إنَّ الاضطغانَ الاشتمالُ بالثَّوب. قال: ويقال اضطَغْنتُ الشَّيء تحت حِضْنِي.

قال الجوهري[1]: الضِّغْنُ والضَّغينَةُ: الحِقد، وقد ضَغِنَ عليه بالكسر ضَغَناً. وتضاغَنَ القومُ واضْطَغَنوا: انْطَوَوْا على الأحقاد. واضْطَغَنْتُ الشيءَ، إذا أخذته تحت حضنِكَ. وفرسٌ ضاغِنٌ: لا يعطي ما عِنده من الجري إلا بالضرب.

وإذا قيل في الناقة: هي ذات ضِغْنٍ، فإنَّما يراد نِزاعُها إلى وطنها. قال الخليل: ويقال للنَحوص إذا وَحِمتْ فاستصعبت على الجَأْب: إنَّها ذات شَغْبٍ وضِغْنٍ. وقناةٌ ضَغِنَةٌ، أي عوجاء. وضَغِنَ فلانٌ إلى الدنيا: ركَن ومال. وضِغْني إلى فلانٍ، أي مَيلي إليه.

قال الفيروزآبادي[2]: الضِّغْنُ، بالكسرِ: الناحِيَةُ، وإبْطُ الجَمَلِ، والمَيْلُ، والشَّوْقُ، والحِقْدُ، كالضَّغينَةِ، وقد ضَغِنَ، كفَرِحَ. وتَضاغَنوا واضْطَغَنُوا: انْطَوَوْا على الأَحْقَادِ. واضْطَغَنَه: أخَذَهُ تَحْتَ حِضْنِهِ. وفَرَسٌ ضاغِنٌ: ما يُعْطِي جَرْيَهُ إلَّا بالضَّرْبِ. وقناةٌ ضَغِنَةٌ، كفَرِحَةٍ: عَوْجاء. والضَّغِينِيُّ: الأَسَدُ. وضَغِنَ إلى الدُّنْيَا، كفَرِحَ: مالَ.

---

(1) الصحاح في اللغة. (2) القاموس المحيط.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ [محمد: 29].

قال ابن عجيبة[1]: ﴿أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ أحقادهم، فـ «أَمْ» منقطعة، و «أن» مخففة، واسمها: ضمير الشأن، أي: أظن المنافقون الذين في قلوبهم حِقد وعداوة أنه لن يُخرج اللهُ أحقادهم، ولن يُبرزَها لرسول الله ﷺ والمؤمنين، فيبقي أمورَهم مستورة؟ بل لا يكاد يدخل ذلك تحت الاحتمال.

قال أبو السعود[2]: ﴿أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ فأمْ منقطعةٌ وأنْ مخففةٌ من أنَّ وضميرُ الشأنِ الذي هو اسمُها محذوفٌ ولنْ بما في حيزِها خبرُها. والأضغانُ جمعُ ضَغنٍ وهو الحقدُ، أي بل أحسبَ الذين في قلوبِهم حقدٌ وعداوةٌ للمؤمنين أنه لنْ يخرجَ الله أحقادَهم ولن يُبرزَها لرسولِه ﷺ وللمؤمنينَ فتبقى أمورُهم مستورةً والمعنى أنَّ ذلك مما لا يكادُ يدخلُ تحتَ الاحتمالِ.

---

(1) البحر المديد. (2) إرشاد العقل السليم.

ضل

(ضَلَّ - تَاهَ - ضَاعَ)

■ **الضَّلَالُ:** العدول عن الطريق الموصل للهدف وبعده الهداية ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ﴾ [يونس: 108].

■ **التِّيهُ:** التحيّر في المقصود ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [المائدة: 26].

■ **الضَّيَاعُ:** الفقدان في المفازة الواسعة، ومنها ضيعة الرجل مزرعته التي تضيع إن لم يستمر في رعايتها ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ﴾ [البقرة: 143].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الضاد واللام أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على معنىً واحد، وهو ضَياع الشيء وذهابُهُ في غيرِ حَقِّه. يقال: ضَلَّ يَضِلّ ويَضَلّ، لغتان. وكلُّ جائرٍ عن القصد ضالٌّ. والضَّلَال والضَّلالَة بمعنى. ورجلٌ ضِلِّيل ومُضلَّل، إذا كان صاحبَ ضَلَالٍ وباطل. وممّا يدُلُّ على أنّ أصل الضّلَال ما ذكرناهُ، قولُهم أُضِلّ الميّتُ، إذا دُفِنَ. وذاكَ كأنَّهُ شيءٌ قد ضاع. ويقولون: ضَلَّ اللَّبَنُ في الماءِ، ثم يقولون استُهْلِكَ.

قال الجوهري[2]: ضَلَّ الشيءُ يَضِلُّ ضَلالاً، أي ضاع وهلَك. والاسم

(1) معجم مقاييس اللغة.   (2) الصحاح في اللغة.

الضُّلُّ بالضم. ومنه قولهم: هو ضُلُّ بن ضُلٍّ، إذا كانَ لا يُعْرفُ ولا يُعْرَفُ أبوه. وكذلك: هو الضَّلَالُ بن التَّلَالُ. والضَّالّةُ: ما ضَلَّ من البهيمة للذكر والأنثى. وأرضٌ مَضَلَّةٌ بالفتح: يُضَلُّ فيها الطريقُ. وكذلك أرضٌ مَضِلَّةٌ.

وفلان يلومُني ضَلَّةً، إذا لم يُوَفَّقْ للرشاد في عذْله. ورجلٌ ضِلِّيلٌ ومُضَلَّلٌ، أي ضالٌّ جداً. وهو الكثير التَّتَبُّع للضَّلالِ. وكان يقال لامرئ القيس: الملكُ الضِّلِّيلُ. والضَّلالُ والضَّلالَةَ: ضدُّ الرشاد. وقد ضَلَلْتُ أضِلُّ. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِىۖ﴾ [سبأ: 50]. وهو ضالٌّ تالٌّ، وهي الضَّلالَةُ والتَّلالَةُ. وأَضَلَّهُ، أي أَضاعَهُ وأهلكه. يقال: أُضِلَّ الميّتُ، إذا دُفِنَ.

قال الفيروزآبادي(1): الضَّلالُ والضَّلالَةُ والضَّلُّ، ويُضَمُّ، والضَّلْضَلَةُ والأُضْلولَةُ، بالضم، والضِلَّةُ، بالكسر، والضَّلَلُ، محرَّكةً: ضِدُّ الهُدَى. ضَلَلْتَ، كَزَلَلْتَ ومَلِلْتُ. والضَّلولُ: الضالُّ. ضَلِلْتَ الطَّريقَ، كَمَلِلْتَ، وكلُّ شيءٍ مُقيم لا يُهْتَدَى لَه. وضَلَّ هو عَنِّي. وأَضَلَّ فلانٌ البعيرَ والفَرَسَ: ذَهَبا عنه، كضَلَّهُما. وضَلَّ يَضِل، وتفتحُ الضادُ، ضَلالاً: ضاعَ، وماتَ، وصارَ تُراباً وعِظاماً، وخَفِيَ وغابَ، وضل فلاناً: أُنْسِيَهُ. ومنه: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: 20]. وضَلَّني: ذَهَبَ عَنِّي. والضُّلَّةُ، بالضم: الحِذْقُ بالدَّلالَةِ، وبالفتح: الحَيْرَةُ، والغَيْبَةُ لخَيْرٍ أوشَرٍّ. والضالَّةُ من الإبلِ: التي تَبْقَى بِمَضْيَعَةٍ بِلا رَبٍّ، للذَّكَرِ والأنْثَى. ووادي تُضُلِّلَ، بضمتينِ وكسر اللامِ المُشَدَّدَةِ، وقد تفتحُ الضّادُ: الباطِلُ. وضَلَّلَهُ تَضْليلاً وتَضْلالاً: صَيَّرَهُ إلى الضَّلالِ. وأرضٌ مَضَلَّةٌ ومَضِلَّةٌ وضُلَضِلَةٌ، كعُلَبِطَةٍ: يُضَلُّ فيها.

المعنى المشترك لكلمة (ض ل ل)

وقد وردت كلمة (ضل) في القرآن الكريم على ثمانية أوجه:

الوجه الأول: الضلال يعني: الغي ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ يعني: لأغوينهم.

(1) القاموس المحيط.

الوجه الثاني: ضل: استنزل عن الشيء ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: 113].

الوجه الثالث: الضلال يعني: الخسران ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: 25].

الوجه الرابع: الضلال يعني: الشقاء ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: 9].

الوجه الخامس: الضلال والإضلال يعني: الإبطال ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: 1].

الوجه السادس: الضلال: الخطأ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 44].

الوجه السابع: الضلال يعني: النسيان ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ﴾ [البقرة: 282].

الوجه الثامن: الضلال بعينه ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: 125].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ [الإسراء: 15].

قال القرطبي(1): ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ﴾ [يونس: 108] أي إنما كلّ أحد يحاسب عن نفسه لا عن غيره؛ فمن اهتدى فثواب اهتدائه له، ومن ضلّ فعقاب كفره عليه.

(1) الجامع لأحكام القرآن.

قال الفخر الرازي[1] : أنه تعالى لما قال في الآية الأولى:

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: 13] ومعناه: أن كل أحد مختص بعمل نفسه، عبر عن هذا المعنى بعبارة أخرى أقرب إلى الأفهام وأبعد عن الغلط فقال: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ﴾ يعني أن ثواب العمل الصالح مختص بفاعله، ولا يتعدى منه إلى غيره، ويتأكد هذا بقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [النجم: 49-50] قال الكعبي: الآية دالة على أن العبد متمكن من الخير والشر، وأنه غير مجبور على عمل بعينه أصلاً لأن قوله: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ﴾ إنما يليق بالقادر على الفعل المتمكن منه كيف شاء وأراد، أما المجبور على أحد الطرفين، الممنوع من الطرف الثاني فهذا لا يليق به.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: 30].

قال الطبري[2] : ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ قلن: إنا لنرى امرأة العزيز في مراودتها فتاها عن نفسه وغلبة حبه عليها لفي خطأ من الفعل وجور عن قصد السبيل مبين لمن تأمله وعلمه أنه ضلال وخطأ غير صواب ولا سداد. وإنما كان قيلهنّ ما قلن من ذلك وتحدّثهنّ بما تحدّثن به من شأنها وشأن يوسف مكراً منهنّ فيما ذكر لتريهنّ يوسف.

قال البيضاويّ[3] : ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب.

● **قال تعالى:** ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف: 95].

قال أبو السعود[4] : ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ لفي ذهابك عن

---

(1) التفسير الكبير.
(2) جامع البيان.
(3) أنوار التنزيل.
(4) إرشاد العقل السليم.

الصواب قدُماً في إفراط محبتِك ليوسف ولَهجِك بذكره ورجائِك للقائه وكان عندهم أنه قد مات.

قال الخازن[1]: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ يعني من ذكر يوسف ولا تنساه لأنه كان عندهم أن يوسف قد مات وهلك ويرون أن يعقوب قد لهج بذكره فلذلك قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم من ذكره والضلال الذهاب عن طريق الصواب.

● **قال تعالى**: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: 52].

قال ابن عطية[2]: وقرأت فرقة «لا يَضِل» بفتح الياء وكسر الضاد واختلف في معنى هذه القراءة فقالت فرقة هو ابتداء الكلام تنزيه لله تعالى عن هاتين الصفتين وقد كان الكلام تم في قوله: ﴿فِي كِتَابٍ﴾ [طه: 52] و﴿يَضِلُّ﴾ معناه ينتلف ويعمه، وقالت فرقة بل قوله: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ من صفات الكتاب أي إن الكتاب لا يغيب عن الله تعالى، تقول العرب ضلني الشيء إذا لم أجده وأضللته أنا ومنه قول النبي صلى الله عليه حكاية عن الإسرائيلي الذي طلب أن يحرق بعد موته «**لعلي أضل الله**» الحديث، و﴿يَنسَى﴾ أظهرها ما فيه أن يعود ضميره إلى الله تعالى ويحتمل أن يعود إلى الكتاب في بعض التأويلات يصفه بأنه ﴿وَلَا يَنسَى﴾ أي لا يدع شيئاً، فالنسيان هنا استعارة كما قال في موضع آخر ﴿إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: 49] فوصفه بالإحصاء من حيث حصرت فيه الحوادث.

قال البغوي[3]: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾، أي لا يخطىء. وقيل: لا يغيب عنه شيء ولا يغيب عن شيء، ﴿وَلَا يَنسَى﴾، أي: لا يخطىء ما كان من أمرهم حتى يجازيهم بأعمالهم وقيل: لا ينسى أي لا يترك الانتقام فينتقم من الكافر ويجازي المؤمن.

---

(1) لباب التأويل.
(2) المحرر الوجيز.
(3) معالم التنزيل.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: 7].

قال الطبري[1]: تأويل الكلام: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم لا المغضوب عليهم ولا الضالين. فإن قال لنا قائل: ومن هؤلاء الضالون الذين أمرنا الله بالاستعاذة بالله أن يسلك بنا سبيلهم، أو نضل ضلالهم؟ قيل: هم الذين وصفهم الله في تنزيله، فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77].

فإن قال: وما برهانك على أنهم أولاء؟ قيل:

قال رسول الله ﷺ: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال: «**النَّصارى**» قيل: سمعت عباد بن حبيش يحدث عن عديّ بن حاتم، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**إنَّ الضَّالِّينَ: النَّصَارَى**» وقيل: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر وادي القرى قال: قلت: من هؤلاء؟ قال: «**هَؤُلاءِ الضَّالونَ: النَّصَارَى**».

عن ابن عباس: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال: وغير طريق النصارى الذين أضلهم الله بِفِرْيتهم عليه. قال: يقول: فألهمنا دينك الحقّ، وهو لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له، حتى لا تغضبَ علينا كما غضبت على اليهود ولا تضلَّنا كما أضللت النصارى فتعذّبنا بما تعذبهم به. يقول: امنعنا من ذلك برفقك ورحمتك وقدرتك.

قال أبو جعفر: وكل حائد عن قصد السبيل وسالك غير المنهج القويم فضالّ عند العرب لإضلاله وجه الطريق، فلذلك سَمَّى الله جل ذكره النصارى ضُلّالاً لخطئهم في الحق منهج السبيل، وأخذهم من الدين في غير الطريق المستقيم.

---

(1) جامع البيان.

فإن قال قائل: أو ليس ذلك أيضاً من صفة اليهود؟ قيل: بلى. فإن قال: كيف خصّ النصارى بهذه الصفة، وخص اليهود بما وصفهم به من أنهم مغضوب عليهم؟ قيل: إن كلا الفريقين ضُلّال مغضوب عليهم، غير أن الله جل ثناؤه وَسَم كل فريق منهم من صفته لعباده بما يعرفونه به إذا ذكره لهم، أو أخبرهم عنه، ولم يَسِمْ واحداً من الفريقين إلا بما هو له صفة على حقيقته، وإن كان له من صفات الذم زيادات عليه. وقد ظن بعض أهل الغباء من القدرية أن في وصف الله جل ثناؤه النصارى بالضلال بقوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وإضافته الضلال إليهم دون إضافة إضلالهم إلى نفسه، وتركه وصفهم بأنهم المضللون كالذي وصف به اليهود أنهم المغضوب عليهم، دلالةً على صحة ما قاله إخوانه من جَهَلَةِ القدرية جهلاً منه بسعة كلام العرب وتصاريف وجوهه.

● **قال تعالى**: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: 7].

قال القشيري[1]: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾.

أي: ضللْتَ في شِعابِ مكة، فَهَدَى إليك عَمَّك أبا طالبٍ في حال صباك.

ويقال: «**ضالاً**» فينا متحيِّراً. . فهديناك بنا إلينا.

ويقال: «**ضالاً**» عن تفصيل الشرائع؛ فهديناك إليها بأن عرَّفناك تفصيلها.

ويقال: فيما بين الأقوام ضلالٌ فهداهم بك.

وقيل: «**ضالاً**» للاستنشاء فهداك لذلك.

وقيل: «**ضالاً**» في محبتنا، فهديناك بنور القربة إلينا.

ويقال: «**ضالاً**» عن محبتي لك فعرَّفتك أنِّي أُحِبُّك.

ويقال: جاهلاً بمحلِّ شرفِكَ، فعرَّفْتُك قَدْرَكَ.

ويقال: مستتراً في أهل مكة لا يعرفك أحدٌ فهديناهم إليك حتى عرفوك.

(1) لطائف الإشارات.

قال النسفي[1]: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ أي غير عالم ولا واقف على معالم النبوة وأحكام الشريعة وما طريقة السمع ﴿فَهَدَىٰ﴾ فعرفك الشرائع والقرآن.

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: 20].

قال القرطبي[2]: فـ ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا﴾ أي فعلت تلك الفعلة يريد قتل القبطي ﴿وَأَنَا۠﴾ إذ ذاك ﴿مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي من الجاهلين؛ فنفى عن نفسه الكفر، وأخبر أنه فعل ذلك على الجهل.

وكذا قال مجاهد؛ ﴿مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ من الجاهلين. ابن زيد: من الجاهلين بأن الوكزة تبلغ القتل. وفي مصحف عبد الله «مِن الجاهِلِين» ويقال لمن جهل شيئاً ضل عنه. وقيل: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ من الناسين؛ قاله أبو عبيدة. وقيل: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن النبوّة ولم يأتني عن الله فيه شيء، فليس عليّ فيما فعلته في تلك الحالة توبيخ. وبيّن بهذا أن التربية فيهم لا تنافي النبوّة والحلم على الناس، وأن القتل خطأ أو في وقت لم يكن فيه شرع لا ينافي النبوّة.

قال البغوي[3]: ﴿قَالَ﴾، موسى، ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا﴾، أي فعلت ما فعلت حينئذٍ، ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾، أي: من الجاهلين أي: لم يأتني من الله شيء. وقيل: من الجاهلين بأن ذلك يؤدي إلى قتله. وقيل: من الضالين عن طريق الصواب من غير تعمد. وقيل: من المخطئين.

● **قال تعالى**: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: 136].

قال أبو السعود[4]: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ عن المقصِد بحيث لا يكاد يعود إلى طريقه، وزيادةُ الملائكةِ واليومِ الآخرِ في جانب الكفرِ لما أنه بالكفر بأحدهما لا يتحقق الإيمانُ أصلاً، وجمعُ الكتبِ والرسلِ لما أن الكفرَ بكتاب أو برسول

(1) مدارك التنزيل.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) معالم التنزيل.
(4) إرشاد العقل السليم.

كفرٌ بالكل، وتقديمُ الرسولِ فيما سبق لذكر الكتابِ بعنوان كونِه منزلاً عليه، وتقديمُ الملائكة والكتبِ على الرسل لأنهم وسائطُ بين الله عز وجل وبين الرسلِ في إنزال الكتب.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ [النساء: 119].

قال ابن عجيبة(1): ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الحق ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ الأماني الباطلة، كطول الحياة، وألَّا بعث ولا عقاب.

قال ابن الجوزي(2): ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ قال ابن عباس: عن سبيل الهدى، وقال غيره: ليس له من الضلال سوى الدعاء إليه. وفي قوله: ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ أربعة أقوال. أحدها: أنه الكذب الذي يخبرهم به، قال ابن عباس: يقول لهم: لا جنة، ولا نار، ولا بعث. والثاني: أنه التسويف بالتوبة، روي عن ابن عباس. والثالث: أنه إيهامُهم أنهم سينالون من الآخرة حظاً، قاله الزجاج. والرابع: أنه تزيين الأماني لهم، قاله أبو سليمان الدمشقي.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ﴾ [النساء: 113].

قال الألوسي(3): ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾ أي بأن يضلوك عن القضاء بالحق، أو عن اتباع ما جاءك في أمر الأصنام، أو بأن يهلكوك، وقد جاء الإضلال بهذا المعنى، ومنه على ما قيل: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: 10] والجملة جواب ﴿وَلَوْلَا﴾ وإنما نفى همهم مع أن المنفي إنما هو تأثيره فقط إيذاناً بانتفاء تأثيره بالكلية، وقيل: المراد هو الهم المؤثر ولا ريب في انتفائه حقيقة.

وقال الراغب: إن القوم كانوا مسلمين ولم يهموا بإضلاله ﷺ أصلاً وإنما

(1) البحر المديد.
(2) زاد المسير.
(3) روح المعاني.

كان ذلك صواباً عندهم وفي ظنهم؛ وجوز أبو البقاء أن يكون الجواب محذوفاً والتقدير - ولولا فضل الله عليك ورحمته لأضلوك - ثم استأنف بقوله سبحانه: ﴿لَهَمَّت﴾ أي لقد همت بذلك ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ أي ما يزيلون عن الحق إلا أنفسهم، أو ما يهلكون إلا إياها لعود وبال ذلك وضرره عليهم، والجملة اعتراضية، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖ﴾ عطف عليه وعطف على ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾ وهم محض؛ و﴿مِن﴾ صلة، والمجرور في محل النصب على المصدرية أي وما يضرونك شيئاً من الضرر لما أنه تعالى عاصمك عن الزيغ في الحكم، وأما ما خطر ببالك فكان عملاً منك بظاهر الحال ثقة بأقوال القائلين من غير أن يخطر لك أن الحقيقة على خلاف ذلك، أو لما أنه سبحانه عاصمك عن المداهنة والميل إلى آراء الملحدين والأمر بخلاف ما أنزل الله تعالى عليك، أو لما أنه جل شأنه وعدك العصمة من الناس وحجبهم عن التمكن منك.

قال الشعراوي(1): وهنا نتساءل: هل هَمَّ أحد بإضلال رسول الله؟ علينا أن نفهم أن «الهمّ» نوعان: هم إنفاذ، وهم تزيين. وقد رفض رسول الله هم الإنفاذ، ودفعه الله عنه لأنه سبحانه وتعالى يحوط رسوله بفضله ورحمته ويأتي بالأحداث ليعلمه حكماً جديداً. وفضل الله على رسوله ورحمته جعل الهم منهم هم تزيين فقط وحفظ الله رسوله منه أيضاً. وعندما تعلم الرسول هذا الحكم الجديد، صار يقضي به من بعد ذلك في كل قضايا الناس. فإذا ما جاء حدث من الأحداث وجاء له حكم من السماء لم يكن يعلمه رسول الله ﷺ فالفضل لله لأنه يزيد رسوله تعليما. ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ﴾ [النساء: 113]، وكان قصد الذين دافعوا عن «ابن أبيرق» أن يزينوا لرسول الله، وهذا هو هم التزيين لا هم الإنفاذ. وكان الهدف من التزيين أن يضروا الرسول ويضلوه والعياذ بالله، ليأخذوه إلى غير طريق الحق وغير طريق الهدى، وهذا أمر يضر رسول الله ﷺ، فلو أن رسول الله برأ

---

(1) تفسير الشعراوي.

المذنب الذي يعلم أنه مذنب لاسْتقرّ في ذهن المذنب أن قضايا الدين ليست جادة، أما البريء الذي كان مطلوباً أن يدينه رسول الله ماذا يكون موقفه؟ لا بد أن يقول لنفسه: إن دين محمد لا صدق فيه لأنه يعاقب بريئاً. إذن فَهَمَّ التزيين يضر بالرسول عند المبرأ وعند من يراد إلصاق الجريمة به. لكن الله صان رسوله بالفضل وبالرحمة عن هذا أيضاً. ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء: 113] لقد أنزل الحق كتاباً ليفصل في القضية، ونزول الحكم بعد وقوع تلك الحادثة إنما جاء ليبين ضمن ما يبين سر نزول القرآن منجماً؛ لأن القرآن يعالج أحداثاً واقعية، فيترك الأمر إلى أن يقع الحدث ثم يصب على الحدث حكم الله الذي ينزل من السماء وقت حدوث الحدث، وإلا كيف يعالج القرآن الأحداث لو نزل مرة واحدة بينما الأحداث لم تقع؟ لذلك أراد الله أن تنزل الأحداث أولاً ثم يأتي الحكم. وقد سبق أن قال الكفار: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: 32].

● **قال تعالى: ﴿قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: 167].**

قال الطبري(1): ﴿قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ يعني: قد جاروا عن قصد الطريق جَوْراً شديداً، وزالوا عن المحجة. وإنما يعني جلّ ثناؤه بجورهم عن المحجة، وضلالهم عنها: إخطاءهم دين الله الذي ارتضاه لعباده وابتعث به رسله، يقول: من جحد رسالة محمد ﷺ وصدّ عما بعث به من الملة من قبل منه، فقد ضلّ فذهب عن الدين الذي هو دين الله الذي ابتعث به أنبياءه ضلالاً بعيداً.

قال البيضاوي(2): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: 167] لأنهم جمعوا بين الضلال والإضلال ولأن المضل يكون أغرق في الضلال وأبعد من الانقلاع عنه.

(1) جامع البيان. (2) أنوار التنزيل.

● قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77].

قال الألوسي[1]: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ﴾ وهم أسلافهم وأئمتهم الذين قد ضلوا من الفريقين أو من النصارى قبل مبعث النبي ﷺ في شريعتهم، - والأهواء - جمع هوى وهو الباطل الموافق للنفس، والمراد لا توافقوهم في مذاهبهم الباطلة التي لم يدع إليها سوى الشهوة ولم تقم عليها حجة ﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا﴾ أي أناساً كثيراً ممن تابعهم ووافقهم فيما دعوا إليه من البدعة والضلالة، أو إضلالاً كثيراً، والمفعول به حينئذٍ محذوف ﴿وَأَضَلُّواْ﴾ عند بعثة النبي ﷺ ووضوح محجة الحق وتبين مناهج الإسلام ﴿عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي قصد السبيل الذي هو الإسلام، وذلك حين حسدوا النبي ﷺ، وكذبوه وبغوا عليه، فلا تكرار بين ﴿ضَلُّواْ﴾ هنا و﴿ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ﴾، والظاهر أن ﴿عَن﴾ متعلقة بالأخير، وجوز أن تكون متعلقة بالأفعال الثلاثة، ويراد - بسواء السبيل - الطريق الحق، وهو بالنظر إلى الأخير دين الإسلام، وقيل: في الإخراج عن التكرار أن الأول: إشارة إلى ضلالهم عن مقتضى العقل، والثاني: إلى ضلالهم عما جاء به الشرع، وقيل: إن ضمير ﴿ضَلُّواْ﴾ الأخير عائد على - الكثير - لا على ﴿قَوۡمٖ﴾ والفعل مطاوع للإضلال، أي ـ إن أولئك القوم أضلوا كثيراً من الناس، وأن أولئك الكثير قد ضلوا بإضلال أولئك هم - فلا تكرار، وقيل: أيضاً قد يراد - بالضلال - الأول الضلال بالغلو في الرفع والوضع مثلاً وكذا بالإضلال، ويراد - بالضلال عن سواء السبيل - الضلال عن واضحات دينهم وخروجهم عنه بالكلية، وقال الزجاج: المراد بالضلال الأخير ضلالهم في الإضلال أي - إن هؤلاء ضلوا في أنفسهم وضلوا بإضلالهم لغيرهم -.

(1) روح المعاني.

● **قال تعالى:** ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة: 10].

قال القرطبي[1]: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هذا قول منكري البعث؛ أي هلكنا وبطلنا وصرنا تراباً. وأصله من قول العرب: ضلّ الماء في اللبن إذا ذهب. والعرب تقول للشيء غلب عليه غيره حتى خفي فيه أثره: قد ضلّ.

قال ابن الجوزي[2]: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ يعني منكري البعث ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ والمعنى: إذا صارت عظامنا ولحومنا تراباً كالأرض. تقول ضَلَّ الماءُ في اللَّبَن، وضل الشيء في الشيء: إذا أخفاه وغلب عليه.

● **قال تعالى:** ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: 26].

قال الفخر الرازي[3]: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ﴾ ونريد أن نتكلم هٰهنا في الهداية والإضلال ليكون هذا الموضع كالأصل الذي يرجع إليه في كل ما يجيء في هذا المعنى من الآيات فنتكلم أولاً في الإضلال فنقول: إن الهمزة تارة تجيء لنقل الفعل من غير المتعدي إلى التعدي كقولك خرج فإنه غير متعدٍ، فإذا قلت أخرج فقد جعلته معتدياً وقد تجيء لنقل الفعل من المتعدي إلى غير المتعدي كقولك كببته فأكب، وقد تجيء لمجرد الوجدان. حكي عن عمرو بن معد يكرب أنه قال لبني سليم: قاتلناكم فما أجبناكم، وهاجيناكم فما أفحمناكم، وسألناكم فما أبخلناكم.

أي فما وجدناكم جبناء ولا مفحمين ولا بخلاء. ويقال أتيت أرض فلان فأعمرتها أي وجدتها عامرة قال المخبل:

تمنى حصين أن يسود خزاعة فأمسى حصين قد أذل وأقهرا

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) زاد المسير.
(3) التفسير الكبير.

أي وجد ذليلاً مقهوراً، ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن يقال الهمزة لا تفيد إلا نقل الفعل من غير المتعدي إلى المتعدي فأما قوله: كببته فأكب، فلعل المراد كببته فأكب نفسه على وجهه فيكون قد ذكر الفعل مع حذف المفعولين وهذا ليس بعزيز. وأما قوله. قاتلناكم فما أجبناكم، فالمراد ما أثر قتالنا في صيرورتكم جبناء. وما أثر هجاؤنا لكم في صيرورتكم مفحمين، وكذا القول في البواقي، وهذا القول الذي قلناه أولى دفعاً للاشتراك. إذا ثبت هذا فنقول قولنا: أضله الله لا يمكن حمله إلا على وجهين: أحدهما: أنه صيره ضالاً، والثاني: أنه وحده ضالاً أما التقدير الأول وهو أنه صيره ضالاً فليس في اللفظ دلالة على أنه تعالى صيره ضالاً عما ذا وفيه وجهان: أحدهما: أنه صيره ضالاً عن الدين. والثاني: أنه صيره ضالاً عن الجنة، أما الأول وهو أنه تعالى صيره ضالاً عن الدين فاعلم أن معنى الإضلال عن الدين في اللغة هو الدعاء إلى ترك الدين وتقبيحه في عينه وهذا هو الإضلال الذي أضافه الله تعالى إلى إبليس فقال: ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: 15] وقال: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ [النساء: 119] و﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ [فصلت: 29] وقال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النمل: 24]، وقال الشيطان إلى قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ [إبراهيم: 22] وأيضاً أضاف الله تعالى هذا الإضلال إلى فرعون فقال: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه: 79] واعلم أن الأمة مجمعة على أن الإضلال بهذا المعنى لا يجوز على الله تعالى لأنه تعالى ما دعا إلى الكفر وما رغب فيه بل نهى عنه وزجر وتوعد بالعقاب عليه، وإذا كان المعنى الأصلي للإضلال في اللغة ليس إلا هذا وهذا المعنى منفي بالإجماع ثبت انعقاد الإجماع على أنه لا يجوز إجراء هذا اللفظ على ظاهره. وعند هذا افتقر أهل الجبر والقدر إلى التأويل أما أهل الجبر فقد حملوه على أنه تعالى خلق الضلال والكفر فيهم وصدهم عن الإيمان وحال بينهم وبينه، وربما

قالوا هذا هو حقيقة اللفظ في أصل اللغة، لأن الإضلال عبارة عن جعل الشيء ضالاً كما أن الإخراج والإدخال عبارة عن جعل الشيء خارجاً وداخلاً، وقالت المعتزلة هذا التأويل غير جائز لا بحسب الأوضاع اللغوية ولا بحسب الدلائل العقلية، أما الأوضاع اللغوية فبيانه من وجوه: أحدها: أنه لا يصح من طريق اللغة أن يقال لمن منع غيره من سلوك الطريق كرهاً وجبراً أنه أضله بل يقال منعه منه وصرفه عنه وإنما يقولون إنه أضله عن الطريق إذا لبس عليه وأورد من الشبهة ما يلبس عليه الطريق فلا يهتدي له، وثانيها: أنه تعالى وصف إبليس وفرعون بكونهما مضللين، مع أن فرعون وإبليس ما كان خالقين للضلال في قلوب المستجيبين لهما بالاتفاق، وأما عند الجبرية فلأن العبد لا يقدر على الإيجاد، وأما عند القدرية فلأن العبد لا يقدر على هذا النوع من الإيجاد، فلما حصل اسم المضل حقيقة مع نفي الخالقية بالاتفاق، علمنا أن اسم المضل غير موضوع في اللغة لخالق الضلال: وثالثها: أن الإضلال في مقابلة الهداية فكما صح أن يقال هديته فما اهتدى وجب صحة أن يقال أضللته فما ضل، وإذا كان كذلك استحال حمل الإضلال على خلق الضلال، وأما بحسب الدلائل العقلية فمن وجوه: أحدها: أنه تعالى لو خلق الضلال في العبد ثم كلفه بالإيمان لكان قد كلفه بالجمع بين الضدين وهو سفه وظلم، وقال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: 46] وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286] وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78] وثانيها: لو كان تعالى خالقاً للجهل وملبساً على المكلفين لما كان مبيناً لما كلف العبد به، وقد أجمعت الأمة على كونه تعالى مبيناً، وثالثها: أنه تعالى لو خلق فيهم الضلال وصدهم عن الإيمان لم يكن لإنزال الكتب عليهم وبعثة الرسل إليهم فائدة لأن الشيء الذي لا يكون ممكن الحصول كان السعي في تحصيله عبثاً وسفهاً.

● **قال تعالى**: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: 27].

قال الشعراوي[1]: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾.

وسبحانه يُضلّ الظالم لأنه اختار أنْ يظلم؛ وهو سبحانه قد جعل للإنسان حَقَّ الاختيار، فَمنَ اختار أن يظلمَ؛ لا بُدّ له من عقاب. وإذا كان سبحانه قد خلق الخَلْقَ وجعل الكون مُسخراً لهم؛ وأعطى المؤمن والكافر من عطاء الربوبية؛ فإن اختار الكافرُ كفره؛ فهو لن يُنفِّذ تكاليف الألوهية التي أنزلها الله منهجاً لهداية الناس.

والكافر إنما يظلم نفسه؛ ذلك أنه ما دام قد أنِسَ إلى الكفر فالحق سبحانه يختم على قلبه؛ فلا يخرج من القلب الكفر، ولا يدخل إليه الإيمان؛ وهو رَبُّ العالمين يفعل ما يشاء.

وإذا كان الحق سبحانه يعطي كل إنسان ما يريد؛ وما دام الكافر يطلب أن يكون كافراً؛ فسبحانه يمدُّ له في أسباب الكفر ليأخذه من بعد ذلك بها؛ كما يمدُّ الله للمؤمنين كُلَّ أسباب الإيمان مِصْداقاً لقوله الحق: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾ [الإسراء: 20].

وهكذا تكون طلاقة قدرة الحق سبحانه وهو يفعل ما يشاء، ذلك أنه لا يوجد إله غيره.

والحق سبحانه قد أكرمنا بالعبودية له وحده، ذلك أننا رأينا جميعاً وشاهدنا أثر عبودية الإنسان للإنسان؛ حين يأخذ السيد خَيْر العبد؛ وقد ذاقتْ البشرية الكثير من وَيْلاتها، ولكن العبودية لله تختلف تماماً حيث يأخذ العبد خَيْر السيد؛ ويُغدِق السيد إحسانه على عباده.

---

(1) تفسير الشعراوي.

ضم

(ضَمَّ - جَمعَ - حَشَر - آلَف - وَفَّقَ - حَوى)

■ **الضَّمُّ:** جعل الجزء مع الكلّ ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: 22].

■ **الجَمْعُ:** ضمّ الشيء إلى الشيء في المكان ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ [التغابن: 9].

■ **الحَشْرُ:** ضمّ الشيء إلى الشيء سوقاً ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الأعراف: 111].

■ **التَّأْلِيفُ:** ضم الشيء إلى بعض بتوافق وإلصاق ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: 103].

■ **التَّوْفِيقُ:** ضمّ الآراء المتنافرة لبعضها ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: 35].

■ **الحَوْيُ:** حوى الشيء يحويه واحتواه واحتوى عليه: جمعه وأحرزه، وقيل: حوى الشيء ملكه ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: 5].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الضاد والميم أصلٌ واحدٌ يدلُّ على مُلاءَمةٍ بين شيئين. يقال: ضَمَمت الشّيءَ إلى الشيء فأنا أضُمُّه ضمًّا. وهذه إِضْمامةٌ من خَيل، أي

(1) معجم مقاييس اللغة.

جماعة. وفرسٌ سَبّاق الأضاميم، أي الجماعات. وإِضمامةٌ من كُتُب مثل إِضْبارة. ومن الباب: أسدٌ ضَمْضَم وضُماضِمٌ: يضمُّ كلَّ شيءٍ.

قال الجوهري[1]: ضَمَمْتُ الشيءَ إلى الشيء فانْضَمَّ إليه، وضَامَّهُ وتضامَّ القومُ، إذا انْضَمَّ بعضهم إلى بعض. واضْطَمَّت عليه الضلوعُ، أي اشتملتْ. والإضمامة من الكتب: الإضبارة، والجمع الأضايم، ويقال: فلان بإضمامة من كتب والإِضْمامَةُ: الجماعةُ. ويقال للفرس: سَبَّاقُ الأضاميمِ، أي الجماعات. والضِّمامُ بالكسر: ما تَضُمُّ به شيئاً إلى شيء.

قال ابن منظور[2]: الضَّمُّ: ضَمُّكَ الشيءَ إلى الشيء، وقيل: قَبْضُ الشيء إلى الشيء، وضَمَّه إليه يَضُمُّه ضَمًّا فانضمَّ وتَضامَّ. تقول: ضَمَمْتُ هذا إلى هذا، فأَنا ضامٌّ وهو مَضْموم. الجوهري: ضمَمْتُ الشيءَ إلى الشيء فانْضَمَّ إليه وضامَّهُ. وفي حديث عمر: يا هُنَيُّ ضُمَّ جَناحَك عن الناس أي أَلِنْ جانِبَك لهم وارْفُقْ بهم. وفي حديث زُبَيْبٍ العَنْبَرِيّ: أَعْدِني على رجُلٍ من جُنْدِك ضَمَّ مني ما حَرَّمَ اللهُ ورسولُهُ أي أَخذَ من مالي وضَمَّه إلى مالِه. وضامَّ الشيءُ الشيءَ: انْضَمَّ معه. وتَضامَّ القومُ إذا انضَمَّ بعضُهم إلى بعض. وفي حديث الرؤية: «**لا تَضامُّون في رؤيته**»، يعني رؤية الله عز وجل، أي يَنْضَمُّ بعضُكم إلى بعضٍ، فيقول واحدٌ لآخر أَرِنيه كما تَفعلون عند النظر إلى الهلال، ويروى: لا تُضامُّونَ، على صيغة ما لم يسم فاعله. قال ابن سيده: ولم أرَ ضامّ متعدياً إلّا فيه، ويروى: تُضامُّونَ، من الضَّيْم، وهو مذكور في موضعه؛ قال ابن الأَثير: يروى هذا الحديث بالتشديد والتخفيف، فالتشديد معناه لا يَنْضَمُّ بعضكم إلى بعض وتَزْدحمون وقتَ النظر إليه، قال: ويجوز ضم التاء وفتحها على تُفاعَلون وتَفاعَلون، ومعنى التخفيف لا يَنالكم ضَيمٌ في رؤْيته فيراه بعضُكم دون بعض. والضَّيْمُ: الظُّلْم؛ فأما قول أبي ذؤيب: فألْفَى القومَ قد شَرِبُوا، فَضَمُّوا، أمامَ القَوْمِ مَنْطِقُهُمْ نَسِيفُ أَراد أنهم

---

(1) الصحاح في اللغة. (2) اللسان.

اجتمعوا وضَمُّوا إليهم دوابهَّم ورِحالَهُم، فحذف المفعول وحَذْفُه كثير. واضْطَمَمْتُ الشيءَ: ضَمَمْتُه إلى نفسي، واضْطَمَّ فلانٌ شيئاً إلى نفسه، وقال الأَزهري في آخر الضاد والطاء والميم: وأما الاضْطِمام فهو افْتِعالٌ من الضّمِّ. وفي الحديث: «**كان نبي الله ﷺ، إذا اضْطَمَّ عليه الناس أَعْنَقَ**» أي ازْدحموا، وهو افْتَعَلَ من الضم، فقلبت التاء طاء ولأجل لفظة الضاد. وفي حديث أبي هريرة: «**فدنا الناس واضْطَمَّ بعضهم إلى بعض**». واضْطَمَّتْ عليه الضُّلُوعُ أي اشْتَملت. والضُّمامُ: كلُّ ما ضُمَّ به شيءٌ إلى شيء وأَصْبَحَ مُنْضَمًّا أَي ضامِراً كأَنه ضُمَّ بعضُه إلى بعض. وضامَمْتُ الرجلَ: أقمت معه في أَمر واحد مُنْضَمًّا إليه. والإضْمامَةُ: جماعةٌ من الناس ليس أَصلهم واحداً ولكنهم لَفيفٌ، والجمع الأَضامِيمُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: 22].

قال الألوسي(1): وقوله تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ أمر له عليه السلام بعد ما أخذ الحية وانقلبت عصاً كما كانت؛ والضم الجمع، والجناح كما في «القاموس» (اليد والعضد والإبط والجانب ونفس الشيء ويجمع على أجنحة وأجنح)، وفي «البحر» (الجناح حقيقة في جناح الطائر والملك ثم توسع فيه فأطلق على اليد والعضد وجنب الرجل. وقيل: لمجنبتي العسكر جناحان على سبيل الاستعارة وسمي جناح الطائر بذلك لأنه يجنحه أي يميله عند الطيران)، والمراد أدخل يدك اليمنى من طوق مدرعتك واجعلها تحت إبط اليسرى أو تحت عضدها عند الإبط أو تحتها عنده فلا منافاة بين ما هنا وقوله تعالى: ﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ﴾ [النمل: 12].

---

(1) روح المعاني.

قال ابن عاشور[1]: هذه معجزة أخرى عَلمه الله إياها حتى إذا تحدّى فرعون وقومه عمل مثل ذلك أمام السحرة. فهذا تمرين على معجزة ثانية مُتّحِد الغرض مع إلقاء العصا. والجناح: العضد وما تحته إلى الإبط. أطلق عليه ذلك تشبيهاً بجناح الطائر.

والضمّ: الإلصاق، أي ألصق يدك اليمنى التي كنت ممسكاً بها العصا. وكيفية إلصاقها بجناحه أن تباشر جِلدَ جناحه بأن يدخلها في جَيْب قميصه حتى تماس بَشرة جنبه، كما في آية سورة سليمان: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [النمل: 12]. جعل الله تغيّر لون جلد يده مماستها جناحه تشريفاً لأكثر ما يناسب من أجزاء جسمه بالفعل والانفعال.

● **قال تعالى**: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ [القصص: 32].

قال الشوكاني[2]: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ جناح الإنسان: عضده، ويقال لليد كلها: جناح، أي اضمم إليك يديك المبسوطتين؛ لتتقي بهما الحية كالخائف الفزع، وقد عبر عن هذا المعنى بثلاث عبارات: الأولى: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾.

والثانية: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾. والثالثة: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾ [النمل: 12]. ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعباناً.

قال الخازن[3]: قوله عز وجل ﴿اسْلُكْ يَدَكَ﴾ يعني أدخل يدك ﴿فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ يعني برص والمعنى أنه أدخل يده فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ يعني من الخوف والمعنى إذا هالك أمر يدك وما تراه من شعاعها فأدخلها في جيبك تعد إلى حالتها الأولى وقال ابن

---

(1) التحرير والتنوير.
(2) فتح القدير.
(3) لباب التأويل.

عباس: أمر الله موسى أن يضم يده إلى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية وما من خائف بعد موسى إلا إذا وضع يده على صدره زال خوفه.

وقيل المراد من ضم الجناح السكون أي سكن روعك واخفض عليك جناحك لأن من شأن الخائف أن يضطرب قلبه ويرتعد بدنه. وقيل الرهب الكم بلغة حمير ومعناه اضمم إليك يدك وأخرجها من كمك لأنه تناول العصا ويده في كمه ﴿فَذَانِكَ﴾ يعني العصا واليد البيضاء ﴿بُرْهَانَانِ﴾ يعني آيتان.

ضمر

(ضَمَرَ - خَفَّ)

■ **الضَّمْرُ:** هضم البطن من الأعمال لا من الهزال ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: 27].

■ **الخَفِيفُ:** لطيف الجسم كله من الممارسة والحركة ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: 41].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الضاد والميم والراء أصلان صحيحان: أحدهما يدلُّ على دقّةٍ في الشَّيء، والآخر يدلُّ على غَيبةٍ وتستُّر. فالأوّل قولهم: ضَمَرَ الفرس وغيرُهُ ضموراً، وذلك من خِفّة اللَّحمِ، وقد يكون من الهُزَال. ويقال للموضع الذي تُضمَّر فيه الخيل: المِضْمَار. ورجل ضَمْرٌ: خفيف الجسم. واللؤلؤ المضْطمِر: الذي في وسطهِ بعضُ الانضمام والانضمار. والآخر الضِّمَار، وهو المال الغائب الذي لا يُرجَى. وكلُّ شيءٍ غابَ عنك فلا تكونُ منهُ عَلَى ثقَةٍ فهو ضِمَارٌ.

ومن هذا الباب: أَضْمَرتُ في ضميري شيئاً؛ لأنَّه يُغيِّبه في قلبه وصدره.

قال الخليل[2]: الضُّمْرُ من الهُزالِ ولُحُوق البطْن، والفعْلُ: ضَمَرَ يضْمُرُ ضُمُوراً فهو ضامِرٌ. وقَضيبٌ ضامِرٌ: انضَمَرَ وذَهَبَ ماؤه. والمِضمارُ: موضعُ

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

تُضَمَّرُ فيه الخَيْل، وتضميرُها أنْ تُعْلَفَ قُوتاً بعد السِّمَن. والضَّميرُ: الشيءُ الذي تُضمِرُه في ضَمير قلبِكَ. وتقول: أضْمَرْتُ صَرفَ الحَرْفِ اذا كان متحرِّكاً فأسْكَنْتُه. والغِناءُ مِضمار الشِّعْر أي به يُخْتَبَر.

والضَّمْرُ من الرجال: المُهَضَّمُ البطن، اللطيفُ الجسم، وامرأةٌ ضَمْرَةٌ.

والضِّمارُ من العِداتِ: ما كانَ ذا تَسويفٍ، ولُؤْلُؤٌ مُضْطَمِرٌ أي فيه بعضُ الانضِمام، قال: تَلألُؤٌ لُؤْلُؤٍ فيه اضطِمارُ وتضَمَّرَ وجهُه أي انضَمَّت جلدته من الهُزال. والضُّمرانُ: من دِقِّ الشَّجَر، وقيلَ: هو الحَمْضُ. والضُّمْرانُ اسمُ كلبٍ. والضَّومَرانُ والضَّيْمُرانُ: نوع من الرَّيْحان. والضِّمارُ من المالِ: مالا يُرْجَى رُجُوعُه.

قال الفيروزآبادي[1]: الضُّمْرُ، بالضم وبضمتين: الهُزالُ، ولَحاقُ البَطْنِ، ضَمَرَ ضُمُوراً، كَنَصَر وكَرُمَ، واضْطَمَرَ، وجَمَلٌ ضامِرٌ كناقَةٍ، وبالفتح: الرجلُ الهَضِيمُ البَطْنِ، اللطيفُ الجِسمِ، وهبهاءٍ، والفرسُ الدَّقيقُ الحاجبين. والضميرُ: العِنَبُ الذابِلُ، والسِّرُّ، وداخِلُ الخاطِرِجمعه: ضَمائرُ.

وأَضْمَرَه: أخْفاه، والموضعُ والمفعولُ: مُضْمَرٌ،وضمر الأرضُ الرجلَ: غَيَّبَتْهُ، إما بسَفَرٍ أو بمَوْتٍ. وقَضيبٌ ضامِرٌ ومُنْضَمِرٌ: ذَهَبَ ماؤُهُ. وَضَمَّرَ الخَيْلَ تَضْميراً: عَلَفَها القُوتَ بعدَ السِّمَنِ،كأَضْمَرَها. والمِضْمارُ: الموضعُ تُضْمَرُ فيه الخَيْلُ، وغايةُ الفرسِ في السِّباقِ. ولُؤْلُؤٌ مُضْطَمِرٌ: مُنْضَمٌّ. وتَضَمَّرَ وجْهُهُ: انْضَمَّتْ جِلْدَتُهُ هُزالاً.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج: 27].

(1) القاموس المحيط.

قال الشعراوي[1]: ﴿يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ...﴾ الضامر: الفَرَس أو البعير المهزول من طول السفر.

قال ابن عجيبة[2]: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾: حال معطوفة على حال، أي: يأتوك حال كونهم رجالاً وركبانًا. و﴿يَأۡتِينَ﴾: صفة لكل ضامر؛ لأنه في معنى الجمع. وقرأ عبد الله: «**يأتون**»، صفة لرجال. و(رجال): جمع راجل؛ كقائم وقيام.

يقول الحقّ جل جلاله: لإبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾ أي: نادِ فيهم ليحجوا. رُوي: أنه عليه السلام صعد أبا قبيس، فقال: يا أيها الناس، حجوا بيت ربكم، فأسمعه الله تعالى الأرواح، فأجاب من قُدِّر له أن يحج من الأصلاب والأرحام بلبيك اللهم لبيك. ﴿يَأۡتُوكَ﴾ إن أذنت ﴿رِجَالٗا﴾ أي: مشاةً (و) ركبانًا ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾ أي: بعير مهزول، أتعبه بُعدُ الشُقة، فهزّله، أو زاد هزاله. وقدّم الرجال على الركبان؛ لفضيلة المشاة، كما ورد في الحديث ﴿يَأۡتِينَ﴾ تلك الضوامر بركبانها.

قال أبو السعود[3]: ﴿يَأۡتُوكَ﴾ جوابٌ للأمر ﴿رِجَالٗا﴾ أي مُشاةً جمع راجلٍ كقيامٍ جمع قائمٍ. وقُرِىء بضمِّ الرَّاءِ وتخفيفِ الجيم وتشديدِه، ورَجَالىٰ كعَجَالىٰ ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾ عطفٌ على رِجالاً أي رُكباناً على كلِّ بغيرٍ مهزولٍ أتعبه بعدُ الشُّقَّةِ فهزله أو زادَ هزالُه.

﴿يَأۡتِينَ﴾ صفةٌ لضامرٍ محمولة على المعنى. وقُرِىء يأتُون على أنَّه صفةٌ للرِّجالِ والرُّكبانِ أو استئنافٌ فيكون الضَّميرُ للنَّاسِ.

---

(1) تفسير الشعراوي.
(2) البحر المديد.
(3) إرشاد العقل السليم.

ضنّ

(ضَنَّ - بَخل - شَحَّ - قتَر - غلَّ)

- **الضَّنُّ:** البخل بالشيء النفيس ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: 24].
- **البُخلُ:** حبس المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ [النساء: 37].
- **الشُّحُّ:** لذة الحرص على ما تملك فلا تعطيه لمن يحتاجه ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء: 128].
- **القَتْرُ:** شدة تقليل النفقة إمعاناً ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: 100].
- **غِلُّ اليدِ:** انعدام النفقة إلّا ما يمسك الحياة. ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: 29].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الضاد والنون أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على بُخْلٍ بالشيء. يقال: ضَنِنْتُ بالشّيءِ أَضَنُّ به ضَنًّا وضَنانةً، ورجلٌ ضَنين. وهذا عِلْقُ مَضَنَّةٍ ومَضِنّة، إذا كان نفيساً يُضَنُّ به. وفلانٌ ضِنِّي مِنْ بين إخواني، إذا كان النّفِيسَ الذي يُضَنُّ به. وربما قالوا: ضَنَنْتُ بفتح النون.

قال الجوهري[2]: ضَنِنْتُ بالشيء أَضَنُّ به ضِنًّا وضَنانَةً، إذا بخِلتَ به، فأنا ضنينٌ به. قال الفراء: وضَنَنْتُ بالفتح أَضِنُّ لغةٌ.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.

وفلانٌ ضِنِّي من بين إخواني، وهو شبه الاختصاص. وفي الحديث: «**إنّ الله ضِنًّا من خَلْقه يُحييهم في عافية ويُميتهم في عافية**». وهذا عِلْقُ مَضِنَّةٍ ومَضَنَّةٍ، أي نفيسٌ مما يُضَنُّ به. والمَضْنونُ: الغالية.

قال الفيروزآبادي(1): الضَّنَنُ، محرَّكةً: الشُّجاعُ. والضَّنينُ: البَخِيلُ، يَضَنُّ، بالفتحِ والكسر، ضَنانَةً وضِنًّا، بالكسر. وهو ضِنِّي، بالكسر، أي: خاصٌّ بي. وضنائِنُ اللهِ: خَواصُّ خَلْقِهِ. وهذا عِلْقُ مَضَنَّةٍ، وتُكْسَرُ الضادُ: نَفيسٌ يُضَنُّ به.

قال الراغب(2): قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾، أي: ما هو ببخيل، والضنة هو البخل بالشيء النفيس، ولهذا قيل: علق مضنة ومضنة، وفلان ضني بين أصحابي، أي: هو النفيس الذي أضن به، يقال: ضننت بالشيء ضنًّا وضنانة، وقيل: ضننت (ضن يضن ضنانة وضنًّا: بخل، قال أبو عثمان: وزاد يعقوب: ضننت أضن).

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: 24]

قال الفخر الرازي(3): ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ أي وما محمد على الغيب بظنين والغيب هٰهنا القرآن وما فيه من الأنباء والقصص والظنين المتهم يقال: ظننت زيداً في معنى اتهمته، وليس من الظن الذي يتعدى إلى مفعولين، والمعنى ما محمد على القرآن بمتهم أي هو ثقة فيما يؤدي عن الله، ومن قرأ بالضاد فهو من البخل يقال: ضننت به أضن أي بخلت، والمعنى ليس ببخيل فيما أنزل الله، قال الفراء: يأتيه غيب السماء، وهو شيء نفيس فلا يبخل به عليكم، وقال أبو علي

---

(1) القاموس المحيط.
(2) مفردات الراغب.
(3) التفسير الكبير.

الفارسي: المعنى أنه يخبر بالغيب فيبينه ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ذلك ويمتنع من إعلامه حتى يأخذ عليه حلواناً، واختار أبو عبيدة القراءة الأولى لوجهين: أحدهما: أن الكفار لم يبخلوه، وإنما اتهموه فنفي التهمة أولى من نفي البخل وثانيها: قوله: ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ ولو كان المراد البخل لقال بالغيب لأنه يقال: فلان ضنين بكذا وقلما يقال على كذا.

قال الخازن[1]: ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ أي الوحي وخبر السّماء، وما اطلع عليه مما كان غائباً عن علمه من القصص والأنباء. ﴿بِضَنِينٍ﴾ قرأ بالظاء، ومعناه بمتهم والمظنة التهمة، وقرىء بضنين بالضاد، ومعناه ببخيل يقول إنه يأتيه علم الغيب، ولا يبخل به عليكم، ويخبركم به، ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلواناً، وهو أجرة الكاهن، وقراءة الظاء أولى لأنهم لم يبخلوه، وإنما اتهموه، فنفى الله عنه تلك التهمة، ولو أراد البخل لقال وما هو بالغيب.

قال الماوردي[2]: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ قرأ بالظاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي وفيه وجهان: أحدهما: وما محمد على القرآن بمتهم أن يأتي بما لم ينزل عليه، قاله ابن عباس. الثاني: بضعيف عن تأديته، قاله الفراء. وقرأ الباقون بالضاد، وفيه وجهان: أحدهما: وما هو ببخيل أن يعلِّم كما تعلّم. الثاني: وما هو بمتهم أن يؤدي ما لم يؤمر به.

---

(1) لباب التأويل.
(2) النكت والعيون.

ضنك

(ضَنْك - حُزْن - حَسْرة - ضِيْق - غَمّ - هَمّ)

■ **الضَّنْكُ:** الضيق في كل شيء ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: 124].

■ **الحُزْنُ:** خشونة النفس باشتهاء البكاء على شيء مضى ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ [آل عمران: 153].

■ **الحَسْرَةُ:** حزن مع ندم شديد ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 156].

■ **الضِّيقُ:** حزن على ما لا حيلة فيه ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [هود: 12].

■ **الغَمُّ:** حزن يغطي كل المشاعر الأخرى ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [طه: 40].

■ **الهَمُّ:** الحزن الذي يؤدي إلى الهزال ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: 154].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الضاد والنون والكاف أصلان صحيحان وإن قلَّ فروعُهما فالأوّل الضِّيق، والآخر مرضٌ. فالأوّل الضَّنْك: الضِّيق. ومن الباب: امرأةٌ

(1) معجم مقاييس اللغة.

ضِناكٌ: مكتنِزة اللحم، إذا اكتنَزَ تَضاغَطَ. والأصل الآخر المضنوك: المزكوم. والضُّنَاك الزُّكام.

قال الخليل[1]: الضَّنْكُ: الضِّيق. ويفسر قوله جل وعز: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: **124**]: كل ما لم يكن حلالاً فهو ضَنْك وإن كان موسعاً عليه. وقد ضَنْك عيشة.

والضُّناكُ: الزكام، ضُنِكَ فهو مَضْنوكٌ. والضِّناكُ: الموثق الخلق الشديد، ويستوي الذكر والأنثى فيه، رجل ضناك وامرأة ضناك. وامرأة ضِناك، أي: مكتنزة تارة صلبة اللحم. ورجل ضُنْأَكٌ على بناء فعلل مهموز الألف، وهو الصلب المعصوب اللحم، والمرأة: ضُنْأَكَة.

قال الجوهري[2]: الضَّنْكُ: الضيقُ. والضَّناكُ بالفتح: المرأة المكتنزة. والضُّناكُ بالضم: الزُّكام. ورجلٌ مَضْنوكٌ، أي مزكوم.

قال الفيروزآبادي[3]: الضَّنْكُ: الضِّيقُ في كلِّ شيءٍ، للذَّكَرِ والأنْثَى. ضَنُكَ، ككَرُمَ، ضَنْكاً وضَناكَةً وضُنوكَةً: ضاقَ، وفُلانٌ ضَناكَةً، فهو ضَنيكٌ: ضَعُفَ في رَأيِهِ وجِسْمِهِ ونَفْسِهِ وعَقْلِهِ. وكغُرابٍ: الزُّكامُ،كالضُّنْكَةِ، بالضم. وقد ضُنِكَ، كعُنِيَ. والضُّنْأكُ، كجُنْدَبٍ وجَنْدَلٍ: الصُّلْبُ المَعْصوبُ اللحمِ، وهي ضُنأكَةٌ. والضُّنْأكُ، كجُنْدَبٍ: الناقةُ العَظيمةُ.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: **124**].

(1) العين.

(2) الصحاح في اللغة.

(3) القاموس المحيط.

قال الزمخشري[1]: الضنك: مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث. وقرىء: «ضنكى» على فعلى. ومعنى ذلك: أن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته؛ فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح، وسهولة، فيعيش عيشاً رافعاً؛ كما قال عز وجل: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: **97**] والمعرض عن الدين، مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا، مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق، فعيشه ضنك وحاله مظلمة، كما قال بعض المتصوّفة: لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوّش عليه رزقه. ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره. قال الله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: **61**] وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: **66**] وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: **96**] وقال: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح: **10-11**] وقال: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: **16**] وعن الحسن: هو الضريع والزقوم في النار.

قال أبو السعود[2]: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ [طه: **124**] أي عن الهدى الذاكرِ لي والداعي إليّ ﴿فَإِنَّ لَهُۥ﴾ في الدنيا ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ ضيقاً، مصدرٌ وصف به ولذلك يستوي فيه المذكرُ والمؤنثُ، وقرىء ضنْكىٰ كسَكْرى وذلك لأن مجامعَ همتِه ومطامحَ نظرِه مقصورةٌ على أعراض الدنيا وهو متهالكٌ على ازديادها وخائفٌ على انتقاصها بخلاف المؤمنِ الطالبِ للآخرة.

(1) الكشاف. (2) إرشاد العقل السليم.

ضهى

(ضَاهَى - شَبَه - شَكْل - مِثْل - نِدّ)

■ **المُضَاهَاةُ:** المشابهة والمماثلة ﴿يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ﴾ [التوبة: 30].

■ **الشَّبَهُ:** بعض التطابق في اللون أو الطعم ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: 70].

■ **الشَّكْلُ:** بعض التطابق في الهيئة والصورة ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ [ص: 58].

■ **المِثْلُ:** المصور على صورة غيره بأي قدر كان ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 17].

■ **النِّدُّ:** المماثل في الجوهر والقدرة ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: 22]. .
فكل ند مثل و ليس كل مثل ند.

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الضاد والهاء والياء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على مشابهة شيءٍ لشيء. يقال: ضاهاه يُضاهِيهِ، إذا شاكَلَهُ؛ وربما هُمِزَ فقيل يُضاهِئُ. والمرأة الضَّهْياء، هي التي لا تَحِيض؛ فيجوز على تمحُّلٍ واستكراه، أن يقال كأنَّها قد ضاهت الرِّجالَ فلم تَحِضْ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الجوهري[1]: الضَّهْياء ممدودٌ: شجر. والضَّهْياءُ أيضاً: المرأة التي لا تحيض. وحكى أبو عمرو: امرأةٌ ضَهْياةٌ وضَهْياهٌ، بالتاء والهاء، قال: وهي التي لا تَطمُث. وهذا يقتضي أن يكون الضَّهْيا مقصوراً. والمُضاهاة: المشاكلة، تهمز ولا تهمز. وهذا ضَهِيٌّ هذا.

قال الفيروزآبادي[2]: الضَّهْوَةُ: بِرْكَةُ الماءِ جمعه: أَضْهاءٌ. والضَّهْواءُ: التي لم تُنْهِدْ. الضَّهْياءُ، وتُقْصَرُ: المرأةُ التي لا تَحيضُ ولا تَحْمِلُ، أو تَحِيضُ ولا تَحْمِلُ، أو لا يَنْبُتُ ثَدْياها، وقد ضَهِيَتْ ضَهًى، والأرضُ لا تُنْبِتُ، وشَجَرٌ عِضاهِيٌّ. وأَضْهَى: رَعَى إبِلَهُ فيها، وتَزَوَّجَ بضَهْياءَ،وضاهاهُ: شاكَلَه. وضَهِيُّكَ: شبيهُكَ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾ [التوبة: 30].

قال ابن عاشور[3]: المضاهاة: المشابهة، وإسنادها إلى القائلين: على تقدير مضاف ظاهرٍ من الكلام، أي يضاهي قولُهم.

قال الشعراوي[4]: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ أي: يشابهون ويماثلون الذين من قبلهم حينما قالوا مثل ذلك، كما أن البوذية في الصين واليابان قالت ببنوة الإلٰه والحلول وقد حفظ بعضهم من هؤلاء، ولم يطرأ جديد من ألسنتهم، وهم كما وصفهم القرآن الكريم ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ أي: يشابهون ويماثلون به قول الذين كفروا من قبل، و«المضاهاة» هي المماثلة والمشابهة، وقالوا: إن مادتها مأخوذة من امرأة

(1) الصحاح في اللغة.
(2) القاموس المحيط.
(3) التحرير والتنوير.
(4) تفسير الشعراوي.

«ضَهيْاء» وهي التي ضاهت وشابهت الرجل، في عدم الحيض أو الحمل أو الولادة، وهي بذلك تكون شبيهة بالرجل.

﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ﴾ والتعقيب هنا إنما يصدر من الحق تبارك وتعالى عليهم، ولم يتركه الحق لنا.

قال الخازن(1): ﴿يُضَاهِئُونَ﴾ قال ابن عباس: يشابهون والمضاهاة المشابهة.

وقال مجاهد: يواطؤون وقال الحسن: يوافقون ﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ﴾ قال قتادة والسدي: معناه ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا: المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله. وقال مجاهد: معناه يضاهئون قول المشركين من قبل لأن المشركين كانوا يقولون: الملائكة بنات الله وقال الحسن: شبه الله كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الأمم الخالية الكافرة.

(1) لباب التأويل.

ضير

(ضَير - ثَرب - جَنَح - حَرَج - لَوَم)

- **الضَّيْرُ:** المضرّة في ما تحسبه نافعاً ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ﴾ [الشعراء: 50]. قال الزمخشري في أساس البلاغة: نقول فلان ما فيه خير، وإن نفع فنفعه خير.
- **التَّثْرِيبُ:** التقريع والتقرير بالذنب قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: 92].
- **الجُنَاحُ:** المسؤولية الخفيفة ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النساء: 101].
- **الحَرَجُ:** الضيق النفسي من شيء غير لائق ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: 91].
- **اللَّوْمُ:** عزل الناس بنسبته إلى ما فيه تقصير. يقال: لمته فهو ملوم ﴿فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم: 22].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الضاد والياء والراء كلمةٌ واحدةٌ، وهو من الضَّير المضرَّة. ولا يَضِيرني كذا، أي لا يضرُّني. قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: 120].

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال ابن منظور[1]: ضارَهُ الأَمْرُ يَضُورُه كيَضِيرُه ضَيْراً وضَوراً أَي ضَرَّه، وزعم الكسائي أَنه سمع بعض أَهل العالية يقول: ما ينفعني ذلك ولا يَضُورُني. والضَّيْرُ والضَّرُّ واحد. ويقال: لا ضَيْرَ ولا ضَوْر بمعنى واحد. والضَّوْرَةُ: الجَوْعَةُ، والضَّوْرُ: شدة الجُوعِ. والتَّضَوُّرُ: التَّلَوِّي والصِّياحُ من وَجَعِ الضَّرْب أَو الجُوعِ، وهو يَتَلَعْلَعُ من الجوع أَي يَتَضَوَّرُ. وتَضَوَّرَ الذئبُ والكلبُ والأَسد والثعلب: صاح عند الجوع.

وقوله ﷺ: «**أَتُضارُونَ في رؤية الشمس؟ فإِنكم لا تُضارُونَ في رؤيته**»، هو من هذا؛ أَي لا يَضِيرُ بعضُكم بعضاً. وفي حديث عائشة رضي الله عنها، وقد حاضت في الحج: لا يَضِيرُكِ أَي لا يَضُرُّكِ. الفراء: قرأَ بعضهم لا يَضِرْكم كَيْدهم شيئاً، يجعله من الضَّيْرِ. قال: وزعم الكسائي أَنه سمع بعض أَهل العالية يقول: ما ينفعني ذلك ولا يَضُورُني، والضَّيْرُ والضَّوْرُ واحد. وفي التنزيل العزيز: ﴿لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾؛ معناه لا ضَرَّ. يقال: لا ضَيْرَ ولا ضَوْرَ ولا ضَرَّ ولا ضَرَرَ ولا ضَارُورَةَ بمعنى واحد.

قال الراغب[2]: الضير: المضرة، يقال: ضاره وضره. قال تعالى: ﴿لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 50]، وقوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: 120].

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 50].

قال الفخر الرازي[3]: ﴿لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ الضر والضير واحد،

(1) اللسان.
(2) مفردات الراغب.
(3) التفسير الكبير.

وليس المراد أن ذلك إن وقع لم يضر وإنما عنوا بالإضافة إلى ما عرفوه من دار الجزاء.

قال أبو السعود[1]: ﴿قَالُوا۟﴾ أي السَّحرةُ ﴿لَا ضَيْرَ﴾ لا ضررَ فيه علينا وقولُه تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ تعليلٌ لعدم الضَّيرِ أي لا ضيرَ في ذلك بل لنا فيه نفعٌ عظيمٌ لما يحصلُ لنا في الصَّبرِ عليه لوجهِ الله تعالى من تكفيرِ الخَطَايا والثَّوابِ العظيم، أو لا ضيرَ علينا فيما تتوعَّدنا به من القتلِ أنه لا بُدَّ لنا من الانقلابِ إلى رَّبنا بسببٍ من أسبابِ الموتِ، والقتلُ أهونُها وأرجاها.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: 120].

قال الألوسي[2]: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ بكسر الضاد وجزم الراء على أنه جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضره يضره، وضم الراء في القراءة المشهورة لاتباع ضمة الضاد كما في الأمر المضاعف المضموم العين كمد، والجزم مقدر، وجوزوا في مثله الفتح للخفة والكسر لأجل تحريك الساكن، وقيل: إنه مرفوع بتقدير الفاء وهو تكلف مستغنى عنه ﴿شَيْـًٔا﴾ نصب على المصدر أي لا يضركم كيدهم شيئاً من الضرر لا كثيراً ولا قليلاً ببركة الصبر والتقوى لكونهما من محاسن الطاعات ومكارم الأخلاق ومن تحلى بذلك كان في كنف الله تعالى وحمايته من أن يضره كيد عدو، وقيل: لا يضركم كيدهم لأنه أحاط بكم فلكم الأجر الجزيل وإن بطل فهو النعمة الدنيا فأنتم لا تحرمون الحسنى على كلتا الحالتين وفيه بعد.

قال ابن عاشور[3]: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ أي بذلك ينتفي الضرّ كلّه لأنّه أثبت في أوّل الآيات أنّهم لا يضرّون المؤمنين إلّا أذى، فالأذى ضرّ خفيف،

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) روح المعاني.
(3) التحرير والتنوير.

فلمَّا انتفى الضرّ الأعظم الَّذي يحتاج في دفعه إلى شديدِ مقاومة من القتال وحراسة وإنفاق، كان انتفاء ما بَقي من الضرّ هيّناً، وذلك بالصّبر على الأذى، وقلّة الاكتراث به، مع الحذر منهم أن يتوسّلوا بذلك الأذى إلى ما يوصل ضرًّا عظيماً.

وفي الحديث: «**لا أحد أصبر على أذى يسمعه من اللهِ يدعون له نِدًّا وهو يرزقهم**» وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ - بكسر الضاد وسكون الراء - من ضارُه يضيره بمعنى أضرّه. وقرأه ابن عامر، وحمزة، وعاصم، والكسائي، وأبو جعفر، وخلف - بضم الضاد وضم الراء مشدّدة - مِن ضرّهُ يضُرّه، والضمّة ضمّة إتباع لحركة العين عند الإدغام للتخلّص من التقاء الساكنين: سكون الجزم وسكونِ الإدغام، ويجوز في مثله من المضموم العين في المضارع ثلاثةُ وجوه في العربية: الضمّ لإتباع حركة العين، والفتح لخفّته، والكسر لأنَّه الأصل في التخلّص من التقاء الساكنين، ولم يُقرأ إلّا بالضمّ في المتواتر.

ضيز
(ضيز)

■ **الضَّيْزُ:** جار وبخس حقه ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: 22].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الضاد والياء والزاي قد مضى ذكره، وأصله فيما يقال الواو. وقد قيل إنَّه من بَنات الياء، فلذلك ذكرناه هاهنا. فالقِسمة الضّيزى: النّاقصة. يقال: ضِزْته حقَّه، إذا منعتَه. وحكى ناس ضَأَزَه، مهموز.

قال الجوهري(2): ضازَ في الحُكم، أي جار. يقال: ضازَهُ حقَّه يَضيزُهُ ضَيْزاً، عن الأخفش، أي بَخَسَه ونقَصه. قال: وقد يهمز فيقال: ضَأَزَهُ ضَأْزاً

وقوله تعالى: «قِسْمَةٌ ضيزى»، أي جائرةٌ. قال الفراء: وبعض العرب يقول: ضِئْزى وضُؤْزى بالهمز.

قال ابن منظور(3): ضازَ في المحكم أي جار. وضازَه حقَّه يَضِيزُه ضَيْزاً: نقصه وبَخَسَه ومنعه. وضِزْتُ فلاناً أَضِيزُه ضَيْزاً: جُرْتُ عليه. وضازَ يَضِيزُ إذا جار، وقد يهمز فيقال: ضَأَزَه يَضْأَزُه ضَأْزاً. وفي التنزيل العزيز: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾؛ وقسمة ضِيزَى وضُوزَى أي جائرة، والقراء جميعهم على ترك همز ضِيزَى، قال: ومن العرب من يقول ضِيزَى، ولا يهمز، ويقولون ضِئْزَى وضُؤْزَى، بالهمز، ولم

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) اللسان.

يقرأُ بهما أَحد نعلمه. ابن الأَعرابي: تقول العرب قسمة ضُؤْزى، بالضم والهمز، وضُوزى، بالضم بلا همز، وضِئْزَى، بالكسر والهمز، وضِيزى، بالكسر وترك الهمز، ومعناها كلها الجَوْر. وضِيزَى، فُعْلى، وإِن رأَيت أَوّلها مكسوراً وهي مثل بِيضٍ وعِين، وكان أَوّلها مضموماً فكرهوا أَن يترك على ضمته فيقال بُوضٌ وعُونٌ، والواحدة بَيضاء وعَيْناء، فكسروا الباء لتكون بالياء ويتأَلف الجمع والاثنان والواحدة، وكذلك كرهوا أَن يقولوا ضُؤْزَى فتصير بالواو وهي من الياء.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: 22].

قال الألوسي(1): ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية ﴿إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ أي جائرة حيث جعلتم له سبحانه ما تستنكفون منه وبذلك فسر ضيزى ابن عباس وقتادة، وفي معناه قول سفيان منقوصة، وابن زيد مخالفة، ومجاهد ومقاتل عوجاء، والحسن غير معتدلة. والظاهر أنه صفة. واختلف في يائه فقيل: منقلبة عن واو، وقيل: أصلية، ووزنه فُعْلى بضم الفاء كحبلى وأنثى، ثم كسرت لتسلم الياء كما فعل ذلك في بِيض جمع أبيض فإن وزنه فُعل بضم الفاء كحُمر ثم كسرت الفاء لما ذكر ومثله شائع، ولم يجعل وزنه فِعلى بالكسر ابتداءاً لما ذهب إليه سيبويه من أن فِعلى بالكسر لم يجيء عن العرب في الصفات وجعله بعضهم كذلك متمسكاً بورود ذلك. فقد حكى ثعلب مشية حيكى، ورجل كيصى، وغيره امرأة عزهى وامرأة سعلى، ورد بأنه من النوادر والحمل على الكثير المطرد في بابه أولى، وأيضاً يمكن أن يقال في حيكى وكيصى ما قيل في ضيزى؛ ويمنع

---

(1) روح المعاني.

ورود عزهى وسعلى فإن المعروف عزهاة وسعلاة، وجوز أن يكون ضيزى فِعلى بالكسر ابتداءاً على أنه مصدر كذكرى ووصف به مبالغة، ومجيء هذا الوصف في المصادر كما ذكر، والأسماء الجامدة كدفلى وشعرى، والجموع كحجلى كثير.

وقرأ ابن كثير (ضئزى) بالهمز على أنه مصدر وصف به، وجوز أن يكون وصفاً وهو مضموم عومل معاملة المعتل لأنه يؤول إليه. وقرأ ابن زيد (ضَيزى) بفتح الضاد وبالياء على أنه كدعوى أو كسكرى، ويقال ضؤزى بالواو والهمز وضم الفاء؛ وقد حكى الكسائي ضأز يضأز ضأزاً بالهمز.

ضاع

(ضَاعَ - تَاهَ - ضَلَّ)

■ **الضَّيَاعُ:** التيه في المفازة الواسعة. ومنها ضيعة الرجل مزرعته التي تضيع إن لم يستمر في رعايتها ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: 143].

■ **التِّيهُ:** التحيّر في المقصود ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةًۛ يَتِيهُونَ﴾ [المائدة: 26].

■ **الضَّلَالُ:** العدول عن الطريق الموصل للهدف وبعده الهداية ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ﴾ [يونس: 108].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الضاد والياء والعين أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على فَوت الشّيء وذَهابِه وهلاكه. يقال: ضاعَ الشَّيءُ يَضيعُ ضَياعاً وضَيْعَةً، وأَضَعْتُهُ أنا إضاعة. فأمّا تسميتُهم العَقَار ضيعة فما أحسَبُها من اللُّغة الأَصِيلة، وأظنّهُ من مُحْدَث الكلام. وسمعت من يقول: إنَّما سمِّيت بذلك لأنَّها إذا تُرِكَ تعهُّدِها ضاعت. فإن كان كذا فهو دليلُ ما قلناهُ أنَّه من الكلام المحْدَث. ويقال: أَضَاعَ فهو مُضِيعٌ، إذا كثُر ضِياعُهُ. فأمَّا قول الشَّماخ: وبقيت كلمة ليست من الباب وهي من باب الإبدال، حكى ابنُ السِّكيت: تضيَّعت الرِّيح، مثلُ تضوَّعت.

قال الجوهري(2): ضاعَ الشيءُ يَضيعُ ضَيْعَةً وضَياعاً بالفتح، أي هلك، ومنه

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) الصحاح في اللغة.

قولهم: فلان بدارِ مضيَعَةٍ. ورجلٌ مِضْياعٌ للمال، أي مُضَيِّعٌ. والإضاعَةُ والتَّضْييعُ بمعنًى. والضَّيْعَةُ العقارُ، والجمع ضِياعٌ وضِيَعٌ أيضاً. وأضاعَ الرجل، إذا فشتْ ضِياعُهُ وكثرتْ، فهو مُضيعٌ. وتصغير الضَّيْعَةِ ضُيَيْعَةٌ، ولا تقل ضُوَيْعَةٌ. وقولهم: فلان يأكل في مِعًى ضائِعٍ، أي جائعٍ. وتَضَيَّعَ المسكَ: لغةٌ في تَضَوّع، أي فاح.

قال الفيروزآبادي[1]: ضاعَ يَضيعُ ضَيْعاً، ويُكْسَرُ، وضَيْعَةً وضَياعاً، (بالفتح): هَلَكَ (وَتَلِفَ،وضاع الشيءُ: صارَ مُهْمَلاً). والضَّياعُ أيضاً: العِيالُ، أو ضُيَّعُهُم، وضَرْبٌ من الطِّيبِ، وبالكسرِ: جَمْعُ ضائِعٍ. وماتَ ضَياعاً، كسحابٍ،وضِيَعاً، كعِنَبٍ،وضِيعاً وضِيعَةً، بكسرهما، أي: غَيْرَ مُفْتَقَدٍ. والضَّيْعَةُ: العقَارُ، والأرضُ المُغِلَّةُ، والتَّصْغيرُ: ضُيَيْعَةٌ، ولا تَقُلْ: ضُوَيْعَةٌ،جمعه: كعِنَبٍ ورِجالٍ، وضَيْعاتٌ، وضاع: حِرْفَةُ الرجُلِ، وصِناعَتُهُ وتِجارَتُهُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: 143].

قال الفخر الرازي[2]: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾.

أن رجالاً من المسلمين كأبي أمامة، وسعد بن زرارة، والبراء بن عازب، والبراء بن معرور، وغيرهم ماتوا على القبلة الأولى فقال عشائرهم: يا رسول الله توفي إخواننا على القبلة الأولى فكيف حالهم؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

واعلم أنه لا بد من هذا السبب، وإلا لم يتصل بعض الكلام ببعض، ووجه تقرير الإشكال أن الذين لم يجوزوا النسخ إلا مع البداء يقولون: إنه لما تغير الحكم وجب أن يكون الحكم مفسدة وباطلاً فوقع في قلبهم بناء على هذا السؤال

(1) القاموس المحيط. (2) التفسير الكبير.

أن تلك الصلوات التي أتوا بها متوجهين إلى بيت المقدس كانت ضائعة، ثم إن الله تعالى أجاب عن هذا الإشكال وبين أن النسخ نقل من مصلحة إلى مصلحة ومن تكليف إلى تكليف، والأول كالثاني في أن القائم به متمسك بالدين، وأن من هذا حاله فإنه لا يضيع أجره ونظيره: ما سألوا بعد تحريم الخمر عمن مات وكان يشربها، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [المائدة: 93] فعرفهم الله تعالى أنه لا جناح عليهم فيما مضى لما كان ذلك بإباحة الله تعالى، فإن قيل: إذا كان الشك إنما تولد من تجويز البداء على الله تعالى فكيف يليق ذلك بالصحابة؟ قلنا: الجواب من وجوه. أحدها: أن ذلك الشك وقع لمنافق فذكر الله تعالى ذلك ليذكره المسلمون جواباً لسؤال ذلك المنافق. وثانيها: لعلهم اعتقدوا أن الصلاة إلى الكعبة أفضل فقالوا: ليت إخواننا ممن مات أدرك ذلك، فذكر الله تعالى هذا الكلام جواباً عن ذلك. وثالثها: لعله تعالى ذكر هذا الكلام ليكون دفعاً لذلك السؤال لو خطر ببالهم.

قال القرطبي[1]: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ اتفق العلماء على أنها نزلت فيمن مات وهو يصلّي إلى بيت المَقْدس؛ كما ثبت في البخاريّ من حديث البَرَاء ابن عازِب، على ما تقدّم.

وخرّج التّرمذي عن ٱبن عباس قال: لما وُجّه النبيّ عليه السلام إلى الكعبة قالوا: يا رسول الله، كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يُصلّون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ الآية، قال: هذا حديث حسن صحيح. فسمّى الصلاة إيماناً لاشتمالها على نيةٍ وقول وعملٍ.

● **قال تعالى**: ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾ [آل عمران: 195].

قال أبو السعود[2]: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾ أي بأني، وهكذا قرأ

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) إرشاد العقل السليم.

أُبيٍّ ﷺ ، والباءُ للسببية كأنه قيل فاستجاب لهم ربُّهم بسبب أنه لا يُضيع عملَ عامل منهم أي سُنَّتُه السنيةُ مستمرَّةٌ على ذلك، والالتفاتُ إلى التكلم، والخطابُ لإظهار كمالِ الاعتناءِ بشأن الاستجابةِ وتشريفِ الداعين بشرف الخطاب، والمرادُ تأكيدُها ببيان سببها والإشعارُ بأن مدارَها أعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجردُ الدعاءِ. وتعميمُ الوعدِ لسائر العاملين وإن لم يبلُغوا درجةَ أولي الألبابِ لتأكيد استجابةِ الدعواتِ المذكورةِ، والتعبيرُ عن ترْك الإثابةِ بالإضاعة مع أنه ليس بإضاعة حقيقةٍ إذ الأعمالُ غيرُ موجبةٍ للثواب حتى يلزَمَ من تخلّفه عنها ضياعُها لبيان كمالِ نزاهتِه تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدورُه عنه من القبائح، وإبرازِ الإثابةِ في معرض الأمورِ الواجبةِ عليه. وقرىء بكسر الهمزةِ على إرادة القولِ أي قائلاً إني إلخ فلا التفاتَ حينئذٍ وقرىء لا أُضيِّع بالتشديد، ومِنْ متعلقةٌ بمحذوف وقع صفةً لعامل، أي عاملٍ كائنٍ منكم.

قال الخازن[1]: يعني لا أحبط عملكم أيها المؤمنون بل أثيبكم عليه ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ﴾ يعني لا أضيع عمل عامل منكم ذكراً أو أنثى عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله ما أسمع الله تعالى ذكر النساء في الهجرة بشيء فأنزل الله تعالى: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ - إلـى - ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ أخرجه الترمذي وغيره.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [التوبة: 120].

قال الألوسي[2]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ على إحسانهم، والجملة في موضع التعليل للكتب، والمراد بالمحسنين إما المبحوث عنهم ووضع المظهر موضع المضمر لمدحهم والشهادة لهم بالانتظام في سلك المحسنين وأن أعمالهم من قبيل الإحسان وللإشعار بعلية المأخذ للحكم وإما الجنس وهم دخولاً أولياً.

---

(1) لباب التأويل. (2) روح المعاني.

قال الشعراوي[1]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فهؤلاء الذين أحسنوا لا يضيع الله أجرهم أبداً.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: 30]

قال الطبري[2]: يقول تعالى ذكره: إن الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بطاعة الله، وانتهوا إلى أمره ونهيه، إنا لا نضيع ثواب من أحسن عملاً، فأطاع الله، واتبع أمره ونهيه، بل نجازيه بطاعته وعمله الحسن جنات عدن تجري من تحتها الأنهار. فإن قال قائل: وأين خَبَر «إنّ» الأولى؟ قيل: جائز أن يكون خبرها قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ فيكون معنى الكلام: إنا لا نضيع أجر من عمل صالحاً، فترك الكلام الأوّل، واعتمد على الثاني بنية التكرير، كما قيل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: 217] بمعنى: عن قتال فيه على التكرير.

ويروى: تُرْخَى وجائز أن يكون: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ جزاءً، فيكون معنى الكلام: إن من عمل صالحاً فإنا لا نضيع أجره، فتضمر الفاء في قوله: «إنَّا» وجائز أن يكون خبرها: أولئك لهم جنات عدن، فيكون معنى الكلام: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أولئك لهم جنات عدن.

قال الفخر الرازي[3]: اعلم أنه تعالى لما ذكر وعيد المبطلين أردفه بوعد المحقين وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يدل على أن العمل الصالح مغاير للإيمان لأن العطف يوجب المغايرة.

المسألة الثانية: قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ ظاهره يقتضي أنه

---

(1) تفسير الشعراوي.
(2) جامع البيان.
(3) التفسير الكبير.

يستوجب المؤمن بحسن عمله على الله أجراً، وعند أصحابنا ذلك الاستيجاب حصل بحكم الوعد وعند المعتزلة لذات الفعل وهو باطل لأن نعم الله كثيرة وهي موجبة للشكر والعبودية فلا يصير الشكر والعبودية موجبين لثواب آخر لأن أداء الواجب لا يوجب شيئاً آخر.

ضيف

(ضَيف - طَرَق - نَزَل)

■ **الضَّيْفُ:** المحب يزور أحبابه ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ﴾ [هود: 78].

■ **الطَّارِقُ:** الزائر المريب ليلاً. حديث شريف «**إلا طارقاً يطرق بليل**».

■ **النَّزْلُ:** الزائر لمدة طويلة ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات: 177].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الضاد والياء والفاء أصلٌ واحدٌ صحيح، يدلُّ على مَيل الشيء إلى الشيء. يقال: أَضَفْتُ الشَّيءَ إلى الشَّيء: أمَلْتهُ. وضافت الشمس تَضِيف: مالت؛ وكذلك تضيَّفَتْ، إذا مالت للغروب. وفي الحديث: «**أنَّه نَهى عن الصَّلاة إذا تضيَّفت الشَّمسُ للغروب**».

ويقال: ضَافَ السَّهم عن الهدف يَضِيف. والضَّيف منْ هذا، يقال: ضِفْتُ الرَّجُل: تعرَّضْت له ليَضِيفَني. وأَضَفْتُهُ أَنْزلتُه عليَّ.

ويقال: ضَيَّفْته مثل أضفْتُهُ، إذا أنزلتَه بك. وفلانٌ يتضيَّفُ النّاسَ، إذا كان يتّبعهم ليُضِيفوه. وهو قولُ الفرزدق: والضَّيف يكون واحداً وجمعاً.

ويقال أيضاً: أضياف وضِيفانٌ. ويقال لناحية الوادي ضِيفٌ، وهما ضِيفانِ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

وتَضايَفنا الوادِيَ: أتيناه من ضِيفيه. وكذلك تَضَايَفَ الكلابُ [الصَّيدَ]، إذا أتوه من جوانبه. قال: والمضاف: الذي قد أُحِيط به في الحرب. ويقال تضَيَّفُوه، إذا اجتمعوا عليه من جوانبه.

وقال قومٌ: ضافت المرأة: حاضت. وهذا ليس بشيء، ولا مما هو يدلُّ عليه قِياسٌ، ولا وجهَ للشُّغْل به. فأمَّا قولهم أضاف من الشيء، إذا أشفقَ منه، فيجوز أن يكون شاذًّا عن الأصل الذي ذكرناه، ويمكن أن يتَمَحَّل لـه بأن يقال أضاف من الشيء، إذا أشفق منه، كأنَّه صار في الضِّيف، وهو الجانب، أي لـم يتوسَّط إشفاقاً. وهو بعيد، والأولى عندي أن يقال إنَّه شاذّ.

والكلمة مشهورة. قال: وقال الهذليّ: إذا يغزو تُضِيفُ. أي تشفِق. قال أبو سعيد: ضاف الهمُّ، إذا نَزَلَ بصاحبه. والقياس أنَّه إذا نزل به فقد مال نحوه.

قال الجوهري(1): الضَّيْفُ يكون واحداً وجمعاً، وقد يجمع على الأضياف والضيوف والضيفان. والمرأة ضيف وضيفة. وأضيفت الرجل إذا أنزلته بك ضَيْفاً وقرَيْته. وضِفْتُ الرجلَ ضيافَةً، إذا نزلتَ عليه ضَيْفاً، وكذلك تَضَيَّفْتُهُ.

وتَضَيَّفَتِ الشمسُ، إذا مالت للغروب، وكذلك ضافَتْ وضَيَّفَتْ. ويقال: ضافَ السهمُ عن الهدَف مثل صاف، أي عَدَل. وأضَفْتُ الشيء إلى الشيء، أي أمَلْتُهُ. وأضَفْتُ من الأمر، أي أشفقتُ وحذِرتُ.

قال الفيروزآبادي(2): الضَّيْفُ: للواحِدِ والجَميعِ، وقد يُجْمَعُ على أضْيَافٍ وضُيوفٍ وضِيفانٍ، وهي ضَيْفٌ وضَيْفَةٌ. وضافَتْ تَضيفُ: حاضَتْ. وهي ضَيْفَةٌ: حائضٌ. وضِفْتُهُ أَضِيفُهُ ضَيْفاً وضِيافَةً، بالكسر: نَزَلْتُ عليه ضَيْفاً، كَتَضَيَّفْتُه. والضَّيْفُ: فَرَسٌ من نَسْلِ الحَرونِ، وعَلَمٌ، وبالكسر: الجَنْبُ.

ومحمدُ بنُ عبدِ الملِكِ بنِ ضَيْفونٍ، كسَحْنونٍ: رَوَى عن ابنِ الأَعْرابِيِّ. والمَضِيفَةُ، ويُضَمُّ: الهَمُّ والحُزْنُ. والضَّيْفَنُ: مَنْ يَجِيءُ مع الضَّيْفِ مُتَطَفِّلاً.

---

(1) الصحاح في اللغة. (2) القاموس المحيط.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحجر: 51].

قال مقاتل[1]: ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾، يعني وأخبرهم ﴿عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾، ملكان أحدهما جبريل، والآخر ميكائيل.

قال القرطبي[2]: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ضيفُ إبراهيم: الملائكة الذين بشروه بالولد وبهلاك قوم لوط. وقد تقدّم ذكرهم. وكان إبراهيم عليه السلام يكنى أبا الضيفان وكان لقَصْره أربعة أبواب لكيلا يفوته أحد. وسمي الضيف ضيفاً لإضافته إليك ونزوله عليك. وقد مضى من حكم الضيف في «هود» ما يكفي والحمد لله. ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ [الحجر: 52] جمع الخبر لأن الضيف اسم يصلح للواحد والجمع والتثنية والمذكر والمؤنث كالمصدر. ضافه وأضافه أماله؛ ومنه الحديث: «**حين تَضيف الشمس للغروب**»، وضيفوفة السهم، والإضافة النحوية. ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الحجر: 52] أي سلَّموا سلاماً.

● **قال تعالى:** ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى﴾ [الحجر: 68].

قال أبو السعود[3]: ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى﴾ الضيفُ حيث كان مصدراً في الأصل أُطلق على الواحد والمتعددِ والمذكرِ والمؤنث، وإطلاقُه على الملائكة بحسب اعتقادِه عليه الصلاة والسلام لكونهم في زِيّ الضيف، والتأكيدُ ليس لإنكارهم بذلك بل لتحقيق اتِّصافِهم به وإظهارِ اعتنائه بشأنهم وتشمُّره لمراعاة حقوقِهم وحمايتهم من السوء.

قال الشوكاني[4]: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى﴾ والمراد: أضيافي، وسماهم ضيفاً؛

---

(1) تفسير مقاتل.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) إرشاد العقل السليم.
(4) فتح القدير.

لأنه رآهم على هيئة الأضياف، وقومه رأوهم مردا حسان الوجوه، فلذلك طمعوا فيهم.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِيٓ﴾ [هود: 78].

قال الألوسي(1): ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِيٓ﴾ أي لا تفضحوني في شأنهم فإن إخزاء ضيف الرجل إخزاء له، أو لا تخجلوني فيهم.

(1) روح المعاني.

ضيق

(ضِيْق - ضنْك - حُزْن - حَسْرة - غَمّ - هَمّ)

■ **الضِّيقُ:** حزن على ما لا حيلة فيه مع حزن ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾ [هود: 12].

■ **الضَّنْكُ:** الضيق في كل شيء ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: 124].

■ **الحُزْنُ:** خشونة النفس باشتهاء البكاء على شيء مضى ﴿لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ [آل عمران: 153].

■ **الحَسْرَةُ:** حزن مع ندم شديد ﴿لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةً فِي قُلُوبِهِمۡۗ﴾ [آل عمران: 156].

■ **الغَمُّ:** حزن يغطي كل المشاعر الأخرى ﴿وَقَتَلۡتَ نَفۡسًا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ﴾ [طه: 40].

■ **الهَمُّ:** الحزن الذي يؤدي إلى الهزال ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ [آل عمران: 154].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الضاد والياء والقاف كلمةٌ واحدةٌ تدلُّ على خلافِ السَّعة، وذلك هو الضِّيق والضِّيقة: الفَقْر. يقال: أضاق الرّجلُ: ذهب مالُهُ. وضاقَ، إذا

(1) معجم مقاييس اللغة.

بخل. وشيءٌ ضَيْقٌ، أي ضَيِّق. والباب كلُّه قياس واحد. فأما قول القائل: فيقال إنَّ الضِّيقة منزلٌ في منازل القمر. قال أبو عمرو: الضِّيقة هاهنا من الضِّيق.

قال الخليل[1]: ضاقَ الأمر يضيقُ ضَيْقاً، فهو ضَيِّقٌ، والاسم الضِّيقُ. والضَّيقُ والضَّيقَةُ: منزل للقمر بلزق الثريا مما يلي الدبران، تزعم العرب أنه نحس.

قال الجوهري[2]: ضاقَ الشيء يَضيقُ ضَيْقاً وضيقاً. والضَّيْقُ أيضاً تخفيف الضَّيّق. والضَّيْقُ أيضاً: جمع الضَّيْقَةِ، وهي الفقر وسوء الحال.

والضِّيقَةُ: الضيقُ . وقد ضاق عنك الشيء. يقال: لا يسعني شيءٌ ويَضيقُ عنك. وضاقَ الرجل، أي بَخلَ. وأضاقَ، أي ذهبَ مالُه. وضَيَّقْتُ عليك الموضع. وقولهم: ضِقْتُ به ذرعاً، أي ضاقَ ذرعي به. وتَضايَقَ القوم، إذا لم يتَّسعوا في خُلُقٍ أو مكان. والضُّوقى والضيقى: تأنيث الأضْيَق.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: 125].

قال ابن عاشور[3]: والضَّيِّقُ - بتشديد الياء بوزن فَيْعِل - مبالغة في وصف الشّيء بالضيّق، يقال: ضاق ضِيقاً - بكسر الضاد - وضَيقاً - بفتحها - والأشهر كسر الضاد في المصدر والأقيس الفتح؛ ويقال بتخفيف الياء بوزن فَعْل، وذلك مثل مَيِّت ومَيْت، وهما وإن اختلفت زنتهما، وكانت زنة فَيْعِل في الأصل تفيد من المبالغة في حصول الفعل ما لا تفيده زنة فَعْل، فإنّ الاستعمال سوّى بينهما على

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) التحرير والتنوير.

الأصحّ. والأظهر أنّ أصل ضيِّق: بالتخفيف وصف بالمصدر، فلذلك استويا في إفادة المبالغة بالوصف.

وقد استعير الضيِّق لضدّ ما استعير له الشّرح فأريد به الّذي لا يستعدّ لقبول الإيمان ولا تسكن نفسه إليه، بحيث يكون مضطرب البال إذا عُرض عليه الإسلام، وهذا كقوله تعالى: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: 90].

قال الشعراوي[1]: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: 125] والحرج معناه الحجز عن الفعل، كأن نقول حرَّجت على فلان أن يفعل كذا، أي ضيقت عليه ومنعته من أن يؤدي هذا العمل. «كأنما يصعّد في السماء».

● **قال تعالى**: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: 25].

قال ابن عجيبة[2]: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾؛ برحبها، أي: ضاقت على كثرة اتساعها، فلم تجدوا فيها مكاناً تطمئن إليه نفوسكم من الدهش.

قال الطبري[3]: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ يقول: وضاقت الأرض بسعتها عليكم. والباء هٰهنا في معنى «في»، ومعناه: وضاقت عليكم الأرض في رحبها وبرحبها، يقال منه: مكان رحيب: أي واسع وإنما سميت الرحاب رحاباً لسعتها.

● **قال تعالى**: ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [هود: 12].

قال القرطبي[4]: ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ عطف على ﴿تَارِكٌۢ﴾ و﴿صَدْرُكَ﴾ مرفوع به، والهاء في «به» تعود على «ما» أو على بعض، أو على التبليغ، أو التكذيب. وقال: ﴿وَضَآئِقٌۢ﴾ ولم يقل ضيّق ليشاكل «تَارِكٌ» الذي قبله؛ ولأن الضّائق عارض، والضيّق ألزم منه. ﴿أَن يَقُولُواْ﴾ في موضع نصب؛ أي كراهية أن يقولوا، أو لئلا

(1) تفسير الشعراوي.
(2) البحر المديد.
(3) جامع البيان.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

يقولوا كقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: 176] أي لئلا تضلّوا. أو لأن يقولوا.

قال الفخر الرازي[1]: ﴿وَضَآئِقٌ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ فالضائق بمعنى الضيق، قال الواحدي: الفرق بينهما أن الضائق يكون بضيق عارض غير لازم، لأن رسول الله ﷺ كان أفسح الناس صدراً، ومثله قولك: زيد سيد جواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين، فإذا أردت الحدوث قلت: سائد وجائد، والمعنى: ضائق صدرك لأجل أن يقولوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ [هود: 12].

● **قال تعالى**: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [هود: 77].

قال البغوي[2]: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾، أي: قلباً. يقال: ضاق ذرع فلان بكذا: إذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه، وذلك أن لوطاً عليه السلام لما نظر إلى حسن وجوههم وطيب روائحهم أشفق عليهم من قومه أن يقصدوهم بالفاحشة، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عنهم.

قال الماوردي[3]: قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ قال ابن عباس: ساء ظنه بقومه وضاق ذرعاً بأضيافه. ويحتمل وجهاً آخر أنه ساء ظنه برسل ربه، وضاق ذراعاً بخلاص نفسه لأنه نكرهم قبل معرفتهم.

● **قال تعالى**: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ [الشعراء: 13].

قال الطنطاوي[4]: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ أي: وينتابني الغم والهم بسبب تكذيبهم لي..

﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ أي: وليس عندي فصاحة اللسان التي تجعلني أظهر ما في

(1) التفسير الكبير.
(2) معالم التنزيل.
(3) النكت والعيون.
(4) الوسيط في تفسير القرآن.

نفسي من تفنيد لأباطيلهم، ومن إزهاق لشبهاتهم، خصوصاً عند اشتداد غضبي عليهم.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: 127].

قال الشعراوي(1): وقوله: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

الضيق: تأتي بالفتح وبالكسر، ضِيْق، ضَيْق.

فالحق سبحانه ينهى رسوله ﷺ أنْ يكون في ضيق من مكر الكفار؛ لأن الذي يضيق بأمر ما هو الذي لا يجد في مجال فكره وبدائله ما يخرج به من هذا الضيق، إنما الذي يعرف أن له منفذاً ومَخْرجاً فلا يكون في ضَيْق.

فالمعنى: لا تَكُ في ضيق يا محمد، فالله معك، سيجعل لك من الضيق مخرجاً، ويرد على هؤلاء مكرهم: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30].

ولذلك يقول: لا كرب وأنت رب. فساعة أن تضيق بك الدنيا والأهل والأحباب، وتضيق بك نفسك فليسعْك ربك، ولتكُنْ في معيته سبحانه.

قال ابن عاشور(2): وتقدم عند قوله: ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [هود: 12]. والمراد ضيق النفس، وهو مستعار للجزع والكدر، كما استعير ضدّه وهو السعة والاتّساع للاحتمال والصبر.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: 6]

قال الطبري(3): ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولا تضارّوهنّ في المسكن الذي تسكنونهنّ فيه، وأنتم تجدون سعة من المنازل أن تطلبوا التضييق عليهنّ، فذلك قوله ﴿لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ يعني: لتضيقوا عليهنّ في المسكن مع وجودكم السعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(1) تفسير الشعراوي.
(2) التحرير والتنوير.
(3) جامع البيان.

قال الزمخشري[1]: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ ولا تستعملوا معهن الضرار ﴿لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ﴾ في المسكن ببعض الأسباب: من إنزال من لا يوافقهن، أو يشغل مكانهن، أو غير ذلك، حتى تضطروهن إلى الخروج. وقيل: هو أن يراجعها إذا بقي من عدتها يومان ليضيق عليها أمرها. وقيل: هو أن يلجئها إلى أن تفتدي منه. فإن قلت: فإذا كانت كل مطلقة عندكم تجب لها النفقة.

(1) الكشاف.

ضأن

(ضَأن - مَعْز - إِبل)

■ **الضَّأْنُ:** ما كان مكسوًّا بالصوف من المواشي ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: 143].

■ **المَعْزُ:** ما كان مكسوًّا بالشعر ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: 143].

■ **الإِبِلُ:** ما كان مكسوًّا بالوبر ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: 17].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الضاد والهمزة والنون أُصَيلٌ صحيح، وهو بعض الأنعام. من ذلك الضأن. يقال: أَضْأَنَ الرجلُ، إذا كَثُرَ ضأنُهُ. والضائنة الواحدة من الضأن. وحكى بعضُهم: فلانٌ ضائن البطنِ: مسترخِيهِ.

قال الجوهري[2]: الضائِنُ: خلاف الماعز، والجمع الضَّأْنُ وضَأَنٌ أيضاً، وقد يجمع على ضَئِينٍ، والأنثى ضائِنَةٌ، والجمع ضوائِنُ. وأَضْأَنَ الرجل: كثر ضَأْنُه.

قال الفيروزآبادي[3]: الضَّائِنُ: الضعيفُ، والمُسْتَرْخِي البطنِ، والحَسَنُ

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) القاموس المحيط.

الجِسْمِ، القليلُ الطَّعْمِ، والأبيضُ العريضُ من الرَّمْلِ، وخِلافُ الماعِزِ من الغَنَمِ: ضَأْنٌ، ويُحَرَّكُ، وكأميرٍ، وهي ضَائِنَةٌ جمعه: ضَوائِنُ. وأضأَنَ: كثُرَ ضَأْنُه. وأضْئِنْ ضَأْنَكَ: اعْزِلْها من المَعَزِ. والضِئْنِيُّ، بالكسرِ: السِقاء الضخْمُ من جِلْدَةٍ يُمْخَضُ بها الرائِبُ. والضَّانَةُ: الخِزامَةُ إذا كانت من عَقَبٍ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: 143].

قال أبو السعود[1]: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ بدلٌ من ثمانيةَ أزواج منصوبٌ بناصبه وهو العاملُ في مِنْ، أي أنشأ من الضأن زوجين الكبشَ والنعجة وقرىء اثنان على الابتداء، والضأنُ اسمُ جنس كالإبل وجمعُه ضَئين كأمير أو جمعُ ضائن كتاجر وتجْرٍ وقرىء بفتح الهمزة.

قال الألوسي[2]: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ على معنى زوجين اثنين الكبش والنعجة. ونصب ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ قيل: على أنه بدل من بدل بعض من كل أو كل من كل إن لوحظ العطف عليه منصوب بناصبه والجار متعلق به. وقال العلامة الثاني: الظاهر أن ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ﴾ بدل من ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الأنعام: 142] و﴿ٱثْنَيْنِ﴾ من ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ [الأنعام: 142] أو من ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الأنعام: 143] إن جوزنا أن يكون للبدل بدل، وجوز أن يكون البدل ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ ومن الضأن حال من النكرة قدمت عليها. وقرىء ﴿ٱثْنَانِ﴾ [المائدة: 106] على أنه مبتدأ خبره الجار والمجرور، والجملة بيانية لا محل لها من الإعراب، والضأن اسم جنس كالإبل جمع ضئين كأمير وكعبيد أو جمع ضائن كتاجر وتجر، وقرىء بفتح الهمزة وهو لغة فيه.

---

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) روح المعاني.

ضوء

(ضَوْء - بَرْق - سَنَو - نُور - وَهْج - شَفَق)

■ **الضَّوْءُ:** ما انتشر من ذات الجسم النيّر المضيء ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ﴾ [البقرة: 17].

■ **البَرْقُ:** لمعان السحاب ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ﴾ [البقرة: 19].

■ **السَّنَا:** الضوء الساطع من مرتفع ﴿يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [النور: 43].

■ **النُّورُ:** ما استفاد من غيره، وقد جمع الله النديين بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾ [يونس: 5].

فضياء الشمس من ذاتها ونور القمر استفادة من الشمس.

فالقرآن نور يستمده من نور الله.

■ **الوَهَجُ:** ضوء مختلط بحرارة من شعلة ﴿وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا﴾ [النبأ: 13].

■ **الشَّفَقُ:** اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس. قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ [الانشقاق: 16].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال الجوهري(1): الضَّوْءُ: الضِّياءُ، وكذلك الضُّوءُ بالضم. يقال: ضاءَتِ

(1) الصحاح في اللغة.

النارُ تَضُوءُ ضَوْءاً وضُوءاً، وأضاءت مثلُهُ، وأضاءَتْهُ أيضاً، يتعدى ولا يتعدى.

قال الخليل(1): ضَوَّأْتُ عن هذا الأمر تَضوِيَةً أي كَشَفْتُ عنه الضَّوْءَ.

والضِّياءُ: ما أضاءَ لك، ويقال: أضاءَ البَرْقُ لنا، والسِّراجُ.

وضَوَّأتُ عنه حتى وَضَحَ أي بَيَّنْتُ عنه حتى أضاءَ.

قال الراغب(2): الضوء: ما انتشر من الأجسام النيرة، ويقال: ضاءت النار، وأضاءت، وأضاءها غيرها. قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ [البقرة: 17]، ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ [البقرة: 20]، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ﴾ [النور: 35]، ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ [القصص: 71]، وسمي كتبه المهتدى بها ضياء في نحو قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: 48].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ [البقرة: 17].

قال الفخر الرازي(3): والنور مشتق منها وهو ضوؤها، والمنار العلامة، والمنارة هي الشيء الذي يؤذن عليه. ويقال أيضاً للشيء الذي يوضع السراج عليه، ومنه النورة لأنها تطهر البدن والإضاءة فرط الإنارة، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: 5] و«أضاء» يرد لازماً ومتعدياً. تقول: أضاء القمر الظلمة، وأضاء القمر بمعنى استضاء قال الشاعر:

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم   دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

(1) العين.
(2) مفردات الراغب.
(3) التفسير الكبير.

قال القرطبي[1]: وضاءت وأضاءت لغتان؛ يقال: ضاء القمرُ يَضُوء ضَوْءاً وأضاء يُضيء؛ يكون لازماً ومتعدّياً. وقرأ محمد بن السَّمَيْقَع: ضاءت بغير ألف، والعامة بالألف؛ قال الشاعر:

أضاءت لهم أحسابُهم ووجوهُهم دُجَى الليل حتى نَظّم الجِزْعَ ثاقِبه

﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾ «ما» زائدة مؤكدة. وقيل: مفعولة بأضاءت. و «حَوْله» ظرف مكان، والهاء في موضع خفض بإضافته إليها. و﴿ذَهَبَ﴾ [البقرة: 17] وأذهب لغتان من الذهاب، وهو زوال الشيء.

● **قال تعالى:** ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: 20].

قال أبو السعود[2]: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم﴾ كل ظرف وما مصدرية والزمان محذوف، أي كلَّ زمان إضاءةً، وقيل: ما نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف، أي كل وقت أضاء لهم فيه والعامل في كلما جوابها، وهو استئناف ثالث، كأنه قيل: ما يفعلون في أثناء ذلك الهول، أيفعلون بأبصارهم ما فعلوا بآذانهم أم لا، فقيل: كلما نوّر البرقُ لهم ممشىً ومسلكاً على أن أضاء متعدٍ والمفعول محذوف، أو كلما لمع لهم على أنه لازم، ويؤيده قراءة ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ﴾، ﴿مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ أي في ذلك المسلك أو في مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف أن يخطَف أبصارهم، وإيثارُ المشي على ما فوقه من السعي والعدو للإشعار بعدم استطاعتهم لهما.

قال ابن كثير[3]: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ أي: يعرفون الحق ويتكلمون به، فهم من قولهم به على استقامة، فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا، أي: متحيرين.

وهكذا قال أبو العالية والحسن البصري وقتادة والربيع بن أنس والسدي

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) تفسير ابن كثير.

بسنده عن الصحابة، وهو أصح وأظهر، والله أعلم. وهكذا يكونون يوم القيامة عندما يعطى الناس النور بحسب إيمانهم، فمنهم من يعطى من النور ما يضيء له مسيرة فراسخ، وأكثر من ذلك، وأقل من ذلك، ومنهم من يطفأ نوره تارة، ويضيء أخرى، ومنهم من يمشي على الصراط تارة، ويقف أخرى، ومنهم من يطفأ نوره بالكلية.

● **قال تعالى:** ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ [القصص: 71].

قال القرطبي[1]: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ أي بنور تطلبون فيه المعيشة. وقيل: بنهار تبصرون فيه معايشكم وتصلح فيه الثمار والنبات. ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص: 71] سماع فهم وقبول.

قال الزمخشري[2]: ذكر الضياء وهو ضوء الشمس: لأن المنافع التي تتعلق به متكاثرة، ليس التصرف في المعاش وحده، والظلام ليس بتلك المنزلة، ومن ثمة قرن بالضياء.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: 48].

قال ابن عاشور[3]: ﴿وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾. وليس يلزم أن تكون بعض هذه الصفات قسيماً لبعض بل هي صفات متداخلة، فمجموع ما أوتيه موسى وهارون تتحقق فيه هذه الصفات الثلاث. والضياء: النور. يستعمل مجازاً في الهدى والعلم، وهو استعمال كثير، وهو المراد هنا وقد قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: 44].

والذكر أصله: خطور شيء بالبال بعد غفلة عنه. ويطلق على الكتاب الذي

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) الكشاف.
(3) التحرير والتنوير.

فيه ذكر الله، فقوله تعالى ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يجوز أن يكون الكلام فيه للتقوية فيكون المجرور باللام في معنى المفعول، أي الذين اتصفوا بتقوى الله، أي امتثال أوامره واجتناب ما نهى عنه، لأنه يذكرهم بما يجهلون وبما يذهلون عنه مما علموه ويجدد في نفوسهم مراقبة ربّهم. ويجوز أن يكون اللام للعلة، أي ذكر لأجل المتقين، أي كتاب ينتفع بما فيه المتقون دون غيرهم من الضالين.

قال الشعراوي(1): ﴿وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: 48] أي: نوراً يهدي الناس إلى مسالك حياتهم دون عَطَب، وإلَّا فكيف يسيرون في دروب الحياة؟ فلو سار الإنسان على غير هدى فإمّا أنْ يصطدم بأقوى منه فيتحطم هو، وإمّا أن يصطدم بأضعف منه فيحطمه، فالضياء - إذن - هام وضروري في مسيرة الإنسان، وبه يهتدي لحركة الحياة الآمنة ويسعى على بينة، فلا يَتْعب، ولا يُتعِب الآخرين.

(1) تفسير الشعراوي.

طبع

(طَبَع - خَتَم - طَمَس - قَفَل)

- **الطَّبْعُ:** ظهور أثر الختم على المختوم دائماً فلا يتغير بل يكون كذلك على الدوام ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: 100].
- **الخَتْمُ:** تحديد آخر الشيء أو آخرته ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: 7].
- **الطَّمْسُ:** مسح معالم الشيء فلم يعد قادراً على العمل أصلاً ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 66].
- **الإِقْفَالُ:** بقاء طاقة الشيء محبوسة فلا تجد مجالاً للعمل مع القدرة عليه ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: 24].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء والباء والعين أصلٌ صحيح، وهو مثلٌ على نهايةٍ ينتهي إليها الشيء حتى يختم عندها، يقال: طبَعت على الشيء طابَعاً. ثم يقال:

(1) معجم مقاييس اللغة.

على هذا طَبْعُ الإنسان وسجيَّتُه. ومن ذلك طَبَعَ اللهُ على قَلْب الكافر، كأنَّه ختم عليه حتى لا يصل إليه هُدىً ولا نُور، فلا يوفَّق لخير. ومن ذلك أيضاً طبْع السَّيف والدِّرهم، وذلك إذا ضربه حتى يكمّله. والطَّابع: الخاتم يُختَمُ به.

والطَّابِع: الذي يَختِم. ومن الباب قولُهم لملْءِ المِكيال طَبع. والقياسُ واحدٌ؛ لأنه قد تكامل وخُتم. وتطبَّع النَّهر، إذا امتلأ؛ وهو ذلك المعنى. وكذلك إذا حُمِّلت النّاقة حِمْلَها الوافِيَ الكاملَ، فهي مطبَّعة.

قال الجوهري(1): الطَّبْعُ: السجيّةُ التي جُبِلَ عليها الإنسان، وهو في الأصل مصدرٌ، والطَّبيعَةُ مثله، وكذلك الطِّباعُ. والطَّبْعُ الخَتْمُ، وهو التأثير في الطين ونحوه. والطابَعُ بالفتح: الخاتَمُ.

والطابِعُ لغة فيه. وطَبَعْتُ على الكتاب، أي ختمتُ. وطَبَعْتُ الدرهم والسيف، أي عَمَلْتُ. وطَبَعْتُ من الطين جَرَّةً. والطَّبَّاع: الذي يعملها. والطِّبْعُ بالكسر: النهرُ، والجمع أَطْباعٌ، عن الأصمعي: ويقال: هم اسمُ نهرٍ بعينه.

والطَّبَعُ بالتحريك: الدَّنَسُ، يقال منه: طَبِعَ الرجلُ بالكسر. وطَبِعَ أيضاً بمعنى كَسِلَ. وطَبِعَ السيفُ، أي علاه الصدأُ. وطَبَّعْتُ السِّقاءَ وغيره تَطْبيعاً: ملأته، فَتَطَبَّعَ، أي امتلأ. وناقةٌ مُطَبَّعَةٌ، أي مُثَقَّلَةٌ بالحمل.

قال السمين(2): هو أعم من الختم وأخص من النقش. والطابع والخاتم بالضم ما يطبع به، ويختم كالقالب لما يقلب فيه. وبالكسر هو الفاعل لذلك لأنه اسم فاعل، والطبيعة السجية التي طبع عليها الإنسان، وقيل للسجية طبيعة من حيث أن النفس تنقش بصورة ما، إما من حيث الخلقة، وإما من حيث العادة.

---

(1) الصحاح في اللغة. (2) العمدة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس: 74].

قال الألوسي[1]: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك الطبع المحكم ﴿نَطْبَعُ﴾ فالإشارة على حد ما قرر في قوله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143] ونظائره مما مر، والطبع يطلق على تأثير الشيء بنقش الطابع وعلى الأثر الحاصل عن النقش والختم مثله في ذلك على ما ذكره الراغب أيضاً، وذكر أنه تصور الشيء بصورة ما كطبع السكة وطبع الدراهم وأنه أعم من الختم وأخص من النقش، والأكثرون على تفسيره بالختم مراداً به المنع أي نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ أي المتجاوزين عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد ونمنعها لذلك عن قبول الحق وسلوك سبيل الرشاد، وقد جاء الطبع بمعنى الدنس ومنه طبع السيف لصدئه ودنسه، وبعضهم حمل ما في الآية على ذلك، وفسره المعتزلة حيث وقع منسوباً إليه تعالى بالخذلان تطبيقاً له على مذهبهم، ومن هنا قال الزمخشري: إنه جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لأن من عاند وثبت على اللجاج خذله الله تعالى ومنعه التوفيق واللطف فلا يزال كذلك حتى يتراكم الرين والطبع على قلبه، ومراده كما قيل أن ﴿نَطْبَعُ﴾ بمعنى نخذل على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية لكن لما كان الطبع الذي هو الخذلان تابعاً لعنادهم ولجاجهم لازماً لهما أجري مجرى الكناية عنهما.

وقرىء (يطبع) بالياء على أن الضمير لله سبحانه وتعالى.

قال ابن عاشور[2]: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ فان الطبع مؤذن بأن قلوبهم قد ورد عليها ما لو خلت عند وروده عن الطبع عليها لكان شأنه أن يصل بهم إلى الإيمان، ولكن الطبع على قلوبهم حال دون تأثير البينات في قلوبهم.

---

(1) روح المعاني. (2) التحرير والتنوير.

وقد جُعل الطبع الذي وقع على قلوب هؤلاء مثلاً لكيفيات الطبع على قلوب المعتدين فقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾، أي مثل هذا الطبع العجيب نطبع على قلوب المعتدين فتأملوه واعتبروا به.

والطبع: الختم. وهو استعارة لعدم دخول الإيمان قلوبهم. وتقدم في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: 7].

● **قال تعالى:** ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 59].

قال أبو السعود(1): ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثلَ ذلك الطَّبعِ الفظيع ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا يطلبونَ العلمَ ولا يتحرَّون الحقَّ بل يُصرُّون على خرافاتٍ اعتقدوها وتُرَّهاتٍ ابتدعُوها فإن الجهلَ المركَّبَ يمنعُ إدراكُ الحقِّ ويوجبُ تكذيبَ المُحقِّ.

قال ابن الجوزي(2): ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد الله؛ فالسبب في امتناع الكفار من التوحيد، الطَّبْع على قلوبهم.

● **قال تعالى:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد: 16].

قال الفخر الرازي(3): ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾. أي: تركوا اتباع الحق إما بسبب عدم الفهم، أو بسبب عدم الاستماع للاستفادة واتبعوا ضده.

قال ابن عجيبة(4): ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ لعدم توجهها إلى الخير أصلاً، ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ الباطلة، فلذلك فعلوا ما فعلوا، مما لا خير فيه.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) زاد المسير.
(3) التفسير الكبير.
(4) البحر المديد.

● قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: 3].

قال القرطبي[1]: هذا إعلام من الله تعالى بأن المنافق كافر. أي أقرّوا باللسان ثم كفروا بالقلب وقيل: نزلت الآية في قوم آمنوا ثم ارتدوا ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي ختم عليها بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الإيمان ولا الخير. وقرأ زيد ابن عليّ «فَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ».

قال الطبري[2]: يقول تعالى ذكره: إنهم ساء ما كانوا يعملون هؤلاء المنافقون الذين اتخذوا أيمانهم جُنة من أجل أنهم صدّقوا الله ورسوله، ثم كفروا بشكهم في ذلك وتكذيبهم به. وقوله: ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ يقول: فجعل الله على قلوبهم خَتماً بالكفر عن الإيمان وقد بيَّنا في موضع غير هذا صفة الطبع على القلب بشواهدها، وأقوال أهل العلم، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فهم لا يفقهون صواباً من خطأ، وحقاً من باطل لطبع الله على قلوبهم. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

حدثنا بشر، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أقرّوا بلا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وقلوبهم منكِرة تأبى ذلك.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.

(2) جامع البيان.

طبق

(طَبَق)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء والباء والقاف أصلٌ صحيحٌ واحد، وهو يدلُّ على وضع شيء مبسوط على مِثله حتى يُغطِّيَه. من ذلك الطَّبَق. تقول: أطبقْت الشيءَ على الشيء، فالأول طَبَق للثاني؛ وقد تطابَقَا. ومن هذا قولهم: أطبَقَ الناسُ على كذا، كأنَّ أقوالهم تساوَتْ حتى لو صُيِّرَ أحدُهما طِبْقاً للآخر لَصَلح. والطَّبَق الحال، في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: 19].

وقولهم: «إحدى بناتِ طَبَق» هي الدّاهية، وسمّيت طَبَقاً، لأنَّها تعمُّ وتشمل. ويقال لما علا الأرضَ حتى غطَّاها: هو طَبَق الأرض.

وقولهم: طَبَّق الحقَّ، إذا أصابه، من هذا، ومعناه وافقه حتى صار ما أراده وَفْقاً للحقّ مطابِقاً لـه. ثم يُحمَل على هذا حتى يقال طبَّقَ، إذا أصاب المَفْصِل ولم يخطئْه. ثم يقولون: طَبَّقَ عُنقَه بالسيف: أبانَها. فأمَّا المُطابقة فمَشْيُ المقيَّد، وذلك أن رجليه تقعانِ متقاربتين كأنَّهما متطابقتين. ومنه قول الجَعْدِيّ: والطبَق: عظمٌ رقيق يفصل بين الفَقارتَين. ويد طَبِقة، إذا التزقَتْ بالجنْب. وطابقت بين الشيئين، إذا جعلتَهما على حَذْوٍ واحد. ولذلك سمَّينا نحن ما تضاعف من الكلام مرَّتين مُطابَقاً. وذلك مثل جَرجَر، وصَلْصَل، وصَعْصَع. والطَّبَق الجماعة من الجراد؛ وإنما شبِّه ذلك بطبَقٍ يغطِّي الأرض. ويقالَ: وَلدت الغنمُ طبقاً وطبقةً،

(1) معجم مقاييس اللغة.

إذا ولد بعضُها بعد بعض. والقياس في ذلك كله واحد. فأمَّا قولهم للعييِّ من الرِّجال: الطَّبَاقاء، وللبعير لا يُحسن الضِّرَابَ طَباقاءُ، فهو من هذا القِياس، كأنَّه سُتر عنه الشَّيءُ حتى أطبق فصار كالمغطَّى.

قال الخليل[1]: الطَّبَقُ: عظيم رقيق يفصل بين الفقارين، وطَبَّق بالسيف عنقه أي أبانه. والطَّبَقُ: كل غطاء لازم، ويقال: أطبقت الحقة وشبهها. ويقال: أطبَقَ الرحيين أي طابق بين حجريها، ومثله إِطباقُ الحنكين.

والسموات طباقٌ بعضها فوق بعض، الواحدة طبقةٌ، ويذكر فيقال: طَبَقٌ واحد. والطَّبَقَةُ: الحال، ويقال: كان فلان على طبقات شتى من الدنيا، أي حالات.

وقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ أي حالاً عن حال يوم القيامة.

والطَّبَقُ: جماعة من الناس يعدلون طبقاً مثل جماعة. وفي المثل: «**وافق شن طَبَقهُ**»، وشن قبيلة من عبد القيس أبروا على من حولهم فصادفوا قوماً قهروهم فقيل ذلك. ومن جعل الشن من القرب استحال لأن الشن لا طبق له.

وأطبَقَ القوم على هذا الأمر أي اجتمعوا وصارت كلمتهم واحدة.

وطابَقَتِ المرأة زوجها إذا واتته على كل الأمور كما قالت، فتلكم طابقت واستقرت، «شبه النوق بالنساء». والمُطابَقَةُ في المشي كمشي المقيد.

وطابَقْتُ بين الشيئين: جعلتهما على حدو واحد وألزقتهما فيسمى هذا المُطابَقَ، والمُطَبَّقُ: شبه اللؤلؤ إذا قشر اللؤلؤ أخذ قشره فألزق بالغراء ونحوه بعضه على بعض فيصير لؤلؤاً أو شبهه. وانطَبَقَ فعل لازم.

وتقول: لو تَطَبَّقَتِ السماء على الأرض ما فعلت.

وفي الحديث: «**لله مائة رحمة، كل رحمة منه كطِباق الأرض**» أي تغشى الأرض كلها.

---

(1) العين.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ﴾ [المُلك: 3].

قال القرطبي[1]: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ﴾ أي بعضها فوق بعض. والملتزق منها أطرافها؛ كذا روي عن ابن عباس. و﴿طِبَاقٗاۖ﴾ نعت لـ ﴿سَبۡعَ﴾ فهو وصف بالمصدر. وقيل: مصدر بمعنى المطابقة؛ أي خلق سبع سمٰوات وطبّقها تطبيقاً أو مطابقة. أو على طُوبقت طِباقاً.

قال الفخر الرازي[2]: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ﴾ وفيه مسائل:

المسألة الأولى: ذكر صاحب «الكشاف» في ﴿طِبَاقٗاۖ﴾ ثلاثة أوجه أولها: طباقاً أي مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل إذا خصفها طبقاً على طبق، وهذا وصف بالمصدر وثانيها: أن يكون التقدير ذات طباق وثالثها: أن يكون التقدير طوبقت طباقاً.

المسألة الثانية: دلالة هذه السمٰوات على القدرة من وجوه أحدها: من حيث إنها بقيت في جو الهواء معلقة بلا عماد ولا سلسلة وثانيها: من حيث إن كل واحد منها اختص بمقدار معين مع جواز ما هو أزيد منه وأنقص وثالثها: أنه اختص كل واحد منها بحركة خاصة مقدرة بقدر معين من السرعة والبطء إلى جهة معينة ورابعها: كونها في ذواتها محدثة وكل ذلك يدل على استنادها إلى قادر تام القدرة.

● **قال تعالى:** ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ [الانشقاق: 19].

قال أبو السعود[3]: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ أي لتُلاقُنَّ حالاً بعدَ حالٍ كُلٌّ

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) التفسير الكبير.
(3) إرشاد العقل السليم.

واحدةٍ منهَا مطابقةٌ لأختها في الشدةِ والفظاعةِ وقيلَ: الطبقُ جمع طبقةٍ وهي المرتبةُ وهو الأوفقُ للركوبِ المنبيءُ عن الاعتلاءِ والمَعْنَى لتركَبُنَّ أحوالاً بعدَ أحوالٍ هي طبقاتٌ في الشدةِ بعضُها أرفعُ من بعضٍ وهي الموتُ وما بعدَه من مواطنِ القيامةِ ودواهيها وقُرِىءَ لَتَرْكَبَنَّ بالإفرادِ على خطابِ الإنسانِ باعتبارِ اللفظِ لا باعتبارِ شمولهِ لأفرادِه كالقراءةِ الأولى وقُرِىءَ بكسرِ الياءِ على خطابِ النفسِ وليَرْكَبَنَّ بالياءِ أي ليركَبَنَّ الإنسانُ ومحلٌّ عن طبقٍ النصبُ على أنَّه صفةٌ لطبقاً أي طبقاً مجاوزاً لطبقٍ أو حالٌ من الضميرِ لتركبنَّ أي لتركبنَّ طبقاً مجاوزينَ أو مجاوزاً أو مجاوزةً على حسبِ القراءةِ.

والفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانشقاق: 20] لترتيب ما بعَدَها منَ الإنكار والتعجيبِ على ما قبلَها من أحوالِ يومِ القيامةِ وأهوالِها الموجبةِ للإيمانِ والسجودِ أيْ إذا كانَ حالُهم يومَ القيامةِ كما ذُكِرَ فأيُّ شيءٍ لهم حالَ كونِهم غيرَ مؤمنينَ أي أيُّ شيءٍ يمنعُهم من الإيمانِ معَ تعاضدِ موجباتِه.

قال ابن عاشور(1): كلمة ﴿طَبَقٍ﴾ فحقيقتها أنها اسم مفرد للشيء المساوي شيئاً آخر في حجمه وقدره، وظاهر كلام «الأساس» و«الصحاح» أن المساواة بقيد كون الطبق أعلى من الشّيء لمُسَاويه فهو حقيقة في الغِطاء فيكون من الألفاظ الموضوعة لمعنى مقيَّد كالخِوان والكأس، وظاهر «الكشاف» أن حقيقته مطلق المساواة فيكون قَيد الاعتلاء عارضاً بغلبة الاستعمال، يقال: طابَق النعل النعل. وأيّامًا كان فهو اسم على وزن فَعَل إما مشتق من المطابقة كاشتقاق الصفة المشبهة ثم عومل معاملة الأسماء وتنوسي منه الاشتقاق. وإما أن يكون أصله اسمَ الطبَق وهو الغطاء لُوحظ فيه التشبيه ثم تنوسي ذلك فجاءت منه مادة المطابقة بمعنى المُساواة فيكون من المشتقات من الأسماء الجامدة. ويطلق اسماً مفرداً للغطاء الذي يغطى به، ومنه قولهم في المثل: «وافَقَ شنّ طبَقه» أي غِطاءَه وهذا من

(1) التحرير والتنوير.

الحقيقة لأن الغطاء مساوٍ لما يغطّيه. ويطلق الطبق على الحالة لأنها ملابسة لصاحبها كملابسة الطبق لما طُبق عليه. ويطلق اسماً مفرداً أيضاً على شيء متخذ من أدم أوْ عود ويؤكل عليه وتوضع فيه الفواكه ونحوها، وكأنه سمي طبقاً لأن أصله أن يستعمل غِطَاءَ الآنية فتوضع فيه أشياء. ويطلق اسمَ جمعٍ لطبقة: وهي مكان فوق مكان آخر معتبر مثلَه في المقدار إلا أنه مرتفع عليه. وهذا من المجاز يقال: أتانا طَبق من الناس، أي جماعة. ويقارن اختلاف معاني اللفظين اختلاف معنى ﴿عَن﴾ من مجاوزة وهي معنى حقيقي، أو من مرادفةِ كلمة (بعد) وهو معنى مجازي.

طحا

(طَحَا - دَحَى)

■ **الطَّحْوُ:** بسط الشيء والذهاب به ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ [الشمس: 6].

■ **الدَّحْوُ:** حشو الشيء الأجوف بقوة ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: 30]. فقد دحى الأرض بكل الكنوز والمعادن.

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء والحاء والحرف المعتل أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على البسط والمدِّ. من ذلك الطَّحْو وهو كالدَّحْو، وهو البَسْط. قال الله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾، أي بَسَطها، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾، ويقال: طحا بك هَمُّكَ يطحو، إذا ذَهَبَ بك في الأمر ومدَّ بك فيه.

والمُدوِّمة الطَّواحِي: النُّسور تستدير حول القَتْلَى. وقال الشَّيْبَاني: طَحَيْت: اضطجَعْت. والطَّاحِي: الجمع الكثير، وسمِّيَ بذلك لأنَّهُ يجرُّ على الشيء، كما يسمَّى جرَّاراً. قال: والله أعلم.

قال الجوهري[2]: طَحَوْتُهُ مثل دَحَوْتُهُ، أي بسطته. والطَّحا مقصورٌ: المنبسط من الأرض. والطاحي: الممتدّ. يقال: ضرَبه ضربةً طَحا منها، أي امتد. والمدَوِّمَةُ الطَّواحي: هي النُّسور تستدير حولَ القتلى. قال أبو عمرو: طَحا

---

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.

الرجل، إذا ذهَبَ في الأرض. يقال: ما أدري أين طَحا. ويقال: طَحا به قلبه، إذا ذهَبَ في كلِّ شيء.

قال الراغب[1]: الطحو: كالدحو، وهو بسط الشيء والذهاب به. قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ [الشمس: 6]، قال الشاعر:

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ [الشمس: 6].

قال ابن عاشور[2]: وطَحْوُ الأرض: بسطها وتوطئتها للسير والجلوس والاضطجاع، يقال: طحا يَطحو ويطحي طحواً وطَحْياً وهو مرادف «دحَا» في سورة النازعات (30).

قال الطنطاوي[3]: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ أي: يوحق الأرض ومن بسطها من كل جانب، وجعلها مهيأة للاستقرار عليها: يقال: طحى فلان الشيء ودحاه، إذا بسطه ووسعه.

قال أبو السعود[4]: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ أي بسطَها من كلِّ جانبٍ كدحَاهَا.

---

(1) مفردات الراغب.
(2) التحرير والتنوير.
(3) الوسيط في تفسير القرآن.
(4) إرشاد العقل السليم.

طرح

(طَرَح - رَمَى - أَلْقَى - قَذَف)

■ **الطَّرْحُ:** إلقاء الشيء بعيداً لقلة الاعتداد به ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ [يُوسُف: 9].

■ **الرَّمْيُ:** إطلاق الشيء من الأعلى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفَال: 17].

■ **الإِلْقَاءُ:** طرح الشيء الذي بيدك في مكانك الذي أنت فيه الآن ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا﴾ [طه: 19-20].

■ **القَذْفُ:** الرمي من بعيد بقوة ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبِيَاء: 18].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية

قال ابن فارس(1): الطاء والراء والحاء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على نَبْذ الشَّيءِ وإلقائِهِ. يقال: طَرَحَ الشَّيْءَ يطرحُه طرحاً. ومن ذلك الطَّرَح، وهو المكان البعيد. وطَرَحتِ النَّوَى بفلانٍ كلَّ مَطرَحٍ، إذا نأَتْ به ورمت به.

ويقال: فحل مِطْرَحٌ؛ بعيدُ موقع الماءِ في الرَّحِم. ومن الباب: نخلةٌ طروحٌ: طويلة العَراجين. وسَنامٌ إطريحٌ: طويلٌ. وقوسٌ طَروح: شديدة الحفْزِ للسَّهم. والقياس في كلِّه واحد.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الجوهري[1]: طَرَحْت الشيءَ، وبالشيء، طَرْحاً، إذا رَمَيْتَهُ. وطَرَحَ النَوَى بفلانٍ كلَّ مَطْرَح، إذا نَأَتْ به. وطَرَّحَهُ تَطْريحاً، إذا أكْثَرَ من طَرحِهِ. واطَّرحَه، أي أبعده، وهو افْتَعَلَه. والطَّرْحُ بالتحريك: المكانُ البعيد.

والطَّروحُ مثله. وقوسٌ طَرُوحٌ مثل ضَروحٍ: شديدة الحفز للسهم. ونخلة طروحٌ، أي طويلة العراجين. وسيرٌ طُراحيٌّ، أي بعيد.

ومطارحة الكلام معروف. وسَنامٌ إطْريحٌ، أي طويلٌ. وطَرَّحَ بناءَهُ تطريحاً، إذا طَوَّلَهُ جدًّا.

قال الفيروزآبادي[2]: طَرَحَهُ، وـ به، كمَنَعَ: رَماهُ، وأبْعَدَهُ، كاطَّرحَهُ وطَرَّحَهُ. والطِّرْحُ، بالكسْرِ وكقُبَرٍ والطريحُ المَطْروحُ والطَّرَحُ مُحرَّكةً: المكانُ البَعيدُ، كالطَّروحِ والطَّراحِ.

ونِيَّةٌ طَرَحٌ: بعيدةٌ. والطَّروحُ من القِسِيّ: الضَّروحُ، وطرح من النَّخْلِ: الطَّويلةُ العَراجينِ، والرَّجُلُ الذي إذا جامَعَ أحْبَلَ. وطَرَّحَ بناءَهُ تَطْريحاً: طَوَّلَهُ، كطَرْمَحَهُ. وسَنامٌ إطْريحٌ: طَويلٌ. وطَرْفٌ مِطْرَحٌ، كمِنْبَرٍ: بَعيدُ النَّظَرِ. ورُمْحٌ مِطْرَحٌ: طويل، وفَحْلٌ بَعيدُ مَوْقِعِ الماءِ من الرَّحِمِ. وطَرِحَ، كفَرِحَ: ساءَ خُلُقُهُ، وتَنَعَّمَ تَنَعُّماً واسعاً.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ [يوسف: 9].

قال القرطبي[3]: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ في الكلام حذف؛ أي قال قائل منهم:

(1) الصحاح في اللغة.
(2) القاموس المحيط.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

«ٱقْتُلُوا يُوسُفَ» ليكون أحسم لمادة الأمر. ﴿أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ أي في أرض، فأسقط الخافض وانتصب الأرض؛ وأنشد سيبويه فيما حذف منه «في»:

لَدْنٌ بِهَزِّ الْكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ فيه كما عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ

قال النحاس: إلا أنه في الآية حسَن كثير؛ لأنه يتعدّى إلى مفعولين، أحدهما بحرف، فإذا حذفت الحرف تعدّى الفعل إليه. والقائل قيل: هو شمعون، قاله وهب بن منبّه. وقال كعب الأحبار؛ دان. وقال مقاتل: روبيل؛ والله أعلم. والمعنى أرضا تبعد عن أبيه؛ فلا بدّ من هذا الإضمار لأنه كان عند أبيه في أرض.

قال أبو السعود[1]: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ من جملة ما حُكي بعد قوله إذا قالوا وقد قاله بعضٌ منهم مخاطباً للباقين بقضية الصيغة فكأنهم رضُوا بذلك كما يروى أن القائلَ شمعونُ أو دان، والباقون كانوا راضين إلا من قال: لا تقتلوا الخ، فجعلوا كأنهم القائلون وأُدرجوا تحت القولِ المسندِ إلى الجميع أو قاله كلُّ واحدٍ منهم مخاطباً للبقية وهو أدلُّ على مسارعتهم إلى ذلك القولِ. وتنكيرُ أرضاً وإخلاؤها من الوصف للإبهام أي أرضاً منكورةً مجهولة بعيدةً من العُمران ولذلك نصبت نصبَ الظروفِ المُبهمة.

(1) إرشاد العقل السليم.

طرد

(طَرَد - دَخَر - دَحَر - هَزَم - قَهَر)

- **الطَّرْدُ:** الإبعاد على سبيل الاستخفاف ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: 30].
- **الدَّخْرُ:** إذلال العدو عن دحره ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60].
- **الدَّحْرُ:** طرد العدو بعد هزيمته من المعركة ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًاۖ﴾ [الأعراف: 18].
- **الهَزْمُ:** تحطيم العدو في أرض المعركة ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 251].
- **القَهْرُ:** الاستيلاء على إرادة العدو بعد هزيمته ودحره ودخره.

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[(1)]: الطاء والراء والدال أصلٌ واحد صحيح يدلُّ على إبعاد. يقال: طردْتهُ طرداً. وأَطْرَدَه السُّلطانُ وطَرَّدَه، إذا أخرجه عن بلده. والطَّرْد معالجة أخْذ الصّيد. والطرِيدة: الصَّيْد. ومُطارَدَة الأقرانِ: حملُ بعضِهم على بعض؛ وقيل ذلك لأنَّ هذا يَطْرُد ذاك. والمِطْرَد رمح صغير. ويقال لمحَجّة الطَّريق:

(1) معجم مقاييس اللغة.

مَطْرَدَة. ويقال: اطَّرد الشَّيء اطراداً، إذا تابَعَ بعضُه بعضاً، وإنما قيل ذلك تشبيهاً، كأنَّ الأوَّل يطرُدُ الثَّاني.

ومُطَّرَدُ النَّسيم: الأنْف.

يقال: طرِّدْ سَوْطَكَ: مدِّدْه. والطَّرِيد: الذي يُولَد بعد أخيه، فالثَّاني طريدُ الأوَّل. وهذا تشبيه، كأنَّه طرَدَه وتَبِعه، وطريدٌ بمعنى طارِد. هذا بابٌ يضيقُ الكلام فيه، على أنهم يقولون الطَّزِع؛ الرَّجُل لا غَيْرة له.

قال الخليل[1]: طَرَدْتُهُ أَطْرُدُه طَرْداً، أي: نَحَّيتْه. الطَّرَد: مطاردةُ الصَّيد، أي: علاج أخذه. والطَّريدةُ: صَيْدٌ أقبلتْ عليه الكلاب والقوم يَطْرُدونه ليأخُذوه. والطَّريدة: قصبة يُوضَع فيها سِكِّينٌ يُبْرَى بها القِداح. والمُطارَدةُ: مُطاردةُ الفُرسان وطِرادُهم، وهو حَملةٌ بَعضِهم على بعضٍ في الحرب وغيرها. والمِطْرَدُ: رُمْحٌ قَصِيرٌ يُطْعَنُ به حُمرُ الوَحْش. والرِّيحُ تَطرُد الحَصَى والجَوْلان على وَجْه الرض، وهو عَصْفُها وذَهابُها بها. والأرضُ ذاتُ الآل تَطْرُد السَّرابَ طرداً. وتقول: طَرَدْتُ فُلاناً فذَهَبَ، ولا يُقال: فاطَّرَد في مُطاوَعة الفعل. واطّردَ الماء: جرى. وجدولٌ مُطَّرِدٌ: سريعُ الجَرْيةِ، وأمرٌ مُطَّرد: مُستقيمٌ على جهته. وأَطرُدْت فلاناً: تركته طريداً شريداً.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: 30].

قال الألوسي[2]: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن﴾ أي من يصونني منه تعالى

(1) العين. (2) روح المعاني.

ويدفع عني حلول سخطه، والاستفهام للإنكار أي لا ينصرني أحد من ذلك ﴿إِن طَرَدتُّهُمْ﴾ وأبعدتهم عني وهم بتلك المثابة والزلفى منه تعالى، وفي الكلام ما لا يخفى من تهويل أمر طردهم ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي أتستمرون على ما أنتم عليه من الجهل فلا تتذكرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا أن ما تأتونه بمعزل عن الصواب، قيل: ولكون هذه العلة مستقلة بوجه مخصوص ظاهر الدلالة على وجوب الامتناع عن الطرد أفردت عن التعليل السابق وصدرت بياقوم.

قال ابن عاشور[1]: إعادة ﴿وَيَٰقَوْمِ﴾ مثل إعادته في الآية قبلها. والاستفهام إنكاري. والنصر: إعانة المقاوم لضدّ أو عدوّ، وضمن معنى الإنجاء فعدّي بـ (مِن) أي مَن يخلصني، أي ينجيني من الله، أي من عقابه، لأن طردهم إهانة تؤذيهم بلا موجب معتبر عند الله، والله لا يحب إهانة أوليائه. وفرع على ذلك إنكاراً على قومه في إهمالهم التذكر، أي التأمل في الدلائل ومدلولاتها، والأسباب ومسبّباتها. وقرأ الجمهور ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ - بتشديد الذال -.

وأصل ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، تتذكرون فأبدلت التاء ذالاً وأدغمت في الذّال. وقرأه حفص «تذكرون» بتخفيف الذّال وبحذف إحدى التاءين. والتذكر تقدم عند قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ في آخر سورة الأعراف (201).

● **قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾** [الأنعام: 52].

قال القرطبي[2]: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية. قال المشركون؛ ولا نرضى بمجالسة أمثال هؤلاء - يعنون سَلْمان وصُهَيباً وبِلالاً وخَبَّاباً - فاطردهم عنك؛ وطلبوا أن يَكتب لهم بذلك، فهمّ النبي ﷺ بذلك، ودعا عليًّا ليكتب؛ فقام الفقراء وجلسوا ناحية؛ فأنزل الله الآية. ولهذا أشار سعد بقوله في الحديث الصحيح: فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع؛ وسيأتي

(1) التحرير والتنوير.

(2) الجامع لأحكام القرآن.

ذكره. وكان النبي ﷺ إنما مال إلى ذلك طمعاً في إسلامهم، وإسلام قومهم، ورأى أن ذلك لا يفوّت أصحابه شيئاً، ولا ينقص لهم قدراً، فمال إليه فأنزل الله الآية، فنهاه عما همَّ به من الطّرد لا أنه أوقع الطرد. روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاءِ عنك لا يجترئون علينا؛ قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هُذَيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: 52]. قيل: المراد بالدعاء المحافظة على الصَّلاة المكتوبة في الجماعة؛ قاله ابن عباس ومجاهد والحسن. وقيل: الذكر وقراءة القرآن. ويحتمل أن يريد الدعاء في أوّل النهار وآخره؛ ليستفتحوا يومهم بالدعاء رغبة في التوفيق، ويختموه بالدعاء طلباً للمغفرة. ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ أي طاعته، والإخلاص فيها، أي يخلصون في عبادتهم وأعمالهم لله، ويتوجهون بذلك إليه لا لغيره. وقيل: يريدون الله الموصوف بأن له الوجه كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27] وهو كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: 22].

● **قال تعالى:** ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 114].

قال أبو السعود[1]: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ جواب عمَّا أوهمُه كلامُهم من استدعاءِ طردِهم وتعليقِ إيمانِهم بذلك حيثُ جعلوا اتِّباعَهم مانعاً عنه.

قال الشعراوي[2]: وقد طلبوا منه أن يطرد هؤلاء المؤمنين من مجلسه ليُجلِسهم هم، وفي آية أخرى قال سبحانه لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: 52].

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) تفسير الشعراوي.

قال ابن عادل[1]: قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك كالدلالة على أن القوم سألوه إبعادهم فبيّن أن الدين يمنعه عن طردهم، وقد آمنوا به، وبيَّن أن الغرض من تحمل الرسالة كونه نذيراً: فقال: ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: 115].

(1) اللباب في علوم الكتاب.

طرف

(طَرْف - حَرْف - جَنْب - جَرْف - حَافَّة
-حَدّ - شَفَا - شَاطِئ - سَاحِل)

■ **الطَّرْفُ:** طرف الشيء: جانبه، ويستعمل في الأجسام والأوقات وغيرهما. قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ [طه: 130].

■ **الحَرْفُ:** نهاية الطرف المنجي للشيء ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: 11].

■ **الجَنْبُ:** الجهة المريحة للشيء ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: 16].

■ **الجَرْفُ:** شاطئ السيل ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: 109].

■ **الحَافَّةُ:** الجهة التي في الواجهة للشيء ﴿وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: الآية 32].

■ **الحَدُّ:** الحاجز بين الشيئين المانع من اختلاطهما ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: 229].

■ **الشَّفَا:** بداية الطرف المهلك للشيء ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: 103].

■ **الشَّاطِئُ:** طرف الماء والوادي ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ﴾ [القصص: 30].

■ **السَّاحِلُ:** طرف اليابسة بعد الماء ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [طه: 39].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الطاء والراء والفاء أصلان: فالأوَّل يدلُّ على حدِّ الشيء وحَرفِهِ، والثاني يدلُّ على حركةٍ في بعض الأعضاء. فالأوَّل طَرَفُ الشيء والثوب والحائط. ويقال ناقةٌ طَرِفَة: ترعى أطرافَ المرعَى ولا تختلطُ بالنُّوق. وقولهم: عينٌ مطروفة، من هذا؛ وذلك أن يصيبَها طَرَف شيءٍ ثوبٍ أو غيره فتَغْرَوْرِقَ دمعاً. ويُستعار ذلك حتى يقال: طَرَفَها الحُزْن. فأمَّا قولُهم: هو كريم الطَّرَفين، فقال قومٌ: يُراد به نَسَب الأب والأمّ. ولا يُدْرَى أيُّ الطَّرَفين أطول، هو من هذا. وجمع الطَّرَف أطراف.

ويقال إنَّ الطِّرَاف: ما يُؤخَذ من أطراف الزَّرع. ومن الباب: الطَّوَارِف من الخِباء، وهي ما رفعتَ من جوانبه لتنظُر، فأمَّا قولهم: جاء فلانٌ بطارفةِ عينٍ فهو من الذي ذكرناه في قولهم: طُرِفت العين، إذا أصابَها طَرَف شيءٍ فاغرورَقَتْ. وإذا كان كذا لم تكد تُبْصِر. فكذلك قولهم: بِطارِفةِ عينٍ، أي بشيءٍ تَتَحيَّر له العينُ من كَثْرتهِ. ومن الباب قولُهم للشيء المستحدَث: طريف؛ وهو خلافُ التَّليد، ومعناه أنَّهُ شيءٌ أُفِيدَ الآنَ في طَرَف زمانٍ قد مضى. يقولون منه اطَّرَفْتُ الشيءَ، إذا استحدثتَه، أطَّرِفه، اطِّرَافاً. ومن الباب: الرَّجُل الطَّرِف: الذي لا يثبُت على امرأةٍ ولا صاحب. وذلك القياسُ؛ لأنَّه يطلُب الأطراف فالأطراف. والمرأة المطروفة، يقولون إنَّها التي لا تثبُت على رجلٍ واحدٍ، بل تَطّرِف الرِّجال. وهو قولُ الحُطيئة: ومن الباب الطِّرف: الفرس الكريم، كأنَّ صاحبَه قد اطّرَفه. وللمطّرَف فضلٌ على التَّليد. وأمَّا الأصل الآخر فالطَّرْف، وهو تَحريك الجفون

(1) معجم مقاييس اللغة.

في النَّظَر. هذا هو الأصل ثم يسمُّون العينَ الطَّرْف مجازاً. ولذلك يسمَّى نجمٌ من النُّجُوم الطَّرْفة، كأنَّه فيما أحسب طرْفُ الأسَد.

قال الجوهري[1]: الطَّرْفُ: العينُ، ولا يجمع لأنّه في الأصل مصدر، فيكون واحداً ويكون جماعةً. وقال تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم: 43]. أيضاً: كوكبان يَقْدُمانِ الجبهةَ، وهما عينا الأسد ينزلهما القمر.

قال الأصمعي: الطِّرْفُ بالكسر: الكريمُ من الخيل. يقال: فرسٌ طِرْفٌ من خيلٍ طُروفٍ. وقال أبو زيد: هو نعتٌ للذكور خاصّةً. والطِّرْفُ أيضاً: الكريمُ من الفتيان.

والطَّرَفُ، بالتحريك: الناحية من النواحي، والطائِفةُ من الشيء. وفلانٌ كريمُ الطَّرَفَيْنِ، يراد به نسب أبيه ونسب أمه. وأطْرافُهُ: أبواه وإخوته وأعمامه وكلُّ قريب له مَحْرَمٍ.

وقولهم: فعلت ذلك في مُسْتَطْرَفِ الأيام ومُطَّرَفِ الأيام، أي في مُسْتَأْنَفِ الأيام. والطارِفُ والطريفُ من المال: المستحدَث. وهو خلاف التالد والتليد.

والاسم الطُّرْفَةُ، وقد طَرُفَ بالضم. وأطْرَفَ فلانٌ، إذا جاءَ بطَرْفَةٍ.

والطَّريفُ في النسب: الكثير الآباء إلى الجَدّ الأكبر، وهو خلاف القُعْدُدُ.

وقد طَرُفَ بالضم طَرافَةً، وقد يُمدح به. قال ثعلبٌ: الأطرافُ: الأشرافُ.

والطَّريفَةُ: النصِيُّ إذا ابيضّ. وقد أطْرَفَ البلد، أي كثرتْ طَريفَتُهُ. وأرضٌ مَطْروفَةٌ: كثيرةُ الطَّريفَةِ. قال أبو يوسف: والطَّريفَةُ من النَّصِيِّ والصِّلِّيانِ إذا أعْتَمَّا وتمَّا. والطِّرافُ: بيتٌ من أدَم. وقولهم: جاء فلان بطارِفةِ عينٍ، إذا جاء بمالٍ كثير. والطَّوارِفُ من الخِباء: ما رُفعتْ من جوانبه النَظرِ إلى خارج.

وطَرَفَهُ عنه، أي صرفه، يقول: تصرف بصرك عنه، أي تَسْتَطْرِفُ الجديد وتنسى القديم.

---

(1) الصحاح في اللغة.

وطَرَفَ بصرَه يَطْرِفُ طَرْفاً، إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر. الواحدة من ذلك طَرْفَةٌ. يقال: أسرعُ من طَرْفَةِ عينٍ. وطَرَفْتُ عينَه، إذا أصبتَها بشيء، فدمَعتْ. وقد طُرِفَتْ عينُه، فهي مطروفةٌ. والطَّرْفَةُ أيضاً: نقطةٌ حمراء من الدم تحدُث في العين من ضربةٍ وغيرها. وقولهم: لا تراه الطوارف، أي العيون.

ويقال: طَرَّفَ فلان، إذا قاتلَ حول العسكر، لأنَّه يحمل على طَرَفٍ منهم فيردُّهم إلى الجمهور، ومنه سمِّي المُطَّرِفُ. والمُطَرَّفُ من الخيل، بفتح الراء، هو الأبيضُ الرأسِ والذَنَبِ، وسائرُ جسده يخالف ذلك. وكذلك إذا كانَ أسود الرأس والذَّنَبْ. ويقال للشاة التي اسودَّ طَرَفُ ذَنَبِها وسائرُها أبيضُ: مُطَرَّفَةٌ.

المعنى المشترك لكلمة (ط ر ف)

وقد وردت كلمة (طرف) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: الأطراف: أوقات النهار ﴿فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ [طه: 130] يعني الظهر والعصر.

الوجه الثاني: الطرف - بإسكان الراء -: «سارق العين» ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشّورى: الآية 45].

الوجه الثالث: الطرف - بفتح الراء -: الطائفة ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [آل عمران: 127]. . أي يقتل طائفة.

في القرآن الكريم:

- **قال تعالى**: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [آل عمران: 127].

قال الألوسي(1): ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ متعلق بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ

(1) روح المعاني.

نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ [آل عمران: 123] وما بينهما تحقيق لحقيته وبيان لكيفية وقوعه، وإلى ذلك ذهب جمع من المحققين وهو ظاهر على تقدير أن يجعل ﴿إِذْ تَقُولُ﴾ [آل عمران: 124] ظرفاً - لنصركم - لا بدلاً من ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾ [آل عمران: 121] لئلا يفصل بأجنبي ولأنه كان يوم أحد. والظاهر أن هذا في شأن بدر والمقصور على التعليل بما ذكر من البشرى والاطمئنان إنما هو الإمداد بالملائكة على الوجه المذكور فلا يقدح [ذلك] في تعليل أصل النصر بالقطع وماعطف عليه، وجوز أن يتعلق بما تعلق به الخبر في قوله سبحانه: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 126] على تقدير كونه عبارة عن النصر المعهود والمعلل بالبشارة والاطمئنان إنما هو الإمداد الصوري لا ما في ضمنه من النصر المعنوي الذي هو ملاك الأمر وعموده، وقيل: هو متعلق بنفس الصبر، واعترض عليه بأنه مع ما فيه من الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي هو الخبر مخل بسداد المعنى كيف لا ومعناه قصر النصر المخصوص المعلل بعلة معينة على الحصول من جهته تعالى، وليس المراد إلا قصر حقيقة النصر كما في الأول أو النصر المعهود كما في الثاني على ذلك، والقول بأنه متعلق بمحذوف والتقدير فعل ذلك التدبير، أو أمدكم بالملائكة ليقطع منقطع عن القبول، والقطع الإهلاك، والمراد من الطرف طائفة منهم قيل: ولم يعبر عن تلك الطائفة بالوسط بل بالطرف لأن أطراف الشيء يتوصل بها إلى توهينه وإزالته، وقيل: لأن الطرف أقرب إلى المؤمنين فهو كقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة: 123] وقيل: للإشارة إلى أنهم كانوا أشرافاً، ففي «الأساس» هو من أطراف العرب أي [من] أشرافها، ولعل إطلاق الأطراف على الأشراف لتقدمهم في السير، ومن ذلك قالوا: الأطراف منازل الأشراف فلا يرد أن الوسط أيضاً يشعر بالشرف، فالمعنى ليهلك صناديد الذين كفروا ورؤساءهم المتقدمين فيهم بقتل وأسر، وقد وقع ذلك في بدر كما قال الحسن والربيع وقتادة، فقد قتل من أولئك سبعون وأسر سبعون، واعتبار ذلك في أحد حيث قتل فيه ثمانية عشر رجلاً من رؤسائهم قول لبعضهم وقد استبعدوه كما أشرنا إليه.

● **قال تعالى:** ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هود: **114**].

قال الفخر الرازي[1]: اعلم أنه تعالى لما أمره بالاستقامة أردفه بالأمر بالصلاة وذلك يدل على أن أعظم العبادات بعد الإيمان بالله هو الصلاة وفي الآية مسائل:

رأيت في بعض «كتب القاضي أبي بكر الباقلاني» أن الخوارج تمسكوا بهذه الآية في إثبات أن الواجب ليس إلا الفجر والعشاء من وجهين. أنهما واقعان على طرفي النهار والله تعالى أوجب إقامة الصلاة طرفي النهار، فوجب أن يكون هذا القدر كافياً.

قال القرطبي[2]: وفيه مسألتان الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ لم يختلف أحد من أهل التأويل في أن الصلاة في هذه الآية يراد بها الصلوات المفروضة؛ وخصها بالذكر لأنها ثانية الإيمان، وإليها يفزع في النوائب؛ وكان النبي ﷺ إذا حَزَبَه أمر فزع إلى الصلاة. وقال شيوخ الصوفية: إن المراد بهذه الآية ٱستغراق الأوقات بالعبادة فرضاً ونفلاً؛ قال ٱبن العربي: وهذا ضعيف، فإن الأمر لم يتناول ذلك إلا واجباً لا نفلاً، فإن الأوراد معلومة، وأوقات النوافل المرغّب فيها محصورة، وما سواها من الأوقات يسترسل عليها الندب على البدل لا على العموم، وليس ذلك في قوة بشر.

الثانية: قوله تعالى: ﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ قال مجاهد: الطرف الأول صلاة الصبح، والطرف الثاني صلاة الظهر والعصر؛ وٱختاره ٱبن عطية. وقيل: الطرفان الصبح والمغرب؛ قاله ٱبن عباس والحسن. وعن الحسن أيضاً: الطرف الثاني العصر وحده؛ وقاله قتادة والضحّاك. وقيل: الطّرفان الظهر والعصر. والزُّلَف المغرب والعشاء والصبح؛ كأن هذا القائل راعى جهر القراءة. وحكى الماورديّ أن الطرف الأوّل صلاة الصبح باتفاق.

● **قال تعالى:** ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ﴾ [الرعد: **41**].

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.

قال أبو السعود[1]: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ﴾ بأن نفتحها على المسلمين شيئاً فشيئاً ونُلحقَها بدار الإسلام ونُذهب منها أهلها بالقتل والأسر والإجلاءِ أليس هذا من ذلك؟ ومثلُه قوله عز سلطانه: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الأنبياء: 44] وقوله: ننقُصها حالٌ من فاعل نأتي أو من مفعوله، وقرىء نُنَقصها بالتشديد وفي لفظ الإتيان المؤذِن بالاستواء المحتوم والاستيلاءِ العظيم من الفخامة ما لا يخفى كما في قوله عز وجل: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: 23].

قال ابن عجيبة[2]: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ﴾ [الرعد: 41] بما نفتحه على المسلمين منها، فيخافون أن نُمَكّنك من أرضهم، وتنزل بساحتهم، منصوراً عليهم، فإذا نزلتَ بساحتهم، ولم يخضعوا لك، فساء صباح المنذرين. وقيل: الأرض جنس، ونقصها بموت الناس، وهلاك الثمرات، وخراب البلاد، وشبه ذلك. وذلك مقدمات العذاب الذي حَكَمَ به عليهم.

● **قال تعالى**: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَۚ﴾ [النمل: 40].

قال الألوسي[3]: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَۚ﴾ للعفريت وإنما لم يأت به أولاً بل استفهم القوم بقوله: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ [النمل: 38] ثم قال ما قال وأتى به قصداً لأن يريهم أنه يتأتى له ما لا يتهيأ لعفاريت الجن فضلاً عن غيرهم.

وتخصيص الخطاب بالعفريت لأنه الذي تصدى لدعوى القدرة على الإتيان به من بينهم، وجعله لكل أحد كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [النساء: 3] غير ظاهر بالنسبة إلى ما ذكر. وآثر هذا القول الإمام وقال إنه أقرب لوجوه. الأول: أن الموصول موضوع في اللغة لشخص معين بمضمون الصلة المعلومة عند المخاطب والشخص المعلوم بأن عنده علم الكتاب هو سليمان وقد تقدم في

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) البحر المديد.
(3) روح المعاني.

هذ السورة ما يستأنس به لذلك فوجب إرادته وصرف اللفظ إليه وآصف وإن شاركه في مضمون الصلة لكن هو فيه أتم لأنه نبي وهو أعلم بالكتاب من أمته. الثاني: أن إحضار العرش في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية فلو حصلت لأحد من أمته دونه لاقتضى تفضيل ذلك عليه عليه السلام وأنه غير جائز. الثالث: أنه لو افتقر في إحضاره إلى أحد من أمته لاقتضى قصور حاله في أعين الناس.

قال السمين(1): ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ﴾: يجوزُ أَنْ يكونَ فعلاً مضارعاً، فوزنُه أفْعِلُ نحو: أَضْرِبُ، والأصل أَأْتِيْك بهمزتين، فَأُبْدلت الثانيةُ ألفاً، وأن يكونَ اسمَ فاعِلٍ، وزنُه فاعِل والألفُ زائدةٌ، والهمزةُ أصليةٌ عكسُ الأول. وأمالَ حمزةُ «آتِيْكَ» في الموضعين من هذه السورةِ بخلافٍ عن خَلَّاد. قوله: ﴿طَرْفُكَ﴾: فيه وجهان، أحدُهما: أنه الجَفْنُ. عَبَّر به عن سُرْعةِ الأمرِ. وقال الزمخشري: «**هو تحريكُ أجفانِك إذا نظرْتَ فوُضِعَ مَوْضِعَ النظرِ**».

والثاني: أنه بمعنىٰ المَطْروفِ أي: الشيء الذي تَنْظُره. والأولُ هو الظاهرُ؛ لأنَّ الطَّرْفَ قد وُصِفَ بالإِرسال في قولِه:

وكنتَ متى أرسَلْتَ طرفَك رائداً ... لقلبِك يوماً أَتْعَبَتْكَ المناظِرُ
رأيتُ الذي لا كلُّه أنت قادِرٌ ... عليه ولا عَنْ بَعْضِه أنتَ صابرُ

● **قال تعالى**: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الرحمٰن: 56].

قال الفخر الرازي(2): ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ من القصر وهو المنع أي المانعات أعينهن من النظر إلى الغير، أو من القصور، وهو كون أعينهن قاصرة لا طماح فيها للغير، أقول والظاهر أنه من القصر إذ القصر مدح والقصور ليس كذلك، ويحتمل أن يقال: هو من القصر بمعنى أنهن قصرن أبصارهن، فأبصارهن مقصورة وهن قاصرات فيكون من إضافة الفاعل إلى المفعول والدليل عليه هو أن القصر مدح والقصور ليس كذلك،

(1) الدر المصون.
(2) التفسير الكبير.

وعلى هذا ففيه لطيفة وهي أنه تعالى قال من بعد هذه: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ﴾ [الرحمٰن: 72] فهن مقصورات وهن قاصرات، وفيه وجهان أحدهما: أن يقال: هن قاصرات أبصارهن كما يكون شغل العفائف، وهن قاصرات أنفسهن في الخيام كما هو عادة المخدرات لأنفسهن في الخيام ولأبصارهن عن الطماح وثانيهما: أن يكون ذلك بياناً لعظمتهن وعفافهن وذلك لأن المرأة التي لا يكون لها رادع من نفسها ولا يكون لها أولياء يكون فيها نوع هوان، وإذا كان لها أولياء أعزة امتنعت عن الخروج والبروز، وذلك يدل على عظمتهن، وإذا كن في أنفسهن عند الخروج لا ينظرن يمنة ويسرة فهن في أنفسهن عفائف، فجمع بين الإشارة إلى عظمتهن بقوله تعالى: ﴿مَّقْصُورَاتٌ﴾ منعهن أولياؤهن وههنا وليهن الله تعالى، وبين الإشارة إلى عفتهن بقوله تعالى: ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ ثم تمام اللطف أنه تعالى قدم ذكر ما يدل على العفة على ما يدل على العظمة وذكر في أعلى الجنتين قاصرات وفي أدناهما مقصورات، والذي يدل على أن المقصورات يدل على العظمة أنهن يوصفن بالمخدرات لا بالمتخدرات، إشارة إلى أنهن خدرهن خادر لهن غيرهن كالذي يضرب الخيام ويدلي الستر، بخلاف من تتخذه لنفسها وتغلق بابها بيدها، وسنذكر بيانه في تفسير الآية بعد. ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ فيها دلالة عفتهن، وعلى حسن المؤمنين في أعينهن، فيجبن أزواجهن حباً بشغلهن عن النظر إلى غيرهم، ويدل أيضاً على الحياء لأن الطرف حركة الجفن، والحورية لا تحرك جفنها ولا ترفع رأسها.

قال القرطبي(1): ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ [الرحمن: 56] قيل: في الجنتين المذكورتين. قال الزجاج: وإنما قال: ﴿فِيهِنَّ﴾ ولم يقل فيهما؛ لأنه عنى الجنتين وما أعدّ لصاحبهما من النعيم. وقيل: «فِيهِنَّ» يعود على الفُرُش التي بطائنها من إستبرق؛ أي في هذه الفرش ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ أي نساء قاصرات الطرف، قصرن أعينهن على أزواجهن فلا يرين غيرهم.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.

طرق

(طَرِيقَة - خُطْوَة - دَأْب - سَبِيل - سُنّة)

■ **الطَّرِيقَةُ:** أسلوب السير على السبيل فلكل سائر طريقته التي يرتاح لها ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: 11].

■ **الخُطْوَةُ:** ما بين القدمين حال المشي وهي أول الطريق ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [البقرة: 168].

■ **الدَّأْبُ:** المسيرة المستمرة دائماً على حالة ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ﴾ [آل عمران: 11].

■ **السَّبِيلُ:** الطريق السهل الواضح ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ [عبس: 20].

■ **السُّنَّةُ:** الطريقة السهلة للسير على السبيل ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 62].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء والراء والقاف أربعة أصول: أحدها الإتيان مَسَاءً، والثاني الضَّرْب، والثالث جنسٌ من استرخاء الشيء، والرابع خَصْف شيء على شيء. فالأوّلُ الطُّرُوق. ويقال: إنَّه إتيان المنزلِ ليلاً. قالوا: ورجلٌ طُرَقَةٌ، إذا كان يَسْرِي حتى يطرُقَ أهلَهُ ليلاً. وذُكِرَ أنَّ ذلك يقال بالنَّهار أيضاً، والأصل

(1) معجم مقاييس اللغة.

اللَّيل. والدَّليل على أنَّ الأصلَ اللَّيل تسميتُهم النَّجم طارقاً؛ لأنَّه يَطلُعُ ليلاً. قالوا: وكلُّ من أتى ليلاً فقد طَرَق. قالت: وهو قول امرأةٍ. تريد: إنَّ أبانا نجمٌ في شرفه وعلوّه. ومن الباب، والله أعلم: الطَّريق، لأنه يُتَوَرَّدُ. ويجوزُ أن يكون من أصلٍ آخَر، وهو الذي ذكرناه من خَصْف الشيء فوق الشيء. ومن الباب الأوَّل قولهم: أتيتُه طَرْقَتين، أي مَرَّتين. ومنه طارِقةُ الرَّجُل، وهو فَخِذه التي هو منها؛ وسمِّيت طارقة لأنها تطرُقه ويطرُقها.

والأصل الثَّاني: الضَّرْب، يقال: طَرَقَ يَطْرُقُ طَرْقاً. والشيء مِطْرَق ومِطْرَقة.

ومنه الطَّرْق، وهو الضَّرْب بالحصى تكهُّناً، وهو الذي جاء في الحديث النَّهْيُ عنه، وقيل: «**الطَّرْق والعيافة والزَّجر من الجِبت**». وامرأةٌ طارقةٌ: تفعل ذلك؛ والجمع الطَّوارق.

والطرْق: ضرب الصُّوف بالقضيب، وذلك القضيبُ مِطرَقةٌ. وقد يفعلُ الكاهن ذلك فيطرُق، أي يخلط القُطْنَ بالصُّوفِ إذا تكهَّنَ. ويجعلون هذا مثلاً فيقولون: «طَرَقَ وماشَ».

ويقال: طرَقَ الفحلُ الناقةَ طَرقاً، إذا ضربها.

وطَروقةَ الفَحل: أنثاه. واستطرقَ فلانٌ فلاناً فَحلَه، إذا طَلَبَه منه ليضربَ في إبله، فأطْرَقَه إيّاه، ويقال: هذا النَّبْل طَرْقَةُ رجلٍ واحد، أي صِيغة رجلٍ واحد. والأصل الثالث: استرِخاء الشيء. من ذلك الطَّرَق، وهو لِينٌ في ريش الطائر.

والمُطْرِق المسترخِي العَين. قال: وما كنتُ أخشَى أن تكون وفاتُه بكفَّيْ سَبَنْتَى أزرقِ العَينِ مُطْرِقِ وقال في الإطراق: فأطرَقَ إطراقَ الشُّجاعِ ولو يَرَى مَساغاً لِناباه الشجَاعُ لصَمَّما ومن الباب الطَّرِّيقة، وهو اللِّين والانقياد. يقولون في المثل: «**إنّ تحت طِرِّيقَته لَعِنْدَأْوَةً**». أي إنّ في لِينه بعضَ العُسر أحياناً. فأمَّا الطَّرَق فقال قوم: هذا اعوجاجٌ في الساق من غير فَحَج. وقال قوم : الطّرَق: ضَعف في الرُّكبتين. وهذا القول أَقْيَسُ وأشبه لسائر ما ذكرناهُ من اللِّينِ والاسترخاء. والأصل الرابع: خَصْفُ شيء على شيء. يقال: نعلٌ مُطارَقة، أي مخصوفة.

وخُفّ مُطارَق، إذا كان قد ظُوهِر لـه نعلان. وكلُّ خَصْفةٍ طِراق. وتُرسٌ مُطرَّق، إذا طورِق بجلدٍ على قَدْره. ومن هذا الباب الطِّرْق، وهو الشحم والقُوّة، وسمِّي بذلك لأنّه شيءٌ كأنّه خُصِف به. يقولون: ما به طِرْق، أي ما به قُوّة. قال أبو محمد عبد الله بن مسلم: أصل الطِّرْق الشّحم؛ لأنّ القوّة أكثر ما تكون عنه ومن هذا الباب الطَّرَق: مَناقع المياه؛ وإنَّما سمِّيت بذلك تشبيهاً بالشيء يتراكبُ بعضهُ على بعض. كذلك الماء إذا دام تراكب. قال رؤبة: ومن الباب، وقد ذكرناه أوَّلاً وليس ببعيد أن يكون من هذا القياس: الطَّريق؛ وذلك أنَّه شيءٌ يعلو الأرضَ، فكأنَّها قد طُورِقَتْ به وخُصِفت به. ويقولون: تطارَقَت الإِبلُ، إذا جاءت يتبع بعضُها بعضاً.

وكذلك الطَّرِيق، وهو النَّخْل الذي على صفٍّ واحد، وهذا تشبيهٌ، كأنَّه شُبِّه بالطَّرِيق في تتابُعه وعلوّه الأرض.

ومنه [ريشٌ] طِراق، إذا كان تطارق بعضه فوقَ بعض، وخرج القومُ مَطارِيقَ، إذا جاؤوا مُشاةً لا دوابَّ لهم، فكأنَّ كلَّ واحدٍ منهم يَخْصِف بأثر قدَميه أثَر الذي تقدَّم. ويقال: جاءت الإِبلُ على طَرْقَة واحدة، وعلى خُفٍّ واحد؛ وهو الذي ذكرناه من أنَّها تَخصف بآثارها آثارَ غيرها. واختضَبت المرأةُ طَرْقَتينِ، إذا أعادت الخِضاب، كأنَّها تَخصِف بالثَّاني الأوَّل. ثم يشتقُّ من الطَّريق فيقولون: طَرَّقت المرأةُ عند الوِلادة، كأنَّها جَعلتْ للمولودِ طريقاً. ويقال - وهو ذلك الأوَّل - لا يقال طَرَّقت إلَّا إذا خرج من الولد نصفُه ثمَّ احتبَس بعضَ الاحتباسِ ثمَّ خرج. تقول: طرّقت ثم خلَصت. وممّا يُشْبِه هذا قولُهم طَرَّقت القطاة، إذا عَسُر عليها بيضُها ففحصت الأرضَ بجُؤجُئِها.

قال الفيروزآبادي[1]: الطَّرْقُ: الضَّرْبُ، أو بالمِطْرَقَةِ، بالكسر، والصَّكُّ، والماءُ الذي خَوَّضَتْهُ الإِبِلُ وبَوَّلَتْ فيه، كالمَطْروقِ، وضَرْبُ الكاهِنِ بالحَصَى، وقد

(1) القاموس المحيط.

اسْتَطْرَقْتُهُ أنا، ونَتْفُ الصُّوفِ أو ضَرْبُهُ بالقَضيبِ، واسْمُه: المِطْرَقُ والمِطْرَقَةُ، وطرق: الفَحْلُ الضارِبُ، سُمِّيَ بالمَصْدَرِ، والضِرابُ، والإِتْيانُ بالليلِ، كالطُّروقِ فيهما، وكلُّ صَوْتٍ أو نَغْمَةٍ من العودِ ونحوِهِ:

طَرْقٌ على حِدَة، يقالُ: تَضْرِبُ هذه الجاريَةُ كذا طَرْقاً،

وطرق: ماءُ الفَحْلِ، وضَعْفُ العَقْلِ، وقد طُرِقَ، كعُنِيَ، وأن يَخْلِطَ الكاهِنُ القُطْنَ بالصوفِ إذا تَكَهَّنَ، والنَّخْلَةُ، طائِيَّةٌ، والمَرَّةُ، كالطَّرْقَةِ.

المعنى المشترك لكلمة (ط ر ق)

وقد وردت كلمة (طرق) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: الطريق بعينه ﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا﴾ [طه: 77].

الوجه الثاني: الطرائق: السمٰوات ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ﴾ [المؤمنون: 17].

الوجه الثالث: الطرائق: الأهواء المختلفة ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا﴾ [الجن: 11].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾ [طه: 63].

قال ابن عاشور(1): والطريقة: السُّنّة والعادة؛ شبهت بالطريق الذي يسير فيه السائر، بجامع الملازمة.

قال الشعراوي(2): ﴿وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾ طريقتهم المثلى. أي: ما ارتضاه القوم للعيش عليه، والمذهب والطريق الذي سلكوه. والمراد بالطريقة

(1) التحرير والتنوير. (2) تفسير الشعراوي.

المثلى التي ساروا عليها أنهم اتخذوا واحداً منهم إلهاً يعبدونه ويأتمرون بأمر، تلك هي الطريقة المثلى!! والمثلى: أي الفاضلة مُذكّرها أمثل.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ [المؤمنون: **17**].

قال أبو السعود[1]: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ﴾ بيانٌ لخلقِ ما يحتاج إليه بقاؤُهم إثرَ بيانِ خلقِهم أي خلقنا في جهةِ العلوِّ من غيرِ اعتبارِ فوقيَّتِها لهم لأنَّ تلك النِّسبة إنما تعرَّض لها بعد خلقِهم ﴿سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ هي السَّمٰوات السَّبعُ سُمِّيتْ بها لأنَّها طُورق بعضُها فوق بعضٍ مُطارقةَ النَّعلِ فإنَّ كلَّ ما فوقه مثلُه فهو طريقةٌ أو لأنَّها طرائقُ الملائكةِ أو الكواكبِ فيها مسيرُها.

قال ابن عجيبة[2]: يقول الحق جل جلاله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾، وهي السمٰوات السبع، جمع طريقة؛ لأنها طرق الملائكة وتقلباتها، وطرق الكواكب، فيها مسيرها.

● **قال تعالى:** ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: **11**].

قال الفخر الرازي[3]: أي منا الصالحون المتقون أي ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: **164**] ثم المراد بالذين هم دون الصالحين من؟ فيه قولان: الأول: أنهم المقتصدون الذين يكونون في الصلاح غير كاملين والثاني: أن المراد من لا يكون كاملاً في الصلاح، فيدخل فيه المقتصدون والكافرون، والقدة من قدد، كالقطعة من قطع. ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق، وفي تفسير الآية وجوه أحدها: المراد كنا ذوي طرائق قدداً أي ذوي مذاهب مختلفة. قال السدي: الجن

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) البحر المديد.
(3) التفسير الكبير.

أمثالكم، فيهم مرجئة وقدرية وروافض وخوارج وثانيها: كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة وثالثها: كانت طرائقنا طرائق قدداً على حذف المضاف الذي هو الطرائق، وإقامة الضمير المضاف إليه مقامه.

قال ابن كثير[1]: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ أي: طرائق متعددة مختلفة، وآراء متفرقة، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ أي: منّا المؤمن، ومنا الكافر. وقال أحمد بن سليمان النجاد في أماليه: حدثنا أسلم بن سهل بحشل، حدثنا علي بن الحسن بن سليمان، وهو أبو الشعثاء الحضرمي شيخ مسلم، حدثنا أبو معاوية قال: سمعت الأعمش يقول: تروح إلينا جني، فقلت له: ما أحب الطعام إليكم؟ فقال: الأرز، قال: فأتيناهم به، فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحداً، فقلت: فيكم من هذه الأهواء التي فينا؟ قال: نعم، فقلت: فما الرافضة فيكم؟ قال: شرنا. عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزّي فقال: هذا إسناد صحيح إلى الأعمش.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ [الطارق: 1-3].

قال الزمخشري[2]: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ المضيء، كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه، كما قيل: درّيء، لأنه يدرؤه، أي: يدفعه. ووصف بالطارق؛ لأنه يبدو بالليل، كما يقال للآتي ليلا: طارق: أو لأنه يطرق الجني، أي يصكه. والمراد: جنس النجوم، أو جنس الشهب التي يرجم بها. فإن قلت: ما يشبه قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ إلا ترجمة كلمة بأخرى، فبين لي أي فائدة تحته؟ قلت: أراد الله عزّ من قائل: أن يقسم بالنجم الثاقب تعظيماً له، لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة، وأن ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره، وهو الطارق، ثم قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ ثم فسره

---

(1) تفسير ابن كثير.
(2) الكشاف.

بقوله: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ كل هذا إظهار لفخامة شأنه، كما قال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦﴾ [الواقعة: 75-76] روي: أنّ أبا طالب كان عند رسول الله ﷺ، فانحط نجم، فامتلأ ما ثم نوراً فجزع أبو طالب وقال: أي شيء هذا؟ فقال عليه السلام: «هذا نجم رمي به، وهو آية من آيات الله» فعجب أبو طالب، فنزلت.

قال القشيري[1]: قوله جلّ ذكره: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾. أقسم بالسماءِ، وبالنجمِ الذي يَطْرُق ليلاً. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾. استفهامٌ يراد منه تفخيم شأن هذا النجم. ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾. المضيءُ العالي. وقيل: الذي ترمى به الشياطين. ويقال: هي نجوم المعرفة التي تدل على التوحيد يستضيءُ بنورها ويهتدي بها أولو البصائر.

(1) لطائف الإشارات.

طري

(طَرِيَ - لاَنَ)

■ **الطَّرِيُّ:** اللحم الغض الجديد ﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: 14].

■ **اللَّيِّنُ:** النعومة في الشيء في الكلام والمعاملة ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء والراء والحرف المعتلّ أُصيلٌ صحيحٌ يدلُّ على غضاضةٍ وجِدّة. فالطَّرِيّ: الشيء الغَضّ؛ ومصدره الطَّرَاوة والطَّراءة، ومنه أَطْرَيْتُ فلاناً، وذلك إذا مدحتَهُ بأحسنِ ما فيهِ. فإذا هُمِزَ قيل طرَأَ فلانٌ، إذا طلع. وأحسَب هذا من باب الإبدال، وإنّما الأصل دَرَأَ وقد ذُكِر.

قال الخليل[2]: الطَّراوة: مصدر الشّيء الطريّ طَرِيَ يَطْرَى طَراوةً وطَراءَةً. وقلّما يُستَعمل، لأنّه ليس بحادث. وأَطْرَى فلانٌ فلاناً: مَدَحَهُ بأحسن ما يَقْدِر عليه. والمُطَرّاةُ: ضَرْبٌ من الطِّيب ويقال: عُودٌ مُطَرّى. والطَّرا: يُكَثَّرُ به العَدَد، يُقال: هم أَكْثرُ من الطَّرا والثَّرى. ويقال: الطّرا في هذه الكلمة: كلّ شيء من الخَلْق لا يُحْصَى عدده وأصنافه. وفي أَحَد القَوْلَيْن: كلُّ شَيْءٍ على وَجْهِ الأَرْض، ممّا ليس من جِبِلَّة الأَرْض من التُّراب والحَصَى ونحوه فهو الطَّرا. والأُطرية:

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

طعامٌ يَتَّخِذُه أهلُ الشّام لَيْس له واحدٌ، وبَعْضُهم يكسِرُ الأَلِفَ فيقول: إِطْرية مثل زِبنِية.

قال الجوهري[1]: شيءٌ طَرِيٌّ، أي غضٌّ بيِّن الطَّراوَةِ، وطَرَّيْتُ الثوب تَطْرِيَةً. وطَرُوَ اللحم وطَرِيَ طَراوةً. وأَطْراهُ، أي مدحه. وأَطْرَيْتُ العسل، إذا عقدته. وغِسْلَةٌ مُطَرَّاةٌ، أي مُرَبَّاةٌ بالأفاويهِ يُغسل بها الرأس أو اليد، وكذلك العود المُطَرَّى المربَّى منه، مثل المُطَيَّرِ، يتبخَّر به. والإطْرِيَةُ ضربٌ من الطعام.

قال الراغب[2]: قال تعالى: ﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: 14]، أي: غضًّا جديداً، من الطراء والطراوة. يقال: طريت كذا فطري، ومنه: المطراة من الثياب، والإطراء: مدح يجدد ذكره، وطرأ بالهمز: طلع.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: 14].

قال الألوسي[3]: ﴿لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وهو السمك، والتعبير عنه باللحم مع كونه حيواناً للإشارة إلى قلة عظامه وضعفها في أغلب ما يصطاد للأكل بالنسبة إلى الأنعام الممتن بالأكل منها فيما سبق، وقيل: للتلويح بانحصار الانتفاع به في الأكل.

و(من) متعلق - بتأكلوا - أو حال مما بعده وهي ابتدائية، وجوز أن تكون تبعيضية والكلام على حذف مضاف أي من حيوانه، وحينئذٍ يجوز أن [يراد] من اللحم الطري لحم السمك كما يجوز أن يراد منه السمك، والطري فعيل من طرو يطرو طراوة مثل سرو يسرو سراوة، وقال الفراء: من طرى يطرى طراء وطراوة

(1) الصحاح في اللغة.
(2) مفردات الراغب.
(3) روح المعاني.

كشقى يشقى شقاء وشقاوة، والطراوة ضد اليبوسة، ووصفه بذلك للإشعار بلطافته والتنبيه إلى أنه ينبغي المسارعة إلى أكله فإنه لكونه رطباً مستعد للتغير فيسرع إليه الفساد والاستحالة، وقد قال الأطباء: إن تناوله بعد ذهاب طراوته من أضر الأشياء ففيه إدماج لحكم طبي؛ وهذا على ما قيل لا ينافي تقديده وأكله محللاً كما توهم، وفي جعل البحر مبتدأ أكله على أحد الاحتمالين إيذان بالمسارعة أيضاً. وزعم بعضهم أن في الوصف إيذاناً أيضاً بكمال قدرته تعالى في خلقه عذباً طرياً في ماء مر لا يشرب، وفيه شيء لا يخفى.

قال القرطبي(1): ﴿لَحۡمًا طَرِيًّا﴾ فجمع أصناف السمك بذكر واحد، فكان صغاره ككباره في الجمع بينهما. وقد روي عن ابن عمر أنه سئل عن لحم المَعْز بلحم الكباش أشيء واحد؟ فقال لا؛ ولا مخالف له فصار كالإجماع، والله أعلم. ولا حجة للمخالف في نهيه ﷺ عن بيع الطعام إلا مِثْلاً بمثل؛ فإن الطعام في الإطلاق يتناول الحنطة وغيرها من المأكولات ولا يتناول اللحم؛ ألا ترى أن القائل إذا قال: أكلت اليوم طعاماً لم يسبِق الفهم منه إلى أكل اللحم، وأيضاً فانه معارَض بقوله ﷺ: «**إذا اختلف الجنسان فبيعوا كيف شئتم**» وهذان جنسان، وأيضاً فقد اتفقنا على جواز بيع اللحم بلحم الطير متفاضلاً لعلة أنه بَيْع طعام لا زكاة له بِيع بلحم ليس فيه الزكاة، كذلك بيع السمك بلحم الطير متفاضلاً.

الثانية - وأما الجراد فالمشهور عندنا جواز بيع بعضه ببعض متفاضلاً. وذكر عن سُحْنون أنه يمنع من ذلك، وإليه مال بعض المتأخرين ورآه مما يدّخر.

الثالثة - اختلف العلماء فيمن حلف ألا يأكل لحماً؛ فقال ابن القاسم: يحنَث بكل نوع من هذه الأنواع الأربعة.

وقال أشهب في المجموعة. لا يحنث إلا بأكل لحوم الأنعام دون الوحش وغيره، مراعاة للعرف والعادة، وتقديماً لها على إطلاق اللفظ اللغويّ، وهو أحسن.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.

طعم

(طَعَام - أُكل - رِزْق - زَاد - نُزُل - مِيرَة)

■ **الطَّعَامُ:** ما يتناول ساعة الأكل ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: 8].

■ **الأَكْل** - بالفتح: تناول المطعم: ﴿فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ [الصافات: 66].

■ **الأُكُل** - بالضم: كل ما يؤكل ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ﴾ [الرعد: 35].

■ **الرِّزْقُ:** طعام وجبة واحدة ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الكهف: 19].

■ **الزَّادُ:** الطعام المدّخر ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۖ﴾ [البقرة: 197].

■ **النُّزُلُ:** ما يقدم للضيف من طعام ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ [الصافات: 62]. . ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الواقعة: 56].

■ **المِيرَةُ:** عطاء الدولة المجاني ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ [يوسف: 65].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء والعين والميم أصلٌ مطَّرد منقاسٌ في تذوُّقِ الشَّيء. يقال: طَعِمْتُ الشيءَ طَعْماً. والطَّعام هو المأكول. وكان بعضُ أهلِ اللّغةِ يقول:

(1) معجم مقاييس اللغة.

الطَّعام هو البُرُّ خاصّة، وذكر حديث أبي سعيد: «**كُنّا نُخرج صدقةَ الفِطر على عهد رسول الله ﷺ، صاعاً من طعامٍ أو صاعاً من كذا**». ثم يُحمَلُ على باب الطعام استعارةً ما ليس من باب التذوُّق، فيقال: استطعَمَني فلانٌ الحديثَ، إذا أرادكَ على أن تحدِّثه. وفي الحديث: «**إذا استطعَمَكم الإمامُ فأطْعِمُوه**»، يقول: إذا أُرْتِجَ عليه واستَفْتَح فافتحُوا عليه. والإطعام يقع في كل ما يُطعَم، حتَّى الماء. قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ [البقرة: 249]. وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ في زمزم: «**إنّها طَعامُ طُعْم، وشِفاء سُقْم**»، وعِيب خالدُ بن عبد الله القسريّ بقوله: «**أطعِمُوني ماءً**»، وقال [بعضهم] في عيبه بذلك شعراً، وذلك عندنا ليس بعيب، لما ذكرناه. ويقال رجلٌ طاعم: حسن الحال في المَطْعَم.

ورجلٌ مِطْعامٌ: كثير القِرَى. وتقول: هو مُطعَم، إذا كان مرزوقاً. والطُّعْمة المأكُلة. وجَعَلْتُ هذه الضيعة لفلانٍ طعمة.

ويقال للإصبع الغليظة المتقدِّمة من الجارحة مُطعِمة؛ لأنَّها تُطعمه إذا صادَ بها. ويقولون إنَّ المطَعَّم من الإبل: الذي يوجد في مُخِّه طَعم الشحم من السِّمَن. ويقال للنَّخلة إذا أدركَ ثمرُها: قد أطعَمَتْ. والتَّطعُّم التذوُّق. يقال: «**تَطَعَّمْ تَطْعَم**»، أي ذُق الطعام تشتَهِهِ وتأكُلْه. ويقال: فلانٌ خبيث الطُّعمة، إذا كان رديء الكسب. ويقال: أُدْنُ فاطْعَم، فيقول: ما بي طُعْم، كما يقال من الشَّراب: ما بي شُرْب. ويقال شاةٌ طَعوم، إذا كان فيها بعضُ السِّمن.

قال الجوهري[1]: الطَّعامُ: ما يُؤكل، وربَّما خُصَّ بالطَّعامِ البُرُّ. والطَّعْمُ بالفتح ما يؤديه الذَّوق. يقال: طَعْمُهُ مُرٌّ. والطَّعْمُ أيضاً: ما يُشْتَهى منه. يقال: ليس له طَعْمٌ. وما فلان بذي طَعْمٍ، إذا كانَ غثًّا. والطُّعْمُ بالضم: الطَّعامُ.

قال ابن منظور[2]: الطَّعامُ: اسمٌ جامعٌ لكل ما يُؤكَلُ، وقد طَعِمَ يَطْعَمُ طُعْماً، فهو طاعِمٌ إذا أَكَلَ أَو ذاقَ، مثال غَنِمَ يَغْنَمُ غُنْماً، فهو غانِمٌ. وفي التنزيل:

---

(1) الصحاح في اللغة. (2) اللسان.

﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾ [الأحزاب: 53]. ويقال: فلان قَلَّ طُعْمُه أي أَكْلُه. ويقال: طَعِمَ يَطْعَمُ مَطْعَماً وإنه لَطَيّبُ المَطْعَمِ كقولك طَيِّبُ المَأْكَلِ.

المعنى المشترك لكلمة (ط ع م)

وقد وردت كلمة (طعم) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: الطعام: الذي يأكله الناس ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش: 4].

الوجه الثاني: الطعام: ذبائح أهل الكتاب ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [المائدة: 5].

الوجه الثالث: الطعام: مالح السمك ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعًا لَّكُمْ﴾ [الآية: 96].

الوجه الرابع: الطعام: الشراب ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ [البقرة: 249].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعًا لَّكُمْ﴾ [المائدة: 96].

قال الألوسي[1]: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ أيها المحرمون ﴿صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ أي ما يصاد في الماء بحراً كان أو نهراً أو غديراً وهو ما يكون توالده ومثواه في الماء مأكولاً كان أو غيره كما في «البدائع». ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ أي ما يطعم من صيده وهو عطف على ﴿صَيْدُ﴾ من عطف الخاص على العام. والمعنى أحل لكم التعرض لجميع ما

(1) روح المعاني.

يصاد في المياه والانتفاع به وأكل ما يؤكل منه وهو السمك عندنا وعند ابن أبي ليلى الصيد والطعام على معناهما المصدري وقدر مضافاً في صيد البحر وجعل ضمير ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ راجعاً إليه لا إلى البحر أي أحل لكم صيد حيوان البحر وأن تطعموه وتأكلوه فيحل عنده أكل جميع حيوانات البحر من حيث إنها حيواناته، وقيل: المراد بصيد البحر ما صيد ثم مات وبطعامه ما قذفه البحر ميتاً.

قال ابن عاشور[1]: ومعنى ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ إبقاء حلّيّته لأنّه حلال من قبلِ الإحرام. والخطاب في ﴿لَكُمْ﴾ للذين آمنوا. أي أحلّ لكم قتله، أي إمساكه من البحر.

والبحر يشمل الأنهار والأودية لأنّ جميعها يسمّى بحراً في لسان العرب. وصيد البحر: كلّ دوابّ الماء التي تصاد فيه، فيكون إخراجها منه سبب موتها قريباً أو بعيداً.

● **قال تعالى**: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ [البقرة: 249].

قال أبو السعود[2]: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي ابتدأ شُربه من النهر بأن كرَع لأنه الشرب منه حقيقة ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي من جُملتي وأشياعي المؤمنين وقيل: ليس بمتصلٍ بي ومتحدٍ معي من قولهم: فلان مني كأنه بعضُه لكمال اختلاطِهما ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ أي لم يذُقه من طعِم الشيءَ إذا ذاقه مأكولاً كان أو مشروباً أو غيرَهما.

قال الخازن[3]: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي فليس من أهل ديني وطاعتي ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ أي لم يذقه يعني الماء ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ يعني من أهل طاعتي.

---

(1) التحرير والتنوير.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) لباب التأويل.

● **قال تعالى:** ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ [المائدة: 93].

قال الفخر الرازي[1]: وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: روي أنه لما نزلت آية تحريم الخمر قالت الصحابة: إن إخواننا كانوا قد شربوا الخمر يوم أحد ثم قتلوا فكيف حالهم، فنزلت هذه الآية والمعنى: لا إثم عليهم في ذلك لأنهم شربوها حال ما كانت محللة، وهذه الآية مشابهة لقوله تعالى في نسخ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: 143] أي إنكم حين استقبلتم بيت المقدس فقد استقبلتموه بأمري فلا أضيع ذلك، كما قال: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰۖ﴾ [آل عمران: 195].

المسألة الثانية: الطعام في الأغلب من اللغة خلاف الشراب، فكذلك يجب أن يكون الطُّعْمُ خلاف الشرب، إلا أن اسم الطعام قد يقع على المشروبات، كما قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ [البقرة: 249] وعلى هذا يجوز أن يكون قوله: ﴿جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ أي شربوا الخمر، ويجوز أن يكون معنى الطُّعْمُ راجعاً إلى التلذذ بما يؤكل ويشرب، وقد تقول العرب: تطعم تطعم أي ذق حتى تشتهي وإذا كان معنى الكلمة راجعاً إلى الذوق صلح للمأكول والمشروب معاً.

المسألة الثالثة: زعم بعض الجهال أنه تعالى لما بيّن في الخمر أنها محرّمة عندما تكون موقعة للعداوة والبغضاء وصادة عن ذكر الله وعن الصلاة، بيّن في هذه الآية أنه لا جناح على من طعمها إذا لم يحصل معه شيء من تلك المفاسد، بل حصل معه أنواع المصالح من الطاعة والتقوى، والإحسان إلى الخلق. قالوا: ولا يمكن حمله على أحوال من شرب الخمر قبل نزول آية التحريم، لأنه لو كان المراد ذلك لقال: ما كان جناح على الذين طعموا، كما ذكر مثل ذلك في آية

---

(1) التفسير الكبير.

تحويل القبلة فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: 143] ولكنه لم يقل ذلك، بل قال: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ﴾ إلى قوله: ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 93] ولا شك أن إذا للمستقبل لا للماضي. واعلم أن هذا القول مردود بإجماع كل الأمة وقولهم: إن كلمة إذا للمستقبل لا للماضي.

فجوابه ما روى أبو بكر الأصم: أنه لما نزل تحريم الخمر، قال أبو بكر: يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار وكيف بالغائبين عنا في البلدان لا يشعرون أن الله حرّم الخمر وهم يطعمونها، فأنزل الله هذه الآيات، وعلى هذا التقدير فالحل قد ثبت في الزمان المستقبل عن وقت نزول هذه الآية لكن في حق الغائبين الذين لم يبلغهم هذا النص.

المسألة الرابعة: أنه تعالى شرط لنفي الجناح حصول التقوى والإيمان مرتين وفي المرة الثالثة حصول التقوى والإحسان واختلفوا في تفسير هذه المراتب الثلاث على وجوه قال الأكثرون: الأول: عمل الاتقاء، والثاني: دوام الاتقاء والثبات عليه، والثالث: اتقاء ظلم العباد مع ضم الإحسان إليه.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [الدخان: 43-44].

قال الطبري[1]: يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ التي أخبر أنها تَنْبُت في أصل الجحيم، التي جعلها طعاماً لأهل الجحيم، ثمرها في الجحيم طعام الآثم في الدنيا بربه، والأثيم: ذو الإثم، والإثم من أثم يأثم فهو أثيم. وعنى به في هذا الموضع: الذي إثمه الكفر بربه دون غيره من الآثام. وقد:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن همام بن الحارث، أن أبا الدرداء كان يُقرىء رجلاً

(1) جامع البيان.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤﴾ فقال: طعام اليتيم، فقال أبو الدرداء: قل إن شجرة الزقوم طعام الفاجر.

عن ابن عباس قال: «لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت إلى الدنيا، لأفسدت على الناس معايشهم».

قال الزمخشري(1): قرىء: «إنّ شجرت الزقوم» بكسر الشين، وفيها ثلاث لغات: شجرة، بفتح الشين وكسرها وشيرة، بالياء. وروى أنه لما نزل: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ [**الصافات: 62**] قال ابن الزبعرىٰ: إنّ أهل اليمن يدعون أكل الزبد والتمر: التزقم، فدعا أبو جهل بتمر وزبد فقال: تزقموا فإنّ هذا هو الذي يخوّفكم به محمد، فنزل: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤﴾ وهو الفاجر الكثير الآثام. وعن أبي الدرداء أنه كان يقرىء رجلاً فكان يقول طعام اليثيم، فقال: قل طعام الفاجر يا هذا. وبهذا يستدل على أنّ إبدال كلمة مكان كلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها. ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة، وهي: أن يؤدي القارىء المعاني على كمالها من غير أن يخرم منها شيئاً. قالوا: وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة؛ لأنّ في كلام العرب خصوصاً في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها، وما كان أبو حنيفة رحمه الله يحسن الفارسية، فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر، وروى علي بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول صاحبيه في إنكار القراءة بالفارسية.

● **قال تعالى**: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾ [الأحزاب: **53**].

قال الشوكاني(2): ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾ أمرهم سبحانه بالانتشار بعد الطعام، وهو التفرّق، والمراد الإلزام بالخروج من المنزل الذي وقعت الدعوة إليه عند انقضاء المقصود من الأكل.

---

(1) الكشاف. (2) فتح القدير.

قال ابن كثير[1]: عن أنس بن مالك قال: بنى النبي ﷺ زينب بنت جحش بخبز ولحم، فأرسلت على الطعام داعياً، فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون، فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه، فقلت: يا رسول الله ما أجد أحداً أدعوه، قال: «**ارفعوا طعامكم**»، وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت، فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال: «**السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته**» قالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك يا رسول الله؟ بارك الله لك؟ فتقرى حجر نسائه كلهن، يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة، ثم رجع النبي ﷺ فإذا ثلاثة رهط في البيت يتحدثون، وكان النبي ﷺ شديد الحياء، فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة، فما أدري أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا، فرجع حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخله، والأخرى خارجة، أرخى الستر بيني وبينه، وأنزل آية الحجاب. انفرد به البخاري من بين أصحاب الكتب الستة سوى النسائي في اليوم والليلة من حديث عبد الوارث، ثم رواه عن إسحاق، هو ابن منصور، عن عبد الله بن بكر السهمي عن حميد عن أنس بنحو ذلك، وقال رجلان: انفرد به من هذا الوجه، وقد تقدم في أفراد مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: 36].

قال البيضاويّ[2]: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ غسالة أهل النار وصديدهم فعلين من الغسل.

قال البغوي[3]: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾، وهو صديد أهل النار، مأخوذ من الغسل، كأنه غُسالة جروحهم وقروحهم. قال الضحاك والربيع: هو شجر يأكله أهل النار.

(1) تفسير ابن كثير.
(2) أنوار التنزيل.
(3) معالم التنزيل.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: 3].

قال ابن عطية[1]: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ أي لا يأمر بصدقة ولا يرى ذلك صواباً، ويروى أن هذه السورة نزلت في بعض المضطرين في الإسلام بمكة الذين لم يحققوا فيه وفتنوا فافتتنوا، وكانوا على هذه الخلق من الغشم وغلظ العشرة والفظاظة على المسلمين.

قال القاسمي[2]: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ أي: لا يحث غيره من ذوي اليسار على إطعام المحتاج وسد خلته. بل يبخل بسعيه عند الأغنياء لإغاثة البؤساء.

قال الشهاب: إن كان الطعام بمعنى الإطعام، كما قاله الراغب، فهو ظاهر. وإلا ففيه مضاف مقدر. أي: بذل طعام المسكين. واختياره على الإطعام للإشعار بأنه كان مالك لما يعطي له كما في قوله: ﴿فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج: 24-25] فهو بيان لشدة الاستحقاق. وفيه إشارة للنهي عن الامتنان، قال أبو السعود: وإذا كان حال من ترك حث غيره على ما ذكر، فما ظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة؟.

● **قال تعالى:** ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾ [الكهف: الآية 77].

قال الألوسي[3]: يفهم من مجموع الآيات أن الخضر عليه السلام فعل ما فعل في قرية مذموم أهلها وقد تقدم منهم سوء صنيع من الإباء عن حق الضيف مع طلبه وللبقاع تأثير في الطباع ولم يهم فيها مع أنها حرية بالإفساد والإضاعة بل باشر الإصلاح لمجرد الطاعة ولم يعبأ عليه السلام بفعل أهلها اللئام. ويضاف إلى ذلك من الفوائد أن الأهل الثاني يحتمل أن يكون هم الأولون أو غيرهم أو منهم ومن

---

(1) المحرر الوجيز.
(2) محاسن التأويل.
(3) روح المعاني.

غيرهم، والغالب أن من أتى قرية لا يجد جملة أهلها دفعة بل يقع بصره أولاً على البعض ثم قد يستقريهم فلعل هذين العبدين الصالحين لما أتيا قدر الله تعالى لهما استقراء الجميع على التدريج ليتبين به كمال رحمته سبحانه وعدم مؤاخذته تعالى بسوء صنيع بعض عباده، ولو قيل استطعماهم تعين إرادة الأولين فأتى بالظاهر إشعاراً بتأكيد العموم فيه وأنهما لم يتركا أحداً من أهلها حتى استطعماه وأبى ومع ذلك قوبلوا بأحسن الجزاء، فانظر إلى هذه الأسرار كيف احتجبت عن كثير من المفسرين تحت الأستار حتى أن بعضهم لم يتعرض لشيء، وبعضهم ادعى أن ذلك تأكيد، وآخر زعم ما لا يعول عليه حتى سمعت عن شخص أنه قال: إن العدول عن استطعماهم لأن اجتماع الضميرين في كلمة واحدة مستثقل وهو قول يحكي ليرد فإن القرآن والكلام الفصيح مملوء من ذلك ومنه ما يأتي في الآية. ومن تمام الكلام فيما ذكر أن استطعما إن جعل جواباً فهو متأخر عن الإتيان وإذا جعل صفة احتمل أن يكون الإتيان قد اتفق قبل هذه المرة وذكر تعريفاً وتنبيهاً على أنه لم يحملهما على عدم الإتيان لقصد الخير.

قال الشعراوي(1): استطعم: أي طلب الطعام، وطلَبُ الطعام هو أصدق أنواع السؤال، فلا يسأل الطعام إلا جائع محتاج، فلو سأل مالاً لقلنا: إنه يدخره، إنما الطعام لا يعترض عليه أحد، ومنْعُ الطعام عن سائله دليل بُخْل ولُؤْم متأصل في الطباع، وهذا ما حدث من أهل هذه القرية التي مَرّا بها وطلبَا الطعام فمنعوهما.

● **قال تعالى**: ﴿وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ﴾ [الأنعام: 14].

قال الفخر الرازي(2): ﴿وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ﴾ أي وهو الرازق لغيره ولا يرزقه أحد. فإن قيل: كيف فسرت الإطعام بالرزق؟ وقد قال تعالى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾ [الذاريات: 57] والعطف يوجب المغايرة.

---

(1) تفسير الشعراوي. (2) التفسير الكبير.

قلنا لا شك في حصول المغايرة بينهما، إلا أنه قد يحسن جعل أحدهما كناية عن الآخر لشدة ما بينهما من المقاربة والمقصود من الآية: أن المنافع كلها من عنده، ولا يجوز عليه الانتفاع. وقرئ (ولا يطعم) بفتح الياء، وروى ابن المأمون عن يعقوب ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ على بناء الأول للمفعول والثاني للفاعل، وعلى هذا التقدير: فالضمير عائد إلى المذكور في قوله: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ﴾ وقرأ الأشهب ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ على بنائهما للفاعل. وفسر بأن معناه: وهو يطعم ولا يستطعم. وحكى الأزهري: أطعمت بمعنى استطعمت.

ويجوز أن يكون المعنى: وهو يطعم تارة لا يطعم أخرى على حسب المصالح كقوله: وهو يعطي ويمنع، ويبسط ويقدر، ويغني ويفقر.

وأعلم أن المذكور في صدر الآية هو المنع من اتخاذ غير الله تعالى ولياً. واحتج عليه بأنه فاطر السماوات والأرض وبأنه يطعم ولا يطعم. ومتى كان الأمر كذلك امتنع اتخاذ غيره ولياً. أما بيان أنه فاطر السماوات والأرض، فلأنا بينا أن ما سوى الواحد ممكن لذاته، والممكن لذاته لا يقع موجوداً إلا بإيجاد غيره، فنتج أن ما سوى الله فهو حاصل بإيجاده وتكوينه. فثبت أنه سبحانه هو الفاطر لكل ما سواه من الموجودات. وأما بيان أنه يطعم ولا يطعم فظاهره لأن الإطعام عبارة عن إيصال المنافع، وعدم الاستطعام عبارة عن عدم الانتفاع. ولما كان هو المبديء تعالى وتقدس لكل ما سواه، كان لا محالة هو المبدىء لحصول جميع المنافع. ولما كان واجباً لذاته كان لا محالة غنياً ومتعالياً عن الانتفاع بشيء آخر فثبت بالبرهان صحة أنه تعالى فاطر السماوات والأرض، وصحة أنه يطعم ولا يطعم، وإذا ثبت هذا امتنع في العقل اتخاذ غيره ولياً لأن ما سواه محتاج في ذاته وفي جميع صفاته وفي جميع ما تحت يده. والحق سبحانه هو الغني لذاته الجواد لذاته، وترك الغني الجواد، والذهاب إلى الفقير المحتاج ممنوع عنه في صريح العقل.

● **قال تعالى:** ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: 36].

قال الشوكاني[1]: ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ هذا الأمر قيل: هو للندب كالأوّل، وبه قال مجاهد والنخعي وابن جرير وابن سريج. وقال الشافعي وجماعة: هو للوجوب. واختلف في القانع من هو؟ فقيل: هو السائل، يقال: قنع الرجل بفتح النون يقنع بكسرها إذا سأل، ومنه قول الشماخ:

لمال المرء يصلحه فيغني   مفاقره أعفّ من القنوع

أي السؤال، وقيل: هو المتعفف عن السؤال المستغني ببلغة، ذكر معناه الخليل. قال ابن السكيت: من العرب من ذكر القنوع بمعنى القناعة، وهي الرضا والتعفف وترك المسألة. وبالأوّل قال زيد بن أسلم وابنه وسعيد بن جبير والحسن، وروي عن ابن عباس. وبالثاني قال عكرمة وقتادة. وأما المعترّ، فقال محمد بن كعب القرظي ومجاهد وإبراهيم والكلبي والحسن: أنه الذي يتعرّض من غير سؤال.

وقيل: هو الذي يعتريك ويسألك. وقال مالك: أحسن ما سمعت أن القانع: الفقير، والمعترّ: الزائر. وروي عن ابن عباس: أن كليهما الذي لا يسأل، ولكن القانع الذي يرضى بما عنده ولا يسأل، والمعترّ الذي يتعرّض لك ولا يسألك.

● **قال تعالى:** ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا﴾ [الإنسان: 8].

قال ابن عاشور[2]: خصص الإطعام بالذكر لما في إطعام المحتاج من إيثاره على النفس كما أفاد قوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾. والتصريح بلفظ الطعام مع أنه معلوم من فعل ﴿وَيُطْعِمُونَ﴾ توطئةٌ ليبنى عليه الحال وهو ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ فإنه لو قيل: ويطعمون مسكيناً ويتيماً وأسيراً لفات ما في قوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ من معنى إيثار المحاويج على النفس، على أن ذكر الطعام بعد ﴿وَيُطْعِمُونَ﴾ يفيد تأكيداً مع استحضار هيئة الإطعام

(1) فتح القدير.
(2) التحرير والتنوير.

حتى كأنَّ السامع يشاهد الهيئة. و﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ في موضع الحال من ضمير ﴿وَيُطْعِمُونَ﴾. و﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى (مع)، وضمير ﴿حُبِّهِۦ﴾ راجع للطعام، أي يطعمون الطعام مصحوباً بحبه، أي مصاحباً لحبهم إياه وحب الطعام هو اشتهاؤه. فالمعنى: أنهم يطعمون طعاماً هم محتاجون إليه.

وذكر القرطبي عن الثعلبي: قال أبو سعيد الخدري «قرأ رسول الله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: الآية 8] فقال: المسكينُ الفقير، واليتيم: الذي لا أب له، والأسير: المملوك والمسجون». ولم أقف على سند هذا الحديث.

وبهذا تعلم أن لا شاهد في هذه الآية لجعل السورة نزلت بالمدينة وفي الأسارى الذين كانوا في أسر المسلمين في غزوة بدر.

وجُملة ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ إلى آخرها مقول قول محذوف تقديره: يقولون لهم، أي للذين يُطعمونهم فهو في موضع الحال من ضمير ﴿وَيُطْعِمُونَ﴾، وجملة: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: الآية 9] مبيِّنة لمضمون جملة ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: الآية 9].

قال أبو السعود(1): ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي كائنينَ على حُبِّ الطَّعامِ والحاجةِ إليهِ كما في قولِه تعالَى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92] أي على حُبِّ الإطعامِ بأنْ يكونَ ذلكَ بطيبِ النفسِ أو كائنينَ على حُبِّ الله تعالَى أو إطعاماً كائناً على حُبِّه تعالَى وهُو الأنسبُ لما سيأتِي من قولِه تعالَى لوجهِ الله.

(1) إرشاد العقل السليم.

طعن

(طَعَن - خَبَط - جلَد - ضَرب - صَكّ - وَكز)

■ **الطَّعْنُ:** الضرب بالرمح وبالقرن وما يجري مجراهما ﴿وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ [النساء: 46].

■ **الخَبْطُ:** ضرب الشيء على غير استواء ﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: 275].

■ **الجَلْدُ:** ضرب الشيء بالجلد ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: 4].

■ **الضَّرْبُ:** ضرب الشيء بشيء يحدث صوتاً ﴿اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ [الأعراف: 160].

■ **الصَّكُّ:** ضرب الشيء بكلتا اليدين معاً ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: 29].

■ **الوَكْزُ:** ضرب الشيء بالعكس (أي مؤخرة اليد) بقوة ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: 15].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء والعين والنون أصلٌ صحيحٌ مطَّرد، وهو النَّخْس في الشَّيءِ بما يُنْفِذُهُ، ثمّ يُحْمَل عليه ويستعار. من ذلك الطَّعْن بالرُّمح. ويقال:

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

تطاعن القوم واطَّعَنوا، وهم مطاعينُ في الحرب. ورجلٌ طَعّان في أعراض الناس. وفي الحديث: «**لا يكون المؤمن طعَّاناً**»، وحَكَى بعضُهم: طعنتُ في الرَّجُل طَعَناناً لا غير، كأنَّهُ فَرَقَ بينه وبين الطَّعَن بالرُّمح. وطعن في المفازة: ذهب. وقال بعضهم: طعن بالرُّمح يطعُن بالضمِّ، وطعن بالقول يطْعَن، فتحاً.

قال الجوهري(1): طَعَنَهُ بالرمح. وطَعَن في السنّ يَطْعُنُ بالضم طَعْناً. وطَعَنَ فيه بالقول يَطْعُنُ أيضاً طَعْناً وطَعَناناً.

وطَعَنَ في المفازة يَطْعُنُ ويَطْعَنُ أيضاً، أي ذهب. والفرس يَطْعُنُ في العنانُ، إذا مدَّهُ وتبسَّط في السير.

وفي الحديث: «لا يكون المؤمنُ طَعَّاناً» أي وَقَّاعاً في أَعراض الناس بالذم والغيبة ونحوهما، وهو فَعَّال من طَعَن فيه وعليه بالقول يَطْعَن، بالفتح والضم، إذا عابه، ومنه الطَّعْنُ في النَّسَب؛ ومنه حديث رَجَاء بن حَيْوَة: لا تُحَدِّثْنا عن مُتَهارِتٍ ولا طَعَّانٍ.

قال الراغب(2): الطعن: الضرب بالرمح وبالقرن وما يجري مجراهما، وتطاعنوا، واطعنوا، واستعير للوقيعة. قال تعالى: ﴿وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ﴾ [النساء: 46]، ﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [التوبة: 12].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ﴾ [النساء: 46].

قال أبو السعود(3): ﴿وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ﴾ أي قدحاً فيه بالاستهزاءِ والسُّخريةِ،

(1) الصحاح في اللغة.
(2) مفردات الراغب.
(3) إرشاد العقل السليم.

وانتصابُهما على التعليل ليقولون باعتبار تعلّقِه بالقولين الأخيرين أي يقولون ذلك لصرف الكلامِ عن وجهه إلى السب والطعن في الدين، أو على الحالية أي لاوِينَ طاعِنين في الدين.

قال القرطبي[1]: ﴿وَطَعْنًا﴾ معطوف عليه أي يطعنون في الدّين، أي يقولون لأصحابهم لو كان نبِيًّا لدَرَى أننا نَسُبُّه، فأظهر الله تعالى نبيّه على ذلك فكان من علامات نبوته، ونهاهم عن هذا القول.

قال البيضاويّ[2]: ﴿وَطَعْنًا فِي ٱلدِّينِۚ﴾ استهزاء به وسخرية.

● **قال تعالى**: ﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ [التوبة: 12].

قال الألوسي[3]: ﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ قدحوا فيه بأن أعابوه وقبحوا أحكامه علانية. وجعل ابن المنير طعن الذمي في ديننا بين أهل دينه إذا بلغنا كذلك، وعد هذا كثير ومنهم الفاضل المذكور نقضاً للعهد، فالعطف من عطف الخاص على العام وبه ينحل ما يقال: كان الظاهر أو طعنوا لأن كلا من الطعن وما قبله كاف في استحقاق القتل والقتال، وكون الواو بمعنى أو بعيد، وقيل: العطف للتفسير كما في قولك: استخف فلان بي وفعل معي كذا، على معنى وإن نكثوا إيمانهم بطعنهم في دينكم والأول أولى، ولا فرق بين توجيه الطعن إلى الدين نفسه إجمالاً وبين توجيهه إلى بعض تفاصيله كالصلاة والحج مثلا، ومن ذلك الطعن بالقرآن وذكر النبي ﷺ وحاشاه بسوء فيقتل الذمى به عند جمع مستدلين بالآية سواء شرط انتقاض العهد به أم لا. وممن قال بقتله إذا أظهر الشتم والعياذ بالله مالك والشافعي وهو قول الليث وأفتى به ابن الهمام، والقول بأن أهل الذمة يقرون على كفرهم الأصلي بالجزية وذا ليس بأعظم منه فيقرون عليه بذلك أيضاً وليس هو من الطعن المذكور في شيء ليس من الإنصاف في شيء، ويلزم

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) أنوار التنزيل.
(3) روح المعاني.

عليه أن لا يعزروا أيضاً كما لا يعزرون بعد الجزية على الكفر الأصلي، وقال بعضهم: إن الآية لا تدل على ما ادعاه الجمع بفرد من الدلالات وإنها صريحة في أن اجتماع النكث والطعن يترتب عليه ما يترتب فكيف تدل على القتل بمجرد الطعن وفيه ما فيه. ولا يخفى حسن موقع الطعن من القتال المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ [التوبة: 12].

قال ابن عاشور[1]: وذكر طعنهم في دين المسلمين ينبىء بأنّ ذلك الطعن كان من دأبهم في مدّة المعاهدة، فأريد صدّهم عن العَود إليه. ولم أقف على أنّه كان مشروطاً على المشركين في عقود المصالحة والمعاهدة مع المسلمين أن لا يطعنوا في الإسلام، في غير هذه الآية، فكانَ هذا شرطاً عليهم من بعد، لأنّ المسلمين أصبحوا في قوة.

(1) التحرير والتنوير.

طغى

(طَغى - تَكبَّر - عَتى - جبَر - قَهر - أكْرَه)

■ **الطُّغْيَانُ:** تجاوز الحد في العصيان ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [النازعات: 17].

■ **التَّكَبُّرُ:** إعجاب الإنسان بنفسه واستصغار الآخر ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ [الأعراف: 75].

■ **العُتُوُّ:** الامتناع عن الطاعة بخشونة ﴿بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: 21].

■ **الجَبْرُ:** الجبار - في صفة الله - المقتدر الذي يفرض ما يشاء على عباده بالحكمة ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: 23].

والجبار في صفة المخلوقين ذم ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: 15].

■ **القَهْرُ:** في حق الله: القهار الغالب لمن ناوأه وكرهه أو عصاه ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: 18].

وفي حق العبد الإذلال ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: 9].

■ **الإِكْرَاهُ:** إجبار الآخر على شيء يكرهه ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ [النور: 33].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء والغين والحرف المعتل أصلٌ صحيح منقاس، وهو مجاوَزَة الحدِّ في العِصيان. يقال هو طاغٍ. وطَغَى السّيلُ، إذا جاء بماءٍ كثير. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الحاقة: 11]، يريد والله أعلم خروجَه عن المقدار. وطَغَى البحر: هاجت أمواجُه. وطغى الدَّمُ: تبيَّغ. قال الخليل: «الطُّغْيان والطُّغْوان لغة». والفعل منه طَغَيْتُ وطَغَوت. وممّا شذَّ عن هذا الأصل قولهم إنَّ الطَّغْيَة: الصَّفاة المَلْساء.

قال الأزهري[2]: الطُّغْيانُ والطُّغْوانُ لغةٌ فيه، والطَّغْوَى بالفتح مثلُه، والفِعْل طَغَوْت وطَغَيْت، والاسم الطَّغْوَى. ابن سيده: طَغَى يَطْغى طَغْياً ويَطْغُو طُغْياناً جاوَزَ القَدْرَ وارتفع وغَلا في الكُفْرِ. وفي حديث وَهْبٍ: إنَّ لِلْعِلْم طُغْياناً كطُغْيانِ المَالِ، أَي يَحْمِل صاحِبَه على التَّرَخُّص بما اشْتَبَه منه إِلى ما لا يَحِلُّ له، ويَتَرَفَّع به على مَنْ دُونَه، ولا يُعْطي حَقَّه بالعَمَلِ به كما يَفْعَلُ رَبُّ المالِ. وكلُّ مجاوز حدَّه في العِصْيانِ طَاغٍ. قال ابنَ سيده: طَغَوْتُ أَطْغُو وأَطْغَى طُغُوًّا كَطَغَيْت، وطَغْوَى فَعْلى منهما. وقال الفراء منهما في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ [الشمس: 11]، قال: أَراد بطُغْيانِها، وهما مصدَران إِلّا أَنَّ الطَّغْوَى أَشكل برُؤُوس الآيات فاخْتير لذلك أَلا تراه قال: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [يونس: 10] معناهُ وآخِرُ دُعائِهِمْ. وقال الزَّجّاج: أَصل طَغْواها طَغْياهَا، وفَعْلى إِذا كانت من ذواتِ الياءِ أُبْدِلَتْ في الاسم واواً ليُفْصَل بين الاسم والصِّفَةِ، تقول هي التَّقْوَى، وإِنما هي من تَقَيْتُ، وهي البَقْوَى من بَقيت. وقالوا: امرأَةٌ خَزْيا لأَنه صِفَة. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: 110]. وطَغِيَ يَطْغَى مِثْلُه. وأَطْغاهُ المالُ أَي جَعَلَه طاغِياً. وقوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: 5]؛

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) تهذيب اللغة، معاني القرآن، المتخصص، اللسان.

قال الزجاجُ: الطَّاغِيَةُ طُغْيانُهُم اسم كالعاقِبَةِ والعافِيَة. وقال قَتادة: بَعَثَ اللهُ عليهم صيحةً، وقيل: أُهْلِكُوا بالطاغيةِ أي بصيحة العذابِ، وقيل أُهْلِكوا بالطاغية أي بطُغْيانهم.

قال الفيروزآبادي[1]: طَغِيَ، كَرَضِيَ، طَغْياً وطُغْياناً، بالضم والكسر: جاوَزَ القَدْرَ، وارْتَفَعَ، وغَلا في الكُفْرِ، وأسْرَفَ في المَعاصِي والظُّلْم، وطغي الماءُ: ارْتَفَعَ، وطغي الدَّمُ: تَبَيَّغَ، وطغي البَقَرَةُ: صاحَتْ. وطَغْيا: عَلَمٌ لِبَقَرَةِ الوَحْشِ. والطَّغَى: الصَّوْتُ. والطَّغْيَةُ: نُبْذَةٌ من كلِّ شيءٍ، والمُسْتَصْعَبُ من الجَبَلِ، والصَّفاةُ المَلْساءُ. والطاغِيَةُ: الجَبَّارُ، والأحْمَقُ المُتَكَبِّرُ، والصاعِقَةُ، ومَلِكُ الرُّومِ.

1 – المعنى المشترك لكلمة (ط غ ى)

وقد وردت كلمة (طغى) في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

الوجه الأول: الطغيان: الضلال ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: 15].

الوجه الثاني: الطغيان: العصيان ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: 24].

الوجه الثالث: الطغيان: الارتفاع والكثرة ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: 11].

الوجه الرابع: طغى: أي ظلم وكفر ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِي ٱلْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: 8].

2 – المعنى المشترك لكلمة (ط غ ى – الطاغوت)

وقد وردت كلمة (طغى) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: الطاغوت: الشيطان ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ [البقرة: 256].

الوجه الثاني: الطاغوت: الأوثان ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر: 17].

---

(1) القاموس المحيط.

الوجه الثالث: الطاغوت: كعب بن الأشرف ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [البقرة: 257]. . يعني كعب بن الأشرف.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [البقرة: 15].

قال الشعراوي(1): أي: يزيدهم في هذا الطغيان، لأن المدَّ هو أن تزيد الشيء، ولكن مرة تزيد في الشيء من ذاته، ومرة تزيد عليه من غيره، قد تأتي بخيط وتفرده إلى آخره، وقد تصله بخيط آخر، فتكون مددته من غيره، فالله يزيدهم في طغيانهم.

● **قال تعالى**: ﴿إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا﴾ [الإسراء: 60].

قال أبو السعود(2): ﴿إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا﴾ متجاوزاً عن الحد فلو أُرسلنا بما اقترحوه من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها، وفُعل بهم ما فعل بأشياعهم وقد قضينا بتأخير العقوبةِ العامة لهذه الأمةِ إلى الطامة الكبرى. هذا هو الذي يستدعيه النظمُ الكريمُ وقد حمل أكثرُ المفسرين الإحاطةَ على الإحاطة بالقدرة تسليةً لرسول الله ﷺ عما عسى يعتريه من عدم الإجابةِ إلى إنزال الآياتِ التي اقترحوها لأن إنزالها ليس بمصلحة من نوع حزنٍ من طعْن الكفرةِ حيث كانوا يقولون: لو كنتَ رسولاً حقاً لأتيت بهذه المعجزات كما أتى بها موسى وغيرُه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فكأنه قيل: اذكر وقتَ قولِنا لك: إن ربك اللطيفَ بك قد أحاط بالناس فهم في قبضة قدرتِه لا يقدرون على الخروج من مشيئته فهو يحفَظُك

(1) تفسير الشعراوي.
(2) إرشاد العقل السليم.

منهم فلا تهتمَّ بهم وامضِ لما أمرتُك به من تبليغ الرسالةِ، ألا ترى أن الرؤيا التي أريناك من قبلُ جعلناها فتنةً للناس مُورثةً للشبهة مع أنها ما أورثت ضَعفاً لأمرك وفتوراً في حالك، وقد فُسر الإحاطةُ بإهلاك قريشٍ يوم بدر، وإنما عبر عنه بالماضي مع كونه منتظَراً حسبما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: 45] وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [آل عمران: 12] وغيرُ ذلك جرياً على عادته سبحانه في أخباره، وأُوّلت الرؤيا بما رآه عليه الصلاة والسلام في المنام من مصارعهم. لما رُوي «أنه عليه الصلاة والسلام لما ورد ماءَ بدرٍ قال: «والله لكأني أنظرُ إلى مصارع القوم - وهو يومىء إلى الأرض - هذا مصرَعُ فلان وهذا مصرعُ فلان»» فتسامعت به قريش فاستسخروا منه، وبما رآه عليه الصلاة والسلام أنه سيدخل مكةَ وأخبر به أصحابَه فتوجه إليها فصده المشركون عامَ الحديبية واعتذر عن كون ما ذكر مدنياً بأنه يجوز أن يكون الوحيُ بإهلاكهم، وكذا الرؤيا واقعاً بمكة وذكرُ الرؤيا وتعيينُ المَصارعِ واقعَين بعد الهجرة. وأنت خبيرٌ بأنه يلزم منه أن يكون افتتانُ الناسِ بذلك واقعاً بعد الهجرة وأن يكون ازديادُهم طغياناً متوقعاً غيرَ واقعٍ عند نزول الآية، وقد قيل: الرؤيا ما رآه عليه الصلاة والسلام في وقعة بدر من مضمون قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ [الأنفال: 43] ولا ريب في أن تلك الرؤيا مع وقوعها في المدينة ما جُعلت فتنة للناس.

قال الشوكاني[1]: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 60] أي: نخوّفهم بالآيات فما يزيدهم التخويف إلّا طغياناً متجاوزاً للحد، متمادياً غاية التمادي، فما يفيدهم إرسال الآيات إلّا الزيادة في الكفر، فعند ذلك نفعل بهم ما فعلناه بمن قبلهم من الكفار، وهو عذاب الاستئصال، ولكنا قد قضينا بتأخير العقوبة.

(1) فتح القدير.

● **قال تعالى:** ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: 80].

قال الفخر الرازي[1]: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ الخشية بمعنى الخوف وغلبة الظن والله تعالى قد أباح له قتل من غلب على ظنه تولد مثل هذا الفساد منه، وقوله: ﴿أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا﴾ فيه قولان: الأول: أن يكون المراد أن ذلك الغلام يحمل أبويه على الطغيان والكفر كقوله: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾ [الكهف: 73] أي لا تحملني على عسر وضيق وذلك لأن أبويه لأجل حب ذلك الولد يحتاجان إلى الذب عنه، وربما احتاجا إلى موافقته في تلك الأفعال المنكرة. والثاني: أن يكون المعنى أن ذلك الولد كان يعاشرهما معاشرة الطغاة الكفار، فإن قيل: هل يجوز الإقدام على قتل الإنسان لمثل هذا الظن؟ قلنا: إذا تأكد ذلك الظن بوحي الله جاز ثم قال تعالى: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ [الكهف: 81].

قال الزمخشري[2]: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ فخفنا أن يغشى الوالدين المؤمنين طغياناً عليهما، وكفراً لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه، ويلحق بهما شراً وبلاء، أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره، فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر. أو يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدّا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الإيمان وإنما خشي الخضر منه ذلك؛ لأن الله تعالى أعلمه بحاله وأطلعه على سرّ أمره. وأمره إياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته. وفي قراءة أبيّ: «فخاف ربك» والمعنى: فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره. ويجوز أن يكون قوله: ﴿فَخَشِينَآ﴾ حكاية لقول الله تعالى، بمعنى: فكرهنا، كقوله﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ [مريم: 19].

● **قال تعالى:** ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه: 45].

---

(1) التفسير الكبير.
(2) الكشاف.

قال القرطبي[1]: قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ قال الضحاك: ﴿يَفْرُطَ﴾ يَعْجَل. قال: و﴿يَطْغَىٰ﴾ يعتدي. النحاس: التقدير نخاف أن يفرط علينا منه أمر، قال الفراء: فَرَط منه أمرٌ أي بدر؛ قال: وأفرط أسرف. قال: وفرَّط ترك. وقراءة الجمهور «يَفْرُطَ» بفتح الياء وضم الراء، ومعناه يَعْجَل ويبادر بعقوبتنا. يقال: فَرَط مني أمرٌ أي بدر؛ ومنه الفارط في الماء الذي يتقدم القوم إلى الماء. أي يعذّبنا عذاب الفارط في الذنب وهو المتقدم فيه؛ قاله المبرّد. وقرأت فرقة منهم ابن محيصن «يَفْرَطُ» بفتح الياء والراء؛ قال المهدوي: ولعلها لغة. وعنه أيضاً بضم الياء وفتح الراء ومعناها أن يحمله حامل على التسرع إلينا. وقرأت طائفة «يُفْرِط» بضم الياء وكسر الراء؛ وبها قرأ ابن عباس ومجاهد وعكرمة وابن محيصن أيضاً. ومعناه يشطط في أذيتنا.

● **قال تعالى:** ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ [ص: 55].

قال ابن كثير[2]: لما ذكر تبارك وتعالى مآل السعداء، ثنى بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم في دار معادهم وحسابهم، فقال عز وجل: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ وهم الخارجون عن طاعة الله عز وجل، المخالفون لرسل الله ﷺ ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ أي: لسوء منقلب ومرجع.

قال ابن عطية[3]: التقدير: الأمر هذا، ويحتمل أن يكون التقدير: هذا واقع ونحوه. والطاغي: المفرط في الشر، مأخوذ من طغا يطغى، والطغيان هنا في الكفر. و«المآب»: المرجع.

● **قال تعالى:** ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ [النجم: 52].

قال الطبري[4]: يقول تعالى ذكره: وأنه أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود،

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) تفسير ابن كثير.
(3) المحرر الوجيز.
(4) جامع البيان.

إنهم كانوا هم أشدّ ظلماً لأنفسهم، وأعظم كفراً بربهم، وأشدّ طغياناً وتمرداً على الله من الذين أهلكهم من بعد من الأمم، وكان طغيانهم الذي وصفهم الله به، وأنهم كانوا بذلك أكثر طغياناً من غيرهم من الأمم. كما: حدثنا بشر، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ [النجم: 52] لم يكن قبيل من الناس هم أظلم وأطغى من قوم نوح، دعاهم نبيّ الله ﷺ نوح ألف سنة إلّا خمسين عاماً، كلما هلك قرن ونشأ قرن دعاهم نبيّ الله حتى ذكر لنا أن الرجل كان يأخذ بيد ابنه فيمشي به، فيقول: يا بنيّ إن أبي قد مشى بي إلى هذا، وأنا مثلك يومئذٍ تتابُعاً في الضلالة، وتكذيباً بأمر الله. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ قال: دعاهم نبيّ الله ألف سنة إلّا خمسين عاماً.

● **قال تعالى:** ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: 5].

قال ابن عجيبة(1): ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾؛ بالوقعة المتجاوزة للحدّ في الشدة، وهي الصيحة أو الرجفة، وقيل: هي مصدر كالعاقبة، من المعاقبة، أي: بسبب طغيانهم وعصيانهم.

قال الثعالبي(2): وقوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ قال قتادة: معناه: بالصَّيْحَةِ التي خَرَجَتْ عن حدِّ كل صيحةٍ، وقيل: المعنى بسَبَبِ الفِئَةِ الطاغيةِ، وقيل: بسببِ الفعلة الطاغية، وقال ابن زيد ما معناه: الطاغيةُ مصدرٌ كالعَاقِبة، فكأنه قال بطُغيانهم؛ وقاله أبو عبيدة، وَيُقَوِّي هذا قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ [الشمس: 11] وأوْلَى الأقوال وأصوبُها الأوّلُ، وباقي الآيةِ تقدم تفسيرُ نظيرِهِ، وما في ذلك من القصص.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: 11].

---

(1) البحر المديد. (2) الجواهر الحسان.

قال القشيري[1]: وكذلك تكون مِنَّتُه على خواصِّ أوليائه حين يسلمهم في سفينة العافية، والكون يتلاطم في أمواجِ بحارِ الاشتغالِ على اختلاف أوصافها، فيكونون بوصف السلام، لا مُنَازَعَةَ ولا محاسبةَ لهم مع أحد، ولا تَوَقَعَ شيءٍ من أحدٍ؛ سالمون من الناسِ، والناسُ منهم سالمون.

قال النيسابوري[2]: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ﴾ وطغيان الماء كعتو الريح وقد سبق في عدة سور. ومعنى ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾ حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ في السفينة وهي سفينة نوح.

● **قال تعالى**: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ [الشمس: 11].

قال العزّ بن عبد السلام[3]: ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾ طغيانها ومعصيتها أو بأجمعها أو بعذابها وكان اسمه الطَّغْوَى.

قال النسفي[4]: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ بطغيانها إذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم.

قال السيوطي[5]: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ قال: اسم العذاب الذي جاءها الطغوى، فقال: كذبت ثمود بعذابها.

● **قال تعالى**: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ [العلق: 6].

قال أبو حيان[6]: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾: نزلت بعد مدة في أبي جهل، ناصب رسول الله ﷺ العداوة، ونهاه عن الصلاة في المسجد؛ فروي أنه قال: لئن رأيت محمداً يسجد عند الكعبة لأطأن على عنقه. فيروى أن رسول الله ﷺ رد عليه وانتهره وتوعده، فقال أبو جهل: أيتوعدني محمد! والله ما بالوادي أعظم نادياً

---

(1) لطائف الإشارات.
(2) غرائب القرآن.
(3) التفسير العظيم.
(4) مدارك التنزيل.
(5) الدر المنثور.
(6) البحر المحيط.

مني. ويروى أنه همّ أن يمنعه من الصلاة، فكف عنه. ﴿كَلَّآ﴾: ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه، وإن لم يتقدم ذكره لدلالة الكلام عليه، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾: أي يجاوز الحد.

قال الطنطاوي(1): بين - سبحانه - بعد ذلك الأسباب التي تحمل الإنسان على الطغيان فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: 6-7]. و﴿كَلَّآ﴾ حرف ردع وزجر لمن تكبر وتمرد. . فهو زجر عما تضمنه ما بعدها، لأن ما قبلها ليس فيه ما يوجب الزجر والردع، ويصح أن تكون ﴿كَلَّآ﴾ هنا بمعنى حقاً. وقوله: (يطغى) من الطغيان، وهو تجاوز الحق في التكبر والتمرد. والضمير في قوله: ﴿رَّءَاهُ﴾ يعود على الإنسان الطاغي، والجملة متعلقة بقوله: (يطغى) بحذف لام التعليل، والرؤية بمعنى العلم.

والمعنى: حقاً إن الإنسان ليتعاظم ويتكبر ويتمرد على الحق، لأنه رأى نفسه ذا غنى في المال والجاه والعشيرة، ورآها - لغروره وبطره - ليست في حاجة إلى غيره. والمراد بالإنسان هنا: جنسه؛ لأن من طبع الإنسان أن يطغى، إذا ما كثرت النعم بين يديه، إلا من عصمه الله - تعالى - من هذا الخُلُقِ الذميم، بأن شكره - سبحانه - على نعمه، واستعملها في طاعته.

وقيل المراد بالإنسان هنا: أبو جهل، وأن هذه الآيات وما بعدها حتى آخر السورة قد نزلت في أبي جهل، فقد أخرج البخاري عن ابن عباس قال: «قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة، لأطأن على عنقه، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: **لئن فعل لأخذته الملائكة**». ونزول هذه الآيات في شأن أبي جهل لا يمنع عموم حكمها، ويدخل في هذا الحكم دخولاً أوليًّا أبو جهل، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

● **قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾** [البقرة: 256].

(1) الوسيط في تفسير القرآن.

قال الألوسي[1]: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ أي الشيطان وهو المروي عن عمر ابن الخطاب والحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم وبه قال مجاهد وقتادة وعن سعيد بن جبير وعكرمة أنه الكاهن، وعن أبي العالية أنه الساحر، وعن مالك بن أنس كل ما عبد من دون الله تعالى، وعن بعضهم الأصنام، والأولى أن يقال بعمومه سائر ما يطغى، ويجعل الاقتصار على بعض في تلك الأقوال من باب التمثيل وهو بناء مبالغة كالجبروت والملكوت، واختلف فيه فقيل: هو مصدر في الأصل ولذلك يوحد ويذكر كسائر المصادر الواقعة على الأعيان - وإلى ذلك ذهب الفارسي - وقيل: هو اسم جنس مفرد فلذلك لزم الإفراد والتذكير - وإليه ذهب سيبويه - وقيل: هو جمع - وهو مذهب المبرد - وقد يؤنث ضميره كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ [الزمر: 17] وهو تأنيث اعتباري واشتقاقه من طغى يطغى أو طغى يطغو ومصدر الأول: الطغيان.

والثاني: الطغوان، وأصله على الأول: طغيوت، وعلى الثاني: طغووت فقدمت اللام وأخرت العين فتحرك حرف العلة وانفتح ما قبله فقلب ألفاً فوزنه من قبل فعلوت والآن فلعوت، وقدم ذكر الكفر بالطاغوت على ذكر الإيمان بالله تعالى اهتماماً بوجوب التخلية أو مراعاة للترتيب الواقعي أو للاتصال بلفظ الغي.

قال أبو السعود[2]: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ هو بناءُ مبالغة من الطغيان كالمَلَكوت والجَبَروت قُلب مكانُ عينه ولامِه فقيل: هو في الأصل مصدر وإليه ذهب الفارسيُّ وقيل: اسمُ جنسٍ مُفرَدٍ مذكر، وإنما الجمعُ والتأنيثُ لإرادة الآلهةِ وهو رأيُ سيبويه، وقيل: هو جمعٌ وهو مذهبُ المبرِّد وقيل: يستوي فيه المُفرَد والجمعُ والتذكيرُ والتأنيثُ أي فمن يعملْ إثرَ ما تميز الحقُّ من الباطل بموجب الحُججِ الواضحةِ والآياتِ البينة ويكفرْ بالشيطان أو بالأصنام أو بكل ما عُبد من دون الله تعالى أو صَدَّ عن عبادته سبحانه تعالى لِما تبيّن له كونُه بمعزل من

(1) روح المعاني.

(2) إرشاد العقل السليم.

استحقاق العبادة ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: 256] وحدَه لِما شاهد من نعوتِه الجليلةِ المقتضيةِ لاختصاص الألوهيةِ به عز وجل الموجبةِ للإيمان والتوحيدِ، وتقديمُ الكفرِ بالطاغوت على الإيمان به تعالى لتوقفه عليه فإن التخليةَ متقدّمةٌ على التحلية

● **قال تعالى**: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: 60].

قال الفخر الرازي(1): الطاغوت هنا الكاهن، مقصود الكلام أن بعض الناس أراد أن يتحاكم إلى بعض أهل الطغيان ولم يرد التحاكم إلى محمد ﷺ. قال القاضي: ويجب أن يكون التحاكم إلى هذا الطاغوت كالكفر، وعدم الرضا بحكم محمد عليه الصلاة والسلام كفر، ويدل عليه وجوه: الأول: أنه تعالى قال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ فجعل التحاكم إلى الطاغوت يكون إيماناً به، ولا شك أن الإيمان بالطاغوت كفر بالله، كما أن الكفر بالطغوت إيمان بالله.

قال القرطبي(2): ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65] وقال الضحاك: دعا اليهوديُّ المنافق إلى النبيّ ﷺ، ودعاه المنافقُ إلى كعب بن الأشرف وهو ﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾. ورواه أبو صالح عن ٱبن عباس قال: «كان بين رجل من المنافقين - يُقال له بشر - وبين يهوديّ خصومة؛ فقال اليهوديّ: انطلق بنا إلى محمد، وقال المنافق: بل إلى كعب بن الأشرف - وهو الذي سمّاه الله ﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾ أي ذو الطغيان؛ فأبى اليهوديّ أن يخاصمه إلّا إلى رسول الله ﷺ؛ فلما رأى ذلك المنافق أتى معه إلى رسول الله ﷺ فقضى لليهوديّ. فلما خرجا قال المنافق: لا أرضى، ٱنطلق بنا إلى أبي بكر؛ فحكم لليهوديّ فلم يرض - ذكره الزّجّاج ـ وقال: ٱنطلق بنا إلى عمر فأقبلا على عمر

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.

فقال اليهوديّ: إنا صرّنا إلى رسول الله ﷺ ثم إلى أبي بكر فلم يرض؛ فقال عمر للمنافق: أكذاك هو؟ قال: نعم. قال: رُوَيْدَكُما حتى أخرج إليكما. فدخل وأخذ السّيف ثم ضرب به المنافق حتى بَرِدَ، وقال: هكذا أقضي على من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله؛ وَهَرب اليهوديّ، ونزلت الآية، وقال رسول الله ﷺ: «**أنت الفَارُوق**». ونزل جبريل وقال: «إن عمر فَرّق بين الحقّ والباطل»؛ فسُمِّي الفاروق.

طفّ

(طَفَّ - بَخَسَ - نَقَص - غَبَن)

■ **التَّطْفِيفُ:** تقليل وزن المكيل له في إيفائه واستيفائه. قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: 1].

■ **البَخْسُ:** نقص قيمة الشيء على سبيل الظلم المتعمد. قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ [الأعراف: 85].

■ **الغُبْنُ:** أن تبخس صاحبك في معاملة بينك وبينه مستغلاً عدم خبرته. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: 9].

■ **النَّقْصُ:** الخسران في الحط قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [هود: 109].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء والفاء يدلُّ على قِلّةِ الشيء. يقال: هذا شيءٌ طفيف. ويقال: إناءٌ طَفَّانُ، أي ملآن. والتَّطْفِيف: نقص المكيال والميزان. قال بعض أهل العلم: إنّما سمّي بذلك لأنَّ الذي ينقصه منه يكون طفيفاً. ويقال لِمَا فوق الإناء الطِّفَاف والطُّفافة. فأمّا قولهم: طفّفت بفلانٍ موضعَ كذا، أي رفعتُهُ إليه وحاذيته. وفي الحديث: «**طَفَّفَ بي الفرسُ مسجدَ بني فلان**» فإنَّه يريد وثَب حتى

(1) معجم مقاييس اللغة.

كاد يساوي المسجد - فهذا على معنى التشبيه بطَفاف الإناء وطَفافته. والقياس واحد. ومما شذَّ عن الباب قولهم: أطفَّ فلانٌ بفلان، إذا طَبَن له وأراد ختله. ومنه استطفَّ الأمرُ، إذا أمكنَ وأُكْمِلَ.

قال الجوهري[1]: الطَّفيفُ: القليلُ. وطِفافُ المكُّوك وطفافهُ، بالكسر والفتح ما ملأ أصبارَه. وكذلك طَفَّ المكُّوك وطَفَفُهُ. وفي الحديث: «**كُلُّكُمْ بنو آدمَ طَفُّ الصاعِ لم تَمْلَؤوهُ**» وهو أن يَقرُب أن يمتلئ فلا يفعل. والطُّفافُ والطُّفافَةُ بالضم: ما فوقَ المكيال. وإناءٌ طَفَّانٌ، إذا بلغ الكيل طُفافَهُ. تقول منه: أطْفَفْتُهُ. والتَّطْفيفُ نقصُ المكيال، وهو أن لا تملؤه إلى أصباره. وقول ابن عمر رضي الله عنه حين ذكر أن النبي ﷺ سَبَّقَ بين الخيل: «**كنتُ فارساً يومئذ فسَبَقْت الناس حتَّى طَفَّفَ بي الفرسُ مسجدَ بني زريقٍ حتَّى كاد يساوي المسجد**»، يعني وثب بي. وقولهم: خذ ما طَفَّ لك، وأطَفَّ، واسْتَطَفَّ، أي خذ ما ارتفع لك وأمكن.

قال الفيروزآبادي[2]: الطَّفيفُ: القليلُ، والغَيْرُ التامِّ. وطَفُّ المَكُّوكِ والإِناءِ، وطَفَفُه، محرَّكةً، وطَفافُه، ويُكْسَرُ: ما مَلأَ أصْبارَهُ، أو ما بَقِيَ فيه بعدَ مَسْحِ رأسِه، أو هو جِمامُهُ أو مِلْؤُهُ. أو طُفافُ الإِناءِ وطُفافَتُهُ، بضَمِّهِما: أعْلاهُ. وكسَحاب وكتابٍ: سَوادُ الليلِ. وإناءٌ طَفَّانٌ: بَلَغَ الكَيْلُ طُفافَهُ. والطُّفافَةُ، بالضم، والطَّفَفَةُ، محركةً: ما فوق المِكْيالِ، أو الأُولى ما قَصُرَ عن مِلْءِ الإِناءِ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: 1].

قال الألوسي[3]: قيل الويل شدة الشر وقيل الحزن والهلاك وقيل العذاب

(1) الصحاح في اللغة.
(2) القاموس المحيط.
(3) روح المعاني.

الأليم وقيل جبل في جهنم وأخرج ذلك عن عثمان مرفوعاً ابن جرير بسند فيه نظر، وذهب كثير إلى أنه واد في جهنم فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي سعيد قال، قال رسول الله ﷺ: «**ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره**» وفي «صحيحي ابن حبان والحاكم» بلفظ «واد بين جبلين يهوي فيه الكافر» الخ وروى ابن أبي حاتم عن عبد الله أنه واد في جهنم من قيح وفي كتاب «المفردات» للراغب قال الأصمعي ويل قبح وقد يستعمل للتحسر ومن قال ويل واد في جهنم لم يرد أن ويلاً في اللغة موضوع لهذا وإنما أراد من قال الله تعالى فيه ذلك فقد استحق مقراً من النار وثبت ذلك له انتهى. والظاهر أن إطلاقه على ذلك كإطلاق جهنم على ما هو المعروف فيها فلينظر من أي نوع ذلك الإطلاق. وأياً ما كان فهو مبتدأ وإن كان نكرة لوقوعه في موقع الدعاء و﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ خبره.

والتطفيف البخس في الكيل والوزن لما أن ما يبخس في كيل أو وزن واحد شيء طفيف أي نزر حقير والتفعيل فيه للتعدية أو للتكثير ولا ينافي كونه من الطفيف بالمعنى المذكور لأن كثرة الفعل بكثرة وقوعه وهو بتكراره لا بكثرة متعلقه وعن الزجاج أنه من طف الشيء جانبه.

قال ابن كثير[1]: عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة، كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فحسنوا الكيل بعد ذلك.

(1) تفسير ابن كثير.

طفق

(طَفَقَ - جعَل - خَلَقَ - بَرَأَ - ذَرَأَ - صَوَّرَ)

■ **الطَّفْقُ:** يفعل كذا يَطْفَقُ طَفَقاً، أي جعل يفعل ﴿وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا﴾ [الأعراف: 22].

■ **البَرْأُ:** خلق الأشياء على غير مثال ولاتطابق ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ [الحديد: 22].

■ **الجَعْلُ:** تغيير الصيرورة ﴿خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ﴾ [الفرقان: 54].

■ **الخَلْقُ:** إيجاد شيء من شيء ﴿خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ﴾ [الفرقان: 54].

■ **الذَّرْأُ:** حشر الكثيرين عياناً لما يراد من وجودهم ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ﴾ [الأعراف: 179].

■ **التَّصْوِيرُ:** ما يتميز به الشيء عن نظيره من قسمات ﴿يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [آل عمران: 6].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء والفاء والقاف كلمةٌ صحيحة. يقولون: طفِقَ يفعل

(1) معجم مقاييس اللغة.

كذا كما يقال ظلَّ يفعلُ. قال اللهُ تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: 33]، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: 22].

قال الخليل(1): طفق: طَفِقَ، وطَفَقَ لغة رديئة، أي جعل يفعل، وهو مثل ظل وبات وما جمعهما.

قال الجوهري(2): طَفِقَ يفعل كذا يَطْفَقُ طَفَقاً، أي جعل يفعل. ومنه قوله تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ قال الأخفش: وبعضهم يقول طَفَقَ بالفتح يَطْفقُ طُفوقاً.

قال الفيروزآبادي(3): طَفَقَ يَفْعَلُ كذا، كفرِحَ وضَرَبَ، طَفْقاً وطُفوقاً: إذا واصَلَ الفِعْلَ، خاصٌّ بالإِثْباتِ، لا يقالُ: ما طَفِقَ، وطفق بمُرادِهِ: ظَفِرَ وأطْفَقَهُ اللّهُ به. وطَفِقَ المَوْضِعَ، كَفرِحَ: لَزِمَهُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ [الأعراف: 22].

قال القرطبي(4): يقطعان الورق ويلزقانه ليستترا به، ومنه خَصَف النعل. والخصَّاف الذي يرقِّعها. والمِخْصف المِثْقب. قال ابن عباس: هو ورق التين. ويروىٰ أن آدم عليه السلام لما بدت سوأته وظهرت عورته طاف على أشجار الجنة يَسُلّ منها ورقة يغطي بها عورته؛ فزجرته أشجار الجنة حتى رحمته شجرة التِّين فأعطته ورقة. فـ «طَفِقَا» يعني آدم وحواء «يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ» فكافأ الله التين بأن سوّىٰ ظاهره وباطنه في الحلاوة والمنفعة، وأعطاه ثمرتين في عام واحد مرتين.

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) القاموس المحيط.
(4) الجامع لأحكام القرآن.

قال الفخر الرازي(1): ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ قال الزجاج: معنى طفق: أخذ في الفعل ﴿يَخْصِفَانِ﴾ أي يجعلان ورقة على ورقة. ومنه قيل للذي يرقع النعل خصاف، وفيه دليل على أن كشف العورة قبيح من لدن آدم، ألا ترى أنهما كيف بادرا إلى الستر لما تقرر في عقلهما من قبح كشف العورة.

قال أبو السعود(2): ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ طفِق من أفعال الشروعِ والتلبس كأخذ وجعل وأنشأ وعلِق وهَبَّ وانبرى أي أخذا يَرْقعَان ويُلزِقان ورقةً فوق ورقة.

● **قال تعالى**: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: 33].

قال الألوسي(3): ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ قطع سوقها وأعناقها بالسيف، وقد جعلها عليه السلام بذلك قرباناً لله تعالى وكان تقريب الخيل مشروعاً في دينه، ولعل كسف العراقيب ليتأتى ذبحها بسهولة، وقيل: إنه عليه السلام حبسها في سبيل الله تعالى وكان ذلك المسح الصادر منه وسما لها لتعرف أنها خيل محبوسة في سبيل الله تعالى وهو نظير ما يفعل اليوم من الوسم بالنار ولا بأس به في شرعنا ما لم يكن في الوجه

ولعله عليه السلام رأى الوسم بالسيف أهون من الوسم بالنار فاختاره أو كان هو المعروف في تلك الأعصار بينهم، ويروى أنه عليه السلام لما فعل ذلك سخر له الريح كرامة له، وقيل: إنه عليه السلام أراد بذلك إتلافها حيث شغلته عن عبادة ربه عز وجل وصار تعلق قلبه بها سبباً لغفلته.

قال ابن عاشور(4): وقد تردد المفسرون في المعنى الذي عنى بقوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾، فعن ابن عباس والزهري وابن كيسان وقطرب: طفق يمسح أعراف الخيل وسوقها بيده حُبّاً لها. وهذا هو الجاري على المناسب لمقام نبيءٍ والأوفق بحقيقة المسح ولكنه يقتضي إجراء ترتيب الجمل على خلاف

---

(1) التفسير الكبير.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) روح المعاني.
(4) التحرير والتنوير

مقتضى الظاهر بأن يكون قوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ متصلاً بقوله: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ﴾ [ص: 31] أي بعد أن استعرضها وانصرفوا بها لتأوي إلى مذاودها قال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ إكراماً لها ولحبها.

ويجعل قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: 32] معترضاً بينهما، وإنما قدم للتعجيل بذكر ندمه على تفريطه في ذكر الله في بعض أوقات ذكره، أي أنه لم يستغرق في الذهول بل بادر الذكرى بمجرد فوات وقت الذكر الذي اعتاده، إذ لا يناسب أن يكون قوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ﴾ الخ من آثار ندمه وتحسّره على هذا التفسير، وهذا يفيد أن فوات وقت ذكره نشأ عن ذلك الرد الذي أمر به بقوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ فإنهم اعتادوا أن يعرضوها عليه وينصرفوا وقد بَقي ما يكفي من الوقت للذكر فلما حملته بهجته بها على أن أمر بإرجاعها واشتغل بمسح أعناقها وسُوقها خرج وقت ذكره فتندّم وتحسّر.

وعن الحسن وقتادة ومالك بن أنس في رواية ابنِ وَهب والفراء وثعلب: أن سليمان لما ندِم على اشتغاله بالخيل حتى أضاع ذكر الله في وقت كان يذكر الله فيه أمر أن تُردّ عليه الخيل التي شغلتْه فجعل يعرقب سوقها ويقطع أعناقها لحرمان نفسه منها مع محبته إياها توبة منه وتربية لنفسه. واستشعروا أن هذا فساد في الأرض وإضاعة للمال فأجابوا: بأنه أراد ذبحها ليأكلها الفقراء لأن أكل الخيل مباح عندهم وبذلك لم يكن ذبحها فساداً في الأرض.

وتجنّب بعضهم هذا الوجه وجعل المسح مستعاراً للتوسيم بسمة الخيل الموقوفة في سبيل الله بكي نار أو كَشط جلد لأن ذلك يزيل الجلدة الرقيقة التي على ظاهر الجلد، فشبهت تلك الإزالة بإزالة المَسح ما على ظهر الممسوح من ملتصق به، وهذا أسلم عن الاعتراض من القول الأول وهو معزو لبعض المفسرين في «أحكام القرآن» لابن العربي. وقال ابن العربي: إنه وَهَم. وهذه طريقة جليلة من طرائق تربية النفس ومظاهر كمال التوبة بالنسبة إلى ما كان سبباً في الهفوة.

وعلى هذين التأويلين يكون قوله: ﴿فَطَفِقَ﴾ تعقيباً على ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ وعلى محذوف بعده. والتقدير: فردُّوها عليه فطفق، كقوله: ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ﴾ [الشعراء: 63]. ويكون قوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ من مقول: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾ [ص: 32].

طفل

(طِفل - شَيْخ - حَمْلٌ - جَنِينٌ - رَضِيعٌ - غُلَامٌ - فَتًى)

- **الطِّفْلُ:** من الولادة حتى التميز ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾ [النور: 59].
- **الشَّيْخُ:** الذي استبانتْ فيه السن وظهر عليه الشيبُ ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ [هود: 72].
- **الحَمْلُ:** أول أيام الطفل في بطن أمه ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ [الحج: 2].
- **الجَنِينُ:** الحمل بعد أن تنفخ فيه الروح ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [النجم: 32].
- **الرَّضِيعُ:** أول ما تضع الجنين أمه ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ [النساء: 23].
- **الغُلَامُ:** أول ما يطر شارب الطفل ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [الكهف: الآية 80].
- **الفَتَى:** أول ما يشعر الغلام بالشهوة ﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: 30].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الطاء والفاء واللام أصل صحيحٌ مطّرد، ثم يقاس عليه، والأصل المولود الصغير؛ يقال: هو طِفْلٌ، والأنثى طِفلة. والمُطْفِل الظَّبْية معها

(1) معجم مقاييس اللغة.

طِفْلُها. وهي قريبة عهدٍ بالنِّتاج. ويقال: طَفَّلْنا إبلَنا تطفيلاً، إذا كان معها أولادُها فرفَقْنا بها في السَّير. فهذا هو الأصل. ومما اشتُقَّ منه قولهم للمرأة الناعمة: طَفْلة، كَأَنَّها مشبَّهة في رُطوبتها ونَعمتها بالطِّفلة، ثم فرق بينهما بفتح هذه وكسر الأولى. ومن الباب أو قريب منه: طِفْل الظَّلام، وهو أوَّله، وإنَّما سمِّيَ طِفلاً لقلَّته ودقته؛ وذلك قبل مجيء مُعظَم الليل، ويقال: طَفَلَ اللَّيل: أقبل ظلامُهُ.

قال الجوهري[1]: الطِّفْلُ: المولودُ. وولدُ كلِّ وحشيَّةٍ أيضاً طِفْلٌ، والجمع أَطْفالٌ. وقد يكون الطِّفْلُ واحداً وجمعاً، مثل الجُنُبِ. قال تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟﴾ [النور: 31]. يقال منه: أَطْفَلَتِ المرأةُ. والمُطْفِلُ الظبيةُ معها طِفْلُها وهي قريبة عهدٍ بالنَتاج، وكذلك الناقة. والجمع مَطافِل ومَطافيلُ.

والطَّفْلُ بالفتح: الناعمُ. يقال: جاريةٌ طَفْلَةٌ، أي ناعمةٌ.

قال الفيروزآبادي[2]: الطَّفْلُ: الرَّخْصُ الناعِمُ من كلِّ شيءٍ جمعه: طِفالٌ وطُفولٌ، وهي بهاءٍ. طَفُلَ، كَكَرُمَ، طَفَالَةً وطُفُولَةً. والطِّفْلُ، بالكسر: الصَّغيرُ من كلِّ شيءٍ، أو المَوْلودُ، ووَلَدُ كلِّ وحْشِيَّةٍ أيضاً، بَيِّنُ الطَّفلِ والطَّفالَةِ والطُّفولَةِ والطُّفولِيَّةِ، ج: أطْفالٌ، والحاجَةُ، والليلُ، والشمسُ قُرْبَ الغُروبِ، وسَقْطُ النارِ، وكلُّ جُزْءٍ من كلِّ شيء، عَيْناً كان أو حَدَثاً. والمُطْفِلُ، كمُحْسِنٍ: ذاتُ الطِّفْلِ من الإنْسِ والوَحْشِ. ج: مَطافِيلُ ومَطَافِلُ. وليلَةٌ مُطْفِلٌ: تَقْتُلُ الأَطْفالَ بَرْداً.

---

(1) الصحاح في اللغة. (2) القاموس المحيط.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ﴾ [النور: 31].

قال القرطبي[1]: ﴿أَوِ ٱلطِّفۡلِ﴾ اسم جنس بمعنى الجمع، والدليل على ذلك نعتُه بـ«الذين». وفي مصحف حَفْصة «أو الأطفال» على الجمع. ويقال: طفلٌ ما لم يراهق الحُلُم. و﴿يَظۡهَرُواْ﴾ معناه يطلعوا بالوطء؛ أي لم يكشفوا عن عوراتهنّ للجماع لصغرهنّ. وقيل: لم يبلغوا أن يطيقوا النساء؛ يقال: ظهرت على كذا أي علمته، وظهرت على كذا أي قهرته. والجمهور على سكون الواو من «عورات» لاستثقال الحركة على الواو. وروي عن ابن عباس فتح الواو؛ مثل جَفْنة وجفنات. وحكى الفراء أنها لغة قيس «عورات» (بفتح) الواو. النحاس: وهذا هو القياس؛ لأنه ليس بنعت، كما تقول: جفنة وجفنات؛ إلا أن التسكين أجود في «عورات» وأشباهه، لأن الواو إذا تحرّكت وتحرك ما قبلها قُلبت ألفاً؛ فلو قيل هذا لذهب المعنى.

قال ابن كثير[2]: ﴿أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ﴾ يعني: لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم وتعطفهن في المشية وحركاتهن وسكناتهن، فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك، فلا بأس بدخوله على النساء، فأما إن كان مراهقاً، أو قريباً منه، بحيث يعرف ذلك ويدريه، ويفرق بين الشوهاء والحسناء، فلا يمكن من الدخول على النساء.

● **قال تعالى:** ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ﴾ [النور: 59].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن. (2) تفسير ابن كثير.

قال أبو السعود[1]: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾ لمَّا بيِّن فيما مرَّ آنفاً حكمَ الأطفالِ في أنَّه لا جناح عليهم في ترك الاستئذانِ فيما عدا الأوقاتِ الثلاثة عقب ببيان حالِهم بعد البلوغِ دفعاً لمَا عسى يُتوهم أنَّهم وإنْ كانُوا أجانبَ ليسُوا كسائرِ الأجانبِ بسببِ اعتيادهم الدُّخولَ أي إذا بلغَ الأطفالُ الأحرارُ الأجانبُ.

قال الزمخشري[2]: ﴿ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ﴾ أي من الأحرار دون المماليك ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: 59] يريد: الذين بلغوا الحلم من قبلهم، وهم الرجال. أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟﴾ [النور: 27]: والمعنى أنّ الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث، فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم خرجوا عن حدّ الطفولة بأن يحتلموا أو يبلغوا السنّ التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ، وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كما الرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلّا بإذن.

● **قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: 67].**

قال الألوسي[3]: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أي أطفالاً وهو اسم جنس صادق على القليل والكثير. وفي «المصباح»: قال ابن الأنباري: يكون الطفل بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والجمع ويجوز فيه المطابقة أيضاً؛ وقيل: إنه أفرد بتأويل خلق كل فرد من هذا النوع ثم يخرج كل فرد منه طفلاً.

قال الشعراوي[4]: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ قالوا: هو طفل طالما هو في مراحل النمو، فإذا استوى وأخذ شكله النهائي واستقر على صورة كاملة فقد وصل إلى مرحلة البلوغ التي يستكمل فيها كلَّ أجهزة الوجود، لأن بالبلوغ أصبح قادراً على إنجاب مثله. يقول تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) الكشاف.
(3) روح المعاني.
(4) تفسير الشعراوي.

ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ [النور: 59] فالطفولة هي مرحلة النمو، ومرحلة البلوغ هي الأشد.

قال ابن عجيبة[1]: ﴿ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ. . . ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [الحج: 5] أي: أطفالاً، واقتصر على الواحدة؛ لأن المرادَ الجنس، ﴿ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ﴾ [الحج: 5]: متعلق بمحذوف، أي: ثم يُبقيكم لتبلغوا أشدَّكم، وكذلك ﴿ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ﴾، وقيل: عطف على محذوف، عِلة ليُخرجكم، فـ «يخرجكم» من عطف علة على أخرى، كأنه قيل: ثم يخرجكم طفلاً لتكبروا شيئاً فشيئاً، ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل، ثم لتكونوا شيوخاً، بكسر الشين وضمها جمع شيخ، وقرىء «شيخاً» كقوله: «طفلاً».

(1) البحر المديد.

طل

(طَلّ - مَطر - غَيْث)

■ **الطَّلُّ:** البلل يكسو الشجر من رطوبة الجو فهو أضعف المطر ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة: 265].

■ **المَطَرُ:** الماء المنسكب من الغيم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ [الأعراف: 84].

■ **الغَيْثُ:** المطر النازل بعد موسم جفاف ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾ [الحديد: 20].

***

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء واللام يدل على أصولٍ ثلاثة: أحدها غضاضة الشَّيء وغضارَته، والآخَر الإشراف، والثالث: إبطال الشَّيء. فالأول الطّلّ: وهو أضعف المطر، إنّما سمِّي به لأنَّه يحسِّن الأرض. ولذلك تسَمّى امرأة الرَّجل طَلّته. قال بعضهم: إنَّما سمِّيت بذلك لأنَّها غضّةٌ في عينه [كأنّها] طَلّ. ومن الباب في معنى القلَّة، وهو محمولٌ على الطّلّ، قولهُم: ما بالنّاقة طُلّ، أي ما بها لبن، يراد ولا قليلٌ منه. وضُمَّت الطاء فرقاً بينه وبين المطر. والباب الآخر: الطّلَل، وهو ما شَخص من آثار الديار. يقال لِشَخْصِ الرَّجل طَلَلُهُ. ومن ذلك أَطَلَّ على الشَّيء، إذا أَشْرَفَ. وطَلَل السَّفِينة: جِلالها، والجمع أطلال. ويقال: تَطَالَلْت، إذا مددتَ عنقَكَ تنظُرُ إلى الشيءِ يبعُد عنك.

(1) معجم مقاييس اللغة.

وأمّا إبطال الشيء فهو إطلال الدِّماء، وهو إبطالها، وذلك إذا لم يطلب لها. يقال: طُلَّ دمه فهو مطلول، وأُطِلّ فهو مُطَلّ، إذا أُهْدِر. ومما شذَّ عن هذه الأصول، وما أدري كيف صحّته قولهم: إنَّ الطِّلَّ: الحيَّة. والطَّلَاطِلَة: داءٌ يأخذ في الصُّلْب.

قال الخليل[1]: الطَّلُّ: المَطَرُ الضَّعيفُ القَطْرِ الدّائمُ، وهو أَرْسَخُ المَطَرِ ندىً. وتَقُولُ: طَلَّتِ الأرضُ. وتقول: رَحُبَتِ الأَرْضُ وطلّتْ. ومن قال: طَلَّتِ ذهب إلى معنى: طلّت عليك السّماء، ورَحُبَتْ عليك الأرض، أي: اتّسعَتْ. والطَّلُّ: المَطْلُ للدِّياتِ وإبطالُها. والإطلالُ: الإشرافُ على الشّيء. وطَلَلُ السَّفينة: جِلالُها، والجميع: الأَطْلال. وطَلَلُ الدّار: يُقال: إنّه مَوْضِعٌ في صَحْنِها يُهَيَّأُ لمجلس أهلها، قال أبو الدُّقَيْش: كأنْ يكون بفِناءِ كُلِّ حيٍّ دُكّانٌ عليه المأْكَلُ والمَشْرَب، فذلك الطَّلَل.

قال الفيروزآبادي[2]: الطَّلُّ: المَطَرَ الضعيفُ، أو أخَفُّ المَطَرِ وأضْعفه، أو النَّدَى، أو فَوْقَه ودونَ المَطَرِج: طِلالٌ وطِلَلٌ، كعِنَبٍ، والحَسَنُ، والمُعْجِبُ من لَيْلٍ وشَعَرٍ وماءٍ وغيرِ ذلك، واللَّبَنُ، والرجُلُ الكبيرُ سنّاً، والحَيَّةُ، ويكسرُ، والمَطْلُ، وقِلَّةُ لَبَنِ الناقةِ، ويضمُّ، وسَوْقُ الإبِلِ عَنيفاً، وهَدَرُ الدَّمِ، أو أن لا يُثْأرَ به، وقد طَلَّ هو، وبالضم أكثَرُ، وطَلَلْتُهُ أنا طَلّاً وطُلولاً، فهو مَطْلولٌ وطَليلٌ، وأُطِلَّ، بالضم، وأطَلَّهُ الله تعالى، وطَلَّ دَمُهُ يَطَلُّ، ط كَيَزِلُّ ويَمَلُّ، ط وأُطِلَّ، بالضم، فهو مُطَلٌّ. وطَلَّهُ حَقَّهُ، كَمَدَّه: نَقَصَهُ إياهُ وأَبْطَلَهُ، وطلل غَريمَهُ: مَطَلَهُ. وما بالناقةِ طَلٌّ، أي: طِرْقٌ.

---

(1) العين.

(2) القاموس المحيط.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة: 265].

قال القرطبي[1]: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ تأكيد منه تعالى لمدح هذه الرّبوة بأنها إن لم يصبها وابِل فإن الطل يكفيها وينوب مناب الوابل في إخراج الثمرة ضعفين، وذلك لكرم الأرض وطيبها. قال المبرّد وغيره: تقديره فطَلٌّ يكفيها. وقال الزجاج: فالذي يصيبها طل. والطل: المطر الضعيف المستدِق من القطر الخفيف؛ قاله ابن عباس وغيره، وهو مشهور اللغة. وقال قوم منهم مجاهد: الطَّلُّ: النَّدَىٰ. قال ابن عطية: وهو تجوّز وتشبيه. قال النحاس: وحكى أهل اللغة وَبَلَت وأوْبَلَت، وطَلّت وأَطَلّت. وفي الصحاح: الطَّلّ أضعف المطر والجمع الطِّلال؛ تقول منه؛ طُلّت الأرض وأطلّها الندى فهي مَطْلولة.

قال الماوردِيّ[2]: وزرع الطل أضعف من زرع المطر وأقل ريعاً، وفيه - وإن قلّ - تماسك ونفع. قال بعضهم: في الآية تقديم وتأخير، ومعناه كمثل جنة بربوة أصابها وابل فإن لم يصبها وابل فطل فآتت أكلها ضِعفين. يعني ٱخضرت أوراق البستان وخرجت ثمرتها ضعفين. قلت: التأويل الأوّل أصوب ولا حاجة إلى التقديم والتأخير.

فشبّه تعالىٰ نموّ نفقات هؤلاء المخلصين الذين يُرَبِّي الله صدقاتهم كتربية الفُلُوّ والفَصِيل بنموّ نبات الجنة بالرّبوة الموصوفة؛ بخلاف الصَّفْوَان الذي انكشف عنه ترابه فبقى صلداً. وخرّج مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ: «**لا يتصدّق أحد بتمرة من كسب طيب إلّا أخذها الله بيمينه فيربّيها كما يرَبِّي أحدكم فُلُوّه أو فَصِيله حتى تكون مثل الجبل أو أعظم**» خرّجه الموطأ أيضاً.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن. (2) النكت والعيون.

قال الفخر الرازي[1] : ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ الطل: مطر صغير الفطر، ثم في المعنى وجوه:

الأول: المعنى أن هذه الجنّة إن لم يصبها وابل فيصيبها مطر دون الوابل، إلا أن ثمرتها باقية بحالها على التقديرين لا ينقص بسبب انتقاص المطر وذلك بسبب كرم المنبت الثاني: معنى الآية إن لم يصبها وابل حتى تضاعف ثمرتها فلا بد وأن يصيبها طل يعطي ثمراً دون ثمر الوابل، فهي على جميع الأحوال لا تخلوا من أن تثمر، فكذلك من أخرج صدقة لوجه الله تعالى لا يضيع كسبه قليلاً كان أو كثيراً.

(1) التفسير الكبير.

طفئ

(طفئ - خبو - خمد)

- **الانْطِفَاءُ:** ذهاب ضوء النار والنور وحرارتهما ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 32].
- **الخَبْوُ:** سكون لهب النار تحت خباء من الرماد ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: 97].
- **الخُمُودُ:** موت النار والنور بشكل تام ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ [يس: 29].

* * *

النصوص اللغوية:

قال الجوهري(1): طَفِئتِ النارُ تَطْفَأُ طُفُوءاً وانْطَفَأَتْ، وأَطْفَأْتُها أنا. ويقال ليوم من أيام العجوز: مُطْفِئُ الجمرْ.

قال الخليل(2): طَفِئَتِ النّارُ تَطفَأُ طُفُوءاً: سكن لَهَبِها وبَرَد جَمْرُها، وأَطفَأْتُها.

قال الراغب(3): طفئت النار وأطفأتها. قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 32]، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ [الصف: 8]، والفرق بين الموضعين أن في

---

(1) الصحاح في اللغة.

(2) العين.

(3) مفردات الراغب.

قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ﴾ يقصدون إطفاء نور الله، وفي قوله: ﴿لِيُطْفِئُواْ﴾ يقصدون أمرا يتوصلون به إلى إطفاء نور الله.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 32].

قال الألوسي(1): ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ (إطفاء النار على ما في «القاموس» إذهاب لهبها) الموجب لإذهاب نورها لا إذهاب نورها على ما قيل، لكن لما كان الغرض من إطفاء نار لا يراد بها إلا النور كالمصباح إذهاب نورها جعل إطفاؤها عبارة عنه ثم شاع ذلك حتى كان عبارة عن مطلق إذهاب النور وإن كان لغير النار، والمراد بنور الله حجته تعالى النيرة المشرقة الدالة على وحدانيته وتنزهه سبحانه عن الشركاء والأولاد أو القرآن العظيم الصادع الصادح بذلك، وقيل: نبوته عليه الصلاة والسلام التي ظهرت بعد أن استطال دجا الكفر صبحاً منيراً، وأياً ما كان فالنور استعارة أصلية تصريحية لما ذكر، وإضافته إلى الله تعالى قرينة، والمراد من الإطفاء الرد والتكذيب أي يريد أهل الكتابين أن يردوا ما دل على توحيد الله تعالى وتنزيهه عما نسبوه إليه سبحانه ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي بأقاويلهم الباطلة الخارجة عنها من غير أن يكون لها مصداق تنطبق عليه أو أصل تستند إليه بل كانت أشبه شيء بالمهملات، قيل: ويجوز أن يكون في الكلام استعارة تمثيلية بأن يشبه حالهم في محاولة إبطال نبوته ﷺ بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق ويكون قوله تعالى: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة: 32].

قال الشعراوي(2): لكن هل يستطيعون أن يطفئوا نور الله؟ لا؛ لأن الإنسان في

---

(1) روح المعاني.
(2) تفسير الشعراوي.

الأمر الحسّي لا يستطيع أن يطفئ النور؛ لأن هناك فَرقاً بين مصدر النور وبين أداة التنوير، فالإنسان يمكنه أن يحطم الدائرة الزجاجية التي تحمل النور، لكن لا أحد بإمكانه أن يطفئ «المُنوِّر» والمنوِّرُ الأعلى هو الله، ولا أحد يستطيع إطفاءه. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ﴾ [التوبة: 32] أي: لا يريد الله شيئاً.

● **قال تعالى:** ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ [الصَّف: 8].

قال أبو السعود(1): ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ أي يريدونَ أنْ يطفئُوا دينَهُ أو كتابَهُ أو حجتَهُ النيرةَ. واللامُ مزيدةٌ لما فيهَا من مَعْنَى الإرادةِ تأكيداً لها، كما زيدَتْ لِما فيها من مَعْنَى الإضافةِ تأكيداً لها في لَا أبا لكَ أو يريدونَ الافتراءَ ليطفئُوا نورَ الله ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بطعنِهِم فيه، مثلتْ حالهُم بحالِ من ينفخُ في نورِ الشمسِ بفيهِ ليطفئَهُ.

قال القرطبي(2): قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ الإطفاء هو الإخماد، يستعملان في النار، ويستعملان فيما يجري مجراها من الضياء والظهور. ويفترق الإطفاء والإخماد من وجه؛ وهو أن الإطفاء يستعمل في القليل والكثير، والإخماد إنما يستعمل في الكثير دون القليل؛ فيقال: أطفأت السراج؛ ولا يقال أخمدت السراج.

وفي «نوُرَ الله» هنا خمسة أقاويل: أحدها - أنه القرآن؛ يريدون إبطاله وتكذيبه بالقول؛ قاله ابن عباس وابن زيد. والثاني - أنه الإسلام؛ يريدون دفعه بالكلام؛ قاله السُّدِّي. الثالث - أنه محمد ﷺ؛ يريدون هلاكه بالأراجيف؛ قاله الضحاك. الرابع - حجج الله ودلائله؛ يريدون إبطالها بإنكارهم وتكذيبهم؛ قاله ابن بحر. الخامس - أنه مثَل مضروب؛ أي من أراد إطفاء نور الشمس بفيه فوجده مستحيلاً ممتنعاً فكذلك من أراد إبطال الحق؛ حكاه ابن عيسى.

ملاحظة: نقول الفرق بين ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟﴾. أن الاولى تعني العزم وعقد النية على الفعل، والثانية تعني اتخاذ الأسباب ومباشرة الفعل.

(1) إرشاد العقل السليم. (2) الجامع لأحكام القرآن.

طلب

(طَلَبَ - دَعَا - بَهَل - ضَرَع - غوَث)

■ **الطَّلَبُ:** الفحص عن وجود الشيء، عيناً كان أو معنى. ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ [الكهف: 41].

■ **الدُّعَاءُ:** طلب الحوائج من الله عز وجل ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ﴾ [غافر: 60].

■ **الابْتِهَالُ:** الاجتهاد والمبالغة في الدعاء من ظلم ظالم ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: 61].

■ **الاسْتِغَاثَةُ:** عندما تكون في خطر محدق ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ﴾ [الأحقاف: 17].

■ **التَّضَرُّعُ:** عندما تطلب العفو عن إساءة بالغة ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ [الأنعام: 43].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء واللام والباء أصلٌ واحد يدلُّ على ابتغاء الشَّيء. يقال: طلبتُ الشيء أطلبه طَلَبًا. وهذا مَطْلَبِي، وهذه طَلِبَتِي. وأَطلبتُ فلاناً بما ابتغاهُ، أي أسعفته به. وربما قالوا: أَطْلَبْتُهُ، إذا أحوجتَهُ إلى الطَّلَب. وأَطْلَبَ الكلأ: تباعد عن الماء، حتّى طلبه القوم، وهو ماء مُطْلِب.

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل[1]: الطَّلَبُ: مُحاولةُ وجدانِ الشَّيء. والطِّلبة: ما كان لك عندَ آخَر من حقٍّ تُطالِبُهُ به. والمُطالَبَةُ: أن تُطالبَ إنساناً بحقٍّ لك عندَه، لا تزال تُطالبه وتتقاضاه بذلك. والغلب في باب الهَوَى: الطِّلاب والمعنى واحد. والتَّطَلُّبُ: طلب في مُهْلة من مواضع. وكَلأٌ مُطْلِبٌ: بعيد المطلب، وقد أَطلَبَ الكَلأُ، أي: تباعد وطلبه القوم. والمُطَّلِب: ابنُ عَبْد مَناف.

قال الجوهري[2]: طلبت الشيء طلباً، وكذلك اطَّلبته على افتعلته. والطَّلَب أيضاً: جمع طالِبٍ.

وطالَبه بكذا مطالَبة. والتَّطلُّبُ الطلَبُ مرةً بعد أخرى. والطَّلِبَةُ ما طَلَبْته من شيء. وأَطْلَبَه، أي أسْعَفه بما طلب. وأطْلَبَه، أي أحوجه إلى الطَلَب، وهو من الأضْداد. ومنه قولهم: أَطْلَبَ الماءُ، إذا بَعُدَ فلم يُنل إلا بطلب؛ يقال ماءٌ مُطْلِبٌ. وكذلك الكلأُ وغيره.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا﴾ [الكهف: 41].

قال القرطبي[3]: ﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا﴾ أي لن تستطيع ردّ الماء الغائر، ولا تقدر عليه بحيلة. وقيل: فلن تستطيع طلب غيره بدلاً منه. وإلى هذا الحديث انتهت مناظرة أخيه وإنذاره.

قال الفخر الرازي[4]: ﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا﴾ أي فيصير بحيث لا تقدر على رده إلى موضعه.

---

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) الجامع لأحكام القرآن.
(4) التفسير الكبير.

قال الطبري(1): ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ يقول: فلن تطيق أن تدرك الماء الذي كان في جنتك بعد غَوْره، بطلبك إياه.

● **قال تعالى:** ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: 73].

قال أبو السعود(2): ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ أي عابدُ الصَّنمِ ومعبودُه أو الذُّبابُ الطَّالبُ لما يسلبُه من الصَّنمِ من الطِّيبِ والصَّنمُ المطلوبُ منه ذلك أو الصَّنمُ والذُّبابُ كأنَّه يطلبه ليستنقذَ منه ما يسلبه ولو حقَّقتَ وجدتَ الصَّنمَ أضعفَ من الذُّبابِ بدرجاتٍ وعابدَه أجهلَ من كلِّ جاهلٍ وأضلَّ من كلِّ ضالٍّ.

قال الألوسي(3): ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ تذييل لما قبل اختبار أو تعجب والطالب عابد غير الله تعالى والمطلوب الآلهة كما روي عن السدي والضحاك، وكون عابد ذلك طالباً لدعائه إياه واعتقاده نفعه، وضعفه لطلبه النفع من غير جهته، وكون الآخر مطلوباً ظاهراً كضعفه، وقيل الطالب الذباب يطلب ما يسلبه عن الآلهة والمطلوب الآلهة على معنى المطلوب منه ما يسلب.

قال الشعراوي(4): ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ يعني: كلاهما ضعيف، فالذباب في ذاته ضعيف وهم كذلك ضعفاء، بدليل أنهم لن يقدروا على هذه المسألة، لكن هناك ضعيف يدَّعي القوة، وضعيف قوته في أنه مُقِرٌّ بضعفه، فالذباب وإنْ كان ضعيفاً إلا أن الله تعالى قال فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ...﴾ [البقرة: 26] يعني: ما فوقها في الصِّغر، ليس المراد ما فوقها في الكبر كالعصفور مثلاً.

---

(1) جامع البيان.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) روح المعاني.
(4) تفسير الشعراوي.

طلح

(طلح)

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء واللام والحاء أصلانِ صحيحان، أحدهما جنسٌ من الشجر، والآخر بابٌ من الهزال وما أشبهه. فالأوّل الطَّلْح، وهو شجرٌ معروف، الواحدةُ طَلحة، وذو طُلُوحٍ: مكان، ولعلَّ به طَلْحاً. ويقال: إبل طَلَاحَى وطَلِحة، إذا شَكَتْ عن أكل الطَّلْح. والثاني قولهم ناقةٌ طِلْح أسفارٍ، إذا جهَدَها السَّير وهَزَلَهَا؛ وقد طَلِحَتْ. والطِّلْح؛ المهزول من القِرْدان.

ومن الباب الطَّلاح: ضدُّ الصَّلاح، وكأنَّه من سوء الحال والهُزَال.

قال الجوهري[2]: الطَّلْحُ: شجرٌ عظامٌ من شجرِ العِظاهِ، وكذلك الطِّلاحُ، الواحدة طَلْحَةٌ. يقال إبل طِلاحِيَّةٌ للتي ترعى الطِّلاحَ، وطُلاحِيَّةٌ أيضاً بالضم على غير قياس. والطَّلْحُ لغة في الطَّلْع. وطَلَحَ البعير: أعْيا، فهو طَليح. وأطْلَحْتُهُ أنا وطَلَّحْتُهُ: حَسَرته. وناقة طليحُ أسفارٍ، إذا جَهَدَها السيرُ وهَزَلها. وإبل طُلَّحٌ وطَلائح. والطِّلحُ بالكسر: المُعْيِي من الإبل وغيرها، يستوي فيه الذكر والأنثى؛ والجمع أطلاح.

وطَلِحت الإبل بالكسر: إذا اشْتكت بطونَها من أكلِ الطَّلْحِ، فهي طَلِحَةٌ. وإبلٌ طَلاحى مثل حَباجى. والطَّلَحُ، بالفتح: النِعمةُ. والطَّلاحُ ضد الصَّلاحِ. والطالح: ضد الصالح.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

قال الفيروزآبادي[1]: الطَّلْحُ: شَجَرٌ عِظامٌ كالطِّلاحِ، ككتابٍ. وإبِلٌ طِلاحِيَّةٌ، ويضمُّ: تَرْعاها، وطَلِحَةٌ، كفَرِحَةٍ، وطَلاحَى: تَشْتَكي بُطونَها منها. وأرضٌ طَلِحَةٌ: كثيرَتُها.

وطلح: الطَّلْعُ، والمَوْزُ، والخالي الجَوْفِ من الطَّعام، وقد طَلِحَ، كفَرِحَ وعُنِيَ، وما بَقِيَ في الحَوْضِ من الماءِ الكَدِرِ. والطَّلْحِيَّةُ: للوَرَقَةِ من القِرْطاسِ، مُوَلَّدَةٌ. وطَلَحَ البَعيرُ، كمَنَعَ، طَلْحاً وطَلاحَةً: أعْيا، وطلح زَيْدٌ بعيرَه: أتْعَبَه، كأطْلَحَه وطَلَّحَه فيهما، وهو طَلْحٌ وطِلْحٌ وطَليحٌ. وناقةٌ طِلْحَةٌ وطَليحةٌ وطِلْحٌ وطالِحٌ، وإبِلٌ طُلَّحٌ، كرُكَّعٍ، وطَلائِحُ. وراكِبُ الناقَةِ طليحانِ، أي: هو والناقةُ. والطِّلْحُ، بالكسر: القُرادُ، كالطَّليحِ، والمَهْزولُ، والرَّاعي المُعْيي. وهو طِلْحُ مالٍ: إزاؤُه.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: 29].**

قال الألوسي[2]: قد نضد حمله من أسفله إلى أعلاه ليست له ساق بارزة. وهو شجر الموز كما أخرج ذلك عبد الرزاق وهناد وعبد بن حميد ابن جرير وابن مردويه عن علي كرم الله تعالى وجهه، وأخرجه جماعة من طرق عن ابن عباس ورواه ابن المنذر عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري وعبد بن حميد عن الحسن ومجاهد وقتادة، وعن الحسن أنه قال: ليس بالموز ولكنه شجر ظله بارد رطب، وقال السدى: شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل، وقيل: هو شجر من عظام العضاه، وقيل: شجر أم غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة.

قال ابن عاشور[3]: والطلح: شجر من شجر العضاه واحدهُ طلحة، وهو من

---

(1) القاموس المحيط.

(2) روح المعاني.

(3) التحرير والتنوير.

شجر الحجاز ينبت في بطون الأودية، شديد الطُّول، غليظ الساق. من أصلب شجر العِضاه عُوداً، وأغصانه طوال عظام شديدة الارتفاع في الجو ولها شوك كثير قليلةُ الورق شديدة الخُضرة كثيرة الظل من التفاف أغصانها، وصمغها جيّد وشوكها أقل الشوك أذىً، ولها نَور طيب الرائحة، وتسمى هذه الشجرة أمّ غَيلان، وتسمى في صفاقس غيلان وفي أحواز تونس تسمى مِسْكَ صَنادِق.

قال أبو السعود[1]: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ قد نُضّد حملُه من أسفلِه إلى أعلاهُ ليستْ له ساقٌ بارزةُ وهو شجرُ الموزِ أو أمُّ غيلانَ وله أنوارٌ كثيرةٌ منتظمةٌ طيبةُ الرائحةِ وعن السُّدِّيِّ: شجرٌ يُشبهُ طلحَ الدُّنيا ولكنْ له ثمرٌ أَحْلى من العسلِ. وعن عليَ رضيَ الله عنهُ أنه قرأَ وطلع وما شأنُ الطلحِ وقرأَ قولَه تعالى: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق: 10] فقيلَ أَوَ نُحوِّلُها قال: آيْ القرآنِ لا تُهاجُ ولا تحولُ وعن ابنِ عباسٍ نحوُه.

---

(1) إرشاد العقل السليم.

طلع

(طَلَع - بَزَغ - شَرَق - ظَهَر)

■ **الطُّلُوعُ:** انتشار الضوء ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت﴾ [الكهف: 17].

■ **البُزُوغُ:** أول الطلوع ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةً﴾ [الأنعام: 78].

■ **الشُّرُوقُ:** ما يعقب البزوغ حين يرتفع الضوء، أي أول ما وقعت عليه عينه من السماء ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزُّمَر: 69].

■ **الظُّهُورُ:** استمرار الانتشار أمام البصر أو البصيرة ﴿أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ [غافر: 26].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء واللام والعين أصلٌ واحد صحيح، يدلُّ على ظهورٍ وبُروز، يقال: طلعت الشمس طُلوعاً ومَطْلَعاً. والمَطْلِع موضع طلوعها. قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر: 5]. فمن فتح اللام أراد المصدر، ومن كسر أراد الموضع الذي تطلعُ منه. ويقال: طَلَعَ علينا فلانٌ، إذا هجم. وأَطْلَعْتُك على الأمر إطْلاعاً. وقد أطلعتُك طِلْعَهُ. والطِّلاع ما طَلعت عليه الشمس من الأرض. وفي الحديث: «**لو أنَّ لي طِلَاعَ الأرض ذهباً**». ونَفْسٌ طُلَعَةٌ: تتطلَّعُ للشيء. وامرأةٌ طُلَعَةٌ، إذا كانت تكثر الاطّلاع. والطَّلْع طَلْعُ النّخلة، وهو الذي يكونُ في جوفه

(1) معجم مقاييس اللغة.

الكافُور، وقد أطلعت النخلة. وقوس طِلَاعُ الكفّ، إذا كان عَجْسها يملأ الكفّ.

ومن الباب: استطلعتُ رأيَ فلانٍ، إذا نظرتَ ما الذي يَبْرُزُ إليك منه. وطَلْعة الإنسان: رؤيته؛ لأنَّها تطلُع، ورمى فلان فأَطْلَعَ وأشْخَص، إذا مرَّ سهمُه برأسِ الغَرَض. وطليعة الجيش: من يطَّلِع طِلْعَ العدوّ، والمُطَّلَع: المأْتَى؛ يقال أين مُطَّلع هذا الأمر، أي مأْتاه. فأمَّا قوله ﷺ: «**لافتدَيْتُ به من هول المُطَّلع**». الباب الطُّلَعاء: القيء؛ يقال أطْلَع: إذا قاء.

قال الجوهري[1]: طَلَعَتِ الشمسُ والكوكبُ طُلوعاً ومَطْلِعاً ومطلعاً. والمَطْلَعُ والمَطْلِعُ أيضاً: موضعُ طلوعها. قال ابن السكيت: طَلَعْتُ على القوم، إذا أتيتهم. وقد طَلَعتُ عنهم، إذا غبتَ عنهم. وطَلِعْتُ الجبل بالكسر، أي عَلَوْتُهُ. وفي الحديث: «**لا يَهيدَنَّكمُ الطالِعُ**»، يعني الفجر الكاذب. واطَّلعتُ على باطن أمره، وهو افْتَعَلْتُ. وطالَعَهُ بكتبه. وطالَعْتُ الشيء، أي اطَّلعتُ عليه. وتَطَلَّعتُ إلى ورود كتابك. والطَّلْعَةُ الرؤية. والطَّلْعُ طَلْعُ النخلة. واطلعَ النخلُ، إذا خرج طلعُهُ. وأطْلَعْتُكَ على سِرِّي. ونخلةٌ مُطْلِعَةٌ أيضاً: إذا طالَتِ النخيلَ، أي كانت أطولَ من سائرها.

وأَطلَعَ الرامي أي جاز سهمُه من فوق الغَرَض. وأَطْلَعَ، أي قاء. والطُّلَعاءُ القيْءُ. واسْتَطْلَعْتُ رأي فلان. والطِّلْعُ بالكسر: الاسم من الاطِّلاع. تقول منه: اطَّلِعْ طِلْعَ العدوِّ. ويقال أيضاً: كُنْ بطِلْعِ الوادي وطَلْعِ الوادي. والمُطَّلَعُ المأتى. يقال: أين مُطَّلَعُ هذا الأمر، أي مأتاه، وهو موضع الاطِّلاعِ من إشرافٍ إلى انحدارٍ. وفي الحديث: «**مِنْ هَوْلِ المُطَّلع**» شبَّه ما أشرف عليه من أمر الآخرة بذلك. وطَليعَةُ الجيش: من يُبْعَثُ ليَطَّلِعَ طِلْعَ العدوِّ. وطِلاعُ الشيء: مِلؤه. وقال الحسن: لأنْ أعلم إنِّي بريءٌ من النفاق أحبُّ إليَّ من طِلاعِ الأرض ذهباً. ونفسٌ طُلَعَةٌ، أي تكثر التَّطَلُّعَ للشيء وكذلك امرأةٌ طُلَعَةٌ.

(1) الصحاح في اللغة.

قال الفيروزآبادي[1]: طَلَعَ الكَوْكَبُ والشمسُ، طُلوعاً ومَطْلَعاً ومَطْلِعاً: ظَهَرَ، كأَطْلَعَ، وهما للمَوضِعِ أيضاً، وعلى الأمْرِ طُلوعاً: عَلِمَهُ، كاطَّلَعَهُ، على افْتَعَلَهُ، وتَطَلَّعَهُ. وطَلَعَ فُلانٌ عَلَيْنا، كمنَعَ ونَصَرَ: أتَانا، كاطَّلَعَ، وطلع عنْهُمْ: غابَ، ضِدٌّ، وطلع سنُّ الصَّبِيِّ: بَدَت شَباتُها، وطلع أرضَهُمْ: بَلغَها، وطلع النَّخْلُ: خَرَجَ طَلْعُهُ، كأَطْلَعَ، وطَلَّعَ، وطلع بِلادَهُ: قَصَدَها، وطلع الجبَلَ: عَلاهُ، كطَلِعَ بالكسر. وحَيَّا اللهُ طَلْعَتَهُ: رُؤْيَتَهُ، أو وجْهَهُ. والطالِعُ: السهمُ يَقَعُ وراءَ الهَدَفِ، والهِلالُ. ورجُلٌ طَلَّاعُ الثَّنايَا والأَنْجُدِ، كشدادٍ: مُجَرِّبٌ لِلْأُمُورِ، رَكَّابٌ لَها، يَعْلُوها ويَقْهَرُها بِمَعْرِفَتِهِ وتَجَارِبِهِ وجَوْدَةِ رأيِهِ، والذي يَؤُمُّ مَعالِيَ الأُمُورِ. والطَّلْعُ: المِقْدارُ، تقولُ: الجَيْشُ طَلْعُ أَلْفٍ، وطلع من النَّخْلِ: شيءٌ يَخْرُجُ كأنه نَعْلانِ مُطْبَقانِ، والحَمْلُ بينهما مَنْضودٌ، والطَّرَفُ مُحدَّدٌ، أو ما يَبْدُو من ثَمَرَتِهِ في أوَّلِ ظُهُورِها، وقِشْرُه يُسَمَّى: الكُفُرَّى، وما في داخِلِهِ: الإِغْرِيضُ لبيَاضِهِ، وبالكسر: الاسمُ من الاطِّلاعِ، ومنه: اطَّلِعْ طِلْعَ العَدُوِّ، والمكانُ المُشْرِفُ الذي يُطَّلَعُ منه، والناحِيَةُ، ويفتحُ فيهما، وكلُّ مُطْمَئِنٍّ من الأرضِ أو ذاتِ رَبْوةٍ، والحَيَّةُ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ [مريم: 78].

قال القرطبي[2]: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ قال ابن عباس: أنظر في اللوح المحفوظ؟ وقال مجاهد: أعلم الغيب حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا؟!.

قال الطبري[3]: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ يقول عزّ ذكره: أعلِمَ هذا القائل هذا القول علم الغيب، فعلم أن له في الآخرة مالاً وولداً باطلاعه على علم ما غاب عنه.

---

(1) القاموس المحيط.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) جامع البيان.

● **قال تعالى:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الكهف: 90].

قال ابن كثير[1]: يقول تعالى: ثم سلك طريقاً، فسار من مغرب الشمس إلى مطلعها، وكان كلما مرّ بأمة قهرهم وغلبهم ودعاهم إلى الله عز وجل، فإن أطاعوه، وإلا أذلهم وأرغم آنافهم واستباح أموالهم وأمتعتهم، واستخدم من كل أمة ما تستعين به جيوشه على قتال الأقاليم المتاخمة لهم، وذكر في أخبار بني إسرائيل أنه عاش ألفاً وستمائة سنة يجوب الأرض طولها والعرض، حتى بلغ المشارق والمغارب، ولما انتهى إلى مطلع الشمس من الأرض كما قال الله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٍ﴾ أي: أمة.

قال البغوي[2]: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ﴾، أي موضع طلوعها، ﴿وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٍ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرًا﴾، قال قتادة، والحسن: لم يكن بينهم وبين الشمس ستر، وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء، فكانوا يكونون في أسرابٍ لهم، حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معايشهم وحروثهم. وقال الحسن: كانوا إذا طلعت الشمس يدخلون الماء، فإذا ارتفعت عنهم خرجوا يتراعون كالبهائم. وقال الكلبي: هم قوم عراة، يفترش أحدهم إحدى أذنيه، ويلتحف بالأخرى.

● **قال تعالى:** ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [طه: 130].

قال أبو السعود[3]: ﴿وَسَبِّحۡ﴾ ملتبساً ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ تَرۡضَىٰ﴾ أي صلِّ وأنت حامدٌ لربك الذي يبلّغك إلى كمالك على هدايته وتوفيقِه، أو نزِّهه تعالى عما ينسُبونه إليه مما لا يليق بشأنه الرفيعِ حامداً له على ما ميّزك بالهدى معترفاً بأنه مولى النّعم كلِّها، والأولُ هو الأظهرُ المناسبُ لقوله تعالى: ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ الخ، فإن

---

(1) تفسير ابن كثير.
(2) معالم التنزيل.
(3) إرشاد العقل السليم.

توقيت التنزيه غيرُ معهودٍ فالمرادُ صلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني صلاتي الظهرِ والعصر لأنهما قبل غروبِها بعد زوالها، وجمعُهما لمناسبة قوله تعالى: (قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ صَلَوٰةِ العَصْرِ) ﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ﴾ أي من ساعاته جمع إِنى بالكسر والقصر، وآناء بالفتح والمد ﴿فَسَبِّحْ﴾ أي فصلِّ والمرادُ به المغربُ والعشاءُ إيذاناً باختصاصهما بمزيد الفضلِ فإن القلبَ فيهما أجمعُ والنفسَ إلى الاستراحة أميلُ فتكون العبادةُ فيهما أشقَّ، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: 6].

قال ابن عجيبة(1): ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: إن كان سماع ما يقولون يُوحشك، فتسبيحنا يُروحك. هـ. أو: صَلِّ وأنت حامد لربك، الذي يبلغك إلى كمال هدايتك، ويرجح هذا قوله: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾، فإن توقيت التنزيه غير معهود، فإنَّ المراد بقبل طلوع الشمس: صلاة الفجر، وقبل غروبها: صلاة الظهر والعصر، وقيل: العصر فقط.

● **قال تعالى**: ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ [الصافات: 54].

قال الألوسي(2): ﴿قَالَ﴾ أي ذلك القائل الذي كان قرين لجلسائه بعد ما حكى لهم مقالة قرينة له في الدنيا ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ على أهل النار لأريكم ذلك القرين الذي قال لي ما حكيت لكم، والمراد من الاستفهام العرض أو الأمر على ما قيل، والغرض من ذلك إراءتهم سوء حال القرين ليؤنسهم نوع إيناس وقيل يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه، ولا يخفى أن ظن الكذب في غاية البعد واطلاع أهل الجنة على أهل النار ومعرفة من فيها مع ما بينهما من التباعد غير بعيد بأن يخلق الله تعالى فيهم حدة نظر ويعرفهم من أرادوا الاطلاع عليه، ولعلهم إذا أرادوا ذلك وقفوا على الأعراف فاطلعوا على من أرادوا من أهل النار؛ وقيل إن لهم طاقات في الجنة ينظرون منها من علو إلى أهل النار وعلم القائل بأن القرين من أهل النار

(1) البحر المديد.
(2) روح المعاني.

لعلمه بأنه كان ينكر البعث ومنكره منهم قطعاً والأصل بقاؤه على الكفر وقيل علم ذلك بإخبار الملائكة عليهم السلام إياه. وقيل قائل ﴿هَلْ أَنتُم﴾ الخ هو الله تعالى أو بعض الملائكة عليهم السلام يقول للمتحادثين من أهل الجنة هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار لأريكم ذلك القرين فتعلموا أين منزلتكم من منزلتهم، وقيل القائل من كان له قرين والمخاطبون بأنتم الملائكة عليهم السلام وفي الكلام حذف كأنه قيل: فقال لهذا القائل حاضروه من الملائكة قرينك هذا يعذب في النار فقال للملائكة الذين أخبروه: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ ولا يخفى ما فيه.

● **قال تعالى:** ﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [القصص: 38]

قال الشعراوي(1): ﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ وقبل أنْ يصل إلى حكم فيرى إله موسى أو لا يراه، يبادر بالحكم على موسى.

قال الخازن(2): ﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ يعني أنظر إليه وأقف على حاله.

● **قال تعالى:** ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [الشعراء: 148].

قال القرطبي(3): ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ قال: منه ما قد أرطب ومنه مذنِّب. الثالث: أنه الذي ليس فيه نوى؛ قاله الحسن. الرابع: أنه المتهشم المتفتت إذا مس تفتت؛ قاله مجاهد. وقال أبو العالية: يتهشم في الفم. الخامس: هو الذي قد ضمر بركوب بعضه بعضاً؛ قاله الضحاك ومقاتل. السادس: أنه المتلاصق بعضه ببعض؛ قاله أبو صخر. السابع: أنه الطلع حين يتفرق ويخضر؛ قاله الضحاك أيضاً. الثامن: أنه اليانع النضيج؛ قاله ابن عباس. التاسع: أنه المكتنز قبل أن ينشق عنه القشر. العاشر: أنه الرخو؛ قاله الحسن. الحادي عشر: أنه الرخص اللطيف أوّل ما يخرج وهو الطلع النَّضِيدُ؛ قاله الهروي.

---

(1) تفسير الشعراوي.
(2) لباب التأويل.
(3) الجامع لأحكام القرآن.

قال الطبري[1]: ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ يعني بالطلع: الكُفُرَّى.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿هَضِيمٌ﴾ فقال بعضهم: معناه اليانع النضيج.

وقال آخرون: بل هو المتهشم المتفتت. وقال الحارث: تهشّم تهشّماً.

● **قال تعالى**: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق: 10].

قال الفخر الرازي[2]: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ أي منضود بعضها فوق بعض في أكمامها كما في سنبله الزرع وهو عجيب، فإن الأشجار الطوال أثمارها بارزها متميز بعضها من بعض لكل واحد منها أصل يخرج منه كالجوز واللوز وغيرهما والطلع كالسنبلة الواحدة يكون على أصل واحد.

قال الشوكاني[3]: الطلع: هو أوّل ما يخرج من ثمر النخل، يقال: طلع الطلع طلوعاً، والنضيد: المتراكب الذي نضد بعضه على بعض، وذلك قبل أن ينفتح فهو نضيد في أكمامه فإذا خرج من أكمامه، فليس بنضيد.

(1) جامع البيان.
(2) التفسير الكبير.
(3) فتح القدير.

طلق

(طَلَّقَ - سَرَّح - سَرَّبَ - ذَهب - مَضَى - وَلَّى)

■ **الطَّلاقُ:** التخلية من الوثاق ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: 229].

■ **السَّرْحُ:** الانطلاق والسروح: الإسامة، أي الغدُوّ بها إلى المراعي. ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ﴾ [النحل: 6].

■ **السَّرْبُ:** الذهاب في المكان المنحدر ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا﴾ [الكهف: 61].

■ **الذَّهَابُ:** على نية عدم الرجوع ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ﴾ [هُود: 74].

■ **المُضِيّ:** النفاذ نهائياً ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الزّخرُف: 8].

■ **التَّوَلِّي:** ذهب غاضباً ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ [الغَاشِيَة: 23].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الطاء واللام والقاف أصلٌ صحيحٌ مطّرد واحد، وهو يدلُّ على التَّخلية والإرسال. يقال: انطلقَ الرّجل ينطلق انطلاقاً. ثمَّ ترجع الفروع إليه، تقول: أطْلَقْتهُ إطلاقاً. والطِّلْق الشيء الحلال، كأنّه قد خُلِّيَ عنه فلم يُحظَر. ومن الباب: عَدَا الفرس طَلَقاً أو طَلَقين. وامرأة طالقٌ: [طَلَّقها زوجُها]، وطالقةٌ

(1) معجم مقاييس اللغة.

غداً. وأطلَقْتُ النّاقةَ من عِقالها وطَلّقتها فطلَقت. ورجل طَلْق الوَجه وطليقُه، كأنَّه منطلق. وهو ضدُّ الباسر؛ لأنَّ الباسر الذي لا يكاد يَهَشّ ولا ينفسِحُ ببشاشة. وأهل اليمن يقولون: أبسر المركب، إذا وقف. ويقال: طَلَقَ يدَه بخير وأطْلَقَ بمعنى.

والطَّالق: النّاقة تُرسَل ترعى حيث شاءت. ويقال للظَّبْي إذا مرَّ لا يُلوِي على شيء: قد تَطلَّق. ورجل طِلْق اللسان وطَلِيقُه. وهذا لسانٌ طلق ذلق. وتقول: هذا أمرٌ ما تَطَلَّقُ نفسي له، أي لا تنشرح له. ويقال: طُلِّق السَّليم، إذا سكن وجعُه بعد العِداد. قال: فأمَّا قوله: فإنه يُروى كذا بفتح اللام: المطلَّق، وهو الذي طُلِّق من وجع السّمّ. ومن النّاس من يرويه «المطلِّق» بكسر اللام، فمعناه أنَّهم يسمُّون الرَّجلُ الذي يريد أن يُسابِقَ بفرسه المطلِّق، فالأهوالُ تعتريه، لأنَّه لا يدري أَيَسْبِق أم يُسْبَق. قال الشيباني: الطالق من [الإبل] التي يتركُها الراعي لنفسه، لا يحلبها على الماء. يقال: استطلق الرّاعي لنفسه ناقةً. وليلة الطَّلَق: [ليلةَ] يخلِّي الرَّاعي إبلَه إلى الماء. وهو يتركها مع ذلك ترعى ليلتئذ. يقال أطلقْتُها حتَّى طَلَقَتْ طَلَقاً وطُلوقاً، وهي قبل القَرَب وبعد التحويز.

قال الفيروزآبادي(1): طَلُقَ، ككَرُمَ، وهو طَلْقُ الوَجْه، مُثَلّثَةً، وككَتِفٍ وأميرٍ، أي: ضاحِكُهُ مُشْرِقُهُ. وطَلْقُ اليدَيْنِ، بالفتح، وبضَمَّتَيْنِ: سَمْحُهُما. وطَلْقُ اللسانِ، بالفتحِ والكسرِ، وكأميرٍ، ولِسانٌ طَلِقٌ ذَلِقٌ، وطَليقٌ ذَليقٌ، وطُلُقٌ ذُلُقٌ، بضمتينِ، وكصُرَدٍ وكَتِفٍ: ذو حِدَّةٍ. وفَرَسٌ طَلْقُ اليَدِ اليُمْنَى: مُطْلَقُها. والطَّلْقُ: الظَّبْيُ، جمعه: أَطْلاقٌ، وكَلْبُ الصَّيْدِ، والناقَةُ الغَيْرُ المُقَيَّدَةِ. ويومٌ طَلْقٌ: لا حَرَّ فيه ولا قَرَّ، وليلَةٌ طَلْقٌ وطَلْقَةٌ وطالِقَةٌ وطوالِقُ، وقد طَلُقَ فيهما ككَرُمَ، طُلوقَةً وطَلاقَةً.

قال الراغب(2): أصل الطلاق: التخلية من الوثاق، يقال: أطلقت البعير من

(1) القاموس المحيط. (2) مفردات الراغب.

عقاله، وطلقته، وهو طالق وطلق بلا قيد، ومنه استعير: طلقت المرأة، نحو: خليتها فهي طالق، أي: مخلاة عن حبالة النكاح. قال تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: 1]، ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: 229]، ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: 228]، فهذا عام في الرجعية وغير الرجعية، وقوله: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ [البقرة: 228]، خاص في الرجعية، وقوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ﴾ [البقرة: 230]، أي: بعد البين، ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ [البقرة: 230]، يعني الزوج الثاني. وانطلق فلان: إذا مر متخلفاً، وقال تعالى: ﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ [القلم: 23]، ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المرسلات: 29]، وقيل: للحلال: طلق، أي: مطلق لا حظر عليه، وعدا الفرس طلقاً أو طلقين اعتباراً بتخلية سبيله. والمطلق في الأحكام: ما لا يقع منه استثناء، وطلق يده، وأطلقها عبارة عن الجود، وطلق الوجه، وطليق الوجه: إذا لم يكن كالحاً، وطلق السليم: خلاه الوجع، وليلة طلقة: لتخلية الإبل للماء، وقد أطلقها.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: 229].

قال القرطبي(1): قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: 229] فيه سبع مسائل:

الأُولى: قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ ثبت أن أهل الجاهلية لم يكن عندهم للطلاق عدد، وكانت عندهم العِدّةُ معلومةً مقدّرةً؛ وكان هذا في أوّل الإسلام

(1) الجامع لأحكام القرآن.

برهة، يطلِّق الرجل ٱمرأته ما شاء من الطلاق؛ فإذا كادت تحل من طلاقه راجعها ما شاء؛ فقال رجل لامرأته على عهد النبي ﷺ: لا آوِيك ولا أدَعُك تحِلِّين؛ قالت: وكيف؟ قال: أطلقك فإذا دنا مضيّ عدّتِكِ راجعتك. فشكت المرأة ذلك إلى عائشة؛ فذكرت ذلك للنبي ﷺ؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية بياناً لعدد الطَّلاق الذي للمرء فيه أن يرْتَجع دون تجديد مهر ووَليّ، ونسخ ما كانوا عليه. قال معناه عروة بن الزبير وقتادة وٱبن زيد وغيرهم. وقال ابن مسعود وٱبن عباس ومجاهد وغيرهم: المراد بالآية التعريف بسنّة الطلاق؛ أي من طلق ٱثنتين فليتق الله في الثالثة، فإما تَرَكها غير مظلومة شيئاً من حقّها، وإما أمْسَكها محسناً عشرتها؛ والآية تتضمن هذين المعنيين.

الثانية: الطلاق هو حَلّ العِصمة المنعقدةِ بين الأزواج بألفاظ مخصوصة. والطلاق مباح بهذه الآية وبغيرها، وبقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ في حديث ٱبن عمر: «**فإن شاء أمسك وإن شاء طلق**» وقد طلق رسول الله ﷺ حفصة ثم راجعها؛ خرّجه ٱبن ماجه. وأجمع العلماء على أن من طلق ٱمرأته طاهراً في طهر لم يمسها فيه أنه مطلِّق للسنّة، وللعدّة التي أمر الله تعالى بها، وأن له الرّجعة إذا كانت مدخولاً بها قبل أن تنقضي عدّتها؛ فإذا ٱنقضت فهو خاطب من الخُطّاب. فدل الكتاب والسنة وإجماع الأمّة على أن الطلاق مباح غير محظور. قال ٱبن المنذر: وليس في المنع منه خبر يثبت.

قال الفخر الرازي(1): قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾.

اعلم أن هذا هو الحكم الثالث من أحكام الطلاق، وهو الطلاق الذي تثبت فيه الرجعة.

والقول الأول: في تفسير الآية أن هذا ليس ابتداء كلام بل هو متعلق بما قبله، والمعنى أن الطلاق الرجعي مرتان، ولا رجعة بعد الثلاث، وهذا التفسير

(1) التفسير الكبير.

هو قول من جوز الجمع بين الثلاث، وهو مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه.

● **قال تعالى:** ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ [البقرة: 230].

قال الألوسي[1]: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ فإن تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي أن يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقاً، والأظهر أنه طلاق وإليه ذهب أصحابنا وهو قول للشافعية لأنه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض فحينئذٍ يكون ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ متعلقاً بقوله سبحانه ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ﴾ [البقرة: 229] تفسيراً لقوله تعالى: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ﴾ لا متعلقاً بآية الخلع ليلزم المحذور، ويكون ذكر الخلع اعتراضاً لبيان أن الطلاق يقع مجاناً تارة وبعوض أخرى، والمعنى فإن طلقها بعد الثنتين أو بعد الطلاق الموصوف بما تقدم. ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ﴾ أي من بعد ذلك التطليق ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ﴾ أي تتزوّج زوجاً غيره، ويجامعها فلا يكفي مجرد العقد كما ذهب إليه ابن المسيب وخطؤه لأن العقد فهم من (زوجاً)، والجماع من (تنكح)، وبتقدير عدم الفهم، وحمل النكاح على العقد تكون الآية مطلقة إلا أن السنة قيدتها فقد أخرج الشافعي وأحمد والبخاري ومسلم وجماعة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «**جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجني عبد الرحمٰن بن الزبير وما معه إلا مثل هدبة الثوب فتبسم النبي ﷺ فقال: أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك**» وعن عكرمة أن هذه الآية نزلت في هذه المرأة واسمها عائشة بنت عبد الرحمٰن بن عتيك وكان نزل فيها ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ﴾ [البقرة: 230] فيجامعها فإن طلقها بعدما جامعها فلا جناح عليهما أن يتراجعا، وفي ذلك دلالة على أن الناكح الثاني لا بد أن يكون زوجاً فلو كانت أمة وطلقت البتة ثم وطئها سيدها لا تحل للأول.

---

(1) روح المعاني.

وعلى أنه لو اشتراها الزوج من سيدها أو وهبها سيدها له بعد أن بت طلاقها لم يحل له وطؤها في الصورتين بملك اليمين حتى تنكح زوجاً غيره وعلى أنّ الولي ليس شرطاً في النكاح لأنه أضاف العقد إليها، والحكمة في هذا الحكم ردع الزوج عن التسرع إلى الطلاق لأنه إذا علم أنه إذا بت الطلاق لا تحل له حتى يجامعها رجل آخر. ولعله عدوه ارتدع عن أن يطلقها البتة لأنه وإن كان جائزاً شرعاً لكن تنفر عنه الطباع وتأباه غيرة الرجال.

قال الشعراوي(1): وسبق أن قال الحق: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ [البقرة: 229] وبعدها قال: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: 229]. وهنا يتحدث الحق عن التسريح بقوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾ [البقرة: 230]. وذلك حتى يبين لنا أنه إن وصلت الأمور بين الزوجين إلى مرحلة اللا عودة فلا بد من درس قاس؛ فلا يمكن أن يرجع كل منهما للآخر بسهولة. لقد أمهلهما الله بتشريع البينونة الصغرى التي يعقبها مهر وعقد جديدان فلم يرتدعا، فكان لا بد من البينونة الكبرى، وهي أن تتزوج المرأة بزوج آخر وتجرب حياة زوجية أخرى. وبذلك يكون الدرس قاسياً.

● **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطّلاق: 1].

قال الطبري(2): يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ يقول: إذا طلقتم نساءكم فطلقوهنّ لطهرهنّ الذي يحصينه من عدّتهن، طاهراً من غير جماع، ولا تطلقوهنّ بحيضهنّ الذي لا يعتددن به من قُرْئهنّ.

قال الشوكاني(3): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ نادى النبيّ ﷺ أوّلاً تشريفاً له، ثم خاطبه مع أمته، أو الخطاب له خاصة، والجمع للتعظيم، وأمته أسوته في ذلك، والمعنى: إذا أردتم تطليقهن وعزمتم عليه ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي:

(1) تفسير الشعراوي.
(2) جامع البيان.
(3) فتح القدير.

مستقبلات لعدتهنّ، أو في قبل عدتهنّ، أو لقبل عدتهنّ. والمراد أن يطلقوهنّ في طهر لم يقع فيه جماع، ثم يتركن حتى تنقضي عدتهنّ، فإذا طلقوهنّ هكذا، فقد طلقوهنّ لعدتهنّ.

● **قال تعالى:** ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المرسلات: 29].

قال الألوسي[1]: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ أي يقال لهم يومئذٍ للتوبيخ والتقريع انطلقوا ﴿إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ في الدنيا من العذاب.

قال ابن عجيبة[2]: يقول الحق جلّ جلاله للكفرة المكذِّبين: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ أي: سيروا ﴿إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ من النار المؤبَّدة عليكم.

قال أبو السعود[3]: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ أي يقالُ لهم يومئذٍ للتوبيخِ وللتقريعِ انطلقُوا ﴿إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ في الدُّنيا من العذابِ.

---

(1) روح المعاني.
(2) البحر المديد.
(3) إرشاد العقل السليم.

طم

(طَمَّ - طَمَس - نَسَخ - مَسَح - مَحا - خَسَف - غَلَف)

- **الطَّمُّ:** ملء النهر أو البئر بالسراب كلياً حتى يذهب أثره وأثر ما فيه ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النَّازعات: 34].
- **الطَّمْسُ:** إزالة الأثر ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المُرسَلات: 8].
- **النَّسْخُ:** إزالة شيء بشيء يعقبه، تنسخ الشمس بالظل ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: 106].
- **المَسْحُ:** إمرار اليد على الشيء حتى يختفي أثره ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: 33].
- **المَحْوُ:** إزالة الأثر بالآلة ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: 39].
- **الخَسْفُ:** الذهاب في الأرض عمقاً حتى الموت ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القَصَص: 81].
- **الغُلْفُ:** الذهاب في غلاف الأرض ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [البقرة: 88].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال الجوهري[1]: جاء السيل فَطَمَّ الركيّةَ، أي دفنها وسوّاها. وكلُّ شيءٍ كثر

(1) الصحاح في اللغة.

حتَّى علا وغلب فقد طَمَّ يَطَمُّ. يقال: فوق كلِّ طَامَّةٍ طامَّةٌ، ومنه سمِّيت القيامة طَامَّة. وطَمَّ شعرَه، أي جَزَّه. وطَمَّ شعرَه أيضاً طُموماً، إذا عقصَه، فهو شعرٌ مَطْمومٌ. وأطَمَّ شعرُهُ، أي حان له أن يُطَمَّ أي يُجَزَّ. واسْتَطَمَّ مثله. قال أبو نصر: يقال للطائر إذا وقَع على غُصن قد طَمَّمَ تَطميماً. ومرَّ يَطِمُّ بالكسر طَميماً، أي يعدو عدواً سهلاً. والطِّمُّ: البحر. ويقال: جاء بالطِّمَّ والرِّمِّ، أي بالمال الكثير.

قال الفراء والزجاج(1): في قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ﴾؛ قال: هي القيامةُ تَطُمُّ على كل شيء، ويقال تَطِمُّ: الطامّةُ هي الصَّيْحةُ التي تَطِمُّ على كل شيء.

قال الراغب(2): الطم: البحر المطموم، يقال له: الطم والرم، وطم على كذا، وسميت القيامة طامة لذلك. قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات: 34].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات: 34]

قال أبو السعود(3): ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ أي الداهيةُ العُظمى التي تطمُّ على سائرِ الطاماتِ أي تعلُوها وتغلبُها وهي القيامةُ أو النفخةُ الثانيةُ وقيلَ: هي الساعةُ التي يُساقُ فيها الخَلائقُ إلى محشرِهم وقيلَ: التي يُساقُ فيها أهلُ الجنةِ إلى الجنةِ وأهلُ النارِ إلى النارِ شروعٌ في بيانِ أحوالِ معادِهم إثرَ بيانِ أحوالِ معاشِهم بقولِه تعالى: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ [المائدة: 96] الخ، والفاءُ للدلالة على ترتب ما بعدَها على ما قبلَها عما قليلٍ كما ينبىءُ عنه لفظُ المتاعِ.

(1) معاني القرآن.
(2) مفردات الراغب.
(3) إرشاد العقل السليم.

قال الخازن[1]: قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ يعني النّفخة الثانية، التي فيها البعث، وقيل الطامة القيامة سميت بذلك لأنها تطم على كل شيء فتعلو عليه، والطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع.

(1) لباب التأويل.

طمث

(طَمْث - حَيْض - مَسّ)

■ **الطَّمْثُ:** دم الافتضاض من البكارة ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: 56].

■ **الحَيْضُ:** الدم الدوري المبرمج من الرحم ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: 222]

■ **المَسُّ:** تفجير دم البكارة ليلة الدخول ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: 237].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الطاء والميم والثاء أصلٌ صحيح يدلُّ على مسِّ الشيء. قال الشَّيباني: الطَّمْث في كلام العرب المسُّ، وذلك في كلِّ شيء. يقال: ما طَمَث هذا المرتعَ قبلنا أحد. قال: وكلُّ شيء يُطمث. ومن ذلك الطَّامث وهي الحائض. طَمِثَتْ وطَمَثَتْ. ويقال طَمَثَ الرَّجُل المرأةَ: مسَّها بجماع. وهذا في هذا الموضع لا [يكونُ] بجماع وحدهُ. قال الله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمٰن: 56]، قال الخليل: طمثْتُ البعير طَمْثاً، إذا عقلتهُ. ويقال: ما طمث هذه الناقةَ حَبْلٌ قط. أي ما مسَّها. وأمَّا قول عديّ: فقال قوم: الطَّمْث: الدَّنَس.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الخليل(1): الطَّمْثُ: الافتضاضُ. وطَمَثْتُ الجارية: افترعتها، وقول الله عزّ وجلّ: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾. أي: لم يَمْسَسْهُنَّ. والطّامث: لُغَةٌ في الحائض. وطَمَثْتُ البَعِيرَ طَمْثاً، إذا عَقَلته.

قال الجوهري(2): طَمَثَها يَطْمِثُها ويَطْمُثُها طَمْثاً، إذا افتضَّها. وطَمَثَتِ المرأة تَطْمُثُ بالضم: حاضتْ. وطَمِثَتْ بالكسر لغة، فهي طامِثٌ. وقال أبو عمرو: الطَّمْثُ: المسُّ، وذلك في كل شيء يُمَسّ. قال: ويقال للمَرتَع: ما طَمَثَ المَرْتَعَ قبلَنا أحدٌ. وما طَمَثَ هذه الناقة حبلٌ قطُّ، أي ما مسَّها عِقالٌ.

قال الفيروزآبادي(3): طَمَثَها يَطْمِثُها ويَطْمُثُها: افْتَضَّها. وطَمَثَتْ، كنَصَرَ وسَمِعَ: حاضَتْ، فهي طامِثٌ. والطَّمْثُ: المَسُّ، والدَّنَسُ، والفَسادُ. وواثِلة بنُ الطَّمَثانِ، محرَّكةً: في إيادٍ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: 56].

قال ابن عاشور(4): والطمْث بفتح الطاء وسكون الميم مسيس الأنثى البِكر، أي من أبكار. وعُبِّر عن البكارة بـ ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ إطناباً في التحسين، وقد جاء في الآية الأخرى ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة: 36]. وهؤلاء هن نساء الجنة لا أزواج المؤمنين اللآئي كُنَّ لهم في الدنيا لأنهن قد يكنّ طمثهم أزواج فإن الزوجة في الجنة تكون لآخر من تزوجها في الدنيا. وقرأ الجمهور ﴿يَطْمِثْهُنَّ﴾ هنا، وفي نظيره الآتي بكسر الميم. وقرأه الدوري عن الكسائي بضم الميم وهما لغتان في مضارع طمث. ونقل عن الكسائي: التخييرُ بين الضم والكسر.

---

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) القاموس المحيط.
(4) التحرير والتنوير.

قال أبو السعود[1]: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ أي لم يَمسَّ الإنسياتِ أحدٌ من الإنسِ ولا الجنياتِ أحدٌ من الجنِّ قبلَ أزواجِهنَّ المدلولَ عليهُم بقاصراتُ الطرفِ، وقيلَ: بقولِه تعالى متكئينَ، وفيه دليلٌ على أنَّ الجِنَّ يطمثُونَ. وقُرِىءَ يَطْمُثْهنَّ بضمِّ الميم. والجملةُ صفةٌ لقاصراتُ الطرفِ، لأنَّ إضافتَها لفظيةٌ، أو حالٌ منَها لتخصصِها بالإضافةِ.

قال الفخر الرازي[2]: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ فيه وجوه أحدها: لم يفرعهن ثانيها: لم يجامعهن ثالثها: لم يمسسهن، وهو أقرب إلى حالهن وأليق بوصف كمالهن، لكن لفظ الطمث غير ظاهر فيه ولو كان المراد منه المس لذكر اللفظ الذي يستحسن، وكيف وقد قال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: 237] وقال: ﴿فَاعْتَزِلُواْ﴾ [البقرة: 222] ولم يصرح بلفظ موضوع للوطء، فإن قيل: فما ذكرتم من الإشكال باق وهو أنه تعالى كنى عن الوطء في الدنيا باللمس كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: 43] على الصحيح في تفسير الآية وسنذكره، وإن كان على خلاف قول إمامنا الشافعي رضي الله عنه وبالمس في قوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: 237] ولم يذكر المس في الآخرة بطريق الكناية، نقول: إنما ذكر الجماع في الدنيا بالكناية لما أنه في الدنيا قضاء للشهوة وأنه يضعف البدن ويمنع من العبادة، وهو في بعض الأوقات قبحه كقبح شرب الخمر، وفي بعض الأوقات هو كالأكل الكثير وفي الآخرة مجرد عن وجوه القبح، وكيف لا والخمر في الجنة معدودة من اللذات وأكلها وشربها دائم إلى غير ذلك، فالله تعالى ذكره في الدنيا بلفظ مجازي مستور في غاية الخفاء بالكناية إشارة إلى قبحه وفي الآخرة ذكره بأقرب الألفاظ إلى التصريح أو بلفظ صريح، لأن الطمث أدل من الجماع والوقاع لأنهما من الجمع والوقوع إشارة إلى خلوه عن وجوه القبح.

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) التفسير الكبير.

طمس

(طَمسَ - خَتَم - طَبَع - قَفَل)

■ **الطَّمْسُ:** مسح معالم الشيء فلم يعد قادراً على العمل أصلاً ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 66].

■ **الخَتْمُ:** تحديد آخر الشيء أو آخرته ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: 7].

■ **الطَّبْعُ:** ظهور أثر الختم على المختوم دائماً فلا يتغير بل يكون كذلك على الدوام ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: 100].

■ **الإِقْفَالُ:** بقاء طاقة الشيء محبوسة فلا تجد مجالاً للعمل مع القدرة عليه ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: 24].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الطاء والميم والسين أصلٌ يدلُّ على محوِ الشيء ومسحِهِ. يقال: طَمَسْتُ الخَطَّ، وطَمست الأثرَ. والشيءُ طامسٌ أيضاً. وقد طَمَسَ هو بنفسهِ.

قال الخليل(2): طَمَسَ: لغةٌ في طسم، أي: دَرَسَ إلّا أنّه أَعَمُّ. وطَمَسَ النجمُ: ذَهَبَ ضوؤه، والقمرُ مثلُه. وخَرْقٌ طامِسٌ، وجبل طامِسٌ: لا نباتَ فيه

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) العين.

ولا مَسلَكَ. والطَّمْس الآيةُ التاسعة من آياتِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين طَمَسَ اللهُ - تعالى- بدعوته على أموال فِرْعَونَ فصارت حِجارةً.

وقيل: الآيات التِّسْعُ: يَدُه وعَصاه والجَرادُ والقُمَّلُ والضَّفادِع والدَّمُ والسِّنُون ونَقْصُ الثَّمَرات. وقوله - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [يونس: 88] أي امسَخْها.

قال الجوهري[1]: الطُّموسُ: الدروسُ والامِّحاءُ. وقد طَمَسَ الطريقُ يَطْمُسُ ويَطْمِسُ وطَمَسْتُهُ طَمْساً، يتعدَّى ولا يتعدَّى. وانْطَمَسَ الشيء وتَطَمَّسَ، أي امَّحَى ودَرَس. وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾، أي غَيِّرْها، كما قال عزّ وجلّ: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ [النساء: 47].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: 47].

قال ابن كثير[2]: يقول تعالى آمراً أهل الكتاب بالإيمان بما نزل على عبده ورسوله محمد ﷺ من الكتاب العظيم الذي فيه تصديق الأخبار التي بأيديهم من البشارات، ومتهدداً لهم إن لم يفعلوا بقوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ قال بعضهم: معناه من قبل أن نطمس وجوهاً، فطمسها هو ردها إلى الأدبار، وجعل أبصارهم من ورائهم، ويحتمل أن يكون المراد: من قبل أن نطمس وجوهاً، فلا نبقي لها سمعاً ولا بصراً ولا أثراً، ومع ذلك نردها إلى ناحية

(1) الصحاح في اللغة. (2) تفسير ابن كثير.

الأدبار. قال العوفي عن ابن عباس في الآية وهي: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ وطمسها أن تعمى ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ يقول: نجعل وجوههم من قبل أقفيتهم، فيمشون القهقرى، ونجعل لأحدهم عينين من قفاه، وكذا قال قتادة وعطية العوفي، وهذا أبلغ في العقوبة والنكال، وهو مثل ضربه الله لهم في صرفهم عن الحق وردهم إلى الباطل، ورجوعهم عن المحجة البيضاء إلى سُبل الضلالة، يهرعون ويمشون القهقرى على أدبارهم، وهذا كما قال بعضهم في قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [يس: 8-9] الآية: إن هذا مثل ضربه الله لهم في ضلالهم، ومنعهم عن الهدى. قال مجاهد: من قبل أن نطمس وجوهاً، يقول: عن صراط الحق، فنردها على أدبارها، أي: في الضلال. قال ابن أبي حاتم: وروي عن ابن عباس والحسن نحو هذا. قال السدي: فنردها على أدبارها: فنمنعها عن الحق، قال: نرجعهم كفاراً ونردهم قردة، وقال ابن زيد: نردهم إلى بلاد الشام من أرض الحجاز. وقد ذكر أن كعب الأحبار أسلم حين سمع هذه الآية. قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا جابر بن نوح عن عيسى بن المغيرة، قال: تذاكرنا عند إبراهيم إسلام كعب، فقال: أسلم كعب زمان عمر، أقبل وهو يريد بيت المقدس، فمر على المدينة، فخرج إليه عمر، فقال: يا كعب، أسلم. فقال: ألستم تقرؤون في كتابكم ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجُمُعَة: 5] وأنا قد حملت التوراة، قال: فتركه عمر، ثم خرج حتى انتهى إلى حمص، فسمع رجلاً من أهلها حزيناً وهو يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ الآية، قال كعب: يا رب أسلمت؛ مخافة أن تصيبه هذه الآية، ثم رجع، فأتى أهله في اليمن، ثم جاء بهم مسلمين.

قال البيضاوي(1): ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن

---

(1) أنوار التنزيل.

﴿قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ من قبل أن نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة أدبارها، يعني الأقفاء، أو ننكسها إلى ورائها في الدنيا، أو في الآخرة. وأصل الطمس إزالة الأعلام المائلة وقد يطلق بمعنى الطلس في إزالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير، ولذلك قيل معناه من قبل أن نغير وجوهاً فنسلب وجاهتها وإقبالها ونكسوها الصغار والإِدبار، أو نردها إلى حيث جاءت منه، وهي أذرعات الشام يعني إجلاء بني النضير، ويقرب منه قول من قال إن المراد بالوجوه الرؤساء، أو من قبل أن نطمس وجوهاً بأن نعمي الأبصار عن الاعتبار ونصم الأسماع عن الإِصغاء إلى الحق بالطبع ونردها عن الهداية إلى الضلالة.

● **قال تعالى**: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [يونس: 88].

قال الألوسي[1]: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ أي أهلكها كما قال مجاهد، فالطمس بمعنى الإهلاك، وفعله من باب ضرب ودخل، ويشهد له قراءة ﴿ٱطْمُسْ﴾ بضم الميم، ويتعدى ولا يتعدى، وجاء بمعنى محو الأثر والتغيير وبهذا فسره أكثر المفسرين قالوا: المعنى ربنا غيرها عن جهة نفعها إلى جهة لا ينتفع بها. وأنت تعلم أن تغييرها عن جهة نفعها إهلاك لها أيضاً فلا ينافي ما أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الضحاك أنه بعد هذا الدعاء صارت دراهمهم ودنانيرهم ونحاسهم وحديدهم حجارة منقوشة. وعن محمد القرظي قال: سألني عمر بن عبد العزيز عن هذه الآية فأخبرته أن الله تعالى طمس على أموال فرعون وآل فرعون حتى صارت حجارة.

قال الماوردي[2]: قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ أي أهلكها، قاله قتادة. فذكر لنا أن زروعهم وأموالهم صارت حجارة منقوشة، قاله الضحاك.

● **قال تعالى**: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [يس: 66].

---

(1) روح المعاني.
(2) النكت والعيون.

قال القرطبي[1]: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ حكى الكسائي: طَمَس يَطمِس ويَطمُس. والمطموس والطَّمِيس عند أهل اللغة الأعمى الذي ليس في عينيه شقّ. قال ٱبن عباس: المعنى لأعميناهم عن الهدى، فلا يهتدون أبداً إلى طريق الحق. وقال الحسن والسّدي: المعنى لتركناهم عمياً يترددون. فالمعنى لأعميناهم فلا يبصرون طريقاً إلى تصرفهم في منازلهم ولا غيرها.

قال الطبري[2]: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: ولو نشاء لأعميناهم عن الهدى، وأضللناهم عن قصد المَحَجَّة. ذكر من قال ذلك: حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ يقول: أضللتهم وأعميتهم عن الهدى. وقال آخرون: معنى ذلك: ولو نشاء لتركناهم عمياً. ذكر من قال ذلك: حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ قال: لو يشاء لطمس على أعينهم فتركهم عمياً يتردّدون.

قال الزمخشري[3]: الطمس: تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة.

● **قال تعالى**: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المُرسَلات: 8].

قال الشوكاني[4]: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي: محي نورها، وذهب ضوؤها، يقال طمس الشيء: إذا درس وذهب أثره.

قال البغوي[5]: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾، محي نورها.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) جامع البيان.
(3) الكشاف.
(4) فتح القدير.
(5) معالم التنزيل.

قال ابن عادل[1]: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾ أي: ذهب ضوؤها، ومُحِيَ نورها كطَمْسِ الكتاب، يقال: طمس الشيء إذا درس، وطمس فهو مطموس، والريح تطمس الآثار، فتكون الريح طامسة، والأثر طامس بمعنى مطموس.

(1) اللباب في علوم الكتاب.

طمع

(طَمَعْ - رَغْبَة - شَهْوَة - مُراوَدَة - أَمَلْ)

■ **الطَّمَعُ:** ضد اليأس ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ﴾ [البقرة: 75].

■ **الرَّغْبَةُ:** شدة إرادة الشيء عقلاً ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة: 59].

■ **الشَّهْوَةُ:** نزوع النفس إلى ما تريده عاطفة ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾ [آل عمران: 14].

■ **المُرَاوَدَةُ:** السعي في طلب الشيء إلحاحاً بدافع الشهوة أو الحاجة أو الأمل ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: 23].

■ **الأَمَلُ:** الرجاء والانتظار ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: 3].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء والميم والعين أصلٌ واحدٌ صحيح يدلُّ على رجاءٍ في القلبِ قويٍّ للشَّيء. يقال: طَمِعَ في الشيءِ طَمَعاً وطَمَاعة وطماعِيَة. ولَطَمُعَتْ يازيد كما يقولون: لَقَضُو القاضي. هذا عند التعجُّب. ويقال: امرأةٌ مِطْماعٌ، للتي تُطمِع ولا تُمْكِن.

قال الجوهري[2]: طَمِعَ فيه طَمَعاً وطَماعَة وطَمَاعِيَةً مخفّف فهو طَمِعٌ وطَمُعٌ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) الصحاح في اللغة.

وأطْمَعَهُ فيه غيره. ويقال في التعجب: طَمُعَ الرجلُ فلانٌ بضم الميم، أي صار كثير الطَّمَعِ. والطَّمَعُ رِزقُ الجند. يقال: أمر لهم الأمير بأطماعِهِمْ، أي بأرزاقهم. وامرأةٌ مِطْماعٌ: تُطْمِعُ ولا تُمَكِّنُ.

قال الفيروزآبادي[1]: طَمِعَ فيه، وبه، كفرِحَ، طَمَعاً وطَماعاً وطَماعِيَةً: حَرِصَ عليه، فهو طامِعٌ وطَمِعٌ، كخَجِلٍ، ورجلٍ، جمعه: طَمِعُونَ وطُمَعاءُ وطَماعَى وأطْماعٌ. وطَمُعَ، ككَرُمَ: صارَ كثيرَهُ. وأطْمَعَهُ: أوقَعَه فيه. والطَّمَعُ، محرَّكةً: رِزْقُ الجُنْدِ، جمعه: أطْماعٌ، أو أطْماعُهُم: أوقاتُ قَبْضِ أرْزاقِهِم. وامرأةٌ مِطْماعٌ: تُطْمِعُ ولا تُمكِّنُ. وكمَقْعَدٍ: ما يُطْمَعُ فيه، وبهاءٍ: ما طَمِعْتَ من أجْلِهِ.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ﴾ [البقرة: 75].

قال الشعراوي[2]: يعطينا الحق تبارك وتعالى هنا الحكمة. . فيما رواه لنا عن بني إسرائيل وعن قصصهم. لأنهم سيكون لهم دور مع المسلمين في المدينة، ثم في بيت المقدس، ثم في المسجد الأقصى. . فهو يروي لنا كيف أتعبوا نبيهم وكيف عصوا ربهم. وكيف قابلوا النعمة بالمعصية والرحمة بالجحود. وإذا كان هذا موقفهم يا محمد مع الله ومع نبيهم. . فلا تطمع أن يؤمنوا لك ولا أن يدخلوا في الإسلام، مع أنهم عندهم التوراة تدعوهم إلى الإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام. . هذه الآيات تحمل أعظم تعزية للرسول الكريم. وتطالبه ألا يحزن على عدم إيمان اليهود به لأنه عليه البلاغ فقط؛ ولكن حرص رسول الله ﷺ على

(1) القاموس المحيط. (2) تفسير الشعراوي.

أن يؤمن كل أهل الأرض يهوداً ونصارى وكفاراً، ليس معناه أنه لم يفهم مهمته، ولكن معناه أنه أدرك حلاوة التكليف من ربه، بحيث يريد أن يهدي كل خلق الله في الأرض.. فيطمئنه الله ويقول له لا تعتقد أنهم سيؤمنون لك. وليس معنى عدم إيمانهم أنك لست صادقاً.. فتكذيبهم لك لا ينبغي أن يؤثر فيك. . فلا تطمع يا محمد أن يؤمنوا لك..

ما هو الطمع؟. . الطمع هو رغبة النفس في شيء غير حقها وإن كان محبوباً لها.. والأصل في الإنسان العاقل ألا يطمع إلا في حقه.. والإنسان أحياناً يريد أن يرفه حياته ويعيش مترفاً ولكن بحركة حياته كما هي. نقول له إذا أردت أن تتوسع في ترفك فلا بد أن تتوسع في حركة حياتك؛ لأنك لو أترفت معتمداً على حركة حياة غيرك.. فسيفسد ميزان حركة الحياة في الأرض، أي إن كنت تريد أن تعيش حياة متزنة فعش على قدر حركة حياتك؛ لأنك إن فعلت غير ذلك تسرق وترتشي وتفسد. فإن كان عندك طمع فليكن فيما تقدر عليه.

إذن فكلمة «أفتطمعون» هنا تحدد أنه يجب ألا نطمع إلا فيما نقدر عليه. هؤلاء اليهود هل نقدر على أن نجعلهم يؤمنون؟ يقول الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ.. هذا أمر زائد على ما كلفت به.. لأن عليك البلاغ، وحتى لو كان محبباً إلى نفسك. . فإن مقدماتهم مع الله لا تعطيك الأمل في أنك ستصل إلى النتيجة التي ترجوها.. وهذه الآية فيها تسرية لرسول الله ﷺ عما سيلاقيه مع اليهود. وتعطيه الشحنة الإيمانية التي تجعله يقابل عدم إيمان هؤلاء بقوة وعزيمة.. لأنه كان يتوقعه فلا يحزن ولا تذهب نفسه حسرات، لأن الله تبارك وتعالى قد وضع في نفسه التوقع لما سيحدث منهم. . فإذا جاء تصرفهم وفق ما سيحدث.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾ [الأعراف: 56].

قال أبو السعود[1]: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾ أي ذوي خوفٍ نظراً لقصور

(1) إرشاد العقل السليم.

أعمالِكم وعدمِ استحقاقِكم، وطمَعٍ نظراً إلى سَعة رحمتِه ووفورِ فضلِه وإحسانِه.

قال الخازن(1): ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾ أصل الخوف انزعاج في الباطن لما لا يؤمن من المضار وقيل هو توقع مكروه يحصل فيما بعد والطمع توقع محبوب يحصل له والمعنى وادعوه خوفاً منه ومن عقابه وطمعاً فيما عنده من جزيل ثوابه. وقال ابن جريج: العدل معناه خوف والطمع الفضل. وقيل معناه ادعوه خوفاً من الرياء في الذكر والدعاء طمعاً في الإجابة.

قال البغوي(2): ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾، أي: خوفاً منه ومن عذابه وطمعاً فيما عنده من مغفرته وثوابه. وقال ابن جريج: خوف العدل وطمع الفضل.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ﴾ [الشعراء: 51].

قال الفخر الرازي(3): ﴿إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ﴾ فهو إشارة منهم إلى الكفر والسحر وغيرهما، والطمع في هذا الموضع يحتمل اليقين كقول إبراهيم ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: 82] ويحتمل الظن لأن المرء لا يعلم ما سيجيء من بعد.

قال الطبري(4): يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل السحرة: إنا نطمع: إنا نرجو أن يصفح لنا ربنا عن خطايانا التي سلفت منا قبل إيماننا به، فلا يعاقبنا بها. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَآ خَطَٰيَٰنَآ﴾ قال: السحر والكفر الذي كانوا فيه.

---

(1) لباب التأويل.
(2) معالم التنزيل.
(3) التفسير الكبير.
(4) جامع البيان.

طمن

(طَمن - خَبَت - خَشَع - خَضَع - ذَعَن - ضَرَع - عَنَت - قَنَت)

- **الطُّمَأْنِينَةُ:** السكون بعد الخوف ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأنفال: 10].
- **الإِخْبَاتُ:** انكسار القلب مع سكون الجوارح ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: 54].
- **الخُشُوعُ:** انكسار الصوت مع المهابة ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: 108].
- **الخُضُوعُ:** التكسر في الصوت والجسد تحبباً ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الأحزاب: 32].
- **الإِذْعَانُ:** انكسار الحركة رغبة ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: 49].
- **الضَّرَاعَةُ:** هي إخبات بزيادة، رفع اليدين والجثوّ على الركب ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: 42].
- **العَنَتُ:** انكسار القوة ضعفاً وخوفاً ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: 111].
- **القُنُوتُ:** انحسار الفكر باتجاه واحد تستسلم له ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [الروم: 26].

❊ ❊ ❊

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء والميم والنون أُصَيْلٌ بزيادة همزة. يقال: اطمأنَّ المكان يطمئنّ طمَأنينة. وطامنت مِنه: سَكَّنت.

قال الجوهري[2]: اطْمَأَنَّ الرجل اطمِئناناً وطَمَأنينَةً، أي سكن. وهو مُطْمَئِنٌّ إلى كذا، وذاك مُطْمَأَنٌّ إليه. وتصغير مُطْمَئِنٍّ طَميئِنٌ. وتصغير طُمَأْنينَةٍ طُمَيْئِينَةٌ. وطَمْأَنَ ظهره وطامَنَهُ بمعنًى، على القلب. وطَأْمَنْتُ منه: سَكَّنْتُ.

قال الفيروزآبادي[3]: الطَّمْنُ، بالفتح: الساكِنُ، كالمُطْمَئِنّ: طُمونٌ. واطْمأَنَّ إلى كذا اطْمِئْناناً وطُمَأْنينَةً، وهو مُطْمَئِنٌّ، وذاكَ مُطْمأَنٌّ، وتصغيرُه: طُمَيْئِنٌ. وطَمْأنَ ظَهْرَهُ: طَامَنَه، وطمن من الأمرِ: سَكَّنَ. وكسكِّينٍ: د بالرُّوم.

المعنى المشترك لكلمة (ط م ن)

1 - وقد وردت كلمة (طمن) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

2 - **الوجه الأول**: يطمئن يعني: يسكن ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: 260].

3 - **الوجه الثاني**: اطمأن بمعنى: رضي ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ﴾ [الحج: 11].

4 - **الوجه الثالث**: اطمأن بمعنى: أقام ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: 103].

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) القاموس المحيط.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِىۖ﴾ [البقرة: 260].

قال الألوسي[1]: ﴿أَوَلَمْ﴾ استئناف مبني على السؤال والضمير للرب ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ﴾ عطف على مقدر - أي ألم تعلم ولم تؤمن بأني قادر على الإحياء كيف أشاء حتى تسألني عنه - أو بأني قد اتخذتك خليلاً، أو بأن الجبار لا يقتلك ﴿قَالَ﴾ أي إبراهيم ﴿بَلَىٰ﴾ آمنت بذلك ﴿وَلَٰكِن﴾ سألت ﴿لِّيَطْمَئِنَّ﴾ أي يسكن ﴿قَلْبِىۖ﴾ بمضامة الأعيان إلى الإيمان والإيقان بأنك قادر على ذلك، أو: ليطمئن قلبي بالخلة أو بأن الجبار لا يقتلني، وعلى كل تقدير لا يعود نقص على إبراهيم من هذا السؤال ولا ينافي منصب النبوة أصلاً.

قال الشعراوي[2]: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِىۖ﴾؟ فهل هذا دليل على أن إبراهيم قبل السؤال، وقبل أن يجاب إليه، لم يكن قلبه مطمئناً؟ لا، لقد كان إبراهيم مؤمناً، ولكنه يريد أن يزداد اطمئناناً، لأنه أدار بفكره الكيفية التي تكون عليها عملية الإحياء، لكنه لا يعرف على أية صورة تكون. إذن فالاطمئنان جاء لمراد في كيفية مخصوصة تخرجه من متاهات كيفيات متصورة ومتخيلة، وما دمت تريد الكيفية، وهذه الكيفية لا يمكن أن نشرحها لك بكلام. بل لابد أن تكون تجربة عملية واقعية، ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾. و«صرهن» أي أملهن واضممهن إليك لتتأكد من ذوات الطير، ومن شكل كل طير، حتى لا تتوهم أنه قد جاء لك طير آخر.

● **قال تعالى:** ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ [النساء: 103].

قال أبو السعود[3]: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾ سكنَت قلوبُكم من الخوف وأمِنتم بعدما

---

(1) روح المعاني.
(2) تفسير الشعراوي.
(3) إرشاد العقل السليم.

وضعت الحربُ أوزارَها ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ أي الصلاةَ التي دخل وقتُها حينئذ أي أدُّوها بتعديل أركانِها ومراعاةِ شرائطِها، وقيل: المرادُ بالذكر في الأحوال الثلاثةِ الصلاةُ فيها أي فإذا أردتم أداءَ الصلاةِ فصلّوا قِياماً عند المسايفةِ وقعوداً جاثين على الرّكَب عند المراماةِ وعلى جنوبكم مُثخَنين بالجِراح، فإذا اطمأننتم في الجملة فاقضُوا ما صليتم في تلك الأحوالِ التي هي [من] أحوال القلقِ والانزعاجِ، وهو رأيُ الشافعيِّ رحمه الله وفيه من البعد ما لا يخفى.

قال ابن عادل(1): ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾ أي: أمِنْتُم، فالطُّمأنينة: سكُون النَّفس من الخَوْفِ حين تضع الحَرْبُ أوزارها، ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ أي: أتمُّوها بأرْكَانِها وقد تقدَّم الكَلَام في البَقرة [آية: 260] على قوله اطمأننتم، وهل هيَ مَقْلُوبَةٌ أمْ لا؟ وصرح أبو البَقَاءِ هنا بأنَّ الهَمْزَة أصْلٌ وأنَّ وَزْن الطُّمأنينة: فُعَلِّيلية، وأن «طَأمَن» أصل أخَرَ برأسه، وهذا مَذْهَبُ الجَرْمِي. واعلم أنَّه قد تَقَدَّم حُكْمان: أحدهما: قَصْر صلاة المُسَافِر.

والثَّاني: صَلاة الخَوْفِ؛ فقوله: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ [يحتمل أنكُم إذا صِرْتم مقمين غير مُسَافِرين من الاطْمئْنَان فأقيمُوا الصَّلاة] أي: أتمُّوها أرْبَعاً، ويحتمل أن يَكُونَ المُراد من الاطْمِئْنَان ألَّا يَبْقَى الإنْسَان مضْطَرب القَلْب، بل يَصِير سَاكِن القَلْبِ؛ بسبب زَوَالِ الخَوْفِ، فعلى هذا فالمراد بإقامَة الصَّلاة: فعلها في حَالَةِ الأمْن.

● **قال تعالى: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ﴾** [الأنفَال: 10].

قال الشوكاني(2): ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ﴾ أي بالإمداد قلوبكم. وفي هذا إشعار بأن الملائكة لم يقاتلوا، بل أمدّ الله المسلمين بهم للبشرى لهم، وتطمين قلوبهم وتثبيتها. واللام في ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ تعلقة بفعل محذوف يقدر متأخراً، أي ولتطمئن قلوبكم فعل ذلك لا لشيء آخر.

---

(1) اللباب في علوم الكتاب. (2) فتح القدير.

قال الخازن[1]: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ﴾ وهذا يحقق أنهم إنما نزلوا لذلك لا للقتال والصحيح هو الأول وأنهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه من الأيام.

● **قال تعالى: ﴿وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾** [يُونس: 7].

قال القرطبي[2]: ﴿وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾ أي فرحوا بها وسكنوا إليها، وأصل ٱطمأن طأمن طُمأنينة، فقدّمت ميمه وزيدت نون وألف وصل، ذكره الغَزْنوِيّ.

قال الفخر الرازي[3]: ﴿وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾ وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: صفة السعداء أن يحصل لهم عند ذكر الله نوع من الوجل والخوف كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: 35] ثم إذا قويت هذه الحالة حصلت الطمأنينة في ذكر الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28] وصفة الأشقياء أن تحصل لهم الطمأنينة في حب الدنيا، وفي الاشتغال بطلب لذاتها كما قال في هذه الآية: ﴿وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾ فحقيقة الطمأنينة أن يزول عن قلوبهم الوجل، فإذا سمعوا الإنذار والتخويف لم توجل قلوبهم وصارت كالميتة عند ذكر الله تعالى.

المسألة الثانية: مقتضى اللغة أن يقال: واطمأنوا إليها، إلا أن حروف الجر يحسن إقامة بعضها مقام البعض، فلهذا السبب قال: ﴿وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾.

● **قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾** [الفجر: 27].

قال ابن عجيبة[4]: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ﴾ يخاطبه تعالى إكراماً له بلا واسطة، أو على لسان ملك، ﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ بوجود الله، أو بذكره، أو بشهوده، الواصلة إلى بَلَج اليقين، بحيث لا يخالطها شك ولا وهم، وقيل: المطمئنة، أي: الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن، ويؤيده: قراءة مَن قرأ: يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة. ويقال لها هذا عند البعث، أو عند تمام الحساب، أو عند الموت.

---

(1) لباب التأويل.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) التفسير الكبير.
(4) البحر المديد.

قال أبو السعود[1]: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ حكايةٌ لأحوالِ مَنِ اطمأنَّ بذكرِ الله عزَّ وجلَّ وطاعتِه إثرَ حكايةِ أحوالِ مَنِ اطمأنَّ بالدُّنيَا، وصفتْ بالاطمئنانِ لأنَّها تترقَّى في معارجِ الأسبابِ والمسبباتِ إلى المبدأِ المؤثرِ بالذاتِ فتستقرُ دونَ معرفتِه وتَستْغني بهِ في وجودِها وسائرِ شؤونِها عن غيرِه بالكليةِ، وقيلَ؛ هي النفسُ المؤمنةُ المطمئنةُ إلى الحقِّ الواصلةُ إلى ثَلَجِ اليقينِ بحيثُ لا يُخالجها شكٌّ مَا وقيلَ: هي الآمنةُ التي لا يستفزُهَا خوفٌ ولا حزنٌ ويؤيدُه أنَّه قُرِىءَ يا أيتها النفسُ الآمنةُ المطمئنةُ أي يقولُ الله تعالَى ذلكَ بالذاتِ كما كلَّم مُوسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أو على لسان المَلَكِ عندَ تمامِ حسابِ الناسِ وهو الأظهرُ وقيلَ: عندَ البعثِ وقيلَ عند الموتِ.

(1) إرشاد العقل السليم.

طهر

(طَهَر - زَكو - طَابَ - غَسَل)

■ **الطَّاهِرُ:** الشيء الذي لا تخالطه نجاسة مادياً أو معنوياً ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: 103].

■ **الزَّكَاةُ:** النمو الحاصل عن بركة الله تعالى غير ملوث من أعمال الدنيا والآخرة ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ [الكهف: 19].

■ **الطَّيِّبُ:** ما لذ طعمه وزكت رائحته ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء: 3]، ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: 88].

■ **الغُسْلُ:** إسالة الماء على الشيء لإزالة درنه ﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: 6].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء والهاء والراء أصلٌ واحدٌ صحيح يدلُّ على نقاءٍ وزوالِ دَنَسٍ. ومن ذلك الطُّهْر: خلاف الدَّنَس. والتطهُّرُ التنزُّه عن الذمِّ وكلِّ قبيح. وفلانٌ طاهر الثِّياب، إذا لم يدنَّس.

والطَّهور: الماء. قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: 48].

(1) معجم مقاييس اللغة.

وسمعتُ محمّد بن هارونَ الثَّقَفِي يقول: سمعتُ أحمد بن يحيى ثعلباً يقول: الطَّهور: الطاهر، في نفسه، المُطَهِّرُ لغيرِهِ.

قال الجوهري[1]: طَهَرَ الشيء وطَهُرَ أيضاً بالضم، طَهارَةً فيهما. والاسم الطُّهْرُ. وطَهَّرْتُهُ أنا تَطْهيراً. وتَطَهَّرْتُ بالماء، وهم قوم يَتَطَهَّرونَ، أي يتنزَّهون عن الأدناس. ورجلٌ طاهِر الثياب، أي متنزِّه. وثيابٌ طَهارى، على غير قياسٍ، كأنَّهم جمعوا طَهْرانَ.

والطُّهْر: نقيض الحَيض. والمرأة طاهِرٌ من الحَيض، وطاهِرَةٌ من النَجاسة ومن العيوب. والطَّهورُ: ما يُتَطَهَّرُ به. قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾. والمِطْهَرَةُ: الإداوة، والفتح أعلى، والجمع المَطاهِرُ. ويقال: السواك مَطْهَرَةٌ للفَم.

قال الفيروزآبادي[2]: الطُّهْرُ، بالضم: نَقِيضُ النَّجاسةِ، كالطَّهارَةِ، طَهَرَ، كنَصَرَ وكرُمَ، فهو طاهِرٌ وطَهِرٌ وطَهِيرٌ جمعه: أطْهارٌ وطَهارَى وطَهِرُونَ. والأَطْهارُ: أيامُ طُهْرِ المرأةِ. طَهَرَتْ وطَهُرَتْ: انْقَطَعَ دَمُها، واغْتَسلَتْ من الحَيْضِ وغيرِه، كتَطَهَّرَتْ.

وطَهَّرَهُ بالماءِ: غَسَلَه به، والاسمُ: الطُّهْرَةُ، بالضم، والمِطْهَرَةُ، بالكسر والفتح: إناءٌ يُتَطَهَّرُ به، والإداوَةُ، وبيتٌ يُتَطَهَّرُ فيه، والطَّهُورُ: المَصْدَرٌ، واسمُ ما يُتَطَهَّرُ به، أو الطاهِرُ المُطَهِّرُ. وطَهَرَهُ، كمنعه: أبْعَدَهُ. وطِهْرانُ، بالكسر: ة بأصْفَهانَ، وة بالرَّيِّ. والتَّطَهُّرُ: التَّنَزُّهُ والكَفُّ عن الإِثْمِ.

المعنى المشترك لكلمة (ط هـ ر)

وقد وردت كلمة (طهر) في القرآن الكريم على عشرة أوجه:

---

(1) الصحاح في اللغة. (2) القاموس المحيط.

الوجه الأول: الطهر بمعنى: الاغتسال ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: 222]. . يعني حتى يغتسلن

الوجه الثاني: الطهر بمعنى: الاستنجاء بالماء ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ [التوبة: 108].

الوجه الثالث: الطهر من جميع الأحداث ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنفال: 11].

الوجه الرابع: الطهر بمعنى: التنزه عن اللواط ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: 56].

الوجه الخامس: الطهر من الحيض والقذر وهو ارتفاعه وامتناع كونه ﴿لَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [النساء: 57].

الوجه السادس: الطهر من الذنوب ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [المجادلة: 12].

الوجه السابع: الطهر من الشرك ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾﴾ [عبس: 13، 14].

الوجه الثامن: الطهر من الريبة ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ﴾ [البقرة: 232].

الوجه التاسع: الطهر من الفاحشة والإثم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33].

الوجه العاشر: الطهر والطهور بمعنى الحلال ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ﴾ [هُود: 78].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة 25 - النساء 57].

قال أبو السعود[1]: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ أي مما في نساء الدنيا من الأحوال المستقذرة كالحيْض والدَرن ودنَس الطبع وسوءِ الخلق، فإن التطهرَ يستعمل في الأجسام والأخلاق والأفعال، وقرىء مطهَّراتٌ، وهما لغتان فصيحتان، يقال: النساءُ فعلت وفعلن وهن فاعلةٌ وفواعل، وقال: [الكامل]

وإذا العذارىٰ بالدُّخان تقنَّعت   واستعجلت نصبَ القدور فمَلَّتِ

فالجمع على اللفظ، والإفراد على تأويل الجماعة، وقرىء (مطَّهِرة) بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطَّهِرة أبلغُ من طاهرة ومتطهرة، للإشعار بأن مُطَهِّراً طهرهن، وما هو إلا الله سبحانه وتعالى. وأما التطهر فيحتمل أن يكون من قبل أنفسهن كما عند اغتسالهن، والزوجُ يطلق على الذكر والأنثى، وهو في الأصل اسم لما له قرينٌ من جنسه، وليس في مفهومه اعتبارُ التوالد الذي هو مدارُ بقاءِ النوعِ حتى لا يصِحَّ إطلاقُه على أزواج أهلِ الجنة لخلودهم فيها، واستغنائهم عن الأولاد، كما أن المداريةَ لبقاء الفردِ ليست بمعتبرة في مفهومِ اسمِ الرزق حتى يُخِلَّ ذلك بإطلاقه على ثمار الجنة.

قال ابن عادل[2]: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ «لهم» خبر مُقَدَّم، وأزواج مبتدأ، و«فيها» متعلّق بالاستقرار الذي تعلّق به الخبر. قال أبو البقاء: «**لا يكون فيها الخبر، لأنَّ الفائدة تقل؛ إذ الفائدة في جَعْلِ الأزواج لهم**». وقوله: «**مُطَهَّرةٌ**» صفة، وأتى بها مفردة على حدِّ: النساءِ طَهُرَتْ ومنه بيت الحماسة: [الكامل]

وَإِذَا العَذَارَى بَالدُّخَانِ تَلَفَّعَتْ   وَاسْتَعْجَلَتْ نَصْبَ القُدُورِ فَمَلَّتِ

---

(1) إرشاد العقل السليم.   (2) اللباب في علوم الكتاب.

وقرأ زيد بن عليّ: «**مُطَهَّراتٌ**» على حَدِّ: النساءُ طَهُرْنَ. وقرأ عبيد بن عمير: «**مُطَهَّرة**» يعني: متطَهِّرة.

والطَّهَارة: النظافة، والفِعْلُ منها طَهَرَ بالفتح، ويَقِلُّ الضَّمُ، واسم الفاعل منها «طاهر» فهو مقيسٌ على الأوَّلِ، شاذٌ على الثَّاني، كـ«خاثر» و«حامِض» من خَثُرَ اللبنُ وحَمُضَ بضمِّ العين. فإن قيل: هلَّا قيل: طاهرة، الجوابُ: في المُطَهَّرةِ إشعارٌ بأنَّ مُطَهِّراً طَهَّرَهُنَّ، وليس ذلك إلَّا الله تعالى، وذلك يفيد فخامة أمر أهل الثواب، كأنَّهُ قيل: إنَّ الله - تعالى - هو الَّذي زَيَّنَهُنَّ. قال مُجَاهد: «**لا يَبُلْنَ ولا يَتَغَوَّطْنَ وَلَا يلِدْنَ وَلَا يَحِضْنَ، وَلَا يَمْنِينَ وَلَا يُبْغَضْنَ**». وقال بعضهم: «**مُطَهَّرةٌ في اللغة أجمع من طاهرة وأَبْلَغ**».

● **قال تعالى**: ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222].

قال الألوسي(1): ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ تقرير للحكم السابق لأن الأمر بالاعتزال يلزمه النهي عن القربان وبالعكس فيكون كل منهما مقرراً وإن تغايرا بالمفهوم فلذا عطف أحدهما على الآخر؛ وفيه بيان لغايته فإن تقييد الاعتزال بقوله سبحانه وتعالى: ﴿فِي ٱلْمَحِيضِ﴾ وترتبه على كونه أذى يفيد تخصيص الحرمة بذلك الوقت، ويفهم منه عقلاً انقطاعها بعده، ولا يدل عليه اللفظ صريحاً بخلاف ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ والغاية انقطاع الدم عند الإمام أبـي حنيفة رضي الله تعالى عنه فإن كان الانقطاع لأكثر مدة الحيض حل القربان بمجرد الإنقطاع، وإن كان لأقل منها لم يحل إلا بالاغتسال أو ما هو في حكمه من مضي وقت صلاة، وعند الشافعية هي الاغتسال بعد الانقطاع قالوا: ويدل عليه صريحاً قراءَة حمزة. والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش ﴿يَطَهَّرْنَ﴾ بالتشديد أي: يتطهرن والمراد به يغتسلن لا لأن الاغتسال معنى حقيقي للتطهير كما يوهمه بعض عباراتهم - لأنّ استعماله فيما

(1) روح المعاني.

عدا الاغتسال شائع في الكلام المجيد والأحاديث على ما لا يخفى على المتتبع - بل لأن صيغة المبالغة يستفاد منها الطهارة الكاملة، والطهارة الكاملة للنساء عن المحيض هو الاغتسال.

قال الشعراوي[1]: ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾. و«يطهرن» من الطهور مصدر طَهَر يطهر، وعندما نتأمل قوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ نجد أنه لم يقل: «فإذا طهرن»، فما الفرق بين «طهر» و«تطهر»؟ إنّ «يطهرن» معناها امتنع عنهن الحيض، و«تطهرن» يعني اغتسلن من الحيض؛ ولذلك نشأ خلاف بين العلماء، هل بمجرد انتهاء مدة الحيض وانقطاع الدم يمكن أن يباشر الرجل زوجته، أم لابد من الانتظار حتى تتطهر المرأة بالاغتسال؟.

وخروجاً من الخلاف نقول: إن قوله الحق: «**تطهرن**» يعني اغتسلن فلا مباشرة قبل الاغتسال. ومن عجائب ألفاظ القرآن أن الكلمات تؤثر في استنباط الحكم، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: 77-79].

ما المقصود إذن؟ هل المقصود أن القرآن لا يمسكه إلا الملائكة الذين طهرهم الله من الخبث، أو أن للبشر أيضاً حق الإمساك بالمصحف لأنهم يتطهرون؟ بعض العلماء قال: إن المسألة لا بد أن ندخلها في عموم الطهارة، فيكون معنى «إلا المطهرون» أي الذين طهرهم مَن شرع لهم التطهير؛ ولذلك فالمسلم حين يغتسل أو يتوضأ يكون قد حدث له أمران: التطهر والطهر. فالتطهر بالفعل هو الوضوء أو الاغتسال، والطهر بتشريع من الله، فكما أن الله طهر الملائكة أصلاً فقد طهرنا معشر الإنس تشريعاً، وبذلك نفهم الآية على إطلاقها ونرفع الخلاف. وقول الحق في الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها: «**حتى يُطْهَرن**» أي حتى يأذن الله لهن بالطهر، ثم يغتسلن استجابة لتشريع الله لهن بالتطهر.

---

(1) تفسير الشعراوي.

● **قال تعالى**: ﴿ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: 232].

قال ابن عاشور[1]: ﴿وَأَطۡهَرُۚ﴾ فهو معنى أنزه، أي إنه أقطع لأسباب العداوات والإحن والأحقاد بخلاف العضل الذي قصدتم منه قطع العود إلى الخصومة، وماذا تضر الخصومة في وقت قليل يعقبها رضا ما تضر الإحن الباقية والعداوات المتأصلة، والقلوب المحرَّقة. ولك أن تجعل ﴿أَزۡكَىٰ﴾ بالمعنى الأول، ناظراً لأحوال الدنيا، وأطهر بمعنى فيه السلامة من الذنوب في الآخرة، فيكون أطهر مسلوب المفاضلة، جاء على صيغة التفضيل للمزاوجة مع قوله ﴿أَزۡكَىٰ﴾.

قال ابن عجيبة[2]: ﴿ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ﴾ أي: أرفع لقدركم، إن تمسكتم به، ﴿وَأَطۡهَرُۚ﴾ لكم من الذنوب والعيوب.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ [المائدة: 6].

قال البيضاوي[3]: ﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ فاغتسلوا. ﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ﴾ سبق تفسيره، ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان أنواع الطهارة. ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ﴾ أي ما يريد الأمر بالطهارة للصلاة أو الأمر بالتيمم تضييقاً عليكم. ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾ لينظفكم، أو ليطهركم عن الذنوب فإن الوضوء تكفير للذنوب، أو ليطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهير بالماء. فمفعول ﴿يُرِيدُ﴾ في الموضعين محذوف واللام للعلة. وقيل مزيدة والمعنى: ما يريد الله أن يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم، ولكن يريد أن يطهركم وهو ضعيف لأن أن لا تقدر بعد المزيدة.

---

(1) التحرير والتنوير.

(2) البحر المديد.

(3) أنوار التنزيل.

قال الشوكاني[1]: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ أي فاغتسلوا بالماء. وقد ذهب عمر بن الخطاب وابن مسعود إلى أن الجنب لا يتيمم ألبتة، بل يدع الصلاة حتى يجد الماء استدلالاً بهذه الآية، وذهب الجمهور إلى وجوب التيمم للجنابة مع عدم الماء، وهذه الآية هي للواجد، على أن التطهر هو أعمّ من الحاصل بالماء أو بما هو عوض عنه مع عدمه، وهو التراب. وقد صحّ عن عمر وابن مسعود الرجوع إلى ما قاله الجمهور للأحاديث الصحيحة الواردة في تيمم الجنب مع عَدم الماء. وقد تقدّم تفسير الجنب في النساء.

● **قال تعالى**: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾ [آل عمران: 42].

قال القرطبي[2]: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ أي اختارك، وقد تقدّم. ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ أي من الكفر؛ عن مجاهد والحسن. الزجاج: من سائر الأدناسِ من الحيض والنفاس وغيرهما، واصطفاك لولادة عيسى.

قال الطبري[3]: ﴿اصْطَفَاكِ﴾ اختارك واجتباك لطاعته، وما خصك به من كرامته. وقوله: ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ يعني: طهر دينك من الريب والأدناس التي في أديان نساء بني آدم.

● **قال تعالى**: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: 108].

قال الزمخشري[4]: ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾. وقرىء: «أن يطهروا» بالإدغام. وقيل: هو عام في التطهر من النجاسات كلها. وقيل: كانوا لا ينامون الليل على الجنابة، ويتبعون الماء أثر البول. وعن الحسن: هو التطهر من الذنوب بالتوبة. وقيل: يحبّون أن يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم، فحموا عن آخرهم.

---

(1) فتح القدير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) جامع البيان.
(4) الكشاف.

فإن قلت: ما معنى المحبتين؟ قلت: محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحبّ للشيء المشتهى له على إيثاره. ومحبة الله تعالى إياهم: أنه يرضى عنهم ويحسن إليهم، كما يفعل المحبّ بمحبوبه.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33].

قال أبو السعود(1): ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ من أوضارِ الأوزارِ والمَعاصي ﴿تَطْهِيرًا﴾ بليغاً.

واستعارةُ الرِّجسِ للمعصيةِ، والتَّرشيحُ بالتَّطهيرِ لمزيدِ التَّنفيرِ عنها، وهذهِ كما ترى آيةٌ بينةٌ وحجَّةٌ نيرةٌ على كونِ نساءِ النبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ من أهلِ بيتِه قاضيةً ببُطلان رأيِ الشِّيعةِ في تخصيصِهم أهليةَ البيتِ بفاطمةَ وعليَ وابنيهما رضوانُ الله عليهم. وأمَّا ما تمسَّكُوا به من «أنَّ رسولَ الله ﷺ خرجَ ذاتَ غُدوةٍ وعليه مِرطٌ مرحَّلٌ من شَعَرٍ أسودَ، وجلسَ فأتتْ فاطمةُ فأدخلَها فيهِ ثم جاءَ عليٌّ فأدخلَه فيه، ثم جاء الحسنُ والحسينُ فأدخلَهما فيهِ ثمَّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فإنَّما يدلُّ على كونِهم من أهلِ البيتِ لا على أنَّ من عداهم ليسُوا كذلك ولو فُرضت دلالتُه على ذلك لما اعتدَّ بها لكونِها في مُقابلةِ النَّصِّ.

قال الخازن(2): ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ هم نساء النبي ﷺ لأنهن في بيته وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وتلا قوله تعالى ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: 34] وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم إلى أنهم علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، يدل عليه ما روي عن عائشة أم المؤمنين قالت «خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجلس

(1) إرشاد العقل السليم. (2) لباب التأويل.

فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فأدخله فيه ثم جاء الحسن فأدخله فيه، ثم جاء الحسين فأدخله فيه ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ أخرجه مسلم.

المرط الكساء والمرحل بالحاء المنقوش عليه صور الرجال، وبالجيم المنقوش عليه صور الرجال، «عن أم سلمة قالت: «إن هذه الآية نزلت في بيتها، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ قالت وأنا جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله ألست من أهل البيت فقال: إنك إلى خير أنت من أزواج النبي ﷺ قالت: وفي البيت رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة وحسن وحسين فجللهم بكساء وقال: **اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنه الرجس وطهرهم تطهيراً**» أخرجه الترمذي. وقال حديث صحيح غريب عن أنس بن مالك «أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر، إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: **الصلاة يا أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، ويطهركم تطهيراً**» أخرجه الترمذي. وقال حديث حسن غريب وقال زيد بن أرقم أهل البيت من حرم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.

● **قال تعالى**: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا﴾ [الفرقان: 48].

قال الشعراوي(1): ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا﴾ السماء لها معنى لُغوي، ومعنى شرعي. فهي لغةً: كل ما علاك، وشرعاً: هي هذه السماء العالية والتي تتكون من سبع سماوات، لكن أينزل المطر من السماء أم من جهة السماء؟المطر ينزل من الغمام من جهة السماء، والغمام أصله من الأرض نتيجة عملية البخر الذي يتجمع في طبقات الجو، كما قال سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ﴾ [النور: 43]. إذن: فرحمة الله هي الماء الذي خلق الله منه كلّ شيء حيٍّ. وقوله

(1) تفسير الشعراوي.

تعالى: ﴿مَآءً طَهُورًا﴾ الطَّهُور: الماء الطاهر في ذاته، المطهِّر لغيره، فالماء الذي تتوضأ به طاهر ومطهر، أما بعد أنْ تتوضأ به فهو طاهر في ذاته غير مُطهِّر لغيره، وماء السماء طاهر ومُطهر؛ لأنه مُصفّى مُقطّر، والماء المقطر أنقى ماء. بالإضافة إلى أن الماء قِوَام الحياة، منه نشرب ونسقي الزرع والحيوان والطير، فالماء يعطيك الحياة ويعطيك الطهارة.

قال ابن كثير[1]: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ أي: آلة يتطهر بها، كالسحور والوقود وما جرى مجراهما، فهذا أصح ما يقال في ذلك. وأما من قال: إنه فعول بمعنى فاعل، أو إنه مبني للمبالغة والتعدي، فعلى كل منهما إشكالات من حيث اللغة والحكم، ليس هذا موضع بسطها، والله أعلم. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي عن أبي جعفر الرازي إلى حميد الطويل عن ثابت البناني قال: دخلت مع أبي العالية في يوم مطير، وطرق البصرة قذرة، فصلى، فقلت له، فقال: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ قال: طهره ماء السماء، وقال أيضاً: حدثنا أبي، حدثنا أبو سلمة، حدثنا وهيب عن داود عن سعيد بن المسيب في هذه الآية قال: أنزله الله طهوراً لا ينجسه شيء. وعن أبي سعيد قال: قيل: يا رسول الله أنتوضأ من بئر بضاعة، وهي بئر يلقى فيها النتن ولحوم الكلاب؟ فقال: «**إن الماء طهور لا ينجسه شيء**» رواه الشافعي وأحمد وصححه، وأبو داود والترمذي وحسنه، والنسائي.

● **قال تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾** [الواقِعَة: 79].

قال القرطبي[2]: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ ٱختلف في معنى ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ هل هو حقيقة في المسّ بالجارحة أو معنًى؟ وكذلك ٱختلف في «الْمُطَهَّرُونَ» من هم؟ فقال أنس وسعيد بن جُبير: لا يمسّ ذلك الكتاب إلا المطهَّرون من الذنوب وهم الملائكة. وكذا قال أبو العالية وابن زيد: إنهم الذين طُهِّروا من الذنوب

(1) تفسير ابن كثير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.

كالرسل من الملائكة والرسل من بني آدم؛ فجبريل النازل به مُطهَّر، والرسل الذين يجيئهم بذلك مُطهَّرون. قال الكلبيّ: هم السَّفَرة الكرام البرَرَة. وهذا كله قول واحد، وهو نحو ما ٱختاره مالك حيث قال: أحسن ما سمعت في قوله ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ أنها بمنزلة الآية التي في «عَبَسَ وَتَوَلَّى»: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: 12-16].

يريد أن المطهَّرين هم الملائكة الذين وصفوا بالطهارة في سورة «عبس». وقيل: معنى ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ لا ينزل به ﴿إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ أي الرسل من الملائكة على الرسل من الأنبياء. وقيل: لا يمسّ اللوح المحفوظ الذي هو الكتاب المكنون إلا الملائكة المطهرّون. وقيل: إن إسرافيل هو الموكّل بذلك؛ حكاه القشيري. ٱبن العربي: وهذا باطل لأن الملائكة لا تناله في وقت ولا تصل إليه بحال، ولو كان المراد به ذلك لما كان للاستثناء فيه مجال. وأما من قال: إنه الذي بأيدي الملائكة في الصحف فهو قول محتمل؛ وهو ٱختيار مالك. وقيل: المراد بالكتاب المصحف الذي بأيدينا؛ وهو الأظهر. وقد روى مالك وغيره أن في كتاب عمرو ابن حزم الذي كتبه له رسول الله ﷺ ونسخته: (من محمد النبيّ إلى شُرَحْبيل بن عبد كُلَال والحرث بن عبد كُلَال ونُعَيْم بن عبد كُلَال قَيْل ذي رُعَين ومَعَافر وهَمْدان أما بعد) وكان في كتابه: ألا يمسّ القرآن إلا طاهر. وقال ٱبن عمر: قال النبيّ ﷺ: «**لا تمسّ القرآن إلا وأنت طاهر**» وقالت أخت عمر لعمر عند إسلامه وقد دخل عليها ودعا بالصحيفة: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ فقام وٱغتسل وأسلم. وقد مضى في أول سورة «طه». وعلى هذا المعنى قال قتادة وغيره: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ من الأحداث والأنجاس. الكلبي: من الشرك. الربيع بن أنس: من الذنوب والخطايا. وقيل: معنى ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ لا يقرؤه ﴿إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ إلا الموحِّدون؛ قاله محمد بن فضيل وعبدة. قال عِكرمة: كان ابن عباس ينهى أن يُمكَّن أحد من اليهود والنصارى من قراءة القرآن. وقال الفراء: لا يجد طعمَه ونفعَه وبركته إلا المطهرون؛ أي المؤمنون بالقرآن. ٱبن العربي: وهو ٱختيار

البخاريّ؛ قال النبيّ ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبيًّا**» وقال الحسين بن الفضل: لا يعرف تفسيره وتأويله إلا من طهَّره الله من الشرك والنفاق. وقال أبو بكر الورّاق: لا يوفق للعمل به إلا السّعداء. وقيل: المعنى لا يمسّ ثوابه إلا المؤمنون. ورواه معاذ عن النبيّ ﷺ. ثم قيل: ظاهر الآية خبر عن الشرع؛ أي لا يمسّه إلا المطهّرون شرعاً، فإن وجد خلاف ذلك فهو غير الشرع؛ وهذا ٱختيار القاضي أبي بكر بن العربي.

قال العزّ بن عبد السلام[1]: ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ إن جعلناه اللوح المحفوظ فلا يمسه إلا الملائكة المطهرون، أو لا ينزله إلا رسل الملائكة على رسل الأنبياء وإن جعلناه المصحف الذي بأيدينا فلا يمسه بيده إلا المطهرون من الشرك، أو من الذنوب والخطايا، أو من الأحداث والأنجاس، أو لا يجد طعم نفعه إلا المطهرون بالإيمان، أو لا يمس ثوابه إلا المؤمنون مروي عن الرسول ﷺ أو لا يلتمسه إلا المؤمنون.

(1) التفسير العظيم.

طود

(طَوْد - تَلّ - جَبَل - رَبْوَة - حَدْب - كَثِيب - رَوَاسِي)

- **الطَّوْدُ:** الجبل الشامخ بين جبال أقل منه ﴿كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: 63].
- **التَّلُّ:** من أصاغر الآكام، وطوله في السماء مثل البيت وعرضه نحو عشرة أذرع.
- **الجَبَلُ:** من أكابر الآكام ولا حد لطوله وله عمق ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النّبإ: 7].
- **الرَّبْوَةُ:** التلّ الأخضر لوجود الماء ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: 50].
- **الحَدْبُ:** الطريق المرتفع الذي يصل الجبل بالسهل ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبيَاء: 96].
- **الكَثِيبُ:** كتلة من الرمل المتراكم المتطاير ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المُزمّل: 14].
- **الرَّاسِي:** الجبل الثابت من الأرض منذ القرون الأولى مثل الهملايا ﴿رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ﴾ [المُرسَلات: 27].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء والواو والدال أصلٌ صحيح، وفيه كلمةٌ واحدةٌ.

(1) معجم مقاييس اللغة.

فالطَّود: الجَبَل العظيم. قال الله سبحانه: ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الشعراء: 63]. ويقولون: «طَوَّدَ في الجبل، إذا طَوَّف، كأنه فعل مشتقٌّ من الطود».

قال الجوهري[1]: الطوْدُ: الجبلُ العظيمُ. ويقال طَوَّدَ في الجبال، مثل طَوَّفَ وطَوَّحَ. والمطاوِدُ، مثال المَطاوِحِ.

قال الفيروزآبادي[2]: الطَّوْدُ: الجَبَلُ، أو عظيمُهُ، جمعه: أطْوادٌ وطِوَدَةٌ، والمُشْرِفُ من الرَّمْلِ. وابنُ الطَّوْدِ: الجُلْمُودُ يَقَعُ من الطَّوْدِ. وطَوْدٌ: عَلَمُ رَجُلٍ، وعَلَمُ جَبَلٍ مُشْرِفٍ على عَرَفَةَ يَنْقادُ إلى صَنْعاءَ، ود بالصَّعيدِ. والطَّادُ: الثَّقيلُ، والبعيرُ الهائِجُ. والمَطادَةُ: المَفازَةُ البعيدةُ.

قال ابن منظور[3]: الطَّوْدُ: الجبل العظيم. وفي حديث عائشة تصف أَباها رضي الله عنهما: ذاك طَودٌ مُنِيفٌ أَي جبل عال. والطَّوْدُ الهَضْبَةُ؛ عن ابن الأَعرابي، والجمع أَطْوادٌ؛ وقوله أَنشده ثعلب: يا مَنْ رأَى هامَةً تَزْقُو على جَدَثٍ، تُجِيبُها خَلِفاتٌ ذاتُ أَطْوادِ فسره فقال: الأَطوادُ هنا الأَسْنِمَة، شبهها في ارتفاعها بالأَطواد التي هي الجبال، يصف إِبِلًا أُخِذَت في الدية فَعَيَّرَ صاحِبَها بها. والتَّطْوادُ: التَّطْوافُ؛ ابن الأَعرابي: طَوَّدَ إِذا طَوَّفَ بالبِلادِ لطلب المعاش. والمَطاوِدُ: مثل المَطَاوِحِ. والطادِي: الثابت.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الشعراء: 63].

قال الألوسي[4]: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ أي كالجبل المنيف

(1) الصحاح في اللغة.
(2) القاموس المحيط.
(3) اللسان.
(4) روح المعاني.

الثابت في مقره، وظاهر الآية أن الطود مطلق الجبل، وقال في «الصحاح» الطود الجبل العظيم. والمراد بالفرق قطعة من الماء ارتفعت فصار ما تحتها كالسرداب على ما ذكره بعض الأجلة، وحينئذ لا إشكال في قول من قال: إن الفروق اثنا عشرة والمسالك كذلك بعدة أسباط بني إسرائيل وقد سلك كل سبط منهم في مسلك منها، والمشهور أن الفرق قطعة انفصلت من الماء عما يقابلها وحينئذ لا يتأتى ذلك القول بل لا بد عليه على ما قيل من كون الفروق ثلاثة عشر حتى يحصل في خلالها اثنا عشر مسلكاً بعدد الأسباط، وقيل: إذا كانت الفروق اثني عشر فلا بد أن تكون المسالك ثلاثة عشر لأن الفرق الأول والثاني عشر لا بد أن يكون منفصلين عما يحاذيهما من البحر فيكون بين كل منهما وبين ما يحاذيه من البحر مسلك وإن لم يكن كسائر المسالك بين فرقين إذ لو اتصلا لم يميزا عنه ولم يتحقق حينئذ اثنا عشر فرقاً بل أقل، ولا بعد في أن يختار كون الفروق اثني عشر والمسالك ثلاثة عشر بجعل الفرق الأول والثاني عشر منفصلين عما يحاذيهما من البحر بين كل منهما وبينه مسلك، ويقال: إن كل سبط من الأسباط الإثني عشر سلك في مسلك وسلك في الثالث عشر من آمن بموسى عليه السلام من القبط انتهى.

قال أبو السعود[1]: ﴿كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ كالجبلِ المُنيف الثَّابتِ مقرِّه فدخلُوا في شعابِها، كلُّ سِبْطٍ في شعبٍ منها.

قال ابن عجيبة[2]: ﴿كَالطَّوْدِ﴾: كالجبل المنطاد في السماء ﴿الْعَظِيمِ﴾، وبين تلك الجبال من الماء مسالك، بأن صار الماء مكفوفاً كالجامد، وما بينها يَبَس، فدخل كل سبط في شعْبٍ منها.

(1) إرشاد العقل السليم.

(2) البحر المديد.

طور

(طَوْر - تَارَة - مَرَّة - كَرَّة - حِقْبَة)

■ **الطَّوْرُ:** الامتداد في شيء مكان أو زمان ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾ [النساء: 154].

■ **التَّارَةُ:** الجمع لتكرار الفعل ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: 55].

■ **المَرَّةُ:** لجزء الزمن ﴿فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: 126].

■ **الكَرَّةُ:** العطف على الشيء بالذات أو بالفعل ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: 6].

■ **الحِقْبَةُ:** بالكسر – مدة جيل من الناس ثمانون سنة ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: 23].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء والواو والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على معنىً واحد، وهو الامتداد في شيءٍ من مكانٍ أو زمان. من ذلك طَوَار الدَّار، وهو الذي يمتدُّ معها من فِنائِها. ولذلك [يقال] عدا طَوْره، أي جاز الحدَّ الذي هو له من دارِهِ. ثم استعير ذلك في كل شيء يُتعدَّى. والطُّور جبلٌ، فيجوز أن يكون اسماً عَلَمَاً موضوعاً، ويجوز أن يكون سمِّي بذلك لما فيه من امتدادٍ طولاً وعَرضاً. ومن

(1) معجم مقاييس اللغة.

الباب قولهم: فعل ذلك طَوْراً بعد طَوْر. فهذا هو الذي ذكرناه من الزّمان، كأنَّه فَعَلَه مَدَّةً بعد مدة. وقولهم للوحشيِّ من الطَّير وغيرها طُورِيّ وطُورانيٌّ، فهو من هذا، كأنَّه توحَّشَ فعدا الطَّورَ، أي تباعد عن حدِّ الأنيس.

قال الخليل(1): الطُّورُ: جَبَلٌ مَعرُوفٌ. رجلٌ طُوريٌّ وطُورانيّ.

والطَّوْر: التّارةُ، يقال طَوْراً بَعْدَ طَوْر، أي: تارةً بعد تارةٍ. والنّاسُ أطوارٌ، أي: أَصْنافٌ، على حالاتٍ شَتَّى، والطَّوار: ما كان على حَذْو الشَّيء أو بحِذائه. يقال: هذه الدّارُ على طَوارِ هذه الدّار، أي: حائِطُها مُتَّصِل بحائطها على نَسَقٍ واحد. ونقول: معه حَبلٌ بطَوار هذا الحائط، أي: بطُوله. وطار فلان يَطُورُ طَوراً، أي: كَأَنَّه يَحُومُ حَوالَيه ويَدْنُو منه.

قال الجوهري(2): طَوارُ الدار: ما كانَ ممتدًّا معها من الفِناء. ويقال: لا أطورُ به، أي لا أقْرَبهُ. ولا تَطُرْ حَرانا، أي لا تقرب ما حولنا. وعدا طَوْرَه، أي جاوزَ حدَّه. والطَّوْرُ التارَةُ.

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: 14]، قال الأخفش: طَوْراً عَلَقَةً وطَوْراً مُضْغة. والناس أطْوارٌ، أي أخْيافٌ على حالاتٍ شتَّى. وبلغَ فلانٌ في العلم أطْوَرَيْهِ، أي حدَّيه: أوَّلَه وآخره. وكان أبو زيد يقول بكسر الراء، أي بلغ أقصاه. والطورُ الجبل. والطورِيُّ الوحشيُّ من الطيرِ والناسِ. يقال: حمامٌ طوريٌّ وطُورانيٌّ. ويقال ما بها طورِيٌّ، أي أحد.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ [النساء: 154].

---

(1) العين.
(2) الصحاح في اللغة.

قال الألوسي[1]: ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾ وهو ما روي عن قتادة جبل كانوا في أصله فرفعه الله تعالى فجعله فوقهم كأنه ظلة، وكان كمعسكرهم قدر فرسخ في فرسخ وليس هو - على ما هو في «البحر» - الجبل المعروف بطور سيناء، والظرف متعلق - برفعنا - وجوز أن يكون حالاً من الطور أي رفعنا الطور كائناً فوقهم.

قال الخازن[2]: ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ﴾ يعني ورفعنا فوقهم الجبل المسمى بالطور بسبب أخذ ميثاقهم وذلك أن بني إسرائيل امتنعوا من قبول التوراة والعمل بما فيها فرفع الله فوقهم الطور حتى أظلهم ليخافوا فلا ينقضوا العهد والميثاق ﴿وَقُلۡنَا لَهُمُ﴾ يعني والطور يظلهم.

قال ابن الجوزي[3]: ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ﴾ أي: بما أعطوا الله من العهد والميثاق: ليعملُنَّ بما في التوراة.

● **قال تعالى**: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢﴾ [الطور: 1-2].

قال الفخر الرازي[4]: ما الطور، وما الكتاب المسطور؟ نقول فيه وجوه: الأول: الطور هو جبل معروف كلم الله تعالى موسى عليه السلام الثاني: هو الجبل الذي قال الله تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: 2]. الثالث: هو اسم الجنس والمراد القسم بالجبل غير أن الطور الجبل العظيم كالطود، وأما الكتاب ففيه أيضاً وجوه: أحدها: كتاب موسى عليه السلام ثانيها: الكتاب الذي في السماء ثالثها: صحائف أعمال الخلق رابعها: القرآن وكيفما كان فهي في رقوق.

قال أبو السعود[5]: ﴿وَٱلطُّورِ﴾ الطُّورُ بالسُّريانية الجبلُ والمرادُ بهِ طورُ سينينَ وهُو جبلٌ بمدينَ سمعَ فيهِ مُوسى عليه السلام كلامَ الله تعالَى: ﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ﴾ مكتوبٍ

---

(1) روح المعاني.
(2) لباب التأويل.
(3) زاد المسير.
(4) التفسير الكبير.
(5) إرشاد العقل السليم.

على وَجْهِ الانتظام فإنَّ السطرَ ترتيبُ الحروفِ المكتوبةِ والمرادُ بِهِ القرآنُ أوْ ألواحُ مُوسى عليه السلام وهُو الأنسبُ بالطُّورِ أو مَا يكتبُ في اللوحِ أو ما يكتبُهُ الحفظةُ.

● **قال تعالى:** ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نُوح: 14].

قال ابن عجيبة[1]: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ في موضع الحال، أي: ما لكم لا تؤمنون بالله، والحال أنكم على حال منافية لِما أنتم عليه بالكلية، وهي أنكم تعلمون أنه خلقكم أطواراً، أي: أحوالاً مختلفة، خَلَقَكم أولاً نُطفاً، ثم خلقكم علقاً، ثم مُضغاً، ثم عظاماً ولحماً، ثم إنساناً، ثم خلقاً آخر، وبعد ظهوره إلى هذا العالم يكون شباباً، ثم كهلاً، ثم شيخاً، بالتقصير في توقير مَن هذه شؤونه من القدرة القاهرة والإحسان التام، مع العلم بها، مما لا يكاد يصدر عن العاقل. والله تعالى أعلم.

قال مقاتل[2]: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ يعني من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم لحماً، ثم عظماً، وهي الأطوار.

قال ابن عادل[3]: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾. يعني نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاماً، ولحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر. وقيل: «أطْوَاراً» صبياناً، ثم شباناً، ثم شيوخاً، وضعفاء، ثم أقوياء. وقيل: «أطواراً»، أي: أنواعاً، صحيحاً، وسقيماً، وبصيراً، وضريراً، وغنياً، وفقيراً. وقيل: الأطوار: اختلافهم في الأخلاق، والأفعال. قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾، جملة حالية من فاعل " تَرْجُونَ». والأطوار: الأحوال المختلفة.

(1) البحر المديد.
(2) تفسير مقاتل.
(3) اللباب في علوم الكتاب.

طوع

(طَوعَ - خَضَعَ - خَبَتَ -
خَشَعَ - ذَعَنَ - ضَرَعَ - عَنَتَ - قَنَتَ)

■ **الطَّوْعُ:** الانقياد، ويضاده الكره ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصّلت: 11].

■ **الخُضُوعُ:** التكسر في الصوت والجسد تحبباً ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ [الأحزاب: 32].

■ **الإِخْبَاتُ:** انكسار القلب مع سكون الجوارح ﴿فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: 54].

■ **الخُشُوعُ:** انكسار الصوت مع المهابة ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: 108].

■ **الإِذْعَانُ:** انكسار الحركة رغبة ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: 49].

■ **الضَّرَاعَةُ:** هي إخبات بزيادة، رفع اليدين والجثوّ على الركب ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾.

■ **العَنَتُ:** انكسار القوة ضعفاً وخوفاً ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: 111].

■ **القُنُوتُ:** انحسار الفكر باتجاه واحد تستسلم له ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ [الروم: 26].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء والواو والعين أصلٌ صحيحٌ واحد يدلُّ على الإصحابِ والانقيادِ. يقال: طاعَه يَطُوعه، إذا انقاد معه ومضى لأمره. وأطاعه بمعنى طاعَ له. ويقال لمن وافَقَ غيرَه: قد طاوعه. والاستطاعة مشتقّةٌ من الطَّوع، كأنها كانت في الأصل الاستطواع، فلما أسقطت الواو جعلت الهاء بدلاً منها، مثل قياس الاستعانة والاستعاذة. والعرب تقول: تطاوَعْ لهذا الأمر حتى تستطيعَه. ثم يقولون: تطوَّعَ، أي تكلَّف استطاعتَه، وأمَّا قولهم في التبرُّع بالشيء: قد تطوَّعَ بهِ، فهو من الباب لكنَّه لم يلزمه، لكنَّه انقاد مع خيرٍ أحبَّ أن يفعله. ولا يقال هذا إلَّا في باب الخير والبِرّ. ويقال للمجاهِدَةِ الذين يتطوّعون بالجِهاد: المُطَّوِّعة، بتشديد الطاء والواو، وأصله المتطوّعة، ثم أدغمت التاء في الطاء. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: 79]، أراد - والله أعلم - المتطوِّعين.

قال الجوهري[2]: فلانٌ طَوْعُ يديك، أي منقادٌ لك. وفرسٌ طَوْعُ العنان، إذا كانَ سلساً. والاستِطاعة: الإطاقَة، وربَّما قالوا: اسْطاعَ يَسْطيعُ، يحذفون التاء استثقالاً لها مع الطاء. ويقال: تطاوَعْ لهذا الأمر حتَّى تَسْتَطيعَهُ، وتَطَوَّعَ، أي تكلَّف اسْتِطاعتَهُ. والتَّطَوُّعُ بالشيء: التبرُّعُ به. وقوله تعالى: «**فَطَوَّعَتْ له نفسُهُ قتلَ أخيهِ**» قال الأخفش: هو مثل طَوَّقَتْ له، ومعناه رخَّصت وسهَّلت. والمُطَّوِّعَةُ الذين يَتَطَوَّعونَ بالجهاد، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾، وأصله المُتَطَوِّعينَ دغم. والمُطاوعةُ: الموافقَةُ. والنحويون ربَّما سمَّوا الفعل اللازم مُطاوِعاً. ورجلٌ مِطْواعٌ، أي مُطيعٌ. وفلانٌ حسنُ الطواعِيةِ لك، أي حسن الطاعةِ لك. وطاعَ له يطوعُ، إذا انقاد. ولسانُه لا يَطوعُ بكذا، أي لا يتابعه. ويقال: جاء

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) الصحاح في اللغة.

فلان طائِعاً غير مُكْرَهٍ والجمع طُوَّعٌ. وقد أطاعَ له المرتعُ، أي اتَّسعَ له وأمكنه من الرعي. وقد يقال في هذا المعنى: طاعَ له المرتعُ. ويقال: أَمَرَه فأطاعه، بالألف لا غير. وانطاعَ له، أي انقاد. ورجلٌ طَيِّعٌ، أي طائِعٌ.

قال الفيروزآبادي[1]: طاع له يَطُوعُ ويَطاعُ: انْقادَ (كانْطاعَ)، وطاع له المَرْتَعُ: أَمْكَنَهُ، كأَطاعَه. وهو طَوْعُ يَدَيْكَ: مُنْقادٌ لكَ. وفرسٌ طَوْعُ العِنانِ: سَلِسٌ. والمِطْواعُ: المُطيعُ. والطاعُ: الطائِعُ، كالطَّيِّعِ، ككَيِّسٍ، جمعه: طُوَّعٌ، كرُكَّعٍ. وطَوْعَةُ، وطاعةُ: من أَعْلامِهِنَّ، وحَمِيدُ بنُ طاعةَ: شاعرٌ، وابنُ طَوْعة الفَزارِيُّ، والشَّيْبانيُّ: شاعرانِ، والطَّواعِيَةُ: الطاعةُ. والشُّحُّ المُطاعُ: هو أن يُطِيعَهُ صاحِبُه في مَنْعِ الحُقوقِ. وأطاعَ الشجرُ: أَدْرَكَ ثَمَرُهُ، وأَمْكَنَ أن يُجْتَنَى. وقولهُ تعالى: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ﴾ [المائدة: 30]: تابَعَتْه وطاوَعَتْه، أو شَجَّعَتْه وأعانَتْه وأجابَته إليه. واسْتَطاعَ: أطاقَ، ويقالُ: اسْطاعَ، ويَحْذِفونَ التاءَ اسْتِثْقالاً لها مع الطاءِ، ويَكْرَهونَ إِدْغامَ التاءِ فيها فَتُحَرَّكُ السينُ، وهي لا تُحَرَّكُ أبداً، وقَرَأَ حَمْزَةُ، غيرَ خَلَّادٍ: ﴿فَمَا ٱسۡطَـٰعُوٓاْ﴾ [الكهف: 97]، بالإِدْغامِ، فَجَمَعَ بين الساكِنَيْنِ، وبعضُ العَرَبِ يقولُ: اسْتاعَ يَسْتِيعُ، وبعضٌ يقولُ: أَسْطاعَ يُسْطِيعُ، بقَطْعِ الهَمْزَةِ، بمعنى أطاعَ يُطيعُ، ويقالُ: تَطاوَعَ لهذا الأمرِ حتى يَسْتَطيعَهُ. وصَلاةُ التَّطَوُّعِ: النافِلَةُ، وكلُّ مُتَنَفِّلٍ خيرٍ: مُتَطَوِّعٌ. وطاوَعَ: وافَقَ.

المعنى المشترك لكلمة (ط وع – الاستطاعة)

وقد وردت كلمة (طوع) في القرآن الكريم على وجهين:

الوجه الأول: الاستطاعة بمعنى: السعة في المال ﴿وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا﴾ [التوبة: 42].

(1) القاموس المحيط.

الوجه الثاني: الاستطاعة بمعنى: الطاعة في القلب ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: 129].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: 83].

قال ابن عادل(1): ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: 83]. قوله: «**وله أسلم من في السمٰوات**» جملةٌ حاليةٌ، أي: كيف يبغون غير دينه، والحال هذه، وفي قوله: «**طوعاً وكرهاً**» وجهان: أحدهما: أنهما مصدران في موضع الحال، والتقدير: طائعين وكارهين.

الثاني: أنهما مصدران على غير المصدر، قال أبو البقاء: «لأن «أَسْلَمَ» بمعنى انقاد، وأطاع» وتابعه أبو حيان على هذا.

وفيه نظرٌ؛ من حيث إن هذا ماشٍ في «طَوْعاً» لموافقته معنى الفعل قبله، وأما «كَرْهاً»، كيف يقال فيه ذلك؟ والقول بأنه يُغتفر في التوالي ما لا يُغْتَفَر في الأوائل، غير نافع هنا.

ويقال يطاع يطوع، وأطاع يُطيع بمعنى، قاله ابن السِّكيتِ، وقول: طاعه يطوعه: انقاد له، وأطاعه، أي: رضي لأمره، وطاوعه، أي: وافقه.

قرأ الأعمش: «وَكُرْهاً» - بالضم - وسيأتي أنها قراءة الأخوين في سورة النساء.

قال الحسنُ: أسلم من في السمٰوات طوعاً، وأسلم من في الأرض بعضهم

(1) اللباب في علوم الكتاب.

طَوْعاً، وبعضهم خوفاً من السيف والسَّبْي. وقال مجاهد: «طوعاً» المؤمن، و«كرْهاً» ظل الكافر، بدليل قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الرعد: 15]. وقيل هذا يوم الميثاق، حين قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾ [الأعراف: 172] فقال بعضهم طوعاً، وبعضهم كرهاً. قال قتادة: المؤمن أسلم طوعاً فنفعه، والكافر أسلم كرهاً في وقت اليأس، فلم ينفعه، قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَاۖ﴾ [غافر: 85]. قال الشعبي: وهو استعاذتهم به عند اضطرارهم، كقوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العَنكبوت: 65]. قال الكلبيُّ: «طَوْعاً» الذي وُلِد في الإسلام «وَكَرْهاً» الذين أُجْبِروا على الإسلام. قال ابن الخطيب: كل أحد منقاد - طوعاً أو كرهاً - فالمسلمون منقادون لله طوعاً فيما يتعلق بالدِّينِ، ومنقادون له فيما يخالف طِباعَهم من الفقر والمرض والموت وأشباهه. وأما الكافرون، فهم منقادون لله كرهاً على كل حال؛ لأنهم لا ينقادون لله فيما يتعلق بالدِّين، وفي غير ذلك مستسلمون له - سبحانه - كرهاً، لا يمكنهم دفع قضائه وقدره.

وقيل: كل الخلق منقادون للإلٰهية طوعاً، بدليل قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [لقمان: 25] ومنقادون لتكاليفه وإيجاده للآلام كرهاً. قوله: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ يجوز أن تكون هذه الجملةُ مستأنفةً، فلا محل لها، وإنما سيقت للإخبار بذلك؛ لتضمنها معنى التهديد العظيم، والوعيد الشديد. ويجوز أن تكون معطوفة على الجملة من قوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ﴾ فتكون حالاً - أيضاً - ويكون المعنى: أنه نَعَى عليهم ابتغاء غير دين من أسلم له جميع من في السموات والأرض - طائعين ومكرهين - ومن مرجعهم إليه. قرأ حفص - عن عاصم - «يُرْجَعُونَ» بياء الغيبة - ويحتمل ذلك وجوهاً: أحدها: أن يعود الضمير على ﴿مَنْ أَسْلَمَ﴾ [البقرة: 112].

الثاني: أن يعود على من عاد عليه الضمير في «يَبْغُونَ» في قراءة من قرأ بالغيبة، ولا التفات في هذين. والثالث: أن يعود على من عاد عليه الضمير في

«تَبْغُونَ» – في قراءة الخطاب – فيكون التفاتاً حينئذ. وقرأ الباقون – «تبغون» – بالخطاب – وهو واضح، ومن قرأه بالغيبة كان التفاتاً منه. ويجوز أن يكون التفاتاً من قوله: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

● **قال تعالى:** ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ [النساء: 80-81].

قال القرطبي[1]: قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ أعلم الله تعالى أن طاعة رسوله ﷺ طاعةٌ له. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن يَعْصِني فقد عصى الله ومن يُطع الأمير فقد أطاعني ومن يَعْصِ الأمير فقد عصاني**» في رواية: «**ومن أطاع أميري، ومن عصى أميري**». قوله تعالى: ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ أي أعرض. وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ أي أمْرُنا طاعةٌ، ويجوز «طاعةً» بالنصب، أي نطيع طاعة، وهي قراءة نصر بن عاصم والحسن والجَحْدرِي. وهذا في المنافقين في قول أكثر المفسرين؛ أي يقولون إذا كانوا عندك: أمْرُنا طاعَةٌ، أو نطيع طاعةً، وقولهم هذا ليس بنافع؛ لأن من لم يعتقد الطاعة ليس بمطيع حقيقة، لأن الله تعالى لم يحقق طاعتهم بما أظهروه، فلو كانت الطاعة بلا اعتقاد حقيقة لحكم بها لهم؛ فثبت أن الطاعة بالاعتقاد مع وجودها.

قال الفخر الرازي[2]: والمعنى أن من أطاع الرسول لكونه رسولاً مبلغاً إلى الخلق أحكام الله فهو في الحقيقة ما أطاع إلا الله، وذلك في الحقيقة لا يكون إلا بتوفيق الله، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً، فإن من أعماه الله عن الرشد وأضله عن الطريق، فإن أحداً من الخلق لا يقدر على إرشاده.

واعلم أن من أنار الله قلبه بنور الهداية قطع بأن الأمر كما ذكرنا، فإنك ترى الدليل الواحد تعرضه على شخصين في مجلس واحد، ثم إن أحدهما يزداد إيماناً

(1) الجامع لأحكام القرآن. (2) التفسير الكبير.

على إيمان عند سماعه، والآخر يزداد كفراً على كفر عند سماعه، ولو أن المحب لذلك الكلام أراد أن يخرج عن قلبه حب ذلك الكلام واعتقاد صحته لم يقدر عليه، ولو أن المبغض له أراد أن يخرج عن قلبه بغض ذلك الكلام واعتقاد فساده لم يقدر، ثم بعد أيام ربما انقلب المحب مبغضاً والمبغض محباً، فمن تأمل للبرهان القاطع الذي ذكرناه في أنه لا بد من إسناد جميع الممكنات إلى واجب الوجود، ثم اعتبر من نفسه الاستقراء الذي ذكرناه، ثم لم يقطع بأن الكل بقضاء الله وقدره، فليجعل واقعته من أدل الدلائل على أنه لا تحصل الهداية إلا بخلق الله من جهة أن مع العلم بمثل هذا الدليل، ومع العلم بمثل هذا الاستقراء لما لم يحصل في قلبه هذا الاعتقاد، عرف أنه ليس ذلك إلا بأن الله صده عنه ومنعه منه.

● **قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [التغابن: 12].**

قال الشوكاني[1]: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: هوّنوا على أنفسكم المصائب، واشتغلوا بطاعة الله وطاعة رسوله.

قال الخازن[2]: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ أي فيما أمر ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ أي فيما جاء به عن الله وما أمركم به.

● **قال تعالى: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: 21]**

قال العزّ بن عبد السلام[3]: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾ في السماء عند الملائكة ﴿أَمِينٍ﴾ عند الله تعالى.

قال البغوي[4]: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾، أي في السمٰوات تطيعه الملائكة، ومِنْ طاعة الملائكة إياه أنهم فتحوا أبواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله ﷺ، وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله، ﴿أَمِينٍ﴾، على وحي الله ورسالته إلى أنبيائه.

قال ابن عطية[5]: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ أي مقبول القول مصدق بقوله مؤتمن على

(1) فتح القدير.
(2) لباب التأويل.
(3) التفسير العظيم.
(4) معالم التنزيل.
(5) المحرر الوجيز.

ما يرسل به، ويؤدي من وحي وامتثال أمر، وقرأ أبو جعفر: «**ثُم أمين**» بضم الثاء، وذكر الله تعالى نفسه بالإضافة إلى عرشه تنبيهاً على عظم ملكوته.

● **قال تعالى:** ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ [البقرة: 184].

قال الألوسي[1]: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بأن زاد على القدر المذكور في – الفدية – قال مجاهد: أو زاد على عدد من يلزمه إطعامه فيطعم مسكينين فصاعداً – قاله ابن عباس – أو جمع بين الإطعام والصوم – قاله ابن شهاب –. ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ أي التطوع أو الخير الذي تطوعه، وجعل بعضهم الخير الأول مصدر – خرت يا رجل وأنت خائر – أي حسن، والخير الثاني اسم تفضيل – فيفيد الحمل أيضاً بلا مرية – وإرجاع الضمير إلى (مَن) أي فالمتطوع خير من غيره لأجل التطوع لا يخفى بعده.

قال ابن عاشور[2]: والتطوع: السعي في أن يكون طائعاً غير مكره أي طاع طوعاً من تلقاء نفسه. والخير مصدر خار إذا حَسُن وشَرُف وهو منصوب لتضمين ﴿تَطَوَّعَ﴾ معنى أتى، أو يكون ﴿خَيْرًا﴾ صفةً لمصدر محذوف أي تطوعاً خيراً. ولا شك أن الخير هنا متطوع به فهو الزيادة من الأمر الذي الكلام بصدده وهو الإطعام لا محالة، وذلك إطعام غير واجب فيحتمل أن يكون المراد: فمن زاد على إطعام مسكينٍ واحد فهو خير، وهذا قول ابن عباس، أو أن يكون: مَن أراد الإطعام مع الصيام، قاله ابن شهاب، وعن مجاهد: مَن زاد في الإطعام على المُدّ وهو بعيد؛ إذ ليس المُدّ مصرحاً به في الآية، وقد أطعم أنس بن مالك خبزاً ولحماً عن كل يوم أفطره حين شاخ.

● **قال تعالى:** ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ [آل عمران: 97].

قال البيضاويّ[3]: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ بدل من الناس بدل البعض من

(1) روح المعاني.
(2) التحرير والتنوير.
(3) أنوار التنزيل.

الكل مخصص له، وقد فسر رسول الله ﷺ الاستطاعة «بالزاد والراحلة» وهو يؤيد قول الشافعي رضي الله تعالى عنه إنها بالمال، ولذلك أوجب الاستنابة على الزمن إذا وجد أجرة من ينوب عنه. وقال مالك رحمه الله تعالى إنها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق. وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى إنها بمجموع الأمرين. والضمير في إليه للبيت، أو الحج وكل ما أتى إلى الشيء فهو سبيله.

قال الزمخشري[1]: أنّ رسول الله ﷺ فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة، وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه أكثر العلماء. وعن ابن الزبير: هو على قدر القوّة. ومذهب مالك أن الرجل إذا وثق بقوته لزمه. وعنه: ذلك على قدر الطاقة، وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر، وقد يقدر عليه من لا زاد له ولا راحلة، وعن الضحاك: إذا قدر أن يؤجر نفسه فهو مستطيع. وقيل له في ذلك فقال: إن كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه؟ بل كان ينطلق إليه ولو حبواً فكذلك يجب عليه الحج. والضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ للبيت أو للحج. وكلُّ مأتيّ إلى الشيء فهو سبيل إليه وفي هذا الكلام أنواع من التوكيد والتشديد؛ ومنها قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ يعني أنه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج من عهدته. ومنها أنه ذكر الناس ثم أبدل عنه من استطاع إليه سبيلاً، وفيه ضربان من التأكيد: أحدهما أن الإبدال تثنية للمراد وتكرير له، والثاني أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين.

ومنها قوله: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ مكان ومن لم يحج تغليظاً على تارك الحج؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً**» ونحوه من التغليط.

---

(1) الكشاف.

● قال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: 129].

قال الفخر الرازي[1]: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ وفيه قولان: الأول: لن تقدروا على التسوية بينهن في ميل الطباع، وإذا لم تقدروا عليه لم تكونوا مكلفين به. قالت المعتزلة: فهذا يدل على أن تكليف ما لا يطاق غير واقع ولا جائز الوقوع، وقد ذكرنا أن الإشكال لازم عليهم في العلم وفي الدواعي. الثاني: لا تستطيعون التسوية بينهن في الأقوال والأفعال لأن التفاوت في الحب يوجب التفاوت في نتائج الحب، لأن الفعل بدون الداعي ومع قيام الصارف محال.

قال ابن كثير[2]: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ أي: لن تستطيعوا أيها الناس أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه، فإنه، وإن وقع القسم الصوري ليلة وليلة، فلا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع؛ كما قاله ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد والحسن البصري والضحاك بن مزاحم. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا ابن أبي شيبة، حدثنا حسين الجعفي عن زائدة، عن عبد العزيز بن رفيع، عن ابن أبي مليكة، قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ في عائشة، يعني: أن النبي ﷺ كان يحبها أكثر من غيرها؛ كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث حماد بن سلمة عن أيوب، عن أبي قلابة، عن عبد الله بن يزيد، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ، يقسم بين نسائه فيعدل، ثم يقول: «**اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**» يعني: القلب، هذا لفظ أبي داود، وهذا إسناد صحيح، لكن قال الترمذي: رواه حماد بن زيد وغير واحد عن أيوب عن أبي قلابة مرسلاً، قال: وهذا أصح.

---

(1) التفسير الكبير. (2) تفسير ابن كثير.

● **قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: 30].**

قال الشوكاني[1]: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ أي سهلت نفسه عليه الأمر وشجعته وصوّرت له أن قتل أخيه طوع يده سهل عليه، يقال تطوّع الشيء: أي سهل وانقاد وطوعه فلان له: أي سهله. قال الهروي: طوّعت وطاوعت واحد، يقال طاع له كذا: إذا أتاه طوعاً، وفي ذكر تطويع نفسه له بعد ما تقدّم من قول قابيل.

قال البيضاويّ[2]: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع إذا اتسع. وقرىء «فطاوعت» على أنه فاعل بمعنى فعل، أو على أن ﴿قَتْلَ أَخِيهِ﴾ كأنه دعاها إلى الإقدام عليه فطاوعته، وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله.

● **قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: 79].**

قال الشعراوي[3]: واللمز: معناه العيب، ولكن بطريق خفي، كإشارة بالعين أو باليد أو بالفم أو بغير ذلك. إذن: فهناك مجموعة من المنافقين يعيبون في المطوِّعين لجمع الزكاة من المؤمنين، ومن هؤلاء المنافقين من يعيب بالقول، ومن يعيب بالفعل، ومن يعيب بالإشارة، والمطوِّعون هم الذين يتطوعون بشيء زائد من جنس ما فرض الله.

فالله فرض مثلاً خمس صلوات، وهناك من يصلي خمس صلوات أخرى تطوعاً، وفرض الحق الزكاة اثنين ونصفاً بالمائة، وهناك من يصرف عشرة بالمائة تطوعاً، وفرض الحق صيام شهر رمضان، وهناك من يصوم فوق ذلك كل اثنين

(1) فتح القدير.
(2) أنوار التنزيل.
(3) تفسير الشعراوي.

وخميس. وهذا ما نسميه دخول المؤمن في مقام الإحسان؛ بأن تتقرب إلى الله بما يزيد على ما فرضه الله عليك، من جنس ما فرضه الله.

وأنت إن أديت المفروض تكون قد التزمت بالمنهج، وقد سأل رجل رسول الله ﷺ عن فرائض الإسلام ثم قال: لا أزيد ولا أنقص، فقال الرسول الكريم: «**أفلح إن صدق**». والزيادة على ما فرضه الله، ومن جنس ما فُرِضَ يكون لها ملحظان: الأول: أن العبد يشهد لربه بالرحمة؛ لأنه كُلِّفَ دون ما يستحق. والملحظ الثاني: هو أن عمل الطاعة قد خفّف على المؤمن فاستراح بها. ألم يقل رسول الله ﷺ عن الصلاة: «**أرحنا بها يا بلال**».

إذن: فالمطوِّع هو الذي يزيد على ما فرض الله عليه من جنس ما فرض الله؛ وهؤلاء هم المحسنون؛ الذين قال الحق عنهم في سورة الذاريات: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾. فالمنهج لا يلزمني بأن أنام قليلاً من الليل وأقضي بقيته في الصلاة، ولم يلزمني أحد بالاستغفار في الأسحار. ولم يقل الله سبحانه في هذه الآية إن في المال حقاً معلوماً؛ لأن الإنسان المؤمن هنا يعطي بأكثر مما فُرِض. وعندما يتطوع مؤمن ويزيد على ما فرض الله، أيستحق أن يُذَمَّ ويُعَابَ ويُلْمز؟ أم أنه يستحق أن يُكرَّم ويُقدَّر؟ ولكنّه اختلال موازين المنافقين في الحكم على الأشياء. لذلك اعتبروا الحسنة نقيصة، تماماً كالذي يُخرج ماله للفقراء، ونجد من يسخر منه بالقول عنه «إنه أبله»، مع أن المؤمن حين يتصدق كثيراً؛ فهو يشيع فائدة ماله في المجتمع، وهو الأكثر ذكاء منهم؛ لأنهم أنفقوا المال على أنفسهم فَأَفْنَوْه، بينما تصدق هو به فأبقاه.

وقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: 79] لها واقعة، فقد هاجر عبد الرحمن بن عوف إلى المدينة، وترك أمواله وكل ما يملك في مكة، وآخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار، فجعل لكل رجل من الأنصار رجلاً من المهاجرين يشاركه في ماله.

● **قال تعالى:** ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 158].

قال القاسمي[1]: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾، أي: من فعل خيراً فإنّ الله يشكره عليه ويثيبه به. ومعنى: ﴿تَطَوَّعَ﴾ أتى بما في طوعه أو بالطاعة، وإطلاقه على ما لا يجب عرفٌ فقهيّ لا لغويّ.

والشكر من الله تعالى المجازاة والثناء الجميل. قال الراغب: الشكر، كما يكون بالقول، يكون بالفعل، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: 13]؛ قال: وليس شكر الرفيع للوضيع إلا الإفضال عليه وقبول حمدٍ منه.

قال الطنطاوي[2]: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ تذييل قصد منه الإتيان بحكم كلّي في أفعال الخيرات كلها، وقيل إنه تذييل لما أفادته الآية من الحث على السعي بين الصفا والمروة. و﴿تَطَوَّعَ﴾ من التطوع وهو فعل الطاعة فريضة كانت أو نافلة، وقيل هو التطوع بالنفل خاصة.

(1) محاسن التأويل.

(2) الوسيط في تفسير القرآن.

طاف

(طَاف - حَفَّ - حَصر - حَوط - حَاقَ - سَوَر - طَوَق)

■ **الطَّوَافُ:** المشي حول الشيء ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ [البقرة: 158].

■ **الحَفُّ:** مجموعة واسعة ذات قيمة من الأشخاص أو الأشياء تتحلق حول شيء له مهابة وتقف على حافة موقعه لتحيته ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزُّمَر: 75].

■ **الحِصَارُ:** مجموعة ضيقة من الأشداء تضيق الخناق على شيء لعقابه ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ [التوبة: 5].

■ **الإِحَاطَةُ:** قوة الاستيلاء على الشيء من كل جانب ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ﴾ [الفَتْح: 21].

■ **الحَيْقُ:** ما يشتمل على الناس من مكروه فعلهم ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [هود: 8].

■ **السُّورُ:** المانع القوي حول المدينة يمنع من الدخول والخروج إلا من مكان معين ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ [الحَديد: 13].

■ **الطَّوْقُ:** المانع من الحركة بضغط الرقبة ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ [آل عمران: 180].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء والواو والفاء أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على دَوَران الشيء على الشيء، وأن يُحفَّ به. ثم يُحمل عليه، يقال: طاف به وبالبيت يطوف طَوْفاً وطَوَافاً، واطَّاف به، واستطاف. ثم يقال لما يدور بالأشياء ويُغَشِّيها من الماء: طُوفان. قال الخليل: وشبَّه العجّاج ظلامَ الليلِ بذلك، فقال: و«غَمَّ» أيضاً.

ومن الباب: الطَّائف، وهو العاسُّ. والطَّيْفُ والطَّائف: ما أَطافَ بالإنسان من الجِنَّان. يقال طاف واطَّاف. قال الله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأعراف: 201]، وطائِفٌ أيضاً.

ويقولون في الخيال: طافَ وأطافَ.

فأمَّا الطائفة من النّاس فكأنّها جماعةٌ تُطِيفُ بالواحد أو بالشيء. ولا تكاد العرب تحدُّها بعدَدٍ معلومٍ، إلّا أن الفقهاء والمفسِّرين يقولون فيها مرّة: إنَّها أربعةٌ فما فوقها، ومرَّة إنَّ الواحد طائفةٌ، ويقولون: هي الثَّلاثة، ولهم في ذلك كلامٌ كثير، والعربُ فيه على ما أعلمتك، أنّ كلَّ جماعةٍ يمكن أن تحُفَّ بشيء فهي عندهم طائفة، ولا يكاد هذا يكون إلّا في اليسير هذا في اللغة والله أعلم.

ثم يتوسَّعون في ذلك من طريق المجاز فيقولون: أخَذْتُ طائفةً من الثَّوبِ، أي قطعة منه، وهذا على معنى المجاز، لأنَّ الطَّائفة من النَّاس كالفِرقة والقِطعة منْهم. فأمَّا طائفُ القوسِ [فهو] ما يلي أَبْهَرها.

قال الجوهري[2]: طافَ حول الشيء يَطوفُ طَوْفاً وطَوَفاناً، وتَطَوَّفَ واسْتَطَافَ، كله بمعنًى. ورجلٌ طافٌ، أي كثير الطَّوافِ. والطَّوْفُ قِرَبٌ يُنفخ فيها ثم يُشَدُّ بعضها إلى بعض فتُجْعَل كهيئة السطح يُرْكبُ عليها في الماء ويُحْمَلُ

(1) معجم مقاييس اللغة. (2) الصحاح في اللغة.

عليها، وهو الرَّمَثُ، وربما كانَ من خشب. والطَّوْفُ الغائط. تقول منه: طَافَ يَطوفُ طَوْفاً، واطَّاف اطِّيافاً، إذا ذهب إلى البراز ليتغوَّط.

والطَّائِفُ العسسُ. وطائِفُ القوسِ: ما بين السِّيَةِ والأبْهَرِ. والطائِفةُ من الشيء: قطعةٌ منه. وقوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 2]: الواحد فما فوقه. والطوفانُ المطرُ الغالبُ والماءُ الغالبُ يَغشى كلَّ شيء، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 14]. قال الأخفش: واحدها في القياس طُوفانَةٌ.

المعنى المشترك لكلمة (ط وف)

وقد وردت كلمة (ط وف) في القرآن الكريم على سبعة أوجه:

الوجه الأول: الطواف (والتطوف) يعني: السعي ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ [البقرة: 158].

الوجه الثاني: الطواف: الجولان ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: 44].

الوجه الثالث: الطواف بالكعبة ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج: 26].

الوجه الرابع: الطواف يعني: الخدمة ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان: 19].

الوجه الخامس: الطائف يعني: العذاب ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [القَلَم: 19].

الوجه السادس: الطائف يعني: الوسوسة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201].

الوجه السابع: الطائفة يعني: الجماعة ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ [الحُجرَات: 9].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: 158].

قال الألوسي[1]: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ أي لا إثم عليه في أن يطوف. وأصل الجناح الميل، ومنه ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾ [الأنفال: 61] وسمي الاسم به لأنه ميل من الحق إلى الباطل، وأصل يطوف يتطوف فأدغمت التاء في الطاء، وسبب النزول ما صح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال له أساف، وعلى المروة صنم على صورة امرأة تدعى نائلة زعم أهل الكتاب أنهما زنيا في الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين فوضعا على الصفا والمروة ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله تعالى فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بينهما مسحوا الوثنين فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كره المسلمون الطواف بينهما لأجل الصنمين فأنزل الله تعالى هذه الآية، ومنه يعلم دفع ما يتراءى أنه لا يتصور فائدة في نفي الجناح بعد إثبات أنهما من الشعائر بل ربما لا يتلازمان إذ أدنى مراتب الأول الندب وغاية الثاني الإباحة، وقد وقع الإجماع على مشروعية الطواف بينهما في الحج والعمرة لدلالة نفي الجناح عليه قطعاً لكنهم اختلفوا في الوجوب، فروي عن أحمد أنه سنة - وبه قال أنس وابن عباس وابن الزبير - لأن نفي الجناح يدل على الجواز، والمتبادر منه عدم اللزوم.

قال الطنطاوي[2]: ﴿يَطَّوَّفَ﴾ أصلها يتطوف، فأبدلت التاء طاء، وأدغمت في الطاء فصارت «يطوف والتطوف بالشيء كالطواف به»، ومعناه: الإلمام بالشيء والمشي حوله. وقد فسر النبي ﷺ الطواف بالنسبة للكعبة بالدوران حولها سبعة أشواط. وفسره بالنسبة للصفا والمروة بالسعي بينهما سبعة أشواط كذلك.

---

(1) روح المعاني.

(2) الوسيط في تفسير القرآن.

● **قال تعالى:** ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: 125].

قال القرطبي[1]: ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ ظاهره الذين يطوفون به؛ وهو قول عطاء. وقال سعيد بن جبير: معناه للغرباء الطارئين على مكة؛ وفيه بُعْد. ﴿وَٱلۡعَٰكِفِينَ﴾ المقيمين من بلديّ وغريب؛ عن عطاء. وكذلك قوله: ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾. والعكوف في اللغة: اللزوم والإقبال على الشيء؛ كما قال الشاعر:

عَكْفَ النَّبِيطِ يلعبون الفَنْزَجَا

وقال مجاهد: العاكفون المجاورون. ابن عباس: المصلّون. وقيل: الجالسون بغير طواف؛ والمعنى متقارب. ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ أي المصلّون عند الكعبة. وخصّ الركوع والسجود بالذكر؛ لأنهما أقرب أحوال المصلّي إلى الله تعالى. وقد تقدّم معنى الركوع والسجود لغة والحمد لله.

قال الخازن[2]: ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ يعني الدائرين حوله ﴿وَٱلۡعَٰكِفِينَ﴾ يعني المقيمين به والمجاورين له ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ جمع راكع وساجد وهم المصلون وقيل: الطائفين يعني الغرباء الواردين إلى مكة والعاكفين يعني أهل مكة المقيمين بها. قيل: إن الطواف للغرباء أفضل والصلاة لأهل مكة بمكة أفضل.

● **قال تعالى:** ﴿إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [الأعراف: 201].

قال القشيري[3]: إنما يمس المتقين طيفُ الشيطانِ في ساعات غفلتهم عن ذكر الله، ولو أنهم استداموا ذكر الله بقلوبهم لما مسَّهم طائف الشيطان، فإن الشيطانَ لا يَقرَبُ قلباً في حال شهوده الله؛ لأنه ينخنس عند ذلك. ولكن لكل صارمٍ نبوة، ولكلِّ عالمٍ هفوة، ولكل عابدٍ شدة، ولكل قاصدٍ فترة، ولكل سائر وقفة، ولكل عارفٍ حجبة، قال ﷺ: «**إنه ليُغَان على قلبي...**» أخبر أنه يعتريه ما يعتري غيرَه،

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) لباب التأويل.
(3) لطائف الإشارات.

وقال ﷺ: «**الحِدَّةُ تعتري خيار أمتي**»، فأخبر أنَّ الأمة - وإنْ جَلَّتْ رُتْبَتَهُم لا يتخلصون عن حِدَّةٍ تعتريهم في بعض أحوالهم فَتُخْرِجُهم عن دوام الحِلْم.

● **قال تعالى**: ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ [النور: 58].

قال الألوسي[1]: ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هم طوافون. والجملة استئناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان وهو المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة. وفيه دليل على تعليل الأحكام الشرعية وكذا في الفرق بين الأوقات الثلاث وغيرها بأنها عورات. وقوله عز وجل: ﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ جوز أن يكون مبتدأ وخبراً ومتعلق الجار كون خاص حذف لدلالة ما قبله عليه أي بعضكم طائف على بعض، وجوز أن يكون معمولاً لفعل محذوف أي يطوف بعضكم على بعض. وقال ابن عطية: ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بدل من ﴿طَوَّٰفُونَ﴾، وتعقبه في «البحر» (بأنه إن أراد أنه بدل من ﴿طَوَّٰفُونَ﴾ نفسه فلا يجوز لأنه يصير التقدير هم بعضكم على بعض وهو معنى لا يصح وإن أراد أنه بدل من الضمير فيه فلا يصح أيضاً إن قدر الضمير ضمير غيبة لتقديرهم لأنه يصير التقدير هم يطوف بعضكم على بعض وإن جعل التقدير أنتم يطوف عليكم بعضكم على بعض فيدفعه أن ﴿عَلَيْكُم﴾ يدل على أنهم هم المطوف عليهم وأنتم طوافون يدل على أنهم طائفون فيتعارضان) وقيل: يقدر أنتم طوافون ويراد بأنتم المخاطبون والغيب من المماليك والصبيان وهو كما ترى. وجوز أبو البقاء كون الجملة بدلاً من التي قبلها وكونها مبينة مؤكدة، ولا يخفى عليك ما تضمنته من جبر قلوب المماليك بجعلهم بعضاً من المخاطبين وبذلك يقوى أمر العلية. وقرأ ابن أبي عبلة (طوافين) بالنصب على الحال من ضمير (عليهم).

قال الشعراوي[2]: ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ...﴾ يعني: حركتهم في البيت دائمة، دخولاً وخروجاً، فكيف نُقَيِّدُها في غير هذه الأوقات؟.

---

(1) روح المعاني. (2) تفسير الشعراوي.

● **قال تعالى**: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة: 17].

قال الفخر الرازي[1]: والولدان جمع الوليد، وهو في الأصل فعيل بمعنى مفعول وهو المولود لكن غلب على الصغار مع قطع النظر عن كونهم مولودين، والدليل أنهم قالوا للجارية الصغيرة وليدة، ولو نظروا إلى الأصل لجردوها عن الهاء كالقتيل، إذا ثبت هذا فنقول: في الولدان وجهان أحدهما: أنه على الأصل وهم صغار المؤمنين وهو ضعيف، لأن صغار المؤمنين أخبر الله تعالى عنهم أنه يلحقهم بآبائهم، ومن الناس المؤمنين الصالحين من لا ولد له فلا يجوز أن يخدم ولد المؤمن مؤمناً غيره، فيلزم إما أن يكون لهم اختصاص ببعض الصالحين وأن لا يكون لمن لا يكون له ولد من يطوف عليه من الولدان، وإما أن يكون ولد الآخر يخدم غير أبيه وفيه منقصة بالأب، وعلى هذا الوجه قيل: هم صغار الكفار وهو أقرب من الأول إذ ليس فيه ما ذكرنا من المفسدة والثاني: أنه على الاستعمال الذي لم يلحظ فيه الأصل وهو إرادة الصغار مع قطع النظر عن كونهم مولودين وهو حينئذ كقوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ [الطُّور: 24] وفي قوله تعالى: ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ وجهان أحدهما: أنه من الخلود والدوام، وعلى هذا الوجه يظهر وجهان آخران أحدهما: أنهم مخلدون ولا موت لهم ولا فناء وثانيهما: لا يتغيرون عن حالهم ويبقون صغاراً دائماً لا يكبرون ولا يلتحون والوجه الثاني: أنه من الخلدة وهو القرط بمعنى في آذانهم حلق، والأول أظهر وأليق.

قال القرطبي[2]: قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي غلمان لا يموتون؛ قاله مجاهد. الحسن والكلبيّ: لا يَهْرَمون ولا يتغيرون؛ ومنه قول آمرىء القيس:

وهَلْ يَنْعَمنْ إلّا سَعِيدٌ مُخَلَّدٌ ... قَلِيلُ الْهُمُومِ ما يَبِيتُ بِأَوجَالِ

---

(1) التفسير الكبير.

(2) الجامع لأحكام القرآن.

وقال سعيد بن جبير: مُخلَّدون مُقرَّطون؛ يقال للقُرْط الخلَدَة ولجماعة الحُلِيّ الْخِلْدَة. وقيل: مسوّرون ونحوه عن الفراء؛ قال الشاعر:

ومخلَّداتٌ بِاللُّجينِ كَأَنَّما ... أعْجَازُهُنَّ أَقاوِزُ الْكُثْبَانِ

وقيل: مقرّطون يعني ممنطقون من المناطق. وقال عكرمة: «مُخَلَّدُونَ» منعَّمون. وقيل: على سنّ واحدة أنشأهم الله لأهل الجنة يطوفون عليهم كما شاء من غير ولادة. وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن البصري: الولدان هٰهنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغاراً ولا حسنة لهم ولا سيئة.

وقال سلمان الفارسيّ: أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة. قال الحسن: لم يكن لهم حسنات يجزون بها، ولا سيئات يعاقبون عليها، فوضعوا في هذا الموضع. والمقصود: أن أهل الجنة على أتم السرور والنعمة، والنعمة إنما تتم باحتفاف الخدم والولدان بالإنسان.

● **قال تعالى**: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [القَلَم: 19].

قال أبو السعود[1]: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا﴾ أي على الجنَّةِ ﴿طَآئِفٌ﴾ بلاءٌ طائفٌ، وقُرِىءَ طيفٌ ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ مبتدأٌ من جهتِه تعالَى: ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ غافلونَ عمَّا جرتْ بهِ المقاديرُ.

قال البغوي[2]: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ﴾، عذاب، ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾، ليلاً، ولا يكون الطائف إلا بالليل، وكان ذلك الطائف ناراً نزلت من السماء فأحرقتها، ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾.

● **قال تعالى**: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ [آل عمران: 122].

قال الألوسي[3]: ﴿إِذْ هَمَّت﴾ قيل: بدل من ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾ [آل عمران: 121]

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) معالم التنزيل.
(3) روح المعاني.

مبين لما هو المقصود بالتذكير. وجوز أن يكون ظرفاً لتبوىء أو لغدوت أو لسميع عليم على سبيل التنازع أو لهما معاً في رأي، وليس المراد تقييد كونه سميعاً عليماً بذلك الوقت ﴿طَآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ أي فرقتان من المسلمين وهما حيان من الأنصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وكانا جناحي عسكر رسول الله ﷺ قاله ابن عباس وجابر بن عبد الله والحسن وخلق كثير، وقال الجبائي: همت طائفة من المهاجرين وطائفة من الأنصار.

قال ابن عاشور[1]: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي ناصرهما على ذلك الهَمّ الشيطاني، الّذي لو صار عزماً لكان سبب شقائهما، فلعناية الله بهما بَرّأهما الله من فعل ما همَّتا به، وفي «البخاري» عن جابر بن عبد الله قال: «نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سَلِمة وفينا نزلتْ ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ وما يسرّني أنَّها لم تنزل والله يقول: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾» وانكشفت الواقعة عن مرجوحية المسلمين إذ قتل منهم سبعون، وقتل من المشركين نيف وعشرون وقال أبو سفيان يومئذ: «اعلُ هُبَلْ يوم بيوم بدر والحربُ سِجَال» وقتل حمزة رضي الله عنه ومَثّلت به هند بنت عتبة بن ربيعة، زوج أبي سفيان، إذ بقرت عن بطنه وقطعت قطعة من كبده لتأكلها لإحْنَةٍ كانت في قلبها عليه إذ قتل أباها عتبة يوم بدر، ثُمّ أسلمت بعد وحسن إسلامها.

● **قال تعالى**: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات: 9].

قال ابن عطية[2]: ﴿طَآئِفَتَانِ﴾ مرفوع بإضمار فعل. والطائفة: الجماعة. وقد تقع على الواحد، واحتج لذلك بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة: 122]. ورأى بعض الناس أن يشهد حداً لزناة رجل واحد. فهذه الآية الحكم فيها في الأفراد وفي الجماعات واحد. واختلف الناس في سبب هذه الآية. فقال أنس بن مالك والجمهور سببها: ما وقع بين المسلمين والمتحزبين

(1) التحرير والتنوير. (2) المحرر الوجيز.

منهم مع عبد الله بن أبي ابن سلول حين مر به رسول الله ﷺ وهو متوجه إلى زيارة سعد بن عبادة في مرضه. فقال عبد الله بن أبيّ لما غشيه حمار رسول الله ﷺ: لا تغبروا علينا ولقد آذانا نتن حمارك. فرد عليه عبد الله بن رواحة الحديث بطوله. فتلاحى الناس حتى وقع بينهم ضرب بالجريد، ويروى بالحديد. وقال أبو مالك والحسن سببها: أن فرقتين من الأنصار وقع بينهما قتال.

فأصلحه رسول الله ﷺ بعد جهد ونزلت الآية في ذلك وقال السدي: كانت بالمدينة امرأة من الأنصار يقال لها أم بدر ولها زوج من غيرهم. فوقع بينهما شيء أوجب أن يأنف لها قومها وله قومه. فوقع قتال نزلت الآية بسببه.

قال الطبري[1]: يقول تعالى ذكره: وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا، فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضا بما فيه لهما وعليهما، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل

عن عليّ كرم الله وجه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ﴾ [**الحُجرَات**: 9] فإن الله سبحانه أمر النبيّ ﷺ والمؤمنين إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يدعوهم إلى حكم الله، وينصف بعضهم من بعض، فإن أجابوا حكم فيهم بكتاب الله، حتى ينصف المظلوم من الظالم، فمن أبى منهم أن يجيب فهو باغٍ، فحقّ على إمام المؤمنين أن يجاهدهم ويقاتلهم، حتى يفيئوا إلى أمر الله، ويقرّوا بحكم الله. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ إلى آخر الآية، قال: هذا أمر من الله أمر به الوُلاة كهيئة ما تكون العصبة بين الناس، وأمرهم أن يصلحوا بينهما، فإن أبوْا قاتل الفئة الباغية، حتى ترجع إلى أمر الله، فإذا رجعت أصلحوا بينهما، وأخبروهم أن المؤمنين إخوة، فأصلحوا بين أخويكم قال: ولا يقاتل الفئة الباغية إلا الإمام.

(1) جامع البيان.

● **قال تعالى**: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: **14**].

قال القرطبي[1]: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة: المطر. الضحاك: الغرق. وقيل: الموت. روته عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ. ومنه قول الشاعر:

أفناهم طوفانُ موتٍ جارف

قال النحاس: يقال لكل كثير مطيف بالجميع من مطر أو قتل أو موت طوفان.

قال الفخر الرازي[2]: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾. فيه إشارة إلى لطيفة وهي أن الله لا يعذب على مجرد وجود الظلم وإلا لعذب من ظلم وتاب، فإن الظلم وجد منه، وإنما يعذب على الإصرار على الظلم، فقوله: ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ يعني أهلكهم وهم على ظلمهم، ولو كانوا تركوه لما أهلكهم.

---

(1) الجامع لأحكام القرآن. (2) التفسير الكبير.

طوق

(طَوقَ - طَاف - حَفَّ - حَصَر - حَوَط - حَاقَ - سَوَر)

■ **الطَّوْقُ:** المانع من الحركة بضغط الرقبة ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: 180].

■ **الطَّوَافُ:** المشي حول الشيء ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: 158].

■ **الحَفُّ:** مجموعة واسعة ذات قيمة من الأشخاص أو الأشياء تتحلق حول شيء له مهابة وتقف على حافة موقعه لتحيته ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزُّمَر: 75].

■ **الحِصَارُ:** مجموعة ضيقة من الأشداء تضيق الخناق على شيء لعقابه ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ [التوبة: 5].

■ **الإِحَاطَةُ:** قوة الاستيلاء على الشيء من كل جانب ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ [الفَتْح: 21].

■ **الحَيْقُ:** ما يشتمل على الناس من مكروه فعلهم ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [هود: 8].

■ **السُّورُ:** المانع القوي حول المدينة يمنع من الدخول والخروج إلا من مكان معين ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ [الحَديد: 13].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء والواو والقاف أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على مِثل ما دلَّ عليه الباب الذي قبلَه. فكلُّ ما استدار بشيء فهو طوق. وسمِّي البِناءُ طاقاً لاستدارته إذا عُقِدَ. والطَّيلَسان طاقٌ، لأنَّه يدور على لابِسه. فأمَّا قولهم: أطاق هذا الأمر إطاقةً، وهو في طَوقه، وطوَّقْتُكَ الشَّيءَ، إذا كَلَّفْتُكَه فكلُّه من الباب وقياسِه؛ لأنَّه إذا أطاقَه فكأنَّه قد أحاط به ودار به من جوانبه. ومما شذَّ عن هذا الأصل قولُهم: طاقةٌ من خيط أو بَقْل، وهي الواحدة الفَردةُ منه، وقد يمكن أن يتمحَّل فيقاس على الأوَّل، لكنَّه يبعُد.

قال الخليل[2]: الطَّوْق: حبل يجعل في العنق، وكل شيء استدار فهو طَوْقٌ كطَوقِ الرحى الذي يدير القطب ونحو ذلك. وطائقُ كل شيء ما استدار به من جبل وأكمة، ويجمع على أطواقٍ. والطَّوْقُ مصدر من الطّاقةِ، والطّاقةُ الاسم، وفي الحديث: «**من غصب جاره حدًّا طَوَّقَه الله يوم القيامة إلى سبع أرضين، ثم يهوي به في النار**»، أي جعل ذلك الحد طَوقاً في عنقه. وتطَوَّقَتِ الحية على عنقه: صارت كالطَّوقِ فيه.

والطّاقُ: عقد البناء حيث ما كان، والجماعة أطواق. والطاقَةُ: شعبة من ريحان ونحوه. قوط: القَوْط: قطيع من الغنم، يسير، والجمع أقواطٌ.

وقُوطَةُ: موضع.

قال الجوهري[3]: الطَّوْقُ: واحد الأطْواقِ. وقد طَوَّقْتُهُ فَتَطَوَّقَ، أي ألبسته الطَّوْقَ فلبِسه. والمُطَوَّقَةُ الحمامةُ التي في عنقها طَوْقٌ. والطَّوْقُ الطاقَةُ. وقد أَطَقْتُ الشيءَ إطاقَةً، وهو في طَوْقي، أي وُسْعي. وطَوَّقْتُك الشيءَ، أي كَلَّفْتُكَهُ.

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) العين.
(3) الصحاح في اللغة.

وطَوَّقَني الله أداءَ حقِّك، أي قوّاني. وطوَّقَتْ له نفسه: لغةٌ، في طَوَّعَتْ، أي رخَّصت وسهَّلت. والطاقُ: ما عُطِفَ من الأبنية، والجمع الطاقاتُ والطيقانُ، فارسيٌّ معرب. والطاقُ: ضربٌ من الثياب. ويقال: طاقُ نعلٍ وطاقَةُ ريحانٍ. والطائِقُ: ناشزٌ ينشز من الجبَل ويندر، وكذلك في البئر، وفيما بين كلِّ خشبتَين من السَّفينة.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ [البقرة: 184].

قال الألوسي[1]: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ أي وعلى المطيقين للصيام إن أفطروا. ﴿فِدْيَةٌ﴾ أي إعطاؤها. ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ هي قدر ما يأكله كل يوم وهي نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند أهل العراق ومد عند أهل الحجاز لكل يوم وكان ذلك في بدء الإسلام لما أنه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين له فاشتد عليهم فرخص لهم في الإفطار والفدية، أخرج البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي والنسائي، والطبراني، وآخرون عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت هذة الآية ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ كان من شاء منا صام، ومن شاء أفطر ويفتدي فعل ذلك حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: 185]، وقرأ سعيد بن المسيب: (يُطيّقونه) بضم الياء الأولى وتشديد الياء الثانية، ومجاهد، وعكرمة، ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ بتشديد الطاء والياء الثانية وكلتا القراءتين على صيغة المبني للفاعل على أن أصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل لا من فعل وتفعل وإلا لكان بالواو دون الياء لأنه من طوق وهو واوي، وقد جعلت الواو ياءاً فيهما ثم أدغمت الياء في الياء

(1) روح المعاني.

ومعناهما يتكلفونه، وعائشة رضي الله تعالى عنها ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ بصيغة المبني للمفعول من التفعيل أي يكلفونه أو يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة أو القلادة، ورويت الثلاث عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أيضاً، وعنه ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ بمعنى يتكلفونه أو يتقلدونه ويطوقونه - بإدغام التاء في الطاء - وذهب إلى عدم النسخ - كما رواه البخاري وأبو داود وغيرهما - وقال: إن الآية نزلت في الشيخ الكبير الهرم، والعجوز الكبيرة الهرمة. ومن الناس من لم يقل بالنسخ أيضاً على القراءة المتواترة وفسرها بيصومونه جهدهم وطاقتهم، وهو مبني على أن - الوسع - اسم للقدرة على الشيء على وجه السهولة - والطاقة - اسم للقدرة مع الشدة والمشقة، فيصير المعنى: وعلى الذين يصومونه مع الشدة والمشقة فيشمل نحو الحبلى والمرضع أيضاً، وعلى أنه من أطاق الفعل بلغ غاية طوقه أو فرغ طوقه فيه، وجاز أن تكون - الهمزة - للسلب كأنه سلب طاقته بأن كلف نفسه المجهود فسلب طاقته عند تمامه، ويكون مبالغة في بذل المجهود لأنه مشارف لزوال ذلك - كما في «الكشف» - والحق أن كلاً من القراآت يمكن حملها على ما يحتمل النسخ وعلى ما لا يحتمله، - ولكل ذهب بعض - وروي عن حفصة أنها قرأت ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ وقرأ نافع، وابن عامر بإضافة (فدية) إلى - الطعام وجمع المسكين - والإضافة حينئذ من إضافة الشيء إلى جنسه - كخاتم فضة - لأن طعام المسكين يكون فدية وغيرها، وجمع المسكين لأنه جمع في ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ فقابل الجمع بالجمع، ولم يجمع (فدية) لأنها مصدر - والتاء فيها للتأنيث لا للمرة - ولأنه لما أضافها إلى مضاف إلى الجمع فُهِم منها الجمع.

● **قال تعالى:** ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [البقرة: 249].

قال ابن عاشور[1]: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ فيحتمل أن ذلك قالوه لما رأوا جنود الأعداء، ويحتمل أنهم كانوا يعلمون قوة العدو، وكانوا

(1) التحرير والتنوير.

يسرون الخوف، فلما اقترب الجيشان، لم يستطيعوا كتمان ما بهم. وفي الآية انتقال بديع إلى ذكر جند جالوت والتصريح باسمه، وهو قائد من قواد الفلسطينيين اسمه في كتب اليهود جُلْيَات كان طوله ستة أذرع وشبراً، وكان مسلحاً مدرعاً، وكان لا يستطيع أن يبارزه أحد من بني إسرائيل، فكان إذا خرج للصف عرض عليهم مبارزته وعيرهم بجنبهم.

قال أبو السعود[1]: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ أي بمحاربتهم ومقاومتِهم فضلاً عن أن يكونَ لنا غلبةٌ عليهم لما شاهدوا من الكثرة والشدة، قيل: كانوا مائةَ ألفِ مقاتلٍ شاكي السِّلاح (قال) استئناف مبني على السؤال كأنه قيل: فماذا قال مخاطبُهم؟.

● **قال تعالى**: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: 286].

قال الفخر الرازي[2]: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾. اعلم أن هذا هو النوع الثالث من دعاء المؤمنين، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الطاقة اسم من الإطاقة، كالطاعة من الإطاعة، والجابة من الإجابة وهي توضع موضع المصدر.

المسألة الثانية: من الأصحاب من تمسك به في أن تكليف ما لا يطاق جائز إذ لو لم يكن جائزاً لما حسن طلبه بالدعاء من الله تعالى.

أجاب المعتزلة عنه من وجوه الأول: أن قوله ﴿مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ أي يشق فعله مشقة عظيمة وهو كما يقول الرجل: لا أستطيع أن أنظر إلى فلان إذا كان مستثقلاً له. قال الشاعر:

إنك إن كلفتني ما لم أطق   ساءك ما سرك مني من خلق

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال في المملوك: «**له طعامه وكسوته ولا يكلف**

---

(1) إرشاد العقل السليم. (2) التفسير الكبير.

من **العمل ما لا يطيق**» أي ما يشق عليه، وروى عمران بن الحصين أن النبي ﷺ قال: «**المريض يصلي جالساً، فإن لم يستطع فعلى جنب**» فقوله: فإن لم يستطع ليس معناه عدم القوة على الجلوس، بل كل الفقهاء يقولون: المراد منه إذا كان يلحقه في الجلوس مشقة عظيمة شديدة، وقال الله تعالى في وصف الكفار ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ [هُود: 20] أي كان يشق عليهم.

الوجه الثاني: أنه تعالى لم يقل: لا تكلفنا ما لا طاقة لنا به، بل قال: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ والتحميل هو أن يضع عليه ما لا طاقة له بتحمله فيكون المراد منه العذاب والمعنى لا تحملنا عذابك الذي لا نطيق احتماله فلو حملنا الآية على ذلك كان قوله ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا﴾ حقيقة فيه ولو حملناه على التكليف كان قوله: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا﴾ مجازاً فيه، فكان الأول أولى.

قال الزمخشري(1): ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا﴾؟ قلت: هذه للمبالغة في حمل عليه، وتلك لنقل حمله من مفعول واحد إلى مفعولين ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ من العقوبات النازلة بمن قبلنا، طلبوا الإعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم، ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها. وقيل: المراد به الشاقّ الذي لا يكاد يستطاع من التكليف.

● **قال تعالى**: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ﴾ [آل عمران: 180].

قال القرطبي(2): ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ﴾ هو الذي ورد في الحديث عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال: «**من آتاه الله مالاً فلم يُؤَدّ زكاته مُثِّل له يوم القيامة شُجاعاً أقْرَعَ له زَبِيبتان يُطَوّقه يوم القيامة ثم يأخذ بِلهزمتيه ثم يقول أنا مالُك أنا كنزك - ثم تلا هذه الآية** - ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [آل عمران: 180] الآية» أخرجه النسائي. وخرّجه ابن ماجه عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «**ما مِن أحدٍ لا يُؤدِّي زكاةَ مالِهِ إلَّا مُثِّل له يومَ القيامة شُجاع أقْرَعُ حتى يُطَوَّقَ به في عنقه**» ثم قرأ علينا

(1) الكشاف.
(2) الجامع لأحكام القرآن.

النبيّ ﷺ مِصداقه من كتاب الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ الآية.

وجاء عنه ﷺ أنه قال: «**ما من ذي رَحِمٍ يأتي ذَا رَحِمه فيسأله من فضل ما عنده فيبخل به عليه إلّا أخرج له يوم القيامة شُجاعٌ من النار يتلمّظ حتى يُطَوِّقه**» وقال ابن عباس أيضاً: إنما نزلت في أهل الكتاب وبخلهم ببيان ما علموه من أمر محمد ﷺ. وقال ذلك مُجاهد وجماعة من أهل العلم. ومعنى ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ على هذا التأويل سيحملون عقاب ما بخلوا به؛ فهو من الطاقة كما قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ [البقرة: 184] وليس من التّطويق. وقال إبراهيم النَّخَعِيّ: معنى ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ سيُجعل لهم يوم القيامة طَوْقٌ من النار. وهذا يجري مع التأويل الأوّل (أي) قول السدي. وقيل: يُلزَمون أعمالهم كما يلزم الطّوق العنق؛ يقال: طُوِّق فلان عملَه طَوْقَ الحمامة، أي أُلزِم عمله. وقد قال تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: 13].

قال البيضاوي[1]: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بيان لذلك، والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق، وعنه عليه الصلاة والسلام: «**ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعله الله شجاعاً في عنقه يوم القيامة**».

(1) أنوار التنزيل.

طول

(طَوْل - أَبد - أَمَد - حَقَبة - سَرْمَد - فَتْرة)

- **الطُّوْلُ:** امتداد الشي ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ [النساء: 25].
- **الأَبَدُ:** الزمن الممتد المتروك الذي لا آخر له ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: 84].
- **الأَمَدُ:** الزمن الممتد وله آخر ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: 30].
- **الحِقْبَةُ:** بالكسر – مدة جيل من الناس ثمانون سنة ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: 23].
- **السَّرْمَدُ:** دوام الزمن واتصاله من ليل أو نهار ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ [القصص: 71].
- **الفَتْرَةُ:** السكون الطويل بين نشاطين ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المائدة: 19].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء والواو واللام أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على فَضْلٍ وامتداد في الشيء. من ذلك: طالَ الشَّيءُ يطُولُ طُولاً. قال أحمد بن يحيى ثعلبٌ:

(1) معجم مقاييس اللغة.

الطُّول: خلاف العَرض. ويقال: طاوَلْت فلاناً فطُلْتُه، إذا كنتَ أطوَلَ منه. وطال فلاناً فلانٌ، أي إنه أطول منه.

ويقولون: لا أكلِّمه طَوَالَ الدَّهر. ويقال: جملٌ أطوَلُ، إذا طالت شفتُهُ العليا. وطاولَني فلانٌ فطُلْتُه، أي كنت أطولَ منه. والطُّوَال: الطَّويل. والطِّوَال: جمع الطَّويل. وحكى بعضهم: قَلانِسُ طِيال، بالياء. وأمرٌ غير طائلٍ، إذا لم يكن فيه غَناء. يقال ذلك في المذكَّر والمؤنث. قال: وتطاولتُ في قِيامي، إذا مددتَ رِجليكَ لتنظر. وطوِّلْ فرسَك، أي أَرْخِ طويلتَه في مرعاه. واستطالُوا عليهم، إذا قتلوا منهم أكثر ممَّا قتلوا.

قال الفيروزآبادي[1]: طالَ طُولاً، بالضم: امْتَدَّ، كاسْتَطالَ، فهو طَويلٌ وطُوالٌ، كغُرابٍ، وهي بهاءٍ جمعه: طِوالٌ وطِيالٌ، بكسرِهما. وكرُمَّانٍ: المُفْرِطُ الطُّولِ. وطاوَلَني فطُلْتُه: كنتُ أطْوَلَ منه في الطُّولِ والطَّوْلِ جميعاً. وأطالَه وأطْوَلَه: طوَّلَهُ، والطَّوَلُ، مُحركةً: طولٌ في مِشْفَرِ البَعيرِ الأعْلَى. وقولُ الجَوْهَرِيّ: في شَفَةِ البَعيرِ وَهَمٌ. بَعيرٌ أطْوَلُ. وتَطاوَلَ: تَطالَلَ. واسْتَطالَ: امْتَدَّ، وارْتَفَع، وتَفَضَّلَ، وتَطاوَلَ. والطِّيلَةُ، بالكسر: العُمُرُ.

قال الراغب[2]: الطول والقصر من الأسماء المتضايفة كما تقدم، ويستعمل في الأعيان والأعراض كالزمان وغيره قال تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ﴾ **[الحديد: 16]**، ﴿سَبۡحًا طَوِيلًا﴾ **[المزمل: 7]**، ويقال: طويل وطوال، وعريض وعراض، وللجمع: طوال، وقيل: طيال، وباعتبار الطول قيل للحبل المرخي على الدابة: طول، وطول فرسك، أي: أرخ طوله، وقيل: طوال الدهر لمدته الطويلة، وتطاول فلان: إذا أظهر الطول، أو الطول. قال تعالى: ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ﴾ **[القصص: 45]**، والطول خص به الفضل والمن، قال: ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ **[غافر: 3]**، وقوله تعالى: ﴿ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ﴾ **[التوبة: 86]**، ﴿وَمَن لَّمۡ

(1) القاموس المحيط.
(2) مفردات الراغب.

يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا﴾ [النساء: 25]، كناية عما يصرف إلى المهر والنفقة. وطالوت اسم علم وهو أعجمي.

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا﴾ [النساء: 25].

قال الفخر الرازي[1]: الطول: الفضل، ومنه التطول وهو التفضل، وقال تعالى: ﴿ذِى ٱلطَّوۡلِۖ﴾ [غافر: 3] ويقال: تطاول لهذا الشيء أي تناوله، كما يقال: يد فلان مبسوطة وأصل هذه الكلمة من الطول الذي هو خلاف القصر؛ لأنه إذا كان طويلاً ففيه كمال وزيادة، كما أنه إذا كان قصيراً ففيه قصور ونقصان، وسمي الغنى أيضاً طولاً، لأنه ينال به من المرادات ما لا ينال عند الفقر، كما أن بالطول ينال ما لا ينال بالقصر. إذا عرفت هذا فنقول: الطول القدرة، وانتصابه على أنه مفعول «يستطع» و«أَن يَنكِحَ» في موضع النصب على أنه مفعول القدرة.

فإن قيل: الاستطاعة هي القدرة، والطول أيضاً هو القدرة، فيصير تقدير الآية: ومن لم يقدر، منكم على القدرة على نكاح المحصنات، فما فائدة هذا التكرير في ذكر القدرة؟ قلنا: الأمر كما ذكرت، والأولى أن يقال: المعنى فمن لم يستطع منكم استطاعة بالنكاح المحصنات، وعلى هذا الوجه يزول الإشكال، فهذا ما يتعلق باللغة. أما ما قاله المفسرون فوجوه: الأول: ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح أمة. الثاني: أن يفسر النكاح بالوطء، والمعنى: ومن لم يستطع منكم طولاً وطء الحرائر فلينكح أمة، وعلى هذا التقدير فكل من ليس تحته حرة فإنه يجوز له التزوج بالأمة. وهذا التفسير لائق بمذهب

(1) التفسير الكبير.

أبي حنيفة، فإن مذهبه أنه إذا كان تحته حرة لم يجز له التزوج بالأمة. سواء قدر على التزوج بالحرة أو لم يقدر. والثالث: الاكتفاء بالحرة، فله أن يتزوج بالأمة سواء كان تحته حرة أو لم يكن، كل هذه الوجوه إنما حصلت، لأن لفظ الاستطاعة محتمل لكل هذه الوجوه.

قال ابن كثير[1]: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ أي: سعة وقدرة

● **قال تعالى**: ﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: 86].

قال القرطبي[2]: ﴿ٱلطَّوْلِ﴾ الغنى؛ وخصّهم بالذكر لأن من لا طول له لا يحتاج إلى إذْن لأنه معذور.

قال الزمخشري[3]: ﴿أُوْلُوا۟ ٱلطَّوْلِ﴾ ذوو الفضل والسعة، من طال عليه طولاً

قال الشوكاني[4]: ﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ أي: ذوو الفضل والسعة، من طال عليه طولاً، كذا قال ابن عباس والحسن، وقال الأصمّ: الرؤساء والكبراء المنظور إليهم، وخصهم بالذكر لأن الذم لهم ألزم، إذ لا عذر لهم في القعود.

● **قال تعالى**: ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ [القَصَص: 45].

قال الألوسي[5]: ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ وتمادى الأمد فتغيرت الشرائع والأحكام وعميت عليهم الأنباء لا سيما على آخرهم الذين أنت فيهم فاقتضت الحكمة التشريع الجديد وقص الأنباء على ما هي عليه فأوحينا إليك وقصصنا الأنباء عليك فحذف المستدرك أعني أوحينا اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه من إنشاء القرون وتطاول الأمد؛ وخلاصة المعنى لم تكن حاضراً لتعلم ذلك ولكن علمته بالوحي والسبب فيه تطاول الزمن حتى تغيرت الشرائع وعميت الأنباء.

---

(1) تفسير ابن كثير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.
(3) الكشاف.
(4) فتح القدير.
(5) روح المعاني.

قال أبو السعود(1): ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ [القصص: 45] وتمادَى الأمدُ فتغيرتِ الشَّرائعُ والأحكامُ وعَميتْ عليهم الأنباءُ لا سيَّما على آخرِهم فاقتضَى الحالُ التَّشريعَ الجديدَ فأوحينَا إليكَ فحذفَ المستدرَكَ اكتفاءً بذكِر ما يُوجبه ويدلُّ عليهِ.

● **قال تعالى:** ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ [الحديد: 16].

قال الفخر الرازي(2): ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: ذكروا في تفسير طول الأمد وجوهاً أحدها: طالت المدة بينهم وبين أنبيائهم فقست قلوبهم وثانيها: قال ابن عباس: مالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ الله وثالثها: طالت أعمارهم في الغفلة فحصلت القسوة في قلوبهم بذلك السبب ورابعها: قال: ابن حبان: الأمد ههنا الأمل البعيد، والمعنى على هذا طال عليهم الأمد بطول الأمل، أي لما طالت آمالهم لا جرم قست قلوبهم وخامسها: قال مقاتل بن سليمان: طال عليهم أمد خروج النبي عليه السلام وسادسها: طال عهدهم بسماع التوراة والإنجيل فزال وقعهما عن قلوبهم فلا جرم قست قلوبهم، فكأنه تعالى نهى المؤمنين عن أن يكونوا كذلك.

المسألة الثانية: قرىء (الأمد) بالتشديد، أي الوقت الأطول.

قال الشوكاني(3): ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ أي: طال عليهم الزمان بينهم وبين أنبيائهم. قرأ الجمهور: ﴿ٱلْأَمَدُ﴾ بتخفيف الدال، وقرأ ابن كثير في رواية عنه بتشديدها، أي: الزّمن الطويل، وقيل: المراد بالأمد على القراءة الأولى: الأجل والغاية، يقال أمد فلان كذا، أي: غايته.

● **قال تعالى:** ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: 7].

---

(1) إرشاد العقل السليم.
(2) التفسير الكبير.
(3) فتح القدير.

قال الألوسي[1]: أي تقلباً وتصرفاً في مهماتك واشتغالاً بشواغلك فلا تستطيع أن تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل، وأصل السبح المر السريع في الماء فاستعير للذهاب مطلقاً كما قاله الراغب وأنشدوا قول الشاعر:

أباحوا لكم شرق البلاد وغربها ففيها لكم يا صاح سبح من السبح

وهذا بيان للداعي الخارجي إلى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعي. وقيل أي إن لك في النهار فراغاً وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك. وقيل إن فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه فالسبح لفراغ وهو مستعمل في ذلك لغة أيضاً لكن الأول أوفق لمعنى قولهم سبح في الماء وأنسب للمقام. ثم إن الكلام على هذا إما تتميم للعلة يهون عليه أن النهار يصلح للاستراحة فليغتنم الليل للعبادة وليشكر إن لم يكلف استيعابهما بالعبادة، أو تأكيد للاحتفاظ به بأنه إن فات لا بد من تداركه بالنهار ففيه متسع لذلك وفيه تلويح إلى معنى جعل الليل والنهار خلفة.

وقرأ ابن يعمر وعكرمة وابن أبي عبلة (سبخاً) بالخاء المعجمة أي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نقشه ونشر أجزائه وقال غير واحد خفة من التكاليف، قال الأصمعي يقال: سبخ الله تعالى عنك الحمى: خففها، وفي الحديث: «**لا تسبخي بدعائك**» أي لا تخففي.

ومنه قوله:

فسبخ عليك الهم واعلم بأنه إذا قدر الرحمن شيئاً فكائن

وقيل السبخ المد يقال: سبخي قطنك أي مديه ويقال لقطع القطن: سبائخ، الواحدة سبخة، ومنه قول الأخطل يصف قناصاً وكلاباً:

فأرسلوهن يذرين التراب كما يذري سبائخ قطن ندف أوتار

---

(1) روح المعاني.

وقال صاحب «اللوامح» إن ابن يعمر وعكرمة فسرا سبخاً بالمعجمة بعد أن قرآ به فقالا: معناه نوماً أي ينام بالنهار ليستعين به على قيام الليل، وقد يحتمل هذه القراءة غير هذا المعنى لكنهما فسراها فلا نتجاوز عنه اهـ. ولعل ذلك تفسير باللازم.

قال السجستاني(1): ﴿سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾: أي متصرفاً فيما تريد؛ يقول: لك في النهار ما تقضي حوائجك. وقرئت سبخاً بالخاء المعجمة. أي سعة. سبخي قطنك: أي وسعيه ونفشيه. والتسبيخ التخفيف أيضاً، يقال: اللهم سبخ عنه الحمى، أي خفف.

(1) نزهة القلوب.

طوى

(طَوَى - ثَنَى - طَبَق - قَلَب - لَوَى - لَيّ)

- **الطَّيُّ:** تكرار الثني للشيء الواحد حتى يحمل بيد واحدة ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمَر: 67].
- **الثَّنْيُ:** ما يعاد مرتين ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ [هُود: 5].
- **الطَّبَقُ:** جعل الشيء فوق الآخر بقدرة ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [المُلك: 3].
- **القَلْبُ:** صرف الشيء من وجه إلى وجه ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227].
- **اللَّوْيُ:** الإمعان في الهزيمة ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ [آل عمران: 153].
- **اللَّيُّ:** إمالة الشيء لإفشال وظيفته ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: 78].

❋ ❋ ❋

طوى

(طوى - سغب - جوع - خمص - خصص)

■ **الطَّوَى:** الجوع.

■ **السَّغَبُ:** اجتماع الجوع والعطش والتعب ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البَلَد: 14].

■ **الجُوعُ:** الألم من خلوّ المعدة من الطعام ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قُرَيش: 4].

■ **الخَمَصُ:** ضمور البطن من شدة الجوع ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ [المائدة: 4].

■ **الخَصَاصَةُ:** خلوّ البيت مما يؤكل ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحَشر: 9].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء والواو والياء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على إدراج شيءٍ حتَّى يدرَج بعضُه في بعض، ثم يحمل عليه تشبيهاً. يقال: طويت الثَّوبَ والكِتاب طَيًّا أطويه. ويقال: طَوَى الله عُمر الميّت. والطَّوِيّ: البئر المطوية.

ومما حمل على هذا الباب قولهم لمن مضى على وجهه: طوى كَشْحَه.

ومن الباب أطواء النّاقة، وهي طرائقُ شحم جنبيْها. والطَّيَّانُ: الطَّاوِي

(1) معجم مقاييس اللغة.

البطن. ويقال: طوِيَ؛ وذلك أنَّه إذا جاع وضَمُر صار كالشَّيءِ الذي لو ابتُغِيَ طيُّه لأمكن. فإنْ تعمَّدَ للجوُع قال: طَوَى يَطْوِي طَيًّا، وذلك في القياس صحيح، لأنَّه أدرج الأوقاتَ فلم يأكلْ فيها، ثم غَيَّرُوا هذا البناءَ أدنى تغييرٍ فزال المعنى إلى غيرهِ فقالوا: الطَّاية؛ وهي كلمةٌ صحيحةٌ تدلُّ على استواءٍ في مكان. قال قوم: الطَّاية: السَّطْح. وقال آخرون: هي مِرْبَد التَّمر. وقال قوم: هي صخرةٌ عظيمة في أرضٍ ذات رمل.

قال الجوهري[1]: طَوَيْتُ الشيء طَيًّا فانْطوى، والطِّيَّةُ منه مثل الجِلسة والرِّكبة، والطوى: الجوع، يقال: طَوِيَ بالكسر يَطْوى طوًى فهو طاوٍ وطَيَّانُ. وطَوَى بالفتح يَطْوي طَيًّا، إذا تعمَّد ذلك. وفلان طوَى كشحَه، إذا أعرض بودّه. وهذا رجلٌ طَوي البطنِ على فَعلٍ، أي ضامر البطن.

وتَطَوَّتِ الحيّة، أي تَحَوَّتْ. والطِّيَّةُ النيّة. قال الخليل: الطِّيَّةُ تكون منزلاً وتكون منتأى. تقول منه: مضى لِطِيَّتِهِ، أي لنيّته التي انتواها. وبَعُدَتَ عنا طِيَّتُهُ، وهو المنزل الذي انتواه. ومضى لِطِيَّتِهِ. وطِيَّةٌ بعيدةٌ، أي شاسعةٌ. والطَّوِيَّةُ: الضمير. والطَّوِيُّ: البئر المَطْوِيّةُ. والطايَةُ: السطح، ومِرْبد التمر. وأطْواءُ الناقة: طرائق شحمها.

قال الفيروزآبادي[2]: طَوَى الصَّحِيفَةَ يَطْوِيها فاطَّوَى وانْطَوَى، وإنَّهُ لَحَسَنُ الطِّيَّةِ، بالكسرِ، وطوى الحَديثَ: كتَمَهُ، وطوى كَشْحَهُ عَنِّي: أعرَضَ مُهاجراً، وطوى القَوْمَ: جَلَسَ عِنْدَهُمْ، أو أتاهُمْ، أو حازَهُمْ، وطوى كَشْحَهُ على أمْرٍ: أخْفاهُ، وطوى البِلادَ: قَطَعَها، وطوى اللّهُ البُعْدَ لنا: قَرَّبَهُ. والأطْواءُ في الناقَةِ: طَرائِقُ شَحْمِ سَنامِها، وباليَمامَةِ. ومَطاوِي الحَيَّةِ والأمْعاءِ والشَّحْمِ والبَطْنِ والثَّوْبِ: أطْواؤُها، الواحِدُ: مَطْوًى.

---

(1) الصحاح في اللغة.
(2) القاموس المحيط.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ﴾ [الأنبياء: 104].

قال أبو السعود[1]: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ﴾ بنون العظمة منصوبٌ باذكرْ، وقيل: ظرفٌ لقوله تعالى: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ﴾ [الأنبيَاء: 103] وقيل: بتتلقاهم، وقيل: حالٌ مقدرة من الضمير المحذوفِ في توعدون والطيُّ ضدُّ النشر، وقيل: المحوِ، وقرىء يُطوى بالياء والتاء والبناء للمفعول ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ﴾ وهي الصحيفة أي طياً كطيّ الطوُّمار، وقرىء السَّجْل كلفظ الدلو وبالكسر والسُّجُلّ على وزن العُتُلّ وهما لغتان واللام في قوله تعالى: ﴿لِلۡكُتُبِۚ﴾ متعلقةٌ بمحذوف هو حال من السجلّ أو صفةٌ له على رأي من يجوّز حذفَ الموصولِ مع بعض صلتِه، أي كطي السجل كائناً للكتب أو الكائن للكتب فإن الكتبَ عبارةٌ عن الصحائف وما كتب فيها فسجلُّها بعضُ أجزائها وبه يتعلق الطيُّ حقيقةً، وقرىء للكتاب وهو إما مصدرٌ واللامُ للتعليل أي كما يُطوى الطومارُ للكتابة أو اسم كالإمام فاللامُ كما ذكر أولاً، وقيل: السجلُّ اسمُ ملَكٍ يطوي كتبَ أعمالِ بني آدمَ إذا رُفعت إليه، وقيل: هو كاتبٌ لرسول الله ﷺ.

قال ابن عجيبة[2]: قلت: ﴿يَوۡمَ﴾: ظرف لاذكر، أو لقوله: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ﴾ [الأنبيَاء: 103]، أو لتتلقاهم. والسجل: الصحيفة، والكتاب: مصدر، و﴿كَمَا بَدَأۡنَآ﴾: منصوب بمضمر، يُفسره ما بعده، و(ما): موصولة. يقول الحقّ جلّ جلاله: واذكر ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ﴾؛ وذلك يوم الحشر والناس في الموقف، فتجمع وتُكوّر وتُطوى ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ﴾؛ الصحيفة ﴿لِلۡكُتُبِۚ﴾ أي: لأجل الكتابة فيها؛ لأن الكاتب يطوي الصحيفة على اثنين؛ ليكتب فيها. فاللام للتعليل، أو

(1) إرشاد العقل السليم. (2) البحر المديد.

بمعنى «على»، أي: كطي الصحيفة على الكتابة التي فيها، لتُصان، وقرأ أبو جعفر: «تُطوى»؛ بالبناء للمفعول.

وذلك بمحو رسومها وتكوير نجومها وشمسها وقمرها. وأصل الطي: الدرج، الذي هو ضد النشر. وقرأ الأخوان وحفص: ﴿لِلْكُتُبِۚ﴾ بالجمع، أي: للمكتوبات، أي: كطي الصحيفة؛ لأجل المعاني الكثيرة التي تكتب فيها، أو كطيها عليها؛ لتُصان. فالكتاب أصله مصدر، كالبناء، ثم يوقع على المكتوب. وقيل: السجل: ملك يطوي كتب ابن آدم، إذا رفعت إليه، فالكتاب، على هذا، اسم للصحيفة المكتوب فيها، والطي مضاف إلى الفاعل، وعلى الأول: إلى المفعول.

● **قال تعالى: ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾** [طه: 12].

قال الفخر الرازي[1]: قرىء طوى بالضم والكسر منصرفاً وغير منصرف فمن نونه فهو اسم الوادي ومن لم ينونه ترك صرفه لأنه معدول عن طاوي فهو مثل عمر المعدول عن عامر ويجوز أن يكون اسماً للبقعة.

في طوى وجوه: الأول: أنه اسم للوادي وهو قول عكرمة وابن زيد. والثاني: معناه مرتين نحو مثنى أي قدس الوادي مرتين أو نودي موسى عليه السلام نداءين يقال: ناديته طوى أي مثنى. والثالث: طوى أي طياً قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه مر بذلك الوادي ليلاً فطواه فكان المعنى بالوادي المقدس الذي طويته طياً أي قطعته حتى ارتفعت إلى أعلاه ومن ذهب إلى هذا، قال: طوى مصدر خرج عن لفظه كأنه قال: طويته طوى كما يقال: هدى يهدي هدي، والله أعلم.

قال القرطبي[2]: ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ المقدّس: المطهَّر. والقُدْس: الطهارة، والأرض المقدّسة أي المطهرة؛ سميت بذلك لأن الله تعالى أخرج منها الكافرين وعمرها بالمؤمنين. وقد جعل الله تعالى لبعض الأماكن زيادة فضل على بعض؛ كما قد جعل لبعض الأزمان زيادة فضل على بعض، ولبعض الحيوان

(1) التفسير الكبير.
(2) الجامع لأحكام القرآن.

كذلك. ولله أن يفضل ما شاء. وعلى هذا فلا اعتبار بكونه مقدساً بإخراج الكافرين وإسكان المؤمنين؛ فقد شاركه في ذلك غيره. و«طُوًى» اسم الوادي عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما. وقال الضحاك: هو واد عميق مستدير مثل الطَّوِيّ. وقرأ عِكْرمة «طِوًى». الباقون «طُوًى». قال الجوهري: «طوى» اسم موضع بالشام، تكسر طاؤه وتضم، ويصرف ولا يصرف، فمن صرفه جعله اسم واد ومكان وجعله نكرة، ومن لم يصرفه جعله بلدة وبقعة وجعله معرفة وقال بعضهم: «طُوًى» مثل «طِوًى» وهو الشيء المَثْنِيُّ، وقالوا في قوله ﴿ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾: طُوِيَ مرتين أي قُدِّس. وقال الحسن: ثُنِيَتْ فيه البركة والتقديس مرّتين. وذكر المهدوي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قيل له «طوى» لأن موسى طواه بالليل إذ مرّ به فارتفع إلى أعلى الوادي؛ فهو مصدر عمل فيه ما ليس من لفظه، فكأنه قال: «إنك بِالوادِ المقدس» الذي طويته طوى؛ أي تجاوزته فطويته بسيرك. الحسن: معناه أنه قدّس مرتين؛ فهو مصدر من طويته طوى أيضاً.

● **قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: 67].**

قال الخازن(1): ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67] (ق) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ قال: يا محمد إن الله يضع السماء على أصبع والأرض على أصبع والجبال على أصبع والشجر والأنهار على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يقول: أنا الملك فضحك رسول الله ﷺ وقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ وفي رواية: والماء والثرى: على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن وفيه أن رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه تعجباً وتصديقاً له ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ الآية» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

(1) لباب التأويل.

رسول الله ﷺ: «**يطوي الله السمٰوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون، وفي رواية يقول: أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون، وفي رواية يقول: أنا الله ويقبض أصابعه أنا الملك حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى أني أقول أساقط هو برسول الله ﷺ**» لفظ مسلم وللبخاري «**أن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السمٰوات بيمينه ويقول أنا الملك**» (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض**» قال أبو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف إلى الله عز وجل من صفة اليدين شمال لأن الشمال محمل النقص.

والضعف وقد روى كلتا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة إنما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهي إلى حيث انتهى الكتاب والأخبار المأثورة الصحيحة وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه.

قال البيضاوي(1): ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ تنبيه على عظمته وحقارة الأفعال العظام التي تتحير فيها الأوهام بالإضافة إلى قدرته، ودلالة على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازاً كقولهم: شابت لمة الليل، والقبضة المرة من القبض أطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضة. وقرىء بالنصب على الظرف تشبيهاً للمؤقت بالمبهم، وتأكيد ﴿وَٱلْأَرْضُ﴾ بالجميع لأن المراد بها الأرضون السبع أو جميع أبعاضها البادية والغائرة. وقرىء ﴿مَطْوِيَّٰتٌ﴾ على أنها حال و﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ معطوفة على ﴿وَٱلْأَرْضُ﴾ منظومة في حكمها.

---

(1) أنوار التنزيل.

طيب

(طَابَ - طَهُرَ - زَكو)

■ **الطَّيِّبُ:** ما لذ طعمه وزكت رائحته ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء: 3]، ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ﴾ [المائدة: 88].

■ **الطَّاهِرُ:** الشيء الذي لا تخالطه نجاسة مادياً أو معنوياً ﴿تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: 103].

■ **الزَّكَاةُ:** النمو الحاصل عن بركة الله تعالى غير ملوث من أعمال الدنيا والآخرة ﴿فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامًا﴾ [الكهف: 19].

❋ ❋ ❋

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء والياء والباء أصلٌ واحد صحيحٌ يدلُّ على خلافِ الخَبيث. من ذلك الطيِّب: ضدّ الخبيث. يقال: سبيّ طِيبَةٌ، أي طيِّبٌ. والاستطابة الاستنجاء؛ لأنَّ الرجل يطيِّب نفسَه مما عليه من الخُبث بالاستنجاء. ونهى رسول الله ﷺ أن يَستَطِيب الرَّجُل بيمينه. والأطيبانِ الأكل والنِّكاح. وطَيْبَة مدينة الرسول ﷺ. ويقال: هذا طعام مَطْيَبَةٌ للنَّفْس. والطَّيِّب والطَّاب: الطِّيب.

قال الخليل[2]: طابَ يَطيبُ طِيباً فهو طَيِّبٌ والطِّيبُ على بناء فِعل، والطَّيِّبُ. نعت. والطَّيِّبُ: الحلال. وطابةُ: مدينة الرَّسول ﷺ. والطّابة: الخَمْرُ، لم

(1) معجم مقاييس اللغة.

(2) العين.

يعرفوه. وطُوبَى: اسْمُ شَجَرة في الجنّة أصلها في دار النّبيّ ﷺ، وفي كلّ دارٍ من دُور أُمَّتِهِ غصنٌ منها.

ويقال: ما أَطْيَبَ هذا، وأَيطَبَهُ، وأَطْيِبٌ به وأَيطِبْ. ومَطايِبُ اللَّحْمِ وكلِّ شيءٍ، لا يكاد يُفْرَدُ، فإنْ أُفرِد فواحِدُةُ: مَطابٌ ومَطابةٌ، وهو أَطْيَبُهُ. والطَّيِّباتُ من الكلام: أَفْضَلُهُ وأَحْسَنُهُ. وطاب القِتالُ، أي: حلّ.

قال الفيروزآبادي[1]: طابَ يَطِيبُ طاباً وطِيباً وطِيبَةً وتَطْياباً: لَذَّ وَزَكَا، وطيب الأرضُ: أَكْلأَتْ. والطَّابُ: الطَّيِّبُ، كالطُّيَّابِ، كزُنَّارٍ. والطُّوبَى: الطِّيبُ، وجَمْعُ الطَّيِّبَةِ، وتَأْنيثُ الأَطْيَبِ، والحُسْنَى، والخَيْرُ والخِيرَةُ، وشَجَرَةٌ في الجَنَّةِ، أو الجَنَّةُ بالهِنْدِيَّةِ، كطِيبى. وطوبَى لَكَ، وطوباكَ: لُغَتانِ، أو طُوبَاكَ لَحْنٌ. وطابَه وأطابَه: طَيَّبَه. والطِّيبُ، والحِلُّ، كالطِّيبَةِ، والأَفْضَلُ من كلِّ شيء والأَطْيَبانِ: الأَكْلُ والنِّكاحُ، أو الفَمُ والفَرْجُ، أو الشَّحْمُ والشَّبابُ. والمَطايِبُ: الخِيارُ من الشيء، ولا واحِدَ لَها، كالأَطَايِبِ، أو مَطايِبُ الرُّطَبِ وأطايِبُ الجَزُورِ، أو واحِدُها: مَطْيَبٌ أو مَطابٌ ومَطابَةٌ. واسْتَطَابَ: اسْتَنْجى.

المعنى المشترك لكلمة (ط ي ب)

وقد وردت كلمة (ط ي ب) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: الطيب والخبيث: هما الحلال والحرام ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [المائدة: 100].

الوجه الثاني: الطيب والخبيث: هما المؤمن والكافر ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: 179].

الوجه الثالث: الطيب والخبيث: هما شهادة أن لا إله إلا الله، ثم الشرك

(1) القاموس المحيط.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: 24].

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى:** ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: 3].

قال أبو السعود(1): ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم﴾ ﴿مَا﴾ موصولةٌ أو موصوفةٌ، ما بعدها صلتُها أو صفتُها أُوثِرَت على - مَنْ - ذهاباً إلى الوصف وإيذاناً بأنه المقصودُ بالذات والغالبُ في الاعتبار لا بناءً على أن الإناثَ من العقلاء يجرين مَجرى غيرِ العقلاءِ لإخلاله بمقام الترغيبِ فيهن، وقرأ ابنُ أبي عَبْلَةَ: من طاب. و﴿مِّنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ بيانيةٌ وقيل: تبعيضيةٌ والمرادُ بهن غيرُ اليتامى بشهادة قرينةِ المقامِ أي فانكِحوا مَن استطابَتْهن نفوسُكم من الأجنبيات، وفي إيثار الأمرِ بنكاحهن على النهي عن نكاح اليتامى مع أنه المقصودُ بالذات مزيدُ لطفٍ في استنزالهم عن ذلك، فإن النفسَ مجبولةٌ على الحِرص على ما مُنِعت منه كما أن وصفَ النساءِ بالطيب على الوجه الذي أشير إليه فيه مبالغةٌ في الاستمالة إليهن والترغيبِ فيهن، وكلُّ ذلك للاعتناء بصَرْفهم عن نكاح اليتامى، وهو السرُّ في توجيه النهي الضمنيِّ إلى النكاح المُتَرقَّبِ مع أن سببَ النزولِ هو النكاحُ المحققُ لما فيه من المسارعة إلى دفع الشرِّ قبل وقوعِه فرب واقعٍ لا يُرفع، والمبالغةِ في بيان حالِ النكاحِ المحققِ فإن محظوريةَ المترقَّبِ حيث كانت للجَور المترقَّبِ فيه فمحظوريةُ المحقَّقِ مع تحقق الجَوْر فيه أولى، وقيل: المرادُ بالطيب الحِلُّ أي ما حل لكم شرعاً لأن ما استطابوه شاملٌ للمحرمات، ولا مخصصَ له بمن عداهن وفيه فِرارٌ من محذور ووقوعٍ فيما هو أفظعُ منه لأن ما حل لهم

(1) إرشاد العقل السليم.

مُجملٌ، وقد تقرر أن النصَّ إذا تردد بين الإجمالِ والتخصيصِ يُحمل على الثاني لأن العامَّ المخصوصَ حجةٌ في غير محلّ التخصيصِ والمُجملُ ليس بحجة قبل ورودِ البيانِ أصلاً، ولئن جُعل قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: 23].

قال مقاتل[1]: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم﴾، يعنى ما يحل لكم.

قال القشيري[2]: أباح الله للرجال الأحرار التزوج بأربع في حالة واحدة، وأوجب العدل بينهن، فيجب على العبد أن يراعي الواجبَ فإنْ عَلِمَ أنه يقوم بحق هذا الواجب آثر هذا المُباح، وإنْ عَلِم أنه يقصّر في الواجب فلا يتعرَّض لهذا المباح، فإنَّ الواجبَ مسؤولٌ عنه.

● **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 172].

قال الفخر الرازي[3]: اعلم أن هذه الآية شبيهة بما تقدم من قوله: ﴿كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا﴾ [البقرة: 168] ثم نقول: إن الله سبحانه وتعالى تكلم من أول السورة إلى هٰهنا في دلائل التوحيد والنبوة واستقصى في الرد على اليهود والنصارى، ومن هنا شرع في بيان الأحكام، اعلم أن في الآية مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أن الأكل قد يكون واجباً، وذلك عند دفع الضرر عن النفس، وقد يكون مندوباً، وذلك أن الضيف قد يمتنع من الأكل إذا انفرد وينبسط في ذلك إذا سوعد، فهذا الأكل مندوب، وقد يكون مباحاً إذا خلا عن هذه العوارض، والأصل في الشيء أن يكون خالياً عن العوارض، فلا جرم كان مسمى الأكل مباحاً وإذا كان الأمر كذلك كان قوله ﴿كُلُواْ﴾ في هذا الموضع لا يفيد الإيجاب والندب بل الإباحة.

المسألة الثانية: احتج الأصحاب على أن الرزق قد يكون حراماً بقوله تعالى:

---

(1) تفسير مقاتل.

(2) لطائف الإشارات.

(3) التفسير الكبير.

﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ فإن الطيب هو الحلال فلو كان كل رزق حلالاً لكان قوله: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ معناه من محللات ما أحللنا لكم، فيكون تكراراً وهو خلاف الأصل، أجابوا عنه بأن الطيب في أصل اللغة عبارة عن المستلذ المستطاب، ولعل أقواماً ظنوا أن التوسع في المطاعم والاستكثار من طيباتها ممنوع منه. فأباح الله تعالى ذلك بقوله: كلوا من لذائذ ما أحللناه لكم فكان تخصيصه بالذكر لهذا المعنى.

المسألة الثالثة: قوله: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ﴾ أمر: وليس بإباحة فإن قيل: الشكر إما أن يكون بالقلب أو باللسان أو بالجوارح، أما بالقلب فهو إما العلم بصدور النعمة عن ذلك المنعم، أو العزم على تعظيمه باللسان وبالجوارح، أما ذلك العلم فهو من لوازم كمال العقل، فإن العاقل لا ينسى ذلك فإذا كان ذلك العلم ضرورياً فكيف يمكن إيجابه، وأما العزم على تعظيمه باللسان والجوارح فذلك العزم القلبي مع الإقرار باللسان والعمل بالجوارح، فإذا بينا أنهما لا يجيبان كان العزم بأن لا يجب أولى، وأما الشكر باللسان فهو إما أن يقر بالاعتراف له بكونه منعما أو بالثناء عليه فهذا غير واجب بالاتفاق بل هو من باب المندوبات، وأما الشكر بالجوارح والأعضاء فهو أن يأتي بأفعال دالة على تعظيمه، وذلك أيضاً غير واجب، وإذا ثبت هذا فنقول: ظهر أنه لا يمكن القول بوجوب الشكر قلنا الذي تلخص في هذا الباب أنه يجب عليه اعتقاد كونه مستحقاً للتعظيم وإظهار ذلك باللسان أو بسائر الأفعال إن وجدت هناك تهمة.

قال القرطبي[1]: هذا تأكيد للأمر الأوّل، وخصّ المؤمنين هنا بالذكر تفضيلاً. والمراد بالأكل الانتفاع من جميع الوجوه. وقيل: هو الأكل المعتاد. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس إن الله تعالى طيّب لا يقبل إلا طَيّباً وإن الله أمر المؤمنين بما أَمَر به المرسلين**» فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾

(1) الجامع لأحكام القرآن.

[المؤمنون: 51] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ «**ثم ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيل السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يُمدّ يديه إلى السّماء يا رَبِّ يا رَبِّ ومَطْعَمُه حرام (ومشربه حرام) ومَلْبَسُه حرام (وغُذِيَ بالحرام) فأنّى يُستجاب لذلك**» ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ تقدّم معنى الشكر فلا معنى للإعادة.

● **قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [المائدة: 87].**

قال الشوكاني(1): الطيبات: هي المستلذات لما أحلّه الله لعباده، نهى الذين آمنوا عن أن يحرّموا على أنفسهم شيئاً منهم، إما لظنهم أن في ذلك طاعة لله وتقرّباً إليه، وأنه من الزهد في الدنيا فرفع النفس عن شهواتها، أو لقصد أن يحرّموا على أنفسهم شيئاً مما أحلّه لهم كما يقع من كثير من العوام من قولهم: حرام عليّ، وحرّمته على نفسي، ونحو ذلك من الألفاظ التي تدخل تحت هذا النهي القرآني. قال ابن جرير الطبري: لا يجوز لأحد من المسلمين تحريم شيء مما أحلّ الله لعباده المؤمنين على نفسه من طيبات المطاعم والملابس والمناكح، ولذلك ردّ النبيّ ﷺ التبتل على عثمان بن مظعون. فثبت أنه لا فضل في ترك شيء مما أحله الله لعباده، وأن الفضل والبرّ إنما هو في فعل ما ندب الله عباده إليه، وعمل به رسول الله ﷺ وسَنَّه لأمته، واتبعه على منهاجه الأئمة الراشدون، إذ كان خير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ. فإذا كان ذلك كذلك، تبين خطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان إذا قدر على لباس ذلك من حله، وآثر أكل الخشن من الطعام، وترك اللحم، وغيره حذراً من عارض الحاجة إلى النساء. قال: فإن ظن ظانّ أن الفضل في غير الذي قلنا لِما في لباس الخشن وأكله من المشقة على النفس وصرف ما فضل بينهما من القيمة إلى أهل الحاجة، فقد ظنّ خطأ، وذلك أن الأولى بالإنسان صلاح نفسه وعونه لها على طاعة ربها، ولا

(1) فتح القدير.

شيء أضرّ للجسم من المطاعم الردية، لأنها مفسدة لعقله، ومضعفة لأدواته التي جعلها الله سبباً إلى طاعته.

● **قال تعالى:** ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ [النساء: 2].

قال البيضاوي[1]: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ ولا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم، أو الأمر الخبيث وهو اختزال أموالهم بالأمر الطيب الذي هو حفظها. وقيل ولا تأخذوا الرفيع من أموالهم وتعطوا الخسيس مكانها، وهذا تبديل وليس بتبدل.

قال الماوردي[2]: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: الحرام بالحلال.

والثاني: هو أن يجعل الزائف بدل الجيد، والمهزول بدل السمين ويقول درهم بدرهم، وشاة بشاة.

والثالث: هو استعجال أكل الحرام قبل إتيان الحلال.

والرابع: أن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار والنساء ويأخذه الرجل الأكبر، فكان يستبدل الخبيث بالطيب لأن نصيبه من الميراث طيب، وأخذه الكل خبيث.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: 32].

قال الطبري[3]: واختلف أهل التأويل في المعنىّ بالطيبات من الرزق بعد إجماعهم على أن الزينة ما قلنا، فقال بعضهم: الطيبات من الرزق في هذا الموضع: اللحم، وذلك أنهم كانوا لا يأكلونه في حال إحرامهم. ذكر من قال

---

(1) أنوار التنزيل.
(2) النكت والعيون.
(3) جامع البيان.

ذلك في قوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ وهو الودك.

قال الزمخشري[1]: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ المستلذات من المآكل والمشارب. ومعنى الاستفهام في من: إنكار تحريم هذه الأشياء. قيل: كانوا إذا أحرموا حرّموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها.

● **قال تعالى**: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل: 32].

قال أبو السعود[2]: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ نعت للمتقين وقوله تعالى: ﴿طَيِّبِينَ﴾ أي طاهرين عن دنس الظلمِ لأنفسهم حال من الضمير، وفائدتُه الإيذانُ بأن مَلاكَ الأمر في التقوى هو الطهارةُ عما ذكر إلى وقت توفيهم ففيه حثٌّ للمؤمنين على الاستمرار على ذلك، ولغيرهم على تحصيله، وقيل: فرحين طيِّبي النفوسِ ببشارة الملائكة إياهم بالجنة أو طيبين بقبض أرواحِهم لتوجه نفوسِهم بالكلية إلى جناب القُدس.

قال ابن عجيبة[3]: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾: طاهرين من ظُلم أنفسهم بالكفر والمعاصي؛ لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم، وقيل: فرحين؛ لبشارة الملائكة إياهم بالجنة، أو طيبين بقبض أرواحهم؛ لتوجه نفوسهم بالكلية إلى الحضرة القدسية. قاله البيضاوي. وقال ابن عطية: ﴿طَيِّبِينَ﴾: عبارة عن صلاح حالهم، واستعدادهم للموت. وهذا بخلاف ما قال في الكفرة: ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: 97؛ والنحل: 28]، والطيب لا خبث معه، ومنه قوله تعالى: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا﴾ [الزُّمَر: 73]. وقال الترمذي الحكيم: ﴿طَيِّبِينَ﴾ أي: مستعدين للقاء، يُسلَّم عليهم، ويقال لهم: ادخلوا الجنة بلا هول ولا حساب، بخلاف غير

(1) الكشاف.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) البحر المديد.

المستعد للقاء، فإنما يسلم عليه، ويقال له: ادخل الجنة بعد أهوال القبر وأهوال القيامة.

● **قال تعالى:** ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ﴾ [النور: **26**].

قال ابن عاشور[1]: بعد أن برأ الله عائشة ﵂ مما قال عصبة الإفك ففضحهم بأنهم ما جاؤا إلا بسيء الظن واختلاق القذف وتوعدهم وهددهم ثم تاب على الذين تابوا أنحى عليهم ثانية ببراءة رسول الله ﷺ من أن تكون له أزواج خبيثات لأن عصمته وكرامته على الله يأبى الله معها أن تكون أزواجه غير طيبات. فمكانة الرسول ﷺ كافية في الدلالة على براءة زوجه وطهارة أزواجه كلهن. وهذا من الاستدلال على حال الشيء بحال مقارنه ومماثله. وفي هذا تعريض بالذين اختلقوا الإفك بأن ما أفكوه لا يليق مثله إلا بأزواجهم، فقوله: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ تعريض بالمنافقين المختلقين للإفك. والابتداء بذكر ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ﴾ لأن غرض الكلام الاستدلال على براءة عائشة وبقية أمهات المؤمنين. واللام في قوله: ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ لام الاستحقاق. والخبيثات والخبيثون والطيبات والطيبون أوصاف جرت على موصوفات محذوفة يدل عليها السياق. والتقدير في الجميع: الأزواج. وعطف ﴿وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ﴾ إطناب لمزيد العناية بتقرير هذا الحكم ولتكون الجملة بمنزلة المثل مستقلة بدلالتها على الحكم وليكون الاستدلال على حال القرين بحال مقارنه حاصلاً من أي جانب ابتدأه السامع. وذكر ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ﴾ إطناب أيضاً للدلالة على أن المقارنة دليل على حال القرينين في الخير أيضاً. وعطف ﴿وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ﴾ كعطف ﴿وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ﴾. وتقدم الكلام على الخبيث والطيب عند قوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: **37**]، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ﴾ [آل عمران: **38**] وقوله: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: **157**].

---

(1) التحرير والتنوير.

وغلب ضمير التذكير في قوله: ﴿مُبَرَّءُونَ﴾ وهذه قضية كلية ولذلك حق لها أن تجري مجرى المثل وجعلت في آخر القصة كالتذييل.

والمراد بالخبث: خبث الصفات الإنسانية كالفواحش. وكذلك المراد بالطيب: زكاء الصفات الإنسانية من الفضائل المعروفة في البشر فليس الكفر من الخبث ولكنه من متمماته. وكذلك الإيمان من مكملات الطيب فلذلك لم يكن كفر امرأة نوح وامرأة لوط ناقضاً لعموم قوله: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ فإن المراد بقوله تعالى: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التّحْريم: 10] أنهما خانتا زوجيهما بإبطان الكفر. ويدل لذلك مقابلة حالهما بحال امرأة فرعون ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التّحْريم: 11]. والعدول عن التعبير عن الإفك باسمه إلى ﴿مِمَّا يَقُولُونَ﴾ إلى أنه لا يعدو كونه قولاً، أي أنه غير مطابق للواقع كقوله تعالى: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ [مريم: 80] لأنه لا مال له ولا ولد في الآخرة.

● **قال تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: 24].

قال الشعراوي(1): والمثل الذي يضربه الحق سبحانه هنا هو الكلمة الطيبة؛ ولها أربع خصائص: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾. أي: تعطيك طِيباً تستريح له نفسُك؛ إما منظراً أو رائحة أو ثماراً؛ أو كُل ذلك مجتمعاً؛ فقوله: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾. يُوحي بأن كُلّ الحواس تجد فيها ما يُريحها؛ وكلمة «طيبة» مأخوذة من الطِّيب في جميع وسائل الإحساس. فالخاصية الأولى، أنها شجرة طيبة، أما الخاصية الثانية فهي أن أصلها ثابت، كإيمان المؤمن المحب، والثالثة أن فروعها في السماء، وهذا دليل أيضاً على ثبات الأصل وطيب منبتها. أما الخاصية الرابعة فهي أن تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، أي: فيها عطاء المدد الذي لا يعرف الحد ولا العدد، وهي تدل على صفات المؤمنين المحبين.

---

(1) تفسير الشعرواي.

وبما أنها شجرة طيبة؛ فهي كائن نباتيّ لا بُدّ لها من أن تتغذّى لتحفظ مُقوِّمات حياتها. ومُقوِّمات حياة النبات توجد في الأرض، فإنْ كانت الشجرة مُخَلْخَلة وغير ثابتة فهي لن تستطيع أن تأخذ غذاءها.

قال الخازن[1]: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ هي قول لا إلٰه إلا الله في قول ابن عباس وجمهور المفسرين: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ يعني كشجرة طيبة الثمرة وقال ابن عباس: هي النخلة. وبه قال ابن مسعود وأنس ومجاهد وعكرمة والضحاك (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «**أخبروني عن شجرة شبه الرجل أو قال كالرجل المسلم لا يتحات ورقها تؤتي أكلها كل حين**» قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله ﷺ: «**هي النخلة**» قال: فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة فقال ما منعك أن تتكلم؟ فقلت لم أركم تتكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً فقال عمر لأن تكون قلته أحب إلي من كذا وكذا» وفي رواية: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله ابن عمر ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت أن أتكلم ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله قال: «**هي النخلة**».

● **قال تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ﴾ [التوبة: 72].**

قال الفخر الرازي[2]: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ﴾ والمعطوف يجب أن يكون مغايراً للمعطوف عليه، فتكون مساكنهم في جنات عدن، ومناظرهم الجنات التي هي البساتين، فتكون فائدة وصفها بأنها عدن، أنها تجري مجرى الدار التي يسكنها الإنسان.

وأما الجنات الآخرة فهي جارية مجرى البساتين التي قد يذهب الإنسان إليها

(1) لباب التأويل. (2) التفسير الكبير.

لأجل التنزه وملاقاة الأحباب. وثانيها: قوله: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٍۚ﴾ قد كثر كلام أصحاب الآثار في صفة جنات عدن. قال الحسن: سألت عمران بن الحصين وأبا هريرة عن قوله: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ فقالا: على الخبير سقطت، سألنا الرسول ﷺ عن ذلك، فقال ﷺ: «**هو قصر في الجنة من اللؤلؤ، فيه سبعون داراً من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء، في كل بيت سبعون سريراً، على كل سرير سبعون فراشاً، على كل فراش زوجة من الحور العين، في كل بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون لوناً من الطعام، وفي كل بيت سبعون وصيفة، يعطى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك أجمع**» وعن ابن عباس أنها دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر. وأقول لعل ابن عباس قال: إنها دار المقربين عند الله فإنه كان أعلم بالله من أن يثبت له داراً، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قلت يا رسول الله حدثني عن الجنة ما بناؤها فقال: «**لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الأذفر وترابها الزعفران وحصاؤها الدر والياقوت. فيها النعيم بلا بؤس والخلود بلا موت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه**» وقال ابن مسعود: جنات عدن بطنان الجنة، قال الأزهري: بطنانها وسطها، وبطنان الأودية المواضع التي يستنفع فيها ماء السيل واحدها بطن، وقال عطاء عن ابن عباس: هي قصبة الجنة وسقفها عرش الرحمٰن وهي المدينة التي فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى، وسائر الجنات حولها وفيها عين التسنيم وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الأذفر. وقال عبد الله بن عمرو: إن في الجنة قصراً يقال له عدن، حوله البروج وله خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حرة، لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد، وأقول حاصل الكلام إن في جنات عدن قولان: أحدهما: أنه اسم علم لموضع معين في الجنة، وهذه الأخبار والآثار التي نقلناها تقوي هذا القول.

قال الشوكاني[1]: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ أي: منازل يسكنون فيها من الدرّ والياقوت، و﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍۚ﴾ يقال: عدن بالمكان: إذا أقام به، ومنه: المعدن. قيل: هي أعلى الجنة. وقيل: أوسطها، وقيل: قصور من ذهب لا يدخلها إلا نبيّ، أو صدّيق، أو شهيد. وصف الجنة بأوصاف، الأوّل: جري الأنهار من تحتها، والثاني: أنهم فيها خالدون، والثالث: طيب مساكنها، والرابع: أنها دار عدن: أي إقامة غير منقطعة، هذا على ما هو معنى عدن لغة.

(1) فتح القدير.

طير

(طَارَ - رَقِيَ - رَفع - صَعَد - عَرَج - عَلَا)

■ **الطَّيَرَانُ:** الصعود بجناح ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾ [الأنعام: 38].

■ **الرُّقِيُّ:** الصعود الصعب والنادر ﴿أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ﴾ [الإسراء: 93].

■ **الرَّفْعُ:** إعلاء الشيء الموضوع عن مقره ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: 63].

■ **الصُّعُودُ:** بالضم: الذهاب في المكان العالي عبر عقبة قوية ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: 10].

■ **الصَّعُودُ:** - بالفتح - مكان الصعود الشاق ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدَّثر: 17]. .

أي عقبة شاقة ويقال ذلك لكل أمر شاق.

■ **العُرُوجُ:** الذهاب في صعود باستقامة كالمصعد الكهربائي ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعَارج: 4].

■ **العُلُوُّ:** (علا يعلو) وصل المكان العالي للنهاية للمحمود والمذموم ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [القَصص: 4].

(وعلي يعلى) في المحمود فقط ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج: 62].

* * *

شرح المعاني:

هذه المنظومة تضم الكلمات التالية: ارتفع وعرج ورقى وصعد وطار وتسوّر وعلا.

على حد علمي هذه الكلمات التي تعني الارتفاع فوق الأرض على اختلاف في نسب الارتفاع. وكل واحدة منها كما هي العادة في كلمات القرآن كل كلمة ترسم جانباً من الصورة دقيقاً لا ترسمه الكلمة الأخرى. ولهذا اللغة العربية هي الوحيدة التي لا تحتاج إلى إشارات من المتكلم لكي يوضح المقصود من الكلمة ونلاحظ أن بعض اللغات العالمية على جلالة قدرها أن المتحدث يستعمل يديه كثيراً لكي يُفهم المقابل المقصود من هذه الكلمة.

الكلمة القرآنية ترسم المعنى بالضبط بحيث أن السامع إذا كان يُحسن هذه اللغة يفهم المقصود بالضبط بلا زيادة ولا نقص ولا شعرة كما هو العادة في كل منظومة.

1 - **ارتفع**: أول ما ينفصل الشيء من موقعه. يقال: ارتفع. البداية، بداية الارتفاع إلى أعلى المنازل وأعلى الأماكن تبدأ بأن تنفصل عن الموقع الذي أنت فيه وتصبح ضد الجاذبية الأرضية هذا إذا كان الارتفاع مادياً وقد يكون معنوياً. مثال ذلك: الطائرة في المطار تكون حاطة على عجلاتها وأول ما تنفصل من الأرض يقال: ارتفعت، إياك أن تتوهم أنها عندما تصبح في كبد السماء يقال ارتفعت لا، ولكن ساعة ما تنفصل يقال ارتفعت كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: 63].

إذن الارتفاع ساعة الانفصال عن الأرض.

2 - عرج: بعد الانفصال ينطلق هذا الشيء عمودياً باتجاهه، مثال: الطائرة بعد أن ارتفعت في المدرج ارتفعت ثم ارتفعت ثم حينئذ يقال: تنطلق عمودياً يقال: عرجت. فالعروج بعد مرحلة الانطلاق أي الارتفاع.

فالارتفاع إذا كان باستمرار، بانسياب، بلا توقف، ولا تلكؤ يقال له: عروجاً أي كما ينطلق الصاروخ.

3 - **رقي**: الترقي ارتفاع درجة درجة. هذه من دقة اللغة القرآنية: فإذا قال: عرج أي انطلق دون توقف، وإذا توقف في محطة أولى ثم ثانية ثم ثالثة يقال: رقي، ولهذا أنت لا تقول فلان عرج على الدرج أو على السلم ولكن يقال رقى على السلم ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: 93].

في لغتنا العامة نستعمل الترقي ونقول: فلان يترقى في الوظيفة، فلا نقول يعرج ولا يصعد ولا يرتفع لأنه يترقى درجة درجة أي كل خمس سنين يمنح درجة جديدة في موقعه فهو ترقي، فكل ترق مراحل. وكما قال الشاعر حينما تكلم عن الإسراء والمعراج لم يقل: كيف تصعد صعودك الأنبياء؟ ولكن قال: كيف ترقى، لأن النبي ﷺ توقف لعدة محطات قد تقارب المائة محطة، فقد توقف عند أناس يقرضون بالمقاريض وسأل جبريل عنهم فقال: هؤلاء خطباء الفتنة الذين يقولون ما لا يفعلون، ثم رأى أناساً يتقيئون لحم أفاعي قال: هؤلاء أكلة الربا، ثم رأى أناساً تخدش وجوههم قال: هؤلاء أهل الغيبة، فقد رأى ﷺ مناظر يتوقف عندها، يتأملها، يسأل جبريل يحاوره، إذاً كانت هنالك عدة وقفات ولهذا قال الشاعر:

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماءً ما جاوزتها سماء

وفي الحديث: النبي ﷺ وهو سيد البلغاء يتكلم عن فضل الذين يستظهرون القرآن عن ظهر قلبٍ ويعملون به، قال: هؤلاء يوم القيامة يقال لهم: «**اقرأ وارق فحيثما تنتهي فتلك منزلتك**» لأن درجات الجنة بعدد آيات القرآن الكريم.

4 - **صعد**: الصعود يكون إذا وصلت إلى المحطة الأخيرة ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: 10].

الكلم الطيب وهو الذكر، كل أنواع الذكر «**ما عُبِد الله بشيء أحب إليه من الذكر**» جميع الملوك التعامل معهم من جهتين: الجهة الأولى كلامية من حيث أنت

واحد من محبي هذا الملك، فأنت تبرز محاسنه وأفضاله وكرمه وسجاياه وأياديه على الشعب، وقدرته وخوارقه وامتيازاته كل ما في شخصيته من قدرات وما في يده من عطاء وما في عواطفه وأخلاقه من استقامة، فأنت تتغزل به وكل الملوك يفعل بهم هكذا، فلهم شعراء وأدباء وحكماء وكتاب يبينون المزايا الشخصية لهذا الملك فهذا تعامل عظيم للملك. والتعامل من الجهة الثانية يكون عن طريق تطبيق أوامره ونواهيه، كالضابط والجندي ورئيس الوزراء، وأن تنفذ كل ما يقول فهذا التعامل فيه عمل وليس قولاً وكلاهما ضرورة، لكن الأول لا ينفع بدون الثاني فأنت تحسن مدح الملك، ولكن لم تخدم الدولة وليس لديك أمانة أو قدرات فأنت عطل، لكن الثاني قد ينفع بدون الأول، فأنت لم تمدح الملك ولا مرة واحدة، لكنك أبليت بلاءً حسناً في خدمة الشعب وخدمة الملك وتنفيذ أوامره ومشاريعه فقد عملت شيئاً عظيماً، فإذا اجتمع الاثنان فأنت قمة في طاعة الملك والولاء له.

فإذا كنت تعمل بدون أن تمدح الملك أنت في غاية الروعة، لكن فوّت على نفسك فرصاً عظيمة: فرص التقدّم لأن مدح الملك يعطيك فرصاً متميزة من العطاء والإكرام والغنى والتقدم، بينما العمل يكون على قدر راتبك، على قدر جهدك. إذن التعامل مع رب العالمين بالأمرين: أن تذكره ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: **103**] بالليل والنهار سراً وعلانية «**ذهب الذاكرون بكل خير**» ولا يوجد أمة تذكر الله على مدى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [المائدة: **35**] اتقوا الله أولاً بالفرائض والأركان ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: **35**] أنت بالذكر، والآخر بالقلب، والآخر بخدمة الوالدين، والآخر بخدمة الأمة، وآخر بالسياسة وآخر، بالقتال فكل شخص له وسيلة، لكن أولاً عليك أن تعبد الله عز وجل بالعمل.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: **10**].

فالسفن الفضائية فيها هذا الصاروخ الذي يدفعها، فالصاروخ هو العمل الصالح والسفينة الفضائية هي الكلم الطيب إذن هكذا هو الأمر.

القاضي عياض في ترجمة للإمام محمد بن أبي زيد القيرواني شيخ القيروان في القرن الرابع الهجري يذكر أن أحد تلاميذه دخل عليه وقال له: اكتب اسمي على البساط أمامك كلما رأيته تذكرتني ودعوت لي، فأجابه ابن أبي زيد القيرواني: هب أني دعوت لك فأين عملٌ صالحٌ يرفعه؟

5 - تسوّر: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص: 21]، ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [ص: 22] فسيدنا داوود عليه السلام كان لديه يوم يختلي فيه بالعبادة فلا يدخل عليه أحد. وتسور: يصعد على السور فمن يصعد على جدار أو هكذا يقال: تسور. فالتسور هو الصعود على سور.

علا: كلمة علا ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 43] العلو عندما تستقر.

مثال ذلك: أنت ارتفعت وصعدت وعرجت ورقيت وصعدت وطرت لكن رجعت فلا يقال علا، إذا استقريت هناك يقال علا، عندما تستقر وهذا مكانك يقال علا. فالعلو إذن الاستقرار في القمة، كما قال عز وجل عن فرعون: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: 4] استقر 50 سنة يحكم ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: 24] فهو في القمة.

هذه هي الكلمات القرآنية وكما تعرفون كل كلمة ترسم زاوية معينة: ارتفع في البداية، ثم يأتي وراءها عرج، ثم إذا كان متدرج يقول رقى إذا وصل إلى النهاية يقال صعد وهذا الكلام كله عمودياً، إذا كان أفقياً يقال طار فالطائرة تطلع أفقياً والصواريخ تطلع عمودياً إذن طار أفقياً، تسور ارتفع على السور، وعلا إذا استقر في القمة. هكذا هي هذه المنظومة التي هي من منظومات القرآن التي تدل على أن هذا الكتاب كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: 122].

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس[1]: الطاء والياء والراء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على خِفّة الشَّيءِ في الهواءِ. ثمَّ يستعار ذلك في غيرِهِ وفي كلِّ سُرعة. من ذلك الطَّير: جمع طائر، سمِّيَ ذلك لما قُلناه. يقال: طارَ يَطير طَيَراناً. ثمَّ يقال لكلِّ مَنْ خفَّ: قد طار. قال رسول الله ﷺ: «**خيرُ النَّاسِ رجلٌ مُمْسِكٌ بِعِنان فرسِهِ في سبيل الله، كلَّما سمِعَ هَيْعَةً طار إليها**». وقال: ويقال مِنْ هذا: تَطَايَرَ الشَّيءُ: تفرَّق. واستطار الفجر: انتشر. وكذلك كلُّ منتشِر. قال الله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: 7]. فأمَّا قولهم: تطيَّر من الشيء، فاشتقاقه من الطَّيرِ كالغراب وما أشبهه. ومن الباب: طائر الإنسانِ، وهو عمَلُهُ. وبئر مُطارَةٌ، إذا كانت واسعة الفم. قال: ومن الباب: الطَّيْرة: الغضَب، وسمِّي كذا لأنَّه يُستطَار له الإنسان. ومن الباب قولهم: خذ ما تَطَايَرَ من شعر رأسك، أي طال.

قال الجوهري[2]: الطائِرُ جمعه طَيْرٌ، وجمع الطَّيْرُ طُيورٌ وأطْيارٌ. وقال قطرب: الطَّيْرُ أيضاً قد يقع على الواحد. وأبو عبيدة مثله. وقرئ: «**فيكون طَيْراً بإذنِ الله**». وطائِر الإنسان: عمله الذي قُلِّده. والطيرُ أيضاً: الاسم من التَّطَيُّرِ، ومنه قولهم: «**لا طيرَ إلا طيرُ الله**» كما يقال: لا أمر إلا أمر الله.

قال الفيروزآبادي[3]: الطَّيَرَانُ، محرَّكَةً: حركةُ ذي الجَناحِ في الهَواءِ بِجَناحَيهِ، كالطَّيْرِ والطَّيْرُورَةِ. وأطارَهُ وطَيَّرهُ وطَيَّرَ به وطايَرَه. والطَّيْرُ: جمعُ طائرٍ، وقد يَقَعُ على الواحدِ جمعه: طُيورٌ وأطْيارٌ. وتَطايَرَ: تَفَرَّقَ، كاسْتَطارَ، وطالَ، كطارَ، وطار السحابُ في السماءِ: عَمَّها. وهو ساكنُ الطائِرِ، أي: وَقُورٌ. والطائِرُ: الدِّماغُ، وما تَيَمَّنْتَ به أو تَشاءَمْتَ، والحَظُّ، وعَمَلُ الإنسانِ الذي قُلِّدَهُ،

(1) معجم مقاييس اللغة.
(2) الصحاح في اللغة.
(3) القاموس المحيط.

ورِزْقُهُ. والطِّيَرَةُ والطِّيْرَةُ والطُّوْرَةُ: ما يُتَشاءَمُ به من الفأْلِ الرَّدِيءِ، وتَطَيَّرَ به وطار منه.

المعنى المشترك لكلمة (طير)

وقد وردت كلمة (ط ي ر) في القرآن الكريم على تسعة أوجه:

الوجه الأول: الطائر يعني: الشدة والرخاء ﴿قَالُواْ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ [يس: **19**].. أي شدتكم ورخاؤكم.

الوجه الثاني: الطائر: الكتاب ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلۡزَمۡنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: **13**].

الوجه الثالث: الطائر: الطير بعينه ﴿وَلَا طَـٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ [الأنعام: **38**].. أي لا يطير من سائر الطيور.

الوجه الرابع: الطير يعني: الهدهد ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ﴾ [النّمل: **20**].

الوجه الخامس: الطير يعني: الخفاش ﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ﴾ [الآية: **110**].

الوجه السادس: الطير: ما أتى من قبل البحرين ﴿وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ﴿٤﴾﴾ [الفيل: **3**، **4**].

الوجه السابع: الطير: الطاووس والديك والغراب والبط ﴿فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ﴾ [البقرة: **260**].

الوجه الثامن: الطير يعني: به سائر الطيور ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ [النحل: **79**].

الوجه التاسع: الطير يعني: الدجاج والدراج ﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾ [الواقعة: **21**].

في القرآن الكريم:

● قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ [الأنعام: 38].

قال الشوكاني(1): ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾ الدابة من دبّ يدبّ فهو داب: إذا مشى مشياً فيه تقارب خطو. وقد تقدّم بيان ذلك في البقرة ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ﴾ معطوف على ﴿دَآبَّةٍ﴾ مجرور في قراءة الجمهور. وقرأ الحسن وعبد الله بن أبي إسحاق «وَلَا طَائِرٌ» بالرفع عطفاً على موضع من دابة على تقدير زيادة من، و﴿بِجَنَاحَيۡهِ﴾ لدفع الإبهام؛ لأن العرب تستعمل الطيران لغير الطير، كقولهم: طر في حاجتي: أي أسرع. وقيل: إن اعتدال جسد الطائر بين الجناحين يعينه على الطيران، ومع عدم الاعتدال يميل، فأعلمنا سبحانه أن الطيران بالجناحين. وقيل: ذكر الجناحين للتأكيد كضرب بيده وأبصر بعينيه. والجناح: أحد ناحيتي الطير الذي يتمكن به من الطيران في الهواء، وأصله: الميل إلى ناحية من النواحي. والمعنى: ما من دابة من الدواب التي تدبّ في أيّ مكان من أمكنة الأرض، ولا طائر يطير في أيّ ناحية من نواحيها.

قال البيضاويّ(2): ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ تدب على وجهها. ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ في الهواء، وصفه به قطعاً لمجاز السرعة ونحوها. وقرىء «ولا طائر» بالرفع على المحل.

قال الماوردي(3): ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ يعني في الهواء، جميع بين ما هو على الأرض وفيها وما ارتفع عنها.

---

(1) فتح القدير.
(2) أنوار التنزيل.
(3) النكت والعيون.

● **قال تعالى**: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: 131].

قال الطبري[1]: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾. يقول تعالى ذكره: ألا ما طائر آل فرعون وغيرهم، وذلك أنصباؤهم من الرخاء والخصب وغير ذلك من أنصباء الخير والشرّ إلا عند الله. ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ذلك كذلك، فلجهلهم بذلك كانوا يطَّيرون بموسى ومن معه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يقول: مصائبهم عند الله، قال الله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾. حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج قال: قال ابن عباس: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ قال: الأمر من قِبَل الله.

قال الزمخشري[2]: ﴿طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي سبب خيرهم وشرهم عند الله، وهو حكمه ومشيئته، والله هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة، وليس شؤم أحد ولا يمنه بسبب فيه، كقوله تعالى: ﴿قُلۡ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [النساء: 78] ويجوز أن يكون معناه: ألا إنما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لأجله، ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله سبحانه: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾ [غافر: 46] الآية. ولا طائر أشأم من هذا. وقرأ الحسن: «إنما طيركم عند الله»، وهو اسم لجمع طائر غير تكسير، ونظيره: التجر، والركب. وعند أبي الحسن: هو تكسير.

● **قال تعالى**: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ﴾ [الإسراء: 13].

---

(1) جامع البيان.
(2) الكشاف.

قال القرطبي[1]: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ قال الزجاج: ذِكر العنق عبارةٌ عن اللزوم كلزوم القِلادة للعنق. وقال ابن عباس: «طائره» عمله وما قُدّر عليه من خير وشر، وهو ملازمه أينما كان. وقال مقاتل والكلبي: خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسَب به. وقال مجاهد: عمله ورزقه، وعنه: ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة فيها مكتوب شَقِيّ أو سعيد. وقال الحسن: «ألزمناه طائره» أي شقاوته وسعادته وما كتب له من خير وشر وما طار له من التقدير، أي صار له عند القسمة في الأزل. وقيل: أراد به التكليف، أي قدرناه التزام الشرع، وهو بحيث لو أراد أن يفعل ما أمِر به وينزجز عما زُجر به أمكنه ذلك.

قال الخازن[2]: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ قال ابن عباس: عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان. وقيل: خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به. وقيل: ما من مولود إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد، وقيل: أراد بالطائر ما قضى عليه أنه عامله وما هو صائر إليهم من سعادة أو شقاوة، وقيل: هو من قولك طار له سهم إذا خرج يعني ألزمناه ما طار له من عمله لزوم القلادة أو الغل، لا ينفك عنه والعنق في قوله في عنقه كناية عن اللزم كما يقال: جعلت هذا في عنقك أي قلدتك هذا العمل، وألزمتك الاحتفاظ به وإنما خص العنق من بين سائر الأعضاء لأنه موضع القلائد والأطواق والغل مما يزين أو يشين فإن كان عمله خيراً كان له كالقلادة أو الحلي في العنق وهو ما يزينه، وإن كان عمله شراً كان له كالغلّ في عنقه وهو ما يشينه.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ [النور: 41].

قال أبو السعود[3]: ﴿وَٱلطَّيْرُ﴾ بالرَّفعِ عطفاً على مَن وتخصيصُها بالذِّكرِ مع

(1) الجامع لأحكام القرآن.
(2) لباب التأويل.
(3) إرشاد العقل السليم.

اندراجها في جُملة ما في الأرضِ لعدم استمرارِ قرارها فيها واستقلالها بصنعٍ بارعٍ وإنشاءٍ رائعٍ قُصد بيانُ تسبيحها من تلك الجهةِ لوضوح إنبائِها عن كمالٍ قُدرةِ صانعِها ولطفِ تدبير مُبدعِها حسبما يُعرب عنه التَّقييدُ بقوله تعالى: ﴿صَٰٓفَّٰتٍۖ﴾ أي تُسبِّحه تعالى حال كونِها صافاتٍ أجنحتَها فإنَّ إعطاءه تعالى للأجرام الثَّقيلةِ ما تتمكنُ به من الوقوف في الجوِّ والحركةِ كيف تشاءُ من الأجنحةِ والأذنابِ الخفيفةِ وإرشادها إلى كيفيَّةِ استعمالها بالقبضِ والبسط حجَّةٌ نيِّرةٌ واضحة المكنونِ وآيةٌ بيِّنة لقومٍ يعقلون دالَّةٌ على كمال قُدرة الصَّانعِ المجيد وغايةِ حكمةِ المبدىءِ المُعيدِ.

قال ابن عجيبة[1]: ﴿وَٱلطَّيۡرُ﴾ حال كونها ﴿صَٰٓفَّٰتٍۖ﴾ أي: يصففن أجنحتهن في الهواء، وتخصيصها بالذكر، مع اندراجها في جملة ما في الأرض؛ لعدم استمرار قرارها فيها، ولاختصاصها بصنع بارع، وهو اصطفاف أجنحتها في الجو، وتمكينها من الحركة كيف تشاء، وإرشادها إلى كيفية استعمالها بالقبض والبسط، ففي ذلك دلالة واضحة على كمال قدرة الصانع المجيد، وغاية حكمة المبدئ المعيد.

● **قال تعالى:** ﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص: 19].

قال الألوسي[2]: ﴿وَٱلطَّيۡرَ﴾ عطف على ﴿ٱلۡجِبَالَ﴾ [ص: 18] على ما هو الظاهر حال من (الطير) والعامل﴿سَخَّرۡنَا﴾ [ص: 18] أي وسخرنا الطير حال كونها محشورة، عن ابن عباس كان عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت وذلك حشرها. ولم يؤت بالحال فعلاً مضارعاً كالحال السابقة ليدل على الحشر الدفعي الذي هو أدل على القدرة وذلك بتوسط مقابلته للفعل أو لأن الدفعية هي الأصل عند عدم القرينة على خلافها. وقرأ ابن أبي عبلة والجحدري ﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ﴾ برفعهما مبتدأ وخبراً، ولعل الجملة على ذلك حال من ضمير ﴿يُسَبِّحۡنَ﴾. ﴿كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ استئناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما

(1) البحر المديد. (2) روح المعاني.

فهم منهم إجمالاً من تسبيح الطير. واللام تعليلية. والضمير لداود أي كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجاع إلى التسبيح. ووضع الأواب موضع المسبح إما لأنها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لأنه يرجع إلى فعله رجوعاً بعد رجوع وإما لأن الأواب هو التواب الكثير الرجوع إلى الله تعالى كما هو المشهور ومن دأبه إكثار الذكر وإدامة التسبيح والتقديس. وقيل يجوز أن يكون المراد كل من الطير فالجملة للتصريح بما فهم، وكذا يجوز أن يراد كل من داود عليه السلام ومن الجبال والطير. والضمير لله تعالى أي كل من داود والجبال والطير لله تعالى أواب أي مسبح مرجع للتسبيح.

قال الشعراوي(1): ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ معنى محشورة أي: مجتمعة حول سيدنا داود، لأنه عليه السلام كان جميل الصوت حين يقرأ المزامير ويتغنى بها، فكانت الطيرُ تجتمع عليه وتُردِّد معه وتُرجِّع ما يقول: إذن: كانت منظومة إيمانيةً مُكوَّنة من سيدنا داود والجبال والطير، جميعهم يرددون تسبيحاً واحداً، وكأنهم كما قلنا: (كورس) واحد. لذلك قالوا في ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾. أي: داود والجبال والطير، كل منهم أواب لله خاضع له راجع إليه.

● **قال تعالى**: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: 17].

قال ابن عاشور(2): وهب الله سليمانَ قوة من قوى النبوءة يدرك بها من أحوال الأرواح والمجردات كما يدرك منطق الطير ودلالة النمل ونحوها. ويزَع تلك الموجودات بها فيوزعون تسخيراً كما سخر بعض العناصر لبعض في الكيمياء والكهربائية. وقد وهب الله هذه القوة محمداً ﷺ فصرَف إليه نفراً من الجن يستمعون القرآن، ويخاطبونه. وإنما أمسك رسول الله عن أن يتصرف فيها ويزعها كرامة لأخيه سليمان إذ سأل الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فلم يتصرف فيها

(1) تفسير الشعراوي.
(2) التحرير والتنوير.

النبي ﷺ مع المكنة من ذلك، لأن الله محضه لما هو أهمّ وأعلى فنال بذلك فضلاً مثل فضل سليمان، ورجح بإعراضه عن التصرف تبريراً لدعوة أخيه في النبوءة لأن جانب النبوءة في رسول الله أقوى من جانب الملك، كما قال للرجل الذي رُعد حين مَثَل بين يديه: «**إني لست بِمَلِك ولا جبّار**» وقد ورد في الحديث: «**أنه خُيّر بين أن يكون نبيًّا عبداً أو نبيًّا مَلِكاً فاختار أن يكون نبيًّا عبداً**»، فرتبة رسول الله ﷺ رتبة التشريع وهي أعظم من رتبة الملك، وسليمانُ لم يكن مشرِّعاً لأنه ليس برسول، فوهبه الله ملكاً يتصرف به في السياسة، وهذه المراتب يندرج بعضها فيما هو أعلى منه فهو ليس بمَلِك، وهو يتصرف في الأمة تصرف الملوك تصرفاً بريئاً مما يقتضيه المُلك من الزخرف والأُبَّهَة كما بيناه في كتاب «النقد» على كتاب الشيخ علي عبد الرازق المصري الذي سماه «الإسلام وأصول الحكم».

والحشر: الجمع. والمعنى: أن جنوده كانت مُحْضَرة في حضرته مسخّرة لأمره حيث هو.

والجنود: جمع جند، وهو الطائفة التي لها عمل متّحد تسخَّر له. وغلب إطلاق الجند على طائفة من الناس يُعدّها الملِك لقتال العَدوّ ولحراسة البلاد.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾ بيان للجنود فهي ثلاثة أصناف: صنف الجن وهو لتوجيه القُوى الخفية، والتأثير في الأمور الروحية. وصنف الإنس وهو جنود تنفيذ أوامره ومحاربة العدو وحراسة المملكة، وصنفُ الطير وهو من تمام الجند لتوجيه الأخبار وتلقيها وتوجيه الرسائل إلى قُواده وأمرائه. واقتُصر على الجن والطير لغرابة كونهما من الجنود فلذلك لم يُذكر الخيل وهي من الجيش.

قال القشيري(1): سخَّر اللهُ لسليمان عليه السلام الجنَّ والطيرَ، فكان الجنُّ مكلَّفين، والطيرُ كانت مُسَخَّرَةً إلا أنه كان عليها شَرْعٌ، وكذلك الحيوانات التي كانت في وقته، حتى النمل كان سليمان يعرف خطابَهم ينفذ عليهم حُكْمه.

---

(1) لطائف الإشارات.

● **قال تعالى**: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ [النَّمل: 20].

قال العزّ بن عبد السلام(1): ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ كان إذا سافر أظله الطير من الشمس، فلما غاب الهدهد أتت الشمس من مكانه وكانت الأرض للهدهد كالزجاج يرى ما تحتها فيدل على مواضع الماء حتى تحفر.

قال ابن الجوزي(2): ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ التفقُّد: طلب ما غاب عنك؛ والمعنى أنه طلب ما فقد من الطير؛ والطَّير اسم جامع للجنس، وكانت الطَّير تصحب سليمان في سفره تُظِلُّه بأجنحتها.

● **قال تعالى**: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ﴾ [يس: 18].

قال الفخر الرازي(3): ثم كان جوابهم بعد هذا أنهم قالوا إنا تطيرنا بكم وذلك أنه لما ظهر من الرسل المبالغة في البلاغ ظهر منهم الغلو في التكذيب، فلما قال المرسلون: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ [يس: 14] قالوا: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ [يس: 15] ولما أكد الرسل قولهم باليمين حيث قالوا: ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ﴾ [يس: 16] أكدوا قولهم بالتطير بهم فكأنهم قالوا في الأول كنتم كاذبين، وفي الثاني صرتم مصرين على الكذب، حالفين مقسمين عليه، و«اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع» فتشاءمنا بكم ثانياً، وفي الأول كما تركتم ففي الثاني لا نترككم لكون الشؤم مدركنا بسببكم.

قال أبو السعود(4): ﴿قَالُوٓاْ﴾ لمَّا ضاقتْ عليهم الحِيلُ وعيتْ بهم العللُ ﴿إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ﴾ تشاءمنا بكم جرياً على دَيْدنِ الجَهَلةِ حيث كانُوا يتيَّمنون بكلِّ ما يُوافق شهواتِهم وإن كان مستجلباً لكلِّ شرَ ووبال ويتشاءُمون بما لا يُوافقها وإنْ كان مستتبعاً لسعادةِ الدَّارينِ أو بناء على أنَّ الدَّعوةَ لا تخلُو عن الوعيدِ بما يكرهونَه من إصابة ضُرَ ومتعلِّقٍ بأنفسهم وأهليهم وأموالِهم إنْ لم يُؤمنوا فكانوا ينفرون عنه.

---

(1) التفسير العظيم.
(2) زاد المسير.
(3) التفسير الكبير.
(4) إرشاد العقل السليم.

طين

(طِيْن - تُرَاب - ثَرَى - صَعِيد - حَقْف)

■ **الطِّينُ:** التراب مع الماء، الطين اللازج شديد الجمود والقوة، والطين الصلصال الجاف ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ [الأنعام: 2].

■ **التُّرَابُ:** وجه الأرض الهش الصالح للزراعة ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الروم: 20].

■ **الثَّرَى:** التراب المشتمل على الشيء النفيس من معادن ونحوهما ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: 6].

■ **الصَّعِيدُ:** التراب الطاهر ذو الغبار ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: 43].

■ **الحَقْفُ:** التراب المتلبد المائل في سفوح التلال ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: 21].

* * *

النصوص اللغوية:

قال ابن فارس(1): الطاء والياء والنون كلمةٌ واحدة، وهي الطِّين، وهو معروف. ويقال: طيَّنْت البيتَ، وطِنت الكتابَ. ويقال: طانَه الله تعالى على الخَيْر، أي جَبَله.

---

(1) معجم مقاييس اللغة.

قال الجوهري(1): الطينُ معروف، والطينَةُ أخصُّ منه. وطَيَّنْتُ السَطح، وبعضهم ينكره ويقول: طِنْتُ السطح فهو مَطينٌ.

والطينَةُ: الخِلْقَةُ والجِبِلَّة. يقال: فلانٌ من الطينة الأولى.

وطانَ فلان كتابَه: ختَمه بالطينِ. قال ابن السكيت: طانَهُ الله على الخيرِ وطامَهُ، أي جَبَله عليه.

ويومٌ طانٌ ومكانٌ طانٌ. وأرضٌ طانةٌ: كثيرة الطينِ.

قال الفيروزآبادي(2): الطِّينُ، بالكسر: معروف، وبهاءٍ: القِطْعَةُ مِنه، والجِبِلَّةُ. وطَانَ: حَسَّنَ عَمَلَ الطينِ، وطين كِتابَهُ: خَتَمَهُ به. وتَطَيَّنَ: تَلَطَّخَ به. وككتابةٍ: صَنْعَتُه. وطَيَّنَ السَّطْحَ،فهو مَطِينٌ، كأَميرٍ. ومكانٌ طانٌ: كثيرُه.

قال ابن منظور(3): الطِّينُ: معروف الوَحَلُ، واحدته طِينةٌ، وهو من الجواهر الموصوف بها؛ حكى سيبويه عن العرب: ممرت بصحيفةٍ طينٍ خاتَمُها، جعله صفة لأنه في معنى الفعل، كأنه قال لَيّنٍ خاتمها، والطان لغة فيه؛ قال المُتَلمِّس: بِطانٍ على صُمّ الصُّفي وبِكِلّسِ ويروى: يُطانُ بآجُرٍّ عليه ويُكْلَسُ ويوم طانٌ: كثير الطين، وموضع طانٌ كذلك، يصلح أن يكون فاعلاً ذهبت عينه وأن يكون فَعَلاً.

في القرآن الكريم:

● **قال تعالى**: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: 11]

قال السجستاني(4): ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾: أي سلهم ﴿لَّازِبٍ﴾ ولازم ولاتب ولاصق، بمعنى واحد، والطين اللازم هو المتلزج المتماسك الذي يلزم بعضه بعضاً، ومنه ضربة لازب ولازم: أي أمر يلزم.

(1) الصحاح في اللغة.
(2) القاموس المحيط.
(3) اللسان.
(4) نزهة القلوب.

قال ابن عجيبة[1]: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ لاصق باليد، أو: لازم. وقرىء به، أي: يلزم مَن جاوره ويلصق به. وهذا شاهد عليهم بالضعف؛ لأن ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة. أو احتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذي خُلقوا منه إنما هو تراب، فمن أين استنكروا أن نخلق من تراب مثله خلقاً آخر؟ حيث قالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ [الرعد: 5]، الخ، وهذا المعنى يعضده ما يتلوه بعدُ؛ من ذكر إنكارهم البعث.

● **قال تعالى**: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: 76].

قال أبو السعود[2]: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ تعليلٌ لما ادَّعاهُ من فضلِه عليه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، ولقد أخطأ اللَّعينُ حيث خصَّ الفضلَ بما من جهةِ المادَّةِ والعنصرِ وزلَّ عنه ما من جهة الفاعل كما أنبأ عنه وقولُه تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: 75] وما من جهة الصُّورة كما نبه عليه قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: 29] وما من جهة الغايةِ وهو مِلاكُ الأمرِ، ولذلك أمرَ الملائكةَ بسجودِه عليه السلام حين ظهرَ لهم أنَّه أعلمُ منهم بما يدورُ عليه من أمرِ الخلافةِ في الأرضِ وأنَّ له خواصَّ ليست لغيرِه.

قال الزمخشري[3]: أي: لو كان مخلوقاً من نار لما سجدت له، لأنه مخلوق مثلي، فكيف أسجد لمن هو دوني لأنه من طين والنار تغلب الطين وتأكله، وقد جرت الجملة الثانية من الأولى وهي ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾ مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه في البيان والإيضاح.

قال الخازن[4]: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ والنار أشرف من الطين وأفضل منه وأخطأ إبليس في القياس لأن مآل النار إلى الرماد الذي لا ينتفع به والطين أصل كل ما هو نام ثابت كالإنسان والشجرة المثمرة ومعلوم أن الإنسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وأفضل. وقيل: هب أن النار خير من الطين

---

(1) البحر المديد.
(2) إرشاد العقل السليم.
(3) الكشاف.
(4) لباب التأويل.

بخاصية فالطين خير منها وأفضل بخواص وذلك مثل رجل شريف نسيب لكنه عار عن كل فضيلة فإن نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد، ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل عالم فيكون أفضل من ذلك النسيب بدرجات كثيرة.

● **قال تعالى**: ﴿فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ [القصص: 38].

قال الفخر الرازي(1): ﴿فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لأنه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولأن هذه العبارة أليق بفصاحة القرآن وأشبه بكلام الجبابرة وأمر هامان، وهو وزيره بالإيقاد على الطين فنادى باسمه بيافي وسط الكلام دليل على التعظم والتجبر، والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى واحد.

قال القرطبي(2): ﴿فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ أي اطبخ لي الآجرّ؛ عن ابن عباس رضي الله عنه. وقال قتادة: هو أوّل من صنع الآجرّ وبنى به. ولما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال - قيل خمسين ألف بناء سوى الأتباع والأجراء - وأمر بطبخ الآجرّ والجص، ونشر الخشب، وضرب المسامير، فبنوا ورفعوا البناء وشيّدوا بحيث لم يبلغه بنيان منذ خلق الله السمٰوات والأرض، فكان الباني لا يقدر أن يقوم على رأسه، حتى أراد الله أن يفتنهم فيه. فحكى السدّي: أن فرعون صعد السطح ورمى بنُشّابة نحو السماء، فرجعت متلطخة بدماء، فقال قد قتلت إلٰه موسى. فروي أن جبريل عليه السلام بعثه الله تعالى عند مقالته، فضرب الصرح بجناحه فقطعه ثلاث قطع؛ قطعة على عسكر فرعون قتلت منهم ألف ألف، وقطعة في البحر، وقطعة في الغرب، وهلك كل من عمل فيه شيئاً. والله أعلم بصحة ذلك.

---

(1) التفسير الكبير.

(2) الجامع لأحكام القرآن.

فهرس المحتويات

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء